درة الناصحين

في

الوعظ والإرشاد

تأليف

عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخوبري

دار إحياء الكتب العربية

لصاحبها عيسى البابي الحلبي

دُرَّةُ النَّاصِحِين
فى
الوعظ والإرشاد

تأليف

عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخوبرى

من علماء القرن الثالث عشر للهجرة



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعلنا من الناصحين ، وأفهمنا من علوم العلماء الراسخين . والصلاة والسلام على من نسخ دينه أديان الكفرة والطالحين ، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا بتمسك شريعته صالحين .

وبعد : فيقول العبد الباثنى الفقير ، إلى رحمة ربه القدير ، عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخوبوى . أكرمهم الله بلطفه وكرمه العلى : قد كنت ما كنا فى البلدة العظيمة المشتهاة بالقسطنطينية . صانها الله تعالى وسائر البلاد من الآفات والبلية .

فلما رأيت بين الإخوان الطلبة والمشايخ الموالى ، الذين هم بين الأنام كالمصابيح فى ظلم الليالى ، موعظة مرغوبة فيما بينهم وبين العلماء الفضلاء ، الذين هم كانوا باعتصام معدن العلم ورثة الأنبياء ، لكنها غير مرتبة على نسق القرآن العظيم والفرقان المجيد ، أردت أن أكتبها وأصلح خطأها بعناية الملك الحميد ، وقد صادفنا بعض الطلبة من إخواننا يقولون بألسنتهم ما ليس فى كتابنا ويخطئون بل يكفرون فى نصائحهم ومواعظهم إلى المنغمسين فى النعاس ، وينشرون الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . صرفه الله عن إلقاء الفتن فى قلوبنا . ثم طرأ بى من الأيام الحادثة مرض شديد بأمر الله وتقدير الملك المجيد ، وكنت ذا فراش عدة من الأيام ، بحيث ما قدرت على نبذة من الكلام ، ونذرت فى أثنائه إن عصمنى العاصم من الآفات والبلايا ، أن ألقى معشوقا بين العشاق والبرايا ، وأقص على وجه القرطاس ضياء الشموس والأنوار ، وأجرى بين الأنام ماء المد والبحار .

ولما رزقت الخلاص من المرض للسطور ، وما بقى عندى شىء من الفتور ، وعثرت على هذه الأقوال ، وما وقعوا بأيديهم فى الخطأ والضلال ، وأخذت فى الكتابة بعناية الملك المنان ، صار كل مسائلها كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان . ورتبت كل آية بتنظيم القرآن الكريم ، وانتقيت ما دل على أوصاف الجنان والجحيم ، وألحقت بعض الأحاديث الشريفة والقصص اللطيفة ، فيمن يعمل عمل قوم لوط من الخبيث والخبيثة ،

وبينت ما شأنه فى الدنيا والآخرة ، وهل يجب الحد أو الرجم على قياس الزانى والزانية . ولما خرجت من بطن الأم إلى دار الفناء ، واحتاجت إلى اسم معين من أشرف الأسماء . سميتها : « درة الناصحين » جعلها الله بين الإخوان من الصالحين . إلا أنى ألتمس من بعض الأذكياء فضلا عن الفضلاء والكبراء أن يصلح ما وقع خطأ منى ، وأن يرفع ما نشأ سهواً عنى ؛ لأن الإنسان محل النسيان ، ولأن شروع مثلى فى مثل هذا من الفضاحة . كما أن كتابة الأشل من الضياعة ، والاشتغال بمثل هذا فى أثناء التحصيل ، كإلقاء النقود الجيدة فى النيل ، ما العفو وما التكفير إلا من الغفران ، ما الذنب وما التقصير إلا من العصيان .

والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل . وهو حسبى ونعم الوكيل . له الحمد على كل حال سوى الكفر والضلال ، وهو المنزه عن الشبيه والمثال ؟

المؤلف

دعاء

يقال عند ابتداء المجلس

صلوا على رسولنا محمد ، صلوا على طبيب قلوبنا محمد ، صلوا على شفيع ذنوبنا محمد ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ، ونحن على ما قال خالقنا ورازقنا ومولانا من الشاهدين الشاكرين بقلب سليم . ثم يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب . . . إلى آخره

دعاء

يقال عند ختام المجلس

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وآله وصحبه أجمعين . اللهم نظم أحوالنا وحسن أفعالنا ، وخلصنا من ألم الفقر والذل واعصمنا من البلاء والوباء والطاعون ، ومن شرور الأعداء والشياطين والنفس الأمارة بالسوء ، اللهم يسر لنا الانتظام فى جميع الأمور الدينية والدنيوية وحصل مرادنا بالخير . اللهم بعدنا من الشر والعصيان . اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء . يا محول الحول والأحوال حول حالنا إلى أحسن حال . اللهم يا كثير النوال ، ويا خالق جميع الأفعال ، وفقنا لنية الخير فى جميع الأقوال والأحوال . اللهم سلمنا وسلم ديننا ، ولا تسلب وقت النزع إيماننا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا وارزقنا خيرى الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير .

دعاء

يقال عند ختام الكتاب جميعه

اللهم ربنا يا ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا يا مولانا إنك أنت التواب الرحيم ، واهدنا ووفقنا إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ببركة ختم القرآن العظيم ، وبحرمة حبيبك ورسولك الكريم ، واعف عنا يا كريم ، واعف عنا يا رحيم ، واغفر لنا ذنوبنا بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين .

اللهم زينا بزينة ختم القرآن ، وأكرمنا بكرامة ختم القرآن ، وشرفنا بشرافة ختم القرآن . وألبسنا بخلعة ختم القرآن ، وأدخلنا الجنة مع القرآن ، وعافنا من كل بلاء الدنيا وعذاب الآخرة بحرمة ختم القرآن ، وارحم جميع أمة محمد بحرمة ختم القرآن . اللهم اجعل القرآن لنا فى الدنيا

قرينا ، وفى القبر مؤنسا ، وفى القيامة شفيعاً ، وعلى الصراط نورا ، وإلى الجنة رفيقا ، ومن النار ستراً وحجاباً ، وإلى الخيرات كلها دليلا وإماماً . بفضلك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنا بكل حرف من القرآن حلاوة ، وبكل كلمة كرامة ، وبكل آية سعادة ، وبكل سورة سلامة ، وبكل جزء جزاء . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين الطيبين الطاهرين .

اللهم انصر سلطاننا سلطان المسلمين ، وانصر وزراءه ووكلاءه وعساكره إلى يوم الدين . واكتب السلامة والعافية علينا وعلى الحجاج والغزاة والمسافرين والمقيمين فى برك وبحرك من أمة محمد أجمعين .

اللهم بلغ ثواب ما قرأناه ونور ما تلوناه بعد القبول منا بالفضل والإحسان هدية واصلة إلى روح نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإلى أرواح أولاده وأزواجه وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وإلى أرواح آبائنا وأمهاتنا وأبنائنا وبناتنا وإخواننا وأخواتنا وأعمامنا وعماتنا وأخوالنا وخالاتنا وأصدقائنا وأساتذتنا وأقربائنا ومشايخنا ولمن له حق علينا ، وإلى أرواح جميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين . جزى الله عنا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بما هو أهله . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين . الفاتحة .

دعاء

يقال عند الانتهاء من الطعام

الحمد لله الذى قال فى كتابه : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) والصلاة والسلام على رسولنا محمد الذى يحب الأسخياء والأغنياء المطعمين ، وعلى آله وأصحابه المحبين الفقراء والمساكين والمكرمين .

اللهم اجعل نعمتنا دائمة ودولتنا قائمة ، وأولادنا علماء ، ولا تسلط علينا ظالما . اللهم ارحم صاحب هذا الطعام والآكلين ، وأعط البركة لمال صاحب هذا الطعام والحاضرين وأطعمنا من طعام الجنة ، وأسقنا من شراب الكوثر ، وزوجنا بحور عين ، وأكرمنا برؤية جمالك يا إله العالمين .

اللهم زد ولا تقلل بحرمة سيد المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . الفاتحة .

المجلس الأول : فى فضيلة شهر رمضان

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(شهر رمضان) مبتدأ خبره مابعده أو خبر مبتدإ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان أو بدل من الصيام على حذف المضاف ، أى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان ، وقرئ بالنصب على إضمار صوموا أو على أنه مفعول وأن تصوموا وفيه ضعف ، أو بدل من أيام معدودات . والشهر من الشهرة . ورمضان مصدر رمض إذا احترق فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والألف والنون كما منع دأية فى ابن دأية علما للغراب للعلمية والتأنيث ، وقوله عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان » فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس ؛ وإنما سموه بذلك إما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب فيه أو لو قوعه أيام الرمض ؛ أى الحر حينما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة (الذى أنزل فيه القرآن) أى ابتدئ فيه إنزاله ، وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل منجما إلى الأرض أو أنزل فى شأنه القرآن وهو قوله تعالى (كتب عليكم الصيام) . وعن النبى عليه الصلاة والسلام « نزلت صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والزبور لثمانى عشرة من رمضان ، والقرآن لأربع وعشرين » والموصول بصلته خبر المبتدإ أو صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدإ بما تضمن معنى الشرط . وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) حال من القرآن ، أى أنزل فيه وهو هداية الله للناس بإعجازه وآيات واضحات مما يهدى إلى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام (قاضى بيضاوى)

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « رغم أنف رجل » أى لحقه ذل وحقارة « ذكرت عنده ولم يصل على ، ورغم أنف رجل عنده أبواه أو أحدهما فلم يعمل فى حقهما عملا يدخل بسببه الجنة ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان وتم رمضان قبل أن يغفر له » لأن رمضان شهر رحمة ومغفرة من الله تعالى فان لم يغفر له فيه فهو مغبون (زبدة الواعظين) وروى عنه عليه الصلاه والسلام « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لوقسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » (زبدة الواعظين) وعن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من فرح بدخول رمضان حرم الله جسده على النيران » . وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان أول ليلة من رمضان يقول الله تعالى من ذا الذى يحبنا فنحبه ، ومن ذا الذى يطلبنا فنطلبه ، ومن ذا الذى يستغفرنا فنغفرله بحرمة رمضان ، فيأمر الله تعالى

الكرام الكاتبين فى شهر رمضان بأن يكتبوا لهم الحسنات ولايكتبوا عليهم السيئات ويمحو الله تعالى عنهم ذنوبهم الماضية » . وروى أن صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنزلت ليلة أول شهر رمضان ، والتوراة لست ليال من رمضان بعد سبعمائة عام من صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والزبور لاثنتى عشرة ليلة منه خلت من بعد التوراة بخمسمائة عام ، والإنجيل لثمان عشرة منه بعد الزبور بألف ومائتى سنة ، والفرقان لسبع وعشرين منه بعد الإنجيل بستمائة وعشرين سنة ، انتهى (من كتاب الحياة) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لوتعلم أمتى مافى رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان » لأن الحسنة فيه مجتمعة والطاعة مقبولة والدعوات مستجابة والذنوب مغفورة والجنة مشتاقة لهم (زبدة الواعظين) وعن حفص الكبير أنه قال : يقول داود الطائى: غلبنى النوم فى أول ليلة من رمضان فرأيت الجنة فكأنى جالس على شط نهر من در وياقوت إذ رأيت جوارى الجنة كأنهن الشمس من نور وجههن ، فقلت : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فقلن : لاإله إلا الله محمد رسول الله ، نحن للحامدين الصائمين الراكعين الساجدين فى شهر رمضان ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « الجنة مشتاقة إلى أربعة نفر : تالى القرآن وحافظ اللسان ومطعم الجيعان والصائمين فى شهر رمضان » (رونق المجالس) وفى الخبر « إذا هل هلال رمضان صاح العرش والكرسى والملائكة ومادونهم يقولون طوبى لأمة محمد عليه الصلاة والسلام بما عند الله تعالى لهم من الكرامة واستغفرت لهم الشمس والقمر والكواكب والطيور فى الهواء والسمك فى الماء وكل ذى روح على وجه الأرض فى الليل والنهار إلا الشياطين عليهم اللعنة فاذا أصبحوا لايترك الله تعالى أحداً منهم إلا يغفر له . ويقول الله تعالى للملائكة : اجعلوا صلاتكم وتسبيحكم فى رمضان لأمة محمد عليه الصلاة والسلام » .

حكى أن رجلا اسمه محمد كان لا يصلى قط فاذا دخل رمضان يزين نفسه بالثياب والطيب ويصلى ويقضى مافاته . فقيل له لم تفعل ذلك ؟ فقال هذا شهر التوبة والرحمة والبركة عسى الله أن يتجاوز عنى بفضله ، فمات فرؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال غفر لى ربى بحرمة تعظيمى رمضان . وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا استيقظ أحدكم من نومه فى شهر رمضان وتحرك فى فراشه وتقلب من جانب إلى جانب يقول له ملك قم بارك الله فيك ورحمك الله ، فاذا قام بنية الصلاة يدعو له الفراش ويقول اللهم أعطه الفرش المرفوعة ، وإذا لبس ثوبه يدعو له الثوب ويقول اللهم أعطه من حلل الجنة ، وإذا لبس نعليه تدعو له نعلاه وتقولان اللهم ثبت قدميه على الصراط ، وإذا تناول الإناء يدعو له الإناء ويقول اللهم أعطه من أكواب الجنة ، وإذا توضأ يدعو له الماء

ويقول اللهم طهره من الذنوب والخطايا ، وإذا قام إلى الصلاة يدعو له البيت ويقول اللهم وسع قبره ونور حفرته وزد رحمته وينظر الله تعالى إليه بالرحمة ويقول عند الدعاء ياعبدي منك الدعاء ومنا الإجابة ومنك السؤال ومنا النوال ومنك الاستغفار ومنا الغفران » (زبدة الواعظين) وفى الخبر « إن رمضان يجيء يوم القيامة فى أحسن صورة فيسجد بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى : يارمضان سل حاجتك فخذ بيد من عرف حقك فيدور فى العرصات فيأخذ بيد من عرف حقه فيقف بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى : يارمضان ماذا تريد ؟ فيقول أريد أن تتوجه بتاج الوقار فيتوجه الله تعالى بألف تاج ثم يشفع فى سبعين ألفاً من أهل الكبائر ثم يزوج بألف حوراء مع كل حوراء سبعون ألف وصيفة ثم يركبه على البراق فيقول الله تعالى ماذا تريد يارمضان ؟ فيقول أنزله بجوار نبيك فينزله الله الفردوس فيقول الله يارمضان ماذا تريد ؟ فيقول قضيت حاجتى يارب أين كرامتك فيعطى مائة مدينة من ياقوتة حمراء وزبرجدة خضراء وفى كل مدينة ألف قصر » (زهرة الرياض) وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » وعن زيد بن رفيع عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على مائة فى كل يوم جمعة غفر الله له ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر » (زبدة الواعظين) خ أبو هريرة . أى روى البخارى عنه « من قام رمضان » أى أحيا لياليه بالعبادة غير ليلة القدر تقديراً أو معناه أدى التراويح فيه « إيماناً » أى تصديقاً بثوابه « واحتساباً » أى إخلاصاً نصبهما على الحالية أو على أنهما مفعولان له « غفر له ماتقدم من ذنبه » (مشارق) وعن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة وتتحرك أوراق أشجار الجنة فيسمع من ذلك صدى لم يسمع السامعون أحسن منه فتنظر الحور العين إلى ذلك فيقلن : اللهم اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجا فما من عبد صام رمضان إلا زوجه الله تعالى زوجة من تلك الحور فى الخيمة كما قال الله تعالى فى كلامه القديم (حور مقصورات فى الخيام) وعلى كل حوراء منهن سبعون حلة ليست على لون واحد ولكل امرأة سرير من ياقوتة حمراء منسوج بالدر وعلى كل سرير سبعون فراشاً وسبعون مائدة من ألوان الطعام هذا لمن صام رمضان سوى ماعمل من الحسنات » فينبغى للمؤمن أن يحترم شهر رمضان ويحترز من المنكرات ويشتغل بالطاعات من الصلاة والتسبيح والتذكير وتلاوة القرآن . قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام : إنى أعطيت أمة محمد نورين كيلا يضرهم ظلمتان ، فقال موسى : ماالنوران يارب ؟ فقال الله تعالى: نور رمضان ونور القرآن ، فقال موسى وما الظلمتان يارب ؟ قال الله تعالى: ظلمة القبر وظلمة يوم القيامة . (درة الواعظين) وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من حضر مجلس العلم فى رمضان كتب الله تعالى له بكل قدم عبادة سنة ويكون معى تحت

العرش ، ومن داوم على الجماعة فى رمضان أعطاه الله تعالى بكل ركعة مدينة مملوءة من نعم الله تعالى ، ومن بر والديه فى رمضان ينال نظر الله تعالى بالرحمة ، وأنا كفيل فى الجنة ، ومامن امرأة تطلب رضا زوجها فى رمضان إلا ولها ثواب مريم وآسية ، ومن قضى حاجة أخيه المسلم فى رمضان قضى الله تعالى له ألف حاجة يوم القيامة » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام : « من أسرج فى مسجد من مساجد الله تعالى فى رمضان كان له نور فى قبره وكتب له ثواب المصلين فى ذلك المسجد وصلت عليه الملائكة واستغفر له حملة العرش مادام ذلك فى المسجد » (ذخيرة العابدين) روى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال « إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النيران ولم يفتح باب منها وفتحت أبواب الجنان ولم يغلق باب منها ويقول الله تعالى فى كل ليلة من رمضان ثلاث مرات : هل من سائل فأعطيه سؤله ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ ويعتق الله بكل يوم من رمضان ألف ألف عتيق من النار قد استوجب العذاب وإذا كان يوم الجمعة يعتق فى كل ساعة ألف ألف عتيق من النار ، فاذا كان آخر يوم من رمضان يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر » (زبدة الواعظين)

صوم يوم الشك على سبعة أوجه : ثلاثة منها جائزة مع الكراهة ، وثلاثة بغير كراهة ، وواحد لايجوز أصلا . أما الثلاثة التى هى جائزة مع الكراهة . فالأول هو أن يصوم يوم الشك بنية رمضان . والثانى أن ينوى به واجباً آخر . والثالث أن يصومه بنية مترددة . يعنى إن كان من رمضان فهو منه وإن كان من شعبان فهو منه فهذه جائزة وأما الثلاثة التى هى جائزة بغير كراهة فهو أن يصوم يوم الشك بنية التطوع أو بنية شعبان أو بنية مطلقة . وأما الواحد الذى لايجوز أصلا فهو أن يصوم يوم الشك على أنه إن كان من رمضان فأنا صائم وإلا فلا فهو لايجوز أصلا (قاضيخان) .

المجلس الثانى : فى فضيلة الصوم

سورة البقرة ـ (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) يعنى الأنبياء . والأمم من لدن آدم عليه الصلاة والسلام ، وفيه توكيد للحكم وترغيب فى الفعل وتطييب للنفس . والصوم فى اللغة : الإمساك عما تنازع إليه النفس . وفى الشرع : الإمساك عن المفطرات الثلاث بياض النهار فانها معظم ماتشتهيه الأنفس (لعلكم تتقون) المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدؤها ، كما قال عليه الصلاة السلام « يامعشر الشباب من

استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » أو الإخلال بأدائه لأصالته وقدمه (أياماً معدودات) مؤقتات بعدد معلوم أو قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ، ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل بإضمار صوموا لدلالة الصيام عليه ، والمراد بها رمضان ، أو ماوجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء ، أو ثلاثة أيام من كل شهر ، أو بكما كتب على الظرفية أو على أنه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة ، وقيل معناه صومكم كصومهم فى عدد الأيام ، لما روى أن رمضان كتب على النصارى فوقع فى برد أو حر شديد فحولوه إلى الربيع وزادوا عليه عشرين يوماً كفارة لتحويله . وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم (فمن كان منكم مريضا) مرضاً يضره الصوم ويعسر معه (أو على سفر) أوراكب سفر وفيه إيماء بأن من سافر أثناء اليوم لم يفطر (فعدة من أيام أخر) أى فعليه صوم عدة أيام المرض أو السفر من أيام أخر إن أفطر (قاضى بيضاوى) .

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « جاءنى جبرائيل ، وقال يامحمد لايصلى عليك أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك ، ومن صلت عليه الملائكة كان من أهل الجنة » (زبدة) عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال حكاية عن ربه تعالى « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » لأن الصوم سر ليس فيه عمل يشاهد له بخلاف سائر الطاعات ولأنه سر لايراه أحد إلا الله تعالى فالتزم جزاءه ، ولذا روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا كان يوم القيامة يجىء قوم لهم أجنحة كأجنحة الطير فيطيرون بها على حيطان الجنة ، فيقول لهم خازن الجنة ، من أنتم ؟ فيقولون نحن من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فيقول هل رأيتم الحساب ؟ فيقولون لا ، ثم يقول ثانيا هل رأيتم الصراط ، فيقولون لا ، ثم يقول بم وجدتم هذه الدرجات ؟ فيقولون عبدنا الله تعالى سراً فى دار الدنيا وأدخلنا الجنة سراً فى الآخرة » (زبدة الواعظين) وإذا خاف الصائم على نفسه الهلاك من الجوع والعطش أو كان مريضاً فخاف زيادة المرض جاز له أن يفطر لأن الحالة حالة الضرورة والضرورات تبيح المحظورات (روضة العلماء) روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « أعطيت أمتى خمسة أشياء لم تعط لأحد قبلهم : الأول إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله إليهم بالرحمة ومن نظر الله إليه بالرحمة لايعذبه بعده أبداً . والثانى يأمر الله تعالى الملائكة بالاستغفار لهم . والثالث أن رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . والرابع يقول الله تعالى للجنة اتخذى زينتك ويقول طوبى لعبادى المؤمنين هم أوليائى . والخامس يغفر الله تعالى لهم جميعاً » . ولذا روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه » (زبدة الواعظين) روى عن النبى عليه

الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى فى كل ساعة من رمضان يعتق ستمائة ألف رقبة من النار ممن استوجب العذاب إلى ليلة القدر ، وفى ليلة القدر يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر ، وفى يوم الفطر يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر إلى يوم الفطر » (مشكاة) وعن جابر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا كان آخر ليلة من رمضان بكت السموات والأرض والملائكة مصية لأمة محمد عليه الصلاة والسلام » قيل يارسول الله أى مصيبة هى ؟ قال عليه الصلاة والسلام « ذهاب رمضان فان الدعوات فيه مستجابة والصدقات مقبولة والحسنات مضاعفة والعذاب مدفوع » . فأى مصيبة أعظم من ذهاب رمضان فاذا بكت السموات والأرض لأجلنا فنحن أحق بالبكاء والتأسف لما ينقطع عنا من هذه الفضائل والكرامات (حياة القلوب) وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله تعالى خلق ملكا له أربعة أوجه من وجه إلى وجه مسيرة ألف سنة فبوجه يسجد إلى يوم القيامة يقول فى سجوده : سبحانك ما أعظم جمالك ، وبوجه ينظر إلى جهنم ويقول الويل لمن دخلها ، وبوجه ينظر إلى الجنان ويقول طوبى لمن دخلها ، وبوجه ينظر إلى عرش الرحمن ويقول رب ارحم ولا تعذب صائمى رمضان من أمة محمد عليه الصلاة والسلام » (زهرة الرياض) . وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى يأمر الكرام الكاتبين فى شهر رمضان أن يكتبوا الحسنات لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ولا يكتبوا عليهم السيئات ويذهب عنهم ذنوبهم الماضية » . وقال عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه » (زهرة الرياض) يقال الصوم ثلاث درجات : صوم العوام وصوم الخواص . وصوم خواص الخواص . أما صوم العوام ، فكف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وأما صوم الخواص فهو صوم الصالحين ، وهو كف الجوارح عن الآثام فلا يتم ذلك إلا بمداومة خمسة أشياء : الأول غض البصر عن كل مايذم شرعاً . والثانى حفظ اللسان عن الغيبة والكذب والنميمة واليمين الغموس ، لما روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمسة أشياء تحبط الصوم » أى تبطل ثوابه : « الكذب والغيبة والنميمة واليمين الغموس والنظر بشهوة » . والثالث كف الأذن عن استماع كل مكروه . والرابع كف جميع الأعضاء عن المكاره وكف البطن عن الشبهات فى وقت الإفطار ؛ إذ لامعنى للصوم عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام فمثله كمن بنى قصراً وهدم مصراً . قال عليه الصلاة والسلام « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » . والخامس أن لايستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يملأ بطنه ولذا قال عليه الصلاة والسلام « مامن وعاء أبغض إلى الله من بطن ملئ من الحلال » . وأما صوم خواص الخواص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ، فاذا تفكر هذا الصائم فيما سوى الله يحصل الفطر من صومه وهو رتبة الأنبياء والصديقين ، فان تحقيق هـــذا المقام الإقبال إلى الله تعالى بالكلية والانصراف عن غيره (زبدة الواعظين)

اعلم أن الصوم عبادة لايقع عليها حواس العباد فلا يعلمه إلا الله والصائم فصار الصوم عبادة بين الرب والعبد ولما كان هذا عبادة وطاعة لايعرفها إلا الله أضافها إلى نفسه فقال « الصوم لى وأنا أجزى به » وقيل أضافه إلى نفسه لأن الصوم عبادة لايقع لأحد فيها شركة مع الله تعالى لأن من العباد من يعبد الصنم ويسجد له ويصلى للشمس والقمر ويتصدق لأجل الصنم وهم الكفار وليس من العباد أحد يصوم للصنم أو للشمس أو القمر أو النهار بل يصوم لله تعالى خالصاً فلما كان هذا عبادة لايتعبد بها لغير الله وهى عبادة خالصة لله تعالى أضافه إلى نفسه ، فقال: « الصوم لى وأنا أجزى به » فقوله وأنا أجزى به يعنى أكون له عن صومه على كرم الربوبية لاعلى استحقاق العبودية . وقال أبوالحسن معنى قوله وأنا أجزى به كل طاعة ثوابها الجنة والصوم جزاؤه لقائى أنظر إليه وينظر إلى ويكلمنى وأكلمه بلا رسول ولا ترجمان انتهى ما قاله فى مختصر الروضة فاحفظه وانصح الناس ولا تكن من المتشبهين . ويجوز للصائم أن يمس امرأته ويقبلها فى رمضان عندنا إذا كان يأمن على نفسه فان خاف على نفسه الجماع أو الإنزال بنفس اللمس فلا يجوز ذلك . وقال سعيد بن المسيب لا يباح للصائم التقبيل واللمس خاف أو لم يخف لما روى عن ابن عباس أن شابا قام إلى ابن عباس فقال له أقبل وأنا صائم ؟ فقال لا ، فقام إليه شيخ فقال أقبل وأنا صائم ؟ فقال نعم ، فعاد إليه الشاب فقال له : أتحل له ما حرمت على ونحن على دين واحد ؟ فقال لأنه شيخ يملك إربه وأنت شاب لا تملك إربك . يعنى عضوك وعورتك (روضة العلماء) قيل المراد بالصوم قهر عدو الله فان وسيلة الشيطان بالشهوة وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب فلا يستفاد من الصوم قهر عدو الله تعالى وكسر الشهوات إلا بتذليل النفس بقلة الأكل ، ولذا روى فى مشروعية الصوم أن الله تعالى خلق العقل ، فقال أقبل فأقبل ، ثم قال أدبر فأدبر ، ثم قال من أنت ومن أنا ؟ قال العقل أنت ربى وأنا عبدك الضعيف ، فقال الله تعالى يا عقل ما خلقت خلقاً أعز منك ، ثم خلق الله تعالى النفس فقال لها أقبلى فلم تجب ثم قال لها من أنت ومن أنا ، فقالت أنا أنا وأنت أنت فعذبها بنار جهنم مائة سنة ثم أخرجها فقال من أنت ومن أنا ، فأجابته كالأول ثم جعلها فى نار الجوع مائة سنة فسألها فأقرت بأنها العبد وأنه الرب ، فأوجب الله تعالى عليها الصوم بسبب ذلك (مشكاة) قيل الحكمة فى فرضية الصوم ثلاثين يوماً أن أبانا آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل فى الجنة من الشجرة بقى فى جوفه مقدار ثلاثين يوماً فلما تاب إلى الله تعالى أمره بصوم ثلاثين يوماً بلياليها لأن لذة الدنيا أربعة : الطعام والشراب والجماع والنوم فانها حجاب للعبد عن الله تعالى وفرض على محمد وأمته بالنهار وأبيح الأكل بالليل وهو فضل من الله تعالى وكرم علينا (بهجة الأنوار) حكى أن مجوسياً رأى ابنه فى رمضان يأكل فى السوق فضربه وقال لم لم تحفظ حرمة المسلمين فى رمضان ؟ فمات المجوسى فرآه عالم فى المنام على سرير العزة فى الجنة فقال أنت مجوسيا ؟ فقال بلى ولكن سمعت وقت الموت نداء من فوق يا ملائكتى لا تتركوه

مجوسيا فأكرموه بالإسلام بحرمتــه لرمضان ، فالاشارة أن المجوسى لما احترم رمضان وجد الايمان فكيف بمن صامه واحترمه (زبدة المجالس) روى عن رسول الله صلى الله عليــه وسلم حاكيا عن ربه تعالى « كل حسنة يعملها ابن آدم يضاعف له أجرها من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » . اختلف العلماء فى قوله تعالى الصوم لى وأنا أجزى به مع أن الأعمال كلها له وهو الذى يجزى بها — على أقوال : أحدها أن الصوم لا يقع فيــه الرياء كما يقع فى غيره لأن الرياء يقع لابن آدم وإنما الصوم شىء فى القلب ، وذلك أن الأعمال لا تكون إلا بالحركات إلا الصوم فانمــا هو بالنية التى تخفى عن الناس . وثانيها أن المراد بقوله وأنا أجزى به أنه انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف أجره ؟ وأما غيره من العبادات فقد يطلع عليها بعض الناس . وثالثها معنى قوله الصوم لى وأنا أجزى به أى أنه أحب العبادة إليه . ورابعها الإضافة إليــه وهى إضافة تشريف وتضعيف كما يقال بيت الله . وخامسها أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب فلما تقرب الصائم إلى الله بما يوافق صفاته أضافه إليــه . وسادسها أن المعنى كذلك لـكن بالنسبة إلى الملائكة لأن ذلك صفاتهم . وسابعها أن جميع العبادات يوفى منها مظالم العباد إلا الصيام . واتفق العلماء على أن المراد بالصوم فى قوله : الصوم لى وأنا أجزى به صيام من سلم صيامه من المعاصى قولا وفعلا (مفتاح الصلاة) روى عن النبى عليه الصلاةوالسلام أنه قال « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » صدق رسول الله فيما قال .

المجلس الثالث : فى فضيلة العلم

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وعلم آدم الأسماء كلها) إما بخلق علم ضرورى بها فيــه أو بإلقاء فى روعه ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل . والتعليم فعل يترتب عليــه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فتعلم . وآدم اسم أعجمى كآزر وشالخ ، واشتقاقه من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه أخيافا (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير فيــه للمسميات المدلول عليها ضمنا إذ التقدير أسماء المسميات فحذف المضاف إليــه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى (واشتعل الرأس شيباً) لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الأسماء سيما إن أريد به الألفاظ والمراد به ذوات الأشياء أو مدلولات الألفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليــه من العقلاء (فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء) تبكيت لهم وتنبيــه على عجزهم عن أمر الخلافة فان التصرف والتدبير فى الموجودات وإقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس

بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال ((إن كنتم صادقين) فى زعمكم أنكم أحق بالخلافة لعصمتكم (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) اعتراف بالعجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضا وأنه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الإنسان والحكمة فى خلقه وإظهاراً لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه (إنك أنت العليم) الذى لا يخفى عليه خافية (الحكيم) المحكم لمبدعاته الذى لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة   (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم على صلاة » (شفاء شريف) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سلك طريقاً إلى العلم سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى البحر إن العلماء ورثة الأنبياء » . وعن أبى ذر أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم بابا من كتاب الله تعالى خير لك من أن تصلى مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل خير لك من أن تصلى ألف ركعة » وقال عليه الصلاة السلام « من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى له ثواب سبعين نبيا » وقال عليه الصلاة والسلام « من جلس عند العالم ساعتين أو أكل معه لقمتين أو سمع منه كلمتين أو مشى معه خطوتين أعطاه الله تعالى جنتين كل جنة مثل الدنيا مرتين » (مشكاة الأنوار) وعن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « سألت جبريل عن أصحاب العلم فقال هم سرج أمتك فى الدنيا والآخرة طوبى لمن عرفهم والويل لمن أنكرهم وأبغضهم » (كواشى) وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من صلى الصلاة مع الجماعة وجلس فى حلقة العلم وسمع كلام الله وعمل به أعطاه الله تعالى ستة أشياء : الرزق من الحلال وينجو من عذاب القبر ويعطى كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويحشر مع النبيين ويبنى الله له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمراء له أربعون باباً » (زبدة) وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال « للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة سنة » . يقال العلم أفضل من العمل بخمسة أوجه : الأول العلم بغير عمل يكون والعمل بغير علم لا يكون. والثانى العلم بغير عمل ينفع والعمل بغير علم لا ينفع . والثالث العمل لازم والعلم منور كالسراج . والرابع العلم مقام الأنبياء كما قال عليه الصلاة والسلام « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » . والخامس العلم صفة الله والعمل صفة العباد وصفة الله أفضل من صفة العباد (تفسير التيسير) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « خير سليمان عليه السلام بين العلم والملك فاختار العلم فأعطى العلم والملك » . وقال بعض الحكماء : العلم ثلاثة أحرف : عين ولام وميم واشتقاق العين من عليين ، واشتقاق اللام من اللطف ، واشتقاق الميم من الملك . فالعين يجاوز

صاحبه إلى عليين ، واللام يجعله لطيفاً ، والميم يجعله ملـكا على الخلق . ويقال يدل على شرف العلم قوله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام (وقل رب زدنى علما) لأن الله تعالى أعطى محمدا كل العلوم ولم يأمره بطلب زيادة غير العلم (مجالس الأبرار) حكى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى باب المسجد فرأى الشيطان عند بابه ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : يا إبليس ما تصنع هنا ؟ فقال الشيطان أريد أن أدخل المسجد وأفسد صلاة هذا المصلى ولـكن أخاف من هذا الرجل النائم قال صلى الله تعالى عليه وسلم : يا إبليس لم لم تخف من المصلى وهو فى العبادة والمناجاة مع ربه وتخاف من النائم وهو فى الغفلة قال الشيطان : المصلى جاهل وإفساده أسهل ولـكن النائم عالم إذا أغويت المصلى وأفسدت صلاته أخاف من يقظته وإصلاحه عجلا ، فقال عليه الصلاة والسلام « نوم العالم خير من عبادة الجاهل » (منهاج المتعلمين) وقال عليه الصلاة والسلام « من أراد أن يحفظ العلم فعليه أن يلازم خمس خصال : الأولى صلاة الليل ولو ركعتين . والثانية دوام الوضوء . والثالثة التقوى فى السر والعلانية . والرابعة أن يأكل للتقوى لا للشهوات . والخامسة السواك » . وقال النبى عليه الصلاة والسلام « خير الدنيا والآخرة مع العلم وشرف الدنيا والآخرة مع العلم والعالم الواحد أكبر من جهة الفضل عند الله تعالى من ألف شهيد » والمراد من العالم فى هذا الحديث هو عالم عمل بعلمه . قال عليه الصلاة والسلام « إن الله تعالى خلق تحت العرش مدينة مكتوبا على بابها من زار العلماء فكأنما زار الأنبياء » ولذا قال صلى الله عليه وسلم « جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة » وروى عن النبى عليه الصلاة والسلام « إن الله تعالى خلق مدينة من نور تحت العرش مثل الدنيا عشر مرات فيها ألف شجرة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ومرجان ، فاذا كان يوم القيامة فتحت أوراقها ثم ينادى مناد من قبل الرحمن أين الذين صلوا الصلوات الخمس مع الجماعة فجلسوا فى حلقة العلم يجيئون إلى ظل هـذه الأشجار اليوم فيجيئون فيجلسون تحت هذه الأشجار ، ثم يوضع بين أيديهم مائدة من نور فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، فيقال لهم كلوا منها جميعاً » (كذا فى مكاشفة الأسرار) وقال النبى عليه الصلاة والسلام « مامن مؤمن يحزن بموت عالم إلا كتب الله تعالى له ثواب ألف عالم وألف شهيد » وكذا قال عليه الصلاة والسلام « موت العالم موت العالم » وفى الكواشى : من شتم امرأ من أهل العلم بكلمة الجماع يكفر وتطلق امرأته طلاقا بائنا عند محمد وعند أهل الفقه . وقال الصدر الشهيد فى فتاوى بديع الدين : من استخف بالعالم يكفر وتطلق امرأته بائنا . وقال عليه الصلاة والسلام « سيأتى زمان على أمتى يفرون من العلماء والفقهاء فيبتليهم الله تعالى بثلاث بليات : أولاها يرفع البركة من كسبهم . والثانية يسلط الله تعالى عليهم سلطانا ظالما . والثالثة يخرجون من الدنيا بغير إيمان » (كذا فى مكاشفة الأسرار) وروى أن النبى عليه الصلاة والسلام قال

« إذا كان يوم القيامة يؤتى بأربعة نفر عند باب الجنة بغير رؤية الحساب والعذاب : الأول العالم الذى عمل بعلمه . والثانى الحاج الذى حج بغير عمل الفساد . والثالث الشهيد الذى قتل فى المعركة . والرابع السخى الذى اكتسب مالا حلالا وأنفقه فى سبيل الله بغير رياء فينازع بعضهم بعضا لدخول الجنة أولا فيرسل الله تعالى جبرائيل ليحكم بينهم فيسأل أولا الشهيد فيقول له ما عملت فى الدنيا وأنت تريد دخول الجنة أولا فيقول قتلت فى المعركة لرضا الله تعالى فيقول ممن سمعت ثواب الشهيد ؟ فيقول من العلماء فيقول احفظ الأدب لاتقدم على معلمك ثم يرفع رأسه إلى الحاج فيقول مثل ذلك ، ثم إلى السخى فيقول مثل ذلك ، ثم يقول العالم إلهى ما حصلت العلم إلا بسخاوة السخى وبسبب إحسانه فيقول الله عز وجل صدق العالم يارضوان افتح أبواب الجنة حتى يدخل السخى الجنة وهؤلاء بعده » (كذا فى مشكاة الأنوار) وقال عليه الصلاة والسلام « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » . وكذا أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام : أنا عليم أحب عليما . وقال الحسن رحمة الله عليه : مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء فيترجح مداد العلماء على دم الشهداء ، وكذا قال النبى عليه الصلاة والسلام « كن عالما أو متعلماً أو سامعاً ولا تكن رابعاً فتهلك » قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ فقال « العلم بالله » لأن قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل ، فعلم من هذا أن العلم أشرف جوهرا من العبادة ولكن لابد للعبد من العبادة مع العلم وإلا لكان علمه هباء منثورا . وقال « النظر إلى وجه العالم عبادة » وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها والحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس خيراً » (زبدة الواعظين) قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله جعل بنى آدم على ثمان خصال : منها أربع لأهل الجنة : وجه مليح ولسان فصيح وقلب تقى ويد سخى ، وأربع لأهل النار : وجه عابس ولسان فاحش وقلب شديد ويد بخيل » صدق رسول الله . وقال النبى عليه الصلاة والسلام « احذروا ثلاثة أصناف من الناس وهم العلماء الغافلون والفقراء المداهنون والمتصوفون الجاهلون » . وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « قوام الدنيا بأربعة أشياء : أولها بعلم العلماء . والثانى بعدل الأمراء . والثالث بسخاوة الأغنياء . والرابع بدعوة الفقراء » ولولا علم العلماء لهلك الجاهلون ، ولولا سخاوة الأغنياء لهلك الفقراء ، ولولا دعاء الفقراء لهلك الأغنياء ولولا عدل الأمراء لأكل بعض الناس بعضا كما يأكل الذئب الغنم . وقال النبى عليه الصلاة والسلام « من أنفق درهما على طالب العلم فكأنما أنفق مثل جبل أحد من الذهب الأحمر فى سبيل الله تعالى » وقال النبى عليه الصلاة والسلام « من صلى صلاة فى الجماعة مع المسلمين أربعين يوماً لم تفته ركعة كتب الله له براءة من النفاق » . وقال النبى عليه الصلاة والسلام « من صلى الصبح ثم جلس ليذكر الله تعالى يعطيه الله تعالى

فى الفردوس سبعين قصراً من ذهب وفضة » وقال النبي عليه الصلاة والسلام « إنما مثل الصلاة كمثل نهر جار على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبق عليه وسخ » ؟ قالوا لا قال « كذلك الصلاة تغسل الذنوب » (دقائق الأخبار) .

المجلس الرابع : فى فضيلة شهر رمضان

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب) أى فقل لهم إنى قريب ، وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم . روى : أن أعرابيا جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يارسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت هذه الآية (أجيب دعوة الداع إذا دعان) تقرير القرب ووعد للداعى بالإجابة (فليستجيبوا لى) أى إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعونى لمهماتهم (وليؤمنوا بى) أمر بالثبات والمداومة عليه (لعلهم يرشدون) راجين إصابة الرشد وهو إصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها . واعلم أن الله تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر ، عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثا عليه . (قاضى بيضاوى) .

عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب حتى يصلى على النبي عليه الصلاة والسلام فاذا صلى عليه يخرق ذلك الحجاب ويدخل الدعاء ، وإذا لم يفعل ذلك رجع دعاؤه » . حكى أن واحداً من الصلحاء جلس للتشهد ونسى الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فرأى رسول الله فى نومه فقام عليه الصلاة والسلام فقال له : لم نسيت الصلاة على ؟ فقال يارسول الله اشتغلت بثناء الله وعبادته فنسيت الصلاة عليك ، فقال عليه الصلاة والسلام أما سمعت قولى : الأعمال موقوفة والدعوات محبوسة حتى يصلى على ولو أن عبداً جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها صلاة على ردت عليه حسناته فلم يقبل منها شيء (زبدة) وروى أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال : إلهى هل أكرمت أحداً مثل ما أكرمتنى حيث أسمعتنى كلامك ؟ قال الله تعالى ياموسى إن لى عباداً أخرجهم فى آخر الزمان فأكرمهم بشهر رمضان وأنا أكون أقرب إليهم منك ، فانى كلمتك وبينى وبينك سبعون ألف حجاب فاذا صامت أمة محمد وابيضت شفاههم واصفرت ألوانهم أرفع تلك الحجب وقت الإفطار ، ياموسى طوبى لمن عطش كبده وجاع بطنه فى رمضان فلا أجازيهم دون لقائى . فينبغى للعاقل أن يعرف حرمة هذا الشهر ويحفظ قلبه فيه من الحسد

والعداوة للمسلمين ومع ذلك يكون خائفاً وخاشيا الله أيقبل صومه أم لا ؟ حيث قال الله تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين) يخرج الصائمون من قبورهم ويعرفون صيامهم يتلقون بالموائد والتحف والأباريق يقال لهم كلوا قد جعتم حين شبع الناس واشربوا قد عطشتم حين روى الناس واستريحوا فيأكلون ويشربون والناس فى الحساب (تنبيه الغافلين) عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال « سئل النبى عليه الصلاة والسلام عن فضائل التراويح فى شهر رمضان فقال : يخرج المؤمن من ذنبه فى أول ليلة كيوم ولدته أمه ، وفى الليلة الثانية يغفر له ولأبويه إن كانا مؤمنين ، وفى الليلة الثالثة ينادى ملك من تحت العرش استأنف العمل غفر الله ماتقدم من ذنبك وفى الليلة الرابعة له من الأجر مثل قراءة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وفى الليلة الخامسة أعطاه الله تعالى مثل من صلى فى المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى ، وفى الليلة السادسة أعطاه الله تعالى ثواب من طاف بالبيت المعمور ويستغفر له كل حجر ومدر ، وفى الليلة السابعة فكأنما أدرك موسى عليه السلام ونصره على فرعون وهامان وفى الليلة الثامنة أعطاه الله تعالى ما أعطى إبراهيم عليه السلام ، وفى الليلة التاسعة فكأنما عبد الله تعالى عبادة النبى عليه الصلاة والسلام ، وفى الليلة العاشرة يرزقه الله تعالى خيرى الدنيا والآخرة ، وفى الليلة الحادية عشرة يخرج من الدنيا كيوم ولد من بطن أمه ، وفى الليلة الثانية عشر جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، وفى الليلة الثالثة عشرة جاء يوم القيامة آمنا من كل سوء ، وفى الليلة الرابعة عشرة جاءت الملائكة يشهدون له أنه قد صلى التراويح فلا يحاسبه الله يوم القيامة ، وفى الليلة الخامسة عشرة تصلى عليه الملائكة وحملة العرش والكرسى ، وفى الليلة السادسة عشرة كتب الله براءة النجاة من النار وبراءة الدخول فى الجنة ، وفى الليلة السابعة عشرة يعطى مثل ثواب الأنبيا ، وفى الليلة الثامنة عشرة نادى ملك ياعبدالله إن الله رضى عنك وعن والديك ، وفى الليلة التاسعة عشرة يرفع الله درجاته فى الفردوس ، وفى الليلة العشرين يعطى ثواب الشهداء والصالحين ، وفى الليلة الحادية والعشرين بنى الله له بيتا فى الجنة من النور ، وفى الليلة الثانية والعشرين جاء يوم القيامة آمنا من كل غم وهم ، وفى الليلة الثالثة والعشرين بنى الله له مدينة فى الجنة ، وفى الليلة الرابعة والعشرين كان له أربع وعشرون دعوة مستجابة ، وفى الليلة الخامسة والعشرين يرفع الله تعالى عنه عذاب القبر ، وفى الليلة السادسة والعشرين يرفع الله له ثوابه أربعين عاماً ، وفى الليلة السابعة والعشرين جاز يوم القيامة على الصراط كالبرق الخاطف ، وفى الليلة الثامنة والعشرين يرفع الله له ألف درجة فى الجنة ، وفى الليلة التاسعة والعشرين أعطاه الله ثواب ألف حجة مقبولة ، وفى الليلة الثلاثين يقول الله ياعبدى كل من ثمار الجنة واغتسل من ماء السلسبيل واشرب من الكوثر أنا ربك وأنت عبدى » (مجالس) وعن عائشة رضى الله

عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اعتكف إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » (خ م) وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « كان النبي عليه الصلاة والسلام يعتكف العشر الأخير من رمضان حتى توفاه الله » ثم اعتكف أزواجه بعده أى اعتكفن فى بيوتهن ولذا قال الفقهاء يستحب للنساء أن يعتكفن فى مكانهن (شرح المشارق) .

المجلس الخامس : فى اطمئنان القلب بمشاهدة قدرة الله تعالى

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى) إنما سأل ذلك ليصير علمه عيانا (قال أولم تؤمن) بأنى قادر على الإحياء باعادة التركيب والحياة (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) أى بلى آمنت ولكن سألت لأزيد بصيرة وسكون القلب باضافة العيان إلى الوحي والاستدلال (قال فخذ أربعة من الطير) قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة (فصرهن إليك) فأملهن واضممهن إليك لتعلمها وتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) أى ثم جزئهن (ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا (واعلم أن الله عزيز) لايعجز عما يريد (حكيم) ذو حكمة بالغة فى كل مايفعله ويذره . (قاضى بيضاوى) .

(وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى) قال الحسن : كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه مر على دابة ميتة قال ابن جريج كانت جيفة حمار على ساحل البحر فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر فكان إذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلن منها فما وقع منها يصير فى البحر وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها فما وقع منها فى التراب يصير ترابا فاذا ذهبت السباع عنها جاءت الطيور فأكلت منها فما سقط منها رفعه الريح فى الجو فلما رأى ذلك تعجب منها وقال يارب قد علمت أنك تجمعها من بطون السباع وحواصل الطيور وأجواف دواب البحر فأرنى كيف تحييها لأعاين فأزداد يقينا فعاتبه الله (قال أولم تؤمن قال بلى) يارب علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبي) أى ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة أراد أن يصير له علم اليقين وعين اليقين (قال فخذ أربعة من الطير) قال مجاهد : أخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا ، وقيل بطة خضراء وغرابا أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر (فصرهن إليك) أى قطعهن ومزقهن ، وقيل اجمعهن واضممهن إليك (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) قال المفسرون : أمر الله تعالى إبراهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل ، ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال . واختلفوا فى عدد الجبال ، فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أمر أن يجعل طائر أربعة أجزاء

ويجعلها على أربعة جبال ؛ وقيل جبل على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب . وقيل جزأهن سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رءوسهن ثم دعاهن بقوله : فتعالين باذن الله تعالى ، فجعل كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يطير إلى العظم الآخر وكل بضعة تطير إلى البضعة الأخرى ، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها إلى بعض فى السماء بغير رأس ثم أقبلن إلى رءوسهن سعيا فكلما جاء طائر طار رأس فان وجده رأسه دنا منه وإن لم يجده تأخر حتى يلقى كل طائر رأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعيا) قيل المراد بالسعى الإسراع والعدو ، وقيل المشى كما قال الله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) والحكمة فى المشى دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم أنها غير تلك الطير وأن أرجلها غير سليمة ، وقيل السعى الطيران (واعلم أن الله عزيز حكيم) (تفسير معالم) روى أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهرة خضراء أضعاف السموات والأرض ثم نظر إليها نظرة بهيبة فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فغلى وارتفع منه زبد ودخان وبخار وارتعد من خشية الله فمن ثمة يرتعد ذلك الماء إلى يوم القيامة ، وخلق الله من ذلك الدخان السماء ، وخلق من ذلك الزبد الأرض ، ثم بعث الله ملكا من تحت العرش فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه وإحدى يديه كانت بالمشرق والأخرى كانت بالمغرب باسطتين قابضتين على الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله من الفردوس ثوراً له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأهبط الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة فى الجنة غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى ذنبه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ولكن ذلك الثور فى البحر فهو يتنفس فى كل يوم نفسين فاذا تنفس مد البحر وإذا أمسك نفسه رجع فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله صخرة كغلظ سبع سموات وأرضين ، فاستقرت قوائم الثور عليها ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله نونا وهو الحوت العظيم اسمه نون وكنيته يلهوب ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال ؛ فالحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة ، قال كعب الأحبار : إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذى كان على ظهره الأرض كلها والشجر والدواب وغيرها وقال له ألق عن ظهرك هؤلاء الأثقال أجمع قال فهم الحوت أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فضج إلى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت ، قال كعب إنه لينظر إليها وتنظر إليه فان هم بشىء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت هو الذى أقسم الله به فقال (ن والقلم ومايسطرون)

صدق الله العظيم (تفسير ثعلبي رحمه الله تعالى) هذه كلها من قدرة الله تعالى العلى الكبير المتعال .

﴿ نوع آخر متعلق بأحوال الدنيا والآخرة ﴾ ذكر فى الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليطلب من المظلوم أن يهبها له أو يستحل منه أو يقضى منه قبل أن يأخذ منه خصماؤه يوم لايوجد دينار ولا درهم » .

﴿ حكاية ﴾ إن صياداً فى الزمن الأول أخذ سمكة فأخذها منه العوان وضربه فقال الصياد يارب خلقتنى ضعيفا وخلقته قويا حتى ظلمنى سلط عليه خلقا من خلقك فاجعله عبرة للمسلمين ، فلما ذهب العوان إلى داره شوى السمكة ، فلما وضعها على المائدة وأراد أن يتناولها لدغته السمكة بإذن الله تعالى وأخذ الدود يده فلم يقدر على الصبر حتى قطعها ثم سرى إلى ذراعه حتى قطعها ثم نام فرأى فى المنام من يقول له رد الحق إلى صاحبه حتى تنجو من هذه العلة ، فلما استيقظ علم ذلك فجاء إلى الصياد فأعطاه عشرة آلاف درهم واستحل منه فلما جعله فى حل تناثر منه الدود فصارت يده كما كانت بقدرة الله تعالى (مكاشفة القلوب) عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه أنه قال « إذا توفى الرجل ووضع فى قبره جاءه ملك وقعد عند رأسه وعذبه وضربه ضربة واحدة بمطرقة لم يبق عضو منه إلا قطع وتلهب فى قبره ثم قيل له قم بإذن الله فاذا هو يقوم مستويا فيصيح صيحة يسمعها مابين السماء والأرض إلا الجن والإنس ثم يقول له الميت لم فعلت هذا ولم تعذبنى وأنا أقيم الصلاة وأؤدى الزكاة وأصوم رمضان ؟ فيقول أعذبك بأنك مررت يوما بمظلوم وهو يستغيث بك فلم تغثه وصليت يوما ولم تتنزه من بولك » ولذا قيل : نصرة المظلوم واجبة كما روى عنه عليه الصلاة والسلام « من رأى مظلوما فاستغاث به فلم يغثه ضرب فى قبره مائة سوط من نار » (مكاشفة القلوب) قال النبي عليه الصلاة والسلام « من زنى بامرأة مسلمة أو غير مسلمة حرة كانت أو أمة فمات بغير توبة فتح الله له فى قبره ثلاثمائة باب من نار يعذب فيه إلى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة يدخل النار مع الداخلين » (حياة القلوب) .

حكى أن الحسن البصرى ومالك بن دينار وثابتا البنانى دخلوا على رابعة العدوية ، فقال الحسن يارابعة اختارى منا واحداً فان النكاح سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، قالت : لى مسائل من أجابها زوجت نفسى منه ، فسألت الحسن أولا ماتقول حيث قال يوم الميثاق هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى من أى صنف أكون ؟ فقال لاأدرى ، فقالت حين صورنى الملك فى رحم أمى هل كنت شقية أو سعيدة ؟ قال لاأدرى ؟ قالت إذا قيل لواحد أن لاتخافوا ولاتحزنوا ولواحد لابشرى لكم من أى صنف أكون ، قال لاأدرى ، قالت القبر يكون روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران كيف يكون قبرى ؟ قال لاأدرى

قالت يوم تبيض وجوه وتسود وجوه كيف يكون وجهي ؟ قال لاأدرى ، قالت إذا نادى المنادى يوم القيامة ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة وفلان بن فلان قد شقى شقـــاوة فمن أكون أنا ؟ قال لاأدرى فبكوا جميعا وخرجوا من عندها (بهجة الأنوار) .

وحكى أيضا أنه لما مات زوج رابعة العدوية استأذن فى الدخول عليها الحسن البصرى وأصحابه فأذنت لهم فى الدخول عليها وأرخت ستراً وجلست وراء الستر ، فقال لها الحسن وأصحابه إنه قد مات بعلك ولابد لك منه ، فقالت نعم ولـكن من أعلمكم حتى أزوجه نفسى ؟ فقالوا الحسن البصرى فقالت إن أجبتنى فى أربع مسائل فأنا لك . فقال سلى إن وفقنى الله تعالى أجبتك . قالت ماتقول لو مت وخرجت من الدنيا أخرج على الإيمان أم لا ؟ قال هذا غيب ولا يعلم الغيب إلا الله ، ثم قالت ماتقول لو وضعت فى القبر وسألنى منكر ونكير أقدر على جوابهما أم لا ؟ قال هذا غيب ولا يعلم الغيب إلا الله ، قالت إذا حشر الناس يوم القيامة وتطايرت الـكتب أعطى كتابى بيمينى أم بشمالى ؟ فقال هذا غيب أيضاً ، ثم قالت إذا نودى للناس فريق فى الجنة وفريق فى السعير كنت أنا من أى الفريقين ؟ قال هذا غيب أيضاً . قالت من كان له غم هذه الأربعة كيف يشتغل بالتزويج ، ثم قالت ياحسن أخبرنى كم جزء خلق الله العقل ؟ قال عشرة أجزاء: تسعة للرجال وواحد للنساء ، ثم قالت ياحسن كم جزء خلق الله الشهوة ؟ قال عشرة أجزاء: تسعة للنساء وواحد للرجال . ثم قالت ياحسن أنا أقدر على حفظ تسعة أجزاء من الشهوة بجزء من العقل وأنت لاتقدر على حفظ جزء واحد من الشهوة بتسعة أجزاء من العقل ، فبكى الحسن وخرج من عندها (مشكاة الأنوار) .

المجلس السادس : فى فضيلة إعطاء الصدقة فى سبيل الله

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة) أى مثل نفقتهم كمثل حبـة أو مثلهم كمثل باذر حبـة على حذف مضاف (أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) أسند الإنبات إلى الحبة لمـا كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والمـاء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى . والمعنى أنه يخرج منهـا ساق يتشعب منه سبع شعب لـكل منها سنبلة فيهـا مائة حبة وهو تمثيل لايقتضى وقوعه ، وقد يكون فى الذرة والدخن وفى البر فى الأرض المغلة فى بعض الأراضى (والله يضاعف) تلك المضاعفة (لمن يشاء) بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ومن أجل ذلك تفاوتت الأعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) لايضيق عليه مايتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق وقدر إنفاقه. (قاضى بيضاوى) .

نزلت فى شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم فقال يا رسول الله كانت لى ثمانيــة آلاف درهم فأمسكت منها لنفسى وعيالى أربعة آلاف،وأربعة آلاف أقرضتها لربى فقال له رسول الله «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت» وقال عثمان بن عفان يا رسول الله على جهاز من لا جهاز له فنزلت هــذه الآية (مثل الذين ينفقون) الآية (أبو الليث) قال الكلبى ومقاتل : نزلت هــذه الآية فى شأن على بن أبى طالب رضى الله عنه كانت له أربعة دراهم ولم يملك غيرها ، فلما نزل التحريض على الصدقة تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم فى السر وبدرهم فى العلانيــة فنزلت (الذين ينفقون) الآية (أبو الليث) قال عليــه الصلاة والسلام : « إن أولى النـاس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » . روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : قال عليــه الصلاة والسلام « ما من دعاء إلا بينه وبين الله تعالى حجاب حتى يصلى صاحبــه على محمد فاذا فعل ذلك خرق الحجاب واستجيب له الدعاء » . وعن أنس رضى الله عنه أنه قال : قال عليــه الصلاة والسلام « لما خلق الله تعالى الأرض وتحركت خلق الجبال فوضعها عليها فاستقرت فتعجب الملائكة وقالوا يا رب هل من خلقك شىء أشد من الجبـال ؟ قال نعم الحديد قالوا يا رب هل من خلقك شىء أشد من الحــديد ؟ قال نعم النـار فقالوا يا رب هل من خلقك شىء أشد من النـار ؟ قال نعم الماء قالوا يا رب هل من خلقك شىء أشد من الماء قال نعم الريح فقالوا يا رب هل من خلقك شىء أشد من الريح ؟ قال نعم ابن آدم يتصدق صدقة بيمينه يخفيها عن شماله فهو أشد منــه » لــكن بعد رعاية أمور : أحدها أن تخفى الصدقة كما قال الله تعالى (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لــكم) وبهــذا السبب بالغ السلف فى إخفاء صدقتهم عن أعين النـاس حتى طلب بعضهم فقيراً أعمى لئـلا يعلم من المتصدق ، وبعضهم ربط فى ثوب الفقير نائمـا ، وبعضهم ألقى فى طريق الفقراء ليأخذوها والثانى أن تحذر من المن والأذى كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء النـاس) . والثالث أن تخرجها من أطيب أموالك كما قال الله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) حتى لا تكون ممن قال الله تعـالى فيهم (ويجعلون لله ما يكرهون) الآية ولذا قال رسول الله عليــه الصلاة والسلام « إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب » أى الحلال كما قال سفيان الثورى : من أنفق الحرام فى طاعات الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهر إلا بالماء الطاهر والذنب لا يطهر إلا بالحلال . والرابع أن تعطى بوجه طليق مستبشر غير مستكره كما قال الله تعالى (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ولذا قال عليــه الصلاة والسلام « سبق درهم على مائة ألف » يعنى أن

درهما واحداً من الحلال بالاستبشار أفضل من مائة ألف مع الكراهة . والخامس أن تحرى بصدقتك محلا وتعطى العالم التقى الذى يستعين بها على طاعة الله تعالى وتقواه أو الصالح المقل ولذا قال الله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) وروى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « الصدقة إذا خرجت من يد صاحبها تكلمت بخمس كلمات : الأولى كنت صغيرة فكبرتنى . والثانية كنت حارسى فالآن صرت حارسك . والثالثة كنت عدواً فأحببتنى . والرابعة كنت فانية فأبقيتنى . والخامسة كنت قليلة فكثرتنى كما قال الله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يطعم أخاه حتى يشبعه ويسقيه حتى يرويه إلا بعده الله تعالى من النار وجعل بينه وبينها سبعة خنادق بين كل خندقين خمسمائة عام ونادت جهنم يارب ائذن لى بالسجود شكرا لك فقد أردت أن تعتق أحداً من أمة محمد من عذابى لأنى كنت أستحى من محمد أن أعذب المتصدق من أمته فلا بد لى من طاعتك ثم أمر الله تعالى ليدخل الجنة المتصدق بلقمة خبز أو بقبضة تمر » . وقد حكى أنه كان فى بنى إسرائيل قحط شديد سنين متوالية وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعتها فى فمها لتأكلها فنادى السائل فى الباب أعطينى لله لقمة فأخرجتها من فمها فدفعتها إلى السائل ثم خرجت إلى الصحراء لأن تحتطب وكان لها ابن صغير معها فجاء الذئب فحمله وذهب فوقعت الصيحة فذهبت الأم فى أثر الذئب فبعث الله تعالى جبريل فأخرج الصبى من فم الذئب فدفعه إلى أمه وقال لها : يا أمة الله أرضيت لقمة بلقمة (كذا فى تفسير الحنفى) وكذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها « إن امرأة أتت إلى النبى عليه الصلاة والسلام وقد يبست يدها اليمنى ، فقالت يانبى الله ادع الله حتى يصلح يدى ، فقال لها النبى عليه الصلاة والسلام ما الذى أيبس يدك ؟ قالت رأيت فى المنام قد قامت القيامة والجحيم سعرت والجنة أزلفت فرأيت فى نار جهنم والدتى فى يدها قطعة من الشحم وفى الأخرى خرقة صغيرة تتقى بهما النار ، فقلت مالك أراك فى هذا الوادى وكنت مطيعة لربك وراضيا عنك زوجك ؟ قالت يابنتى كنت فى الدنيا بخيلة وهذا الموضع للبخلاء ، قلت لها وما هذه الشحمة والخرقة فى يدك ؟ قالت هما اللتان تصدقت بهما فى الدنيا وما تصدقت فى جميع عمرى إلا بهما ، وقلت أين أبى ؟ قالت هو سخى وهو فى موضع الأسخياء ، ثم جئت إلى الجنة وإذا والدى قائم على حوضك يسقى الناس يارسول الله فقلت يا أبى إن والدتى كانت امرأتك المطيعة لربها وأنت راض عنها ، وهى فى نار جهنم تحرق وأنت تسقى الناس من حوض النبى عليه الصلاة والسلام فأعطها شربة من الحوض ، فقال يا ابنتى حرم الله على البخلاء والمذنبين حوض النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم أخذت منه كأسا بلا إذن أبى فسقيت به أمى العطشى ، ثم سمعت صوتا يقول أيبس الله تعالى

يدك حيث سقيت العاصية البخيلة من حوض النبي عليه الصلاة والسلام فانتبهت فاذا يدي قد يبست ، ثم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : فلما سمع النبي عليه الصلاة والسلام قولها وضع عصاه على يدها ، فقال إلهي بحق الرؤيا التي حكت أصلح يدها فصلحت يدها فصارت كما كانت » قال النبي عليه الصلاة والسلام : « السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ غصنا منها قاده إلى الجنة ، والبخل شجرة في النار أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ غصنا منها قاده إلى النار » وكذا قال عليه الصلاة والسلام « السخي قريب إلى الحق والخلق ، والبخيل بعيد من الحق والخلق » كما قال عليه الصلاة والسلام « البخيل لا يدخل الجنة ولو كان زاهداً » . حكي أن حدأة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت إن رجلا له شجرة وأنا أفرخ على تلك الشجرة وهو يرفع أفراخي فدعا سليمان عليه السلام صاحب الشجرة فمنعه منه ، وقال لشيطانين إني آمركما إذا كان العام القابل ورفع هذا الرجل فرخ هذا الطير فخذاه واجعلاه نصفين وارميا نصفه إلى المشرق ونصفه إلى المغرب فلما كان العام القابل نسي صاحب الشجرة قول سليمان عليه السلام ، وأراد أن يصعد الشجرة وقد تصدق بلقمة فرفع فرخ الطير ، فجاء الطير إلى سليمان عليه السلام وشكا من صاحب الشجرة فدعا سليمان عليه السلام الشيطانين فأراد أن يعاقبهما ، وقال لهما لم لا تفعلان ما أمرتكما ؟ فقالا يا خليفة الله إن صاحب الشجرة لما أراد أن يصعد الشجرة قصدنا أن نأخذه ولكن تصدق على رجل مسلم بقطعة خبز فبعث الله إليه ملكين من السماء حتى أخذا كل واحد منا ورميا به فرمى أحدنا إلى المشرق والآخر إلى المغرب ودفع شرنا عنه ببركة صدقته . وحكي أنه وقع القحط في بني إسرائيل فدخل فقير على باب غني فقال تصدقوا بقطعة خبز لوجه الله تعالى فأخرجت إليه ابنة الغني خبزاً حارا فدفعته إليه وجاء الغني — شؤم الدار — فقطع يد بنته فحول الله حاله وأذهب ماله وافتقر ومات في حال ذلته ، وبنته تدور بين الأبواب سائلة وكانت جميلة فجاءت يوما إلى باب رجل غني فخرجت والدته فنظرت إليها وإلى جمالها وأدخلتها إلى بيتها فقصت تزوجها إلى ابنها ، فلما زوجها زينتها وقدمت إليها مائدة بالليل فأخرجت هذه الابنة يدها اليسرى لتأكل مع زوجها . فقال لقد سمعت بأن الفقير يكون قليل الأدب أخرجي يدك اليمنى فأخرجت يدها اليسرى مرة أخرى فرد عليها مرات ، فهتف هاتف من زاوية الباب أخرجي يدك اليمنى يا أمتي لقد أعطيت الخبز لأجلنا ولا جرم نعطيك يدك فأخرجت يدها اليمنى تامة بقدرة الله تعالى وأكلت مع زوجها فاعتبروا يا أولي الأبصار وأنفقوا في سبيل الله حتى تنالوا سعادة الدارين (كذا في زبدة الواعظين) : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من أكرم الضيف فقد أكرمني ، ومن أكرمني فقد أكرم الله تعالى ، ومن أبغض الضيف

فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله تعالى » وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الضيف إذا دخل بيت المؤمن دخل معه ألف بركة وألف رحمة » وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من أحد يأتيه الضيف فيكرمه بما وجد من الطعام إلا فتح الله تعالى له باباً فى الجنة » ومن عمر خرابا يعنى أشبع جائعاً وجبت له الجنة ، ومن منع الطعام عن الجائع منع الله تعالى فضله عنه يوم القيامة وعذبه فى النار ، ومن أطعم جائعا لوجه الله تعالى وجبت له الجنة . قال النبي عليه الصلاة والسلام « أفضل الأعمال على ظهر الأرض ثلاثة : طلب العلم والجهاد والكسب من الحلال فطالب العلم حبيب الله تعالى والمجاهد ولى الله والكاسب من الحلال كريم على الله » صدق رسول الله (دقائق الأخبار) . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « اتقوا النار » أى اجعلوا بينكم وبينها وقاية ، أى حجابا من الصدقة « ولو بشق تمرة » أى جانبها أو نصفها فانه يسد الرمق سيا للطفل فلا يحتقرن المتصدق ذلك . اتفق البخارى ومسلم على الرواية عن عدى بن حاتم (كذا فى الجامع الصغير) . فالحاصل أن الإنفاق فى سبيل الله سبب الوصول إلى الأجر الجزيل والنجاة من المخاوف والشدائد والبلايا فى الدنيا والآخرة كما روى الخطيب عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الصدقة تمنع سبعين نوعا من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص » (كذا فى الجامع الصغير) .

المجلس السابع : فى ذم أكل الربا

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين يأكلون الربا) أى الآخذون له ، وإنما ذكر الأكل لأنه أعظم منافع المال ولأن الربا شائع فى المطعومات وهو زيادة فى الأجل بأن يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد إلى أجل ، أو فى العرض بأن يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه (لا يقومون) إذا بعثوا من قبورهم (إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) إلا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون من أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع ، والخبط ضرب من غير استواء كخبط العشواء (من المس) أى الجنون ، وهذا أيضا من زعماتهم أن الجنى يمسه فيخلط عقله ، ولذا قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم بسبب أكل الربا أو يقوم أو بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ولكن لأن الله أربى فى بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) أى ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع فى سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله فكان الأصل إنما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلا وقاسوا به

البيع ، والفرق بين، فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة إليها أو توقع رواجها يجبر هـذا الغبن (وأحل الله البيع وحرم الربا) إنكار لتسويتهم وإبطال للقياس بمعارضة النص (قاضى بيضاوى) .

عن زيد بن الحباب أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « من قال اللهم صل على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى » (شفاء) وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « أربعة حق على الله تعالى أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق وعاق الوالدين » رواه الحاكم . ففيه تأويلان : أحدهما أنه محمول على من فعله ثم استحله . والثانى أن لا يدخلهم الجنة أولا عند دخول الفائزين وأهل السلامة ، ثم إنه قد يجازى بمنعه عن دخولها أولا ثم يدخلها بعد ذلك وقد لا يجازى بل يعفو الله تعالى عنه . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال: قال النبى عليه الصلاة والسلام « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هى ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق و أكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى والفرار يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » الحديث . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام « الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه » رواه الحاكم. وقال عليـه الصلاة والسلام « نصيب الربا أعظم عند الله تعالى من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها الرجل فى الإسلام » وقال عليه الصلاة والسلام « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية » (حياة القلوب) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله عليـه الصلاة والسلام « اذا باع الرجل الدرهم بالدرهمين والدينار بالدينارين فقد ربى فاذا عمل شيئا من الحيلة فقد ربى وخادع الله عز وجل واتخذ آيات الله هزوا » (فردوس أكبر) وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال « لعن رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبـه وشاهده » رواه مسلم . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام فى قصة الإسراء « . . . فانطلق بى جبريل الى رجال كثيرة كل رجل منهم بطنه مثل بطن البعير الضخم منضدين بعضهم على بعض على سابلة آل فرعون يطؤهم آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا يقبلون مثل الإبل المنهومة » أى مثل الإبل التى صيح بها لتجد فى سيرها ، أو كذى النهم بالتحريك إفراطا فى الشهوة للطعام من الجوع « يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ، ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا

يستطيعون أن يرجعوا أى أن يزايلوا مكانهم حتى يغشاهم آل فرعون » أى يطؤهم « مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ » أى بين الدنيا والآخرة . وقال عليه الصلاة والسلام : « وآل فرعون يقولون اللهم لاتقم الساعة أبدا » أى يوم القيامة يقول الله تعالى (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قلت « ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء آكلو الربا من أمتك (لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) » الآية . وعن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه أنه قال « كان عليه الصلاة والسلام إذا صلى الغداة أقبل علينا بوجهه ، فقال لأصحابه هل رأى أحد منكم من رؤيا فقص عليه ماشاء الله أن يقص فيوما قال هل رأى أحد منكم من رؤيا الليلة ؟ قلنا لا قال عليه الصلاة والسلام : لكنى رأيت الليلة شخصين أتيانى فأخرجانى إلى أرض مقدسة فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذى فى النهر فاذا أراد أن يخرج رمى الرجل الذى على الشط بحجر فى فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان ، فقلت ماهذا الذى رأيته فى النهر ؟ قال آكل الربا » رواه البخارى .

وعن أبى رافع رضى الله عنه أنه قال بعث خلخال فضة من أبى بكر فوضع الخلخال فى كفه والدرهم فى كفه الأخرى فكان الخلخال أثقل منها قليلا فأخذ مقراضاً ليقطعه فقلت الزيادة لك ياخليفة رسول الله ، فقال أبوبكر سمعت من النبى عليه الصلاة والسلام : « الزائد والمستزيد فى النار » (موعظة) وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا ، فقال : إذا باع رجل ثوبا يساوى عشرة بعشرين فقد حصل ذلك الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضى على هذا التقابل صار كل واحد منها مقابلا للآخر فى المالية عندهما فلم يكن أخذ صاحبه شيئا بغير عوض . أما إذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولايمكن أن يقال إن العوض هو الإمهال فى مدة الأجل فإن الإمهال ليس مالا أو شيئا يشار إليه حتى يجعله عوضاً عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين (حياة القلوب) وذكر فى سبب تحريم الربا وجوه : أحدها أن الربا يقتضى أخذ مال الغير بغير عوض لأن من يبيع درهما بدرهمين نقداً أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام . والوجه الثانى إنما حرم عقد الربا لأنه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لأن صاحب الدرهم إذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضى ذلك إلى انقطاع منافع الناس بالتجارة وطلب الأرباح . والوجه الثالث أن الربا هو سبب انقطاع المعروف بين الناس من القرض ، فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثلها لطلب الأجر من

الله تعالى . والوجه الرابع أن تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن تكون حكمة جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وإن كنا لا نعلم وجه الحكمة فى ذلك ، وهذا تصريح بأن النص يبطل القياس ، لأنه جعل تحليل الله وتحريمه دليلا على بطلان قياسهم (حياة القلوب) عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « لاتبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ولاالبر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا سواء بسواء، عينا بعين ، يدا بيد ، ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والتمر بالملح يدا بيد كيف شئتم من التفاضل » لأن تفاضلها لايكون ربا ، لأن الجنس معدوم فاحفظ ولا تكن من الغافلين ؛ ومانص على تحريم الربا فيه إن كيلا فهو كيلى أبدا كالبر والشعير والتمر أو نص على تحريمه وإن وزنا فهو وزنى أبدا كالذهب ، والفضة ولو تعورف بخلافه لأن النص قاطع وهو أقوى من العرف والأقوى لايترك بالأدنى ومالانص فيه حمل على العرف كغير الستة المذكورة وهى قوله عليه الصلاة والسلام « لاتبيعو الذهب بالذهب » إلى آخره . واعلم أن الحيل الشرعية للاحتراز عن الربا وإن كانت جائزة عند بعض الفقهاء إلا أنها مكروهة عند البعض وهو الأرجح . صورتها رجل أراد أن يستقرض عشرة دراهم من آخر بعشرة ونصف مدة شهر مثل أن يبيع الرجل ثوبا يساوى عشرة بعشرة إلى آخر ويسلمه ويأخذ منه عشرة ، ثم يقول الآخر بين المجلس : أبيع هذا الثوب بعشرة ونصف ويشترى المستقرض منه بتلك القيمة بعدة معلومة والربا فى هذه الصورة مندفع ولكن الأولى أن لايفعل مثل هذه الحيلة لأن التقوى خير من الفتوى ، أو أن يعطى المقرض إلى المستقرض ثوباً يساوى اثنى عشر درهما بقيمته فى مدة معلومة ثم يبيع المستقرض إلى الأجنبي بعشرة ثم الأجنبي إلى البائع الأول وهو المقرض بعشرة أيضاً ويقول له أعط العشرة إلى فلان الذى اشتريت هذا الثوب منه ، فاذا أعطى البائع الأول الذى هو المشترى من الأجنبي والمقروض من وجه عشرة دراهم إلى المستقرض منه كان المستقرض مديونا له باثنى عشر درهما والزيادة أيضاً فى هذه الصورة ليست بربا ولكن ينبغى للمؤمن أن يحترز عن المعاملة الغير الشرعية حتى لايؤاخذ فى دار الآخرة . وتفصيل هذا فى الكتب الفقهية فعليك بمطالعة أصل هذه المنقولة من الترجمة إلى العربية وادع لناقلها الفقير بالأدعية الخيرية تنل الشفاعة المصطفوية بعد التمسك بالسنة السنية ، ولا تشكن فى نعم الله الجليلة الفاضة على العباد للذنبة حتى لاتحرم من السعادة السرمدية وأبصر ما أحضرتك بالإمعان والدقة النظرية .

المجلس الثامن : فى فضيلة الصلاة مع الجماعة

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن الذين آمنوا) بالله ورسله وبما جاءهم (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطفهما على مايعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة (لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم) من آت (ولاهم يحزنون) على فائت (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه كان جالسا فى المسجد ، فدخل عليه شاب فعظمه وأجلسه بجنبه فوق أبى بكر رضى الله عنه ، ثم اعتذر النبى عليه الصلاة والسلام إليه فقال : « يا أبا بكر إنما أجلسته أعلى منك لأنه ليس فى الدنيا أحد يصلى على أكثر منه فانه يقول كل غداة وعشية : اللهم صل على محمد بعدد من صلى عليه وصل على محمد بعدد من لم يصل عليه وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه وصل على محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه وصل على محمد كما ينبغى الصلاة عليه فلذلك أجلسته أعلى منك » . روى عن النبى عليه الصلاة والسلام « من صلى الصلوات الخمس مع الجماعة فله خمسة أشياء : الأول لايصيبه فقر فى الدنيا . والثانى يرفع الله تعالى عنه عذاب القبر . والثالث يعطى كتابه بيمينه . والرابع يمر على الصراط كالبرق الخاطف . والخامس يدخله الله تعالى الجنة بلا حساب ولاعذاب » (مصابيح) قال عليه الصلاة والسلام : « صلاة الرجل مع الجماعة خير من صلاة أربعين سنة فى بيته منفرداً » . وروى أن الجماعة تفضل على المفرد بسبع وعشرين درجة . وفى الخبر عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان يوم القيامة يحشر الله قوما وجوههم كالكواكب فتقول لهم الملائكة ما أعمالكم ؟ فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة والوضوء ولانشتغل بغيره ، وقوما وجوههم كالقمر ، فيقال لهم : ماأعمالكم ؟ فيقولون كنا نتوضأ قبل الأذان ، وقوما وجوههم كالشمس فيقولون بعد السؤال: كنا نسمع النداء فى المسجد » (درة الواعظين) روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كبر العبد للصلاة يقول الله تعالى للملائكة ارفعوا ذنوب عبدى عن رقبته حتى يعيدنى طاهراً فتأخذ الملائكة الذنوب كلها فاذا فرغ العبد من الصلاة تقول الملائكة يارينا أنعيدها عليه فيقول الله تعالى ياملائكتى لايليق بكرمى إلا العفو قد غفرت خطاياه » . وعن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله تعالى يحشر مساجد الدنيا يوم القيامة كأنها بخت بيض قوائمها من العنبر وأعناقها من الزعفران ورءوسها من المسك وآذانها من الزبرجد الأخضر والمؤذنون يقودونها والأئمة يسوقونها فيمرون فى عرصات يوم القيامة كالبرق الخاطف فيقول أهل القيامة : أهؤلاء من الملائكة المقربين أم من الأنبياء والمرسلين ؟ فينادى لابل هؤلاء

من أمة محمد عليه الصلاة والسلام يحفظون الصلوات بالجماعة » ولذا قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ بالماء الجاري وصلى خلف الإمام القاري فقد استحق رحمة الله الباري » (زبدة الواعظين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما خلق الله تعالى جبرائيل عليه السلام على أحسن صورة وجعل له ستمائة جناح طول كل جناح مابين المشرق والمغرب نظر إلى نفسه فقال إلهي هل خلقت أحسن صورة مني ؟ فقال الله تعالى لا ، فقام جبرائيل وصلى ركعتين شكرا لله تعالى فقام في كل ركعة عشرين ألف سنة ، فلما فرغ من الصلاة قال الله تعالى ياجبرائيل عبدتني حق عبادتي ولايعبدني أحد مثل عبادتك لكن يجيء في آخر الزمان نبي كريم حبيب إلي يقال له محمد وله أمة ضعيفة مذنبة يصلون ركعتين مع سهو ونقصان في ساعة يسيرة وأفكار كثيرة وذنوب كبيرة فوعزتي وجلالي إن صلاتهم أحب إلي من صلاتك لأن صلاتهم بأمري وأنت صليت بغير أمري ، قال جبرائيل يارب ماأعطيتهم في مقابلة عبادتهم ؟ فقال الله تعالى أعطيتهم جنة المأوى ، فاستأذن من الله تعالى أن يراها فأذن الله تعالى له فأتى جبرائيل وفتح جميع أجنحته ثم طار ، فكلما فتح جناحين قطع مسيرة ثلاثة آلاف سنة ، وكلما ضم قطع مثل ذلك فطار على هذا ثلثمائة عام فعجز ونزل في ظل شجرة وسجد لله تعالى فقال في سجوده : إلهي هل بلغت نصفها أو ثلثها أو ربعها ؟ فقال الله تعالى ياجبرائيل لو طرت ثلثمائة ألف عام ولو أعطيتك قوة مثل قوتك وأجنحة مثل أجنحتك فطرت مثل ما طرت لاتصل إلى عشر من أعشار ما أعطيته لأمة محمد في مقابلة ركعتين من صلاتهم » (مشكاة الأنوار)عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على تعظيما لي جعل الله تعالى من تلك الصلاة ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت الأرض السابعة وعنقه متصل بالعرش ويقول الله تعالى لهذا الملك صل على عبدي كما صلى على نبيي محمد عليه الصلاة والسلام فيصلي عليه إلى يوم القيامة » (زبدة الواعظين) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يروى عن الله تعالى أنه قال : ثلاث من حافظ عليهن فهو ولي لي حقا ، ومن ضيعهن فهو عدو لي حقا . قيل يارسول الله وما هن ؟ قال : الصلاة والصوم وغسل الجنابة ، قال : هن أمانة بين الله وبين عبده ، أمر بالمحافظة عليهن » والمراد منها إقامتها في أوقاتها مع إتمام الفرائض والواجبات والسنن حتى إن الرجل إذا صلى في غير وقتها فقد ضيعها على ماروى في الخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال « ليلة أسري بي إلى السماء رأيت رجالا ونساء يضربون على رءوسهم فتسيل دماغهم كالنهر العظيم يقولون ياويلاه وياثبوراه فقلت ياجبرائيل من هؤلاء ؟ قال الذين يصلون الصلاة في غير وقتها » والدليل عليه قوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) الآية ، وكذا إذا لم يصلها بالجماعة كما روى أن رجلا جاء

إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال إني رأيت في المنام كأن في إحدى يدي عشرين ديناراً وفي الأخرى أربعة فسقط العشرون من يدي واحمرت الأربعة فقال عليه الصلاة والسلام هل صليت العشاء بالجماعة ؟ قال لا قال الساقط من يدك فضل الجماعة التي فاتتك ، وأما الأربعة فالتي صليت في بيتك لم تقبل منك (زهرة الرياض) قال عليه الصلاة والسلام « من حافظ على الصلوات كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهانا ونجاة » (تبيين المحارم) قال عليه الصلاة والسلام « عشرة نفر لايقبل الله صلاتهم : رجل صلى وحيداً بغير قراءة ، ورجل يصلي ولا يؤدي زكاته ، ورجل يؤم قوما وهم له كارهون ، ورجل مملوك آبق ، ورجل شارب الخمر مدمنا ، وامرأة زوجها ساخط عليها ، وامرأة صلت بغير خمار ، والإمام الجابر الجائر ، ورجل أكل الربا ، ورجل لاتنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر » قال عليه الصلاة والسلام « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده صلاته عند الله إلا مقتا وبعداً » وقال الحسن إذا لم تنهك صلاتك عن الفحشاء فلست بمصل وردت صلاتك يوم القيامة على وجهك كالخرقة الثخينة المتوسخة (مكاشفة القلوب) وعن معاذ بن جبل وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا لما عرج بالنبي عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج إلى السموات رأى في السماء الأولى ملائكة يذكرون الله تعالى منذ خلقهم الله تعالى ، وفي الثانية رأى ملائكة يركعون لله تعالى منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون رءوسهم ، وفي الثالثة رأى ملائكة يسجدون لله تعالى منذ خلقهم الله لا يرفعون رءوسهم إلا حين سلم عليهم نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فرفعوا رءوسهم وردوا سلام النبي عليه الصلاة والسلام ثم سجدوا ثانيا إلى يوم القيامة ، ولذا صارت السجدة اثنتين ، وفي الرابعة رأى ملائكة يتشهدون ، وفي الخامسة رأى ملائكة مسبحين ، وفي السادسة رأى ملائكة مكبرين ومهللين ، وفي السابعة رأى ملائكة مسلمين منذ خلقهم الله تعالى فهم قلب النبي عليه الصلاة والسلام واشتهى أن يكون له ولأمته هذه العبادات كلها فعلم الله تعالى همه واشتياقه عليه الصلاة والسلام فجمع عبادة ملائكة السموات السبع وأكرم نبيه عليه الصلاة والسلام بها وقال : « من أدى الصلوات الخمس نال عبادة ملائكة السموات السبع » (روضة العلماء) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « الصلاة مرضاة الرب وسنة الأنبياء وحب الملائكة ونور المعرفة وأصل الإيمان وواجبات الدعاء وقبول الأعمال وبركة في المال والكسب وسلاح على الأعداء وكراهة الشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره إلى يوم القيامة وظل على رأسه يوم القيامة وتاج على رأسه ولباس على بدنه وستر بينه وبين النار وحجة بين يدي الرب وثقل في الميزان وجواز على الصراط ومفتاح للجنة » . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم القيامة خرج شيء من جهنم اسمه

حريش من ولد العقرب طوله ما بين السماء والأرض وعرضه من المشرق إلى المغرب فيقول جبرائيل عليه الصلاة والسلام ياحريش إلى أين تذهب ولمن تطلب ؟ فيقول خمسة نفر : الأول تارك الصلاة ، والثانى مانع الزكاة ، والثالث عاق الوالدين ، والرابع شارب الخمر ، والخامس المتكلم فى المسجد بكلام الدنيا » فلذا قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) فاعتبروا ياأولى الأبصار ولاتكونوا من الغافلين . (زبدة الواعظين) .

المجلس التاسع : فى فضيلة التوحيد

سورة آل عمران — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(شهد الله أنه لا إله إلا هو) بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وإنزال الآيات الناطقة بها (والملائكة) بالإقرار (وأولوا العلم) بالإيمان بها والاحتجاج عليها ، شبه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد (قائما بالقسط) مقيما للعدل فى قسمه وحكمه. وانتصابه على الحال من الله ، وإنما جاز إفراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى « ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة » أو من هو والعامل معنى الجملة أى تفرد قائما أو أحقه لأنه حال مؤكدة أو على المدح أو الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج فى المشهود به إذا جعلته صفة أو حالا من الضمير . وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو أو الخبر المحذوف (لا إله إلا هو) كرره للتأكيد ولمزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليبنى عليه قوله (العزيز الحكيم) فيعلم أنه الموصوف بهما ، وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ، ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد . وقد روى فى فضلها أنه عليه الصلاة والسلام قال « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله إن لعبدى هذا عندى عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة » وهى دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله (إن الدين عند الله الإسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أى لادين مرضى عند الله سوى الإسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به النبى عليه الصلاة والسلام (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى أو من أرباب الكتب المتقدمة فى دين الإسلام فقال قوم إنه حق ، وقال قوم إنه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا أو فى التوحيد فثلث النصارى ، وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقيل هم قوم موسى عليه الصلاة والسلام اختلفوا بعده ، وقيل هم النصارى اختلفوا فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام (إلا من بعد ما جاءهم العلم) أى بعد ما علموا حقيقة الأمر أو تمكنوا

لسقطت عليهم ويـد كل منهم لواء مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله يجتمعون كل ليلة جمعة من رجب حول جبل قاف يتضرعون بالسلامة لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ويقولون ربنا ارحم أمة محمد ولا تعذبهم ويستغفرون ويتضرعون إلى الصبح فيقول الله تعالى ياملائكتى وعزتى وجلالى قد غفرت لهم » (مجالس الأبرار) قيل إن فى رجب ثلاثة أحرف راؤه يدل على رحمة الله وجيمه يدل على جرم العبد وباؤه يدل على بر الله تعالى كأنه يقول ياعبدى جعلت جرمك وجنايتك بين برى ورحمتى فلا يبقى لك جرم ولا جناية بحرمة شهر رجب (مجالس الأنوار) وقيل إن رجب بعد ماعضى يصعد إلى السماء فيقول الله تعالى ياشهرى هل يحبونك ويعظمونك ؟ فيسكت ولايتكلم حتى يسأل ثانيا وثالثا . ثم يقول : إلهى أنت ستار العيوب أمرت خلقك بأن يستروا عيوب غيرهم وسمانى رسولك أصم أنا سمعت طاعتهم ولم أسمع معصيتهم فلذلك سمى الأصم ، ثم يقول الله تعالى أنت شهرى معيب أصم وعبادى معيون قبلتهم مع عيوبهم بحرمتك كما قبلتك وأنت معيب وأغفر لهم بندامة واحدة فيك ولا نكتب لهم المعاصى فيك (أعرجية) وقيل سمى أصم لأن الكرام الكاتبين يكتبون الحسنات والسيئات فى سائر الشهور ، وفى هذا الشهر يكتبون الحسنات ولايكتبون السيئات فلا يسمعون فيه شراً حتى يكتب (مشكاة الأنوار) وقال عليه الصلاة والسلام « إن رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى » وأخرج أبو محمد الخلال فى فضائل رجب عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثانى كفارة سنتين والثالث كفارة سنة ثم كل يوم كفارة شهر كما فى الجامع الصغير . قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : إنه عليه الصلاة والسلام لم يصم بعد رمضان إلا رجب وشعبان . أخرج البخارى ومسلم أنه قال عليه الصلاة والسلام « إن فى الجنة نهرا يقال له رجب أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر » (أعرجية) وإنما سمى رجب لأن العرب ترجبه أى تعظمه تقول رجبت الشىء إذا عظمته ؛ ومن تعظيمهم له أن خدم الكعبة يفتحون باب الكعبة فى هذا الشهر كله وفى سائر الأشهر لايفتحون إلا يوم الاثنين والخميس ويقولون الشهر شهر الله والبيت بيت الله والعبد عبد الله فلا يمنع عبد الله من بيت الله فى شهر الله (أعرجية) . حكى أن امرأة فى بيت المقدس كانت عابدة إذا جاء شهر رجب تقرأ كل يوم (قل هو الله أحد) اثنتى عشرة مرة تعظيما له وكانت تنزع اللباس الأطلس وتلبس ثوب البلاس فمرضت فى رجب وأوصت ابنها بأن يدفنها مع بلاسها فكفنها ابنها فى ثياب مرتفعة رياء الناس فرآها فى المنام فقالت يابنى لم لم تأخذ بوصيتى إنى غير راضية عنك فانتبه فزعا ونبش قبرها فلم يجدها فى قبرها وتحير وبكى بكاء شديداً فسمع نداء يقول أما علمت أن من عظم شهرنا رجب

لاتتركه فى القبر فريداً وحيداً (زبدة الواعظين) . روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال إذا مضى ثلث الليل من رجب فى أول جمعة لا تبقى ملائكة فى السموات ولا فى الأرض إلا ويجتمعون فى الكعبة فينظر الله لهم ويقول ياملائكتى اسألوا ما شئتم فيقولون ربنا حاجتنا أن تغفر لمن صام رجب فيقول الله تعالى قد غفرت لهم . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت قال النبى عليه الصلاة والسلام : « كل الناس جياع يوم القيامة إلا الأنبياء وأهليهم وصائم رجب وشعبان ورمضان فانهم شباع لاجوع لهم ولا عطش » (زبدة الواعظين) روى فى الخبر « إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين الرجبيون ؟ فيخرج نور فيتبع جبرائيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام ذلك النور ويتبع الرجبيون ثم يمرون على الصراط كالبرق الخاطف ثم يسجدون لله تعالى شكراً لتجاوزهم الصراط فيقول الله تعالى أيها الرجبيون ارفعوا رءوسكم اليوم قد قضيتم السجود فى الدنيا فى شهرى ارتحلوا إلى منازلكم » (رونق المجالس) . حكى عن ثوبان أنه قال : كنا مع النبى عليه الصلاة والسلام فمررنا بمقبرة فوقف عليه الصلاة والسلام فبكى بكاء شديداً ثم دعا الله فقلت له لم بكيت يارسول الله ؟ فقال «ياثوبان هؤلاء يعذبون فى قبورهم ودعوت لهم فخفف الله عنهم العذاب » ثم قال عليه الصلاة والسلام « ياثوبان لوصام هؤلاء يوما من رجب وما ناموا منه ليلة ماعذبوا فى قبورهم » فقلت يارسول الله : أصوم يوم وقيام ليلة منه يمنع عذاب القبر ؟ قال عليه الصلاة والسلام « ياثوبان والذى بعثنى بالحق نبيا مامن مسلم ومسلمة يصوم يوما ويقوم ليلة من رجب يريد بهما وجه الله إلا كتب الله له عبادة سنة صام نهارها وقام لياليها» . (زبدة الواعظين) قالوا الأحاديث الواردة فى صلاة الرغائب موضوعة والتهم بوضعها ابن الجهم وبعد هذا التصريح لا اعتداد بكونها مذكورة فى بعض الكتب والرسائل لأنا نعرف أمر الدين وحصول الثواب والعقاب من الشارع لعدم استقلال العقل فيه فتلك الصلاة فى هذه الليلة لم يصلها النبى عليه الصلاة والسلام ولا أحد من أصحابه ولم يحث عليها فلا يحصل فيها الثواب بل يكون فعلها عبثا يخشى منه العقاب (روى) قال الماوردى فى الإقناع : يستحب صوم رجب وشعبان . وأما الصلاة فلم يثبت فيه صلاة مخصوصة تختص به فعلى هـذا ينبغى لمن له ديانة وإذعان أن لايلتفت إلى ما انكب عليه الناس فى هذا الزمان ولا يغتر بشيوعه فى دار الإسلام وكثرة وقوعه فى البلاد العظام من صلاة الرغائب فى ليلة الجمعة الأولى منه لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة فكل محدثة ضلالة وكل ضلالة فى النار » وفى حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام قال : « شر الأمور محدثاتها » وكل من هذين الحديثين يدل على كون تلك الصلاة فى هذه الليلة بدعة وضلالة لكونها من محدثات الأمور لعدم وقوعها فى عصر

الصحابة والتابعين ولا فى عهد الأئمة المجتهدين بل حدثت بعد المائة الرابعة من الهجرة النبوية ولذلك لم يعرفها المتقدمون ولم يتكلموا فيها وقد ذمها العلماء من أعيان المتأخرين وصرحوا بأنها بدعة قبيحة مشتملة على منكرات فاترك هذا واعتصم بالطاعات حتى تجد الجنات العاليات وعلو المراتب والدرجات (مجالس رومى) كما قال صاحب مجمع البحرين فى شرحه إن رجلا يوم العيد فى الجبانة أراد أن يصلى قبل العيد فنهاه على كرم الله وجهه فقال الرجل يا أمير المؤمنين إنى أعلم أن الله لايعذب على الصلاة فقال على وإنى أعلم أن الله تعالى لايثيب على فعل حتى يفعله رسول الله ويحث عليه فتكون صلاتك عبثا والعبث حرام فلعله تعالى يعذبك به لمخالفتك لرسوله خذ ما حررته ولا تكن من المشتبهين (من مجالس رومى ملخصا) . وفى الخبر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « خلق الله تعالى وجوه الحورمن أربعة ألوان أبيض وأخضر وأصفر وأحمر ، وخلق بدنها من الزعفران والمسك والعنبر والكافور وشعرها من القرنفل فمن أصابع رجلها إلى ركبتها من الزعفران الطيب ومن ركبتها إلى سرتها من المسك ومن سرتها إلى عنقها من العنبر ومن عنقها إلى رأسها من الكافور ولو بصقت بصقة فى الدنيا لصارت مسكا مكتوب فى صدرها اسم زوجها واسم من أسماء الله تعالى ما بين منكبيها فرسخ وفى كل يد من يديها عشرة أسورة من ذهب وفى أصابعها عشرة خواتيم وفى رجلها خلاخيل من الجواهر واللؤلؤ » (دقائق الأخبار) .

المجلس الثانى عشر : فى فضيلة الرجال على النساء

سورة النساء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهبى وكسبى فقال (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق (وبما أنفقوا من أموالهم) فى نكاحهن كالمهر والنفقة . روى أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشكاه فقال عليه الصلاة والسلام « لتقتص منه » فنزلت فقال « أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذى أراده الله خير » (فالصالحات قانتات) مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب أى يحفظن فى غيبة الأزواج ما يجب حفظه فى النفس والمال (بما حفظ الله) بحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو بالذى حفظه

الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصولة فإنها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالأمر الذى حفظ حق الله أو طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال. (قاضى بيضاوى) .

نزلت هذه الآية فى سعد بن الربيع الأنصارى لطم امرأته بنت محمد بن مسلمة فجاءت إلى رسول الله فأمر بالقصاص فنزل عليه جبرائيل من ساعته بهذه الآية (الرجال قوامون على النساء) يعنى مسلطون فى أمور النساء وتأديبهن (أبو الليث) روى عن فضيل بن عبيدة أنه قال : دخل رجل فصلى صلاة فقال اللهم اغفر لى وارحمنى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « عجلت أيها المصلى، إذا صليت فاقعد فاحمد الله بما هو أهله وصل على ثم ادعه » ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبى عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام له « أيها المصلى ادع تجب ، ادع تجب كذلك من سمع اسمى فصلى على استجاب الله كل دعائه » روى عن أبى هريرة أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها » ثم تلا عليه الصلاة والسلام (الرجال قوامون على النساء) يعنى مسلطون على تأديبهن وأمورهن . وروى عن أنس بن مالك أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها تدخل من أى باب شاءت من أبواب الجنة » رواه أبو نعيم ، عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح وأيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق عنها سبعة أبواب النار وفتحت لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيها شاءت بغير حساب » . وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « ما من امرأة تحيض إلا كان حيضها كفارة لما مضى من ذنوبها وإن قالت فى أول اليوم الحمد لله على كل حال وأستغفر الله من كل ذنب كتب الله لها براءة من النار وجوازاً على الصراط وأمانا من العذاب ورفع الله تعالى لها بكل يوم وليلة درجة أربعين شهيداً إذا كانت ذاكرة لله تعالى فى حيضها » . وقال الحسن البصرى هذه للنساء الصالحات للطيعات لزوجها فى الأمور الشرعية (حكى) أن رجلا فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام خرج غازيا فقال لامرأته لا تخرجى من هذا البيت حتى أرجع إليك فمرض أبوها فأرسلت رسولا إلى رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أطيعى زوجك وكذا مرة بعد مرة فأطاعت زوجها ولم تخرج من البيت فمات أبوها ولم تره فصبرت على ذلك حتى رجع زوجها إليها فأوحى الله إلى النبى عليه الصلاة والسلام أن الله قد غفر لها باطاعة زوجها . وروى عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إذا غسلت المرأة ثياب زوجها كتب الله لها

ألف حسنة وغفر لها ألفي خطيئة واستغفر لها كل شيء طلعت عليه الشمس ورفع لها ألف درجة » رواه أبو منصور في مسند الفردوس . وأما ذمهن فروى عن علي رضى الله عنه أنه قال : دخلت أنا وفاطمة على رسول الله عليه الصلاة والسلام فوجدناه باكيا فقلنا ماذا يبكيك يا رسول الله ؟ فقال « رأيت النساء ليلة أسرى بي إلى السماء في شدة عذاب فذكرت شأنهن وبكيت قلت يا رسول الله ما الذي رأيت قال رأيت امرأة معلقة من شعرها ويغلي دماغ رأسها ورأيت امرأة معلقة بلسانها قد أخرجت يدها من ظهرها والقطران يصب في حلقها ورأيت امرأة معلقة بثديها من وراء ظهرها والزقوم يصب في حلقها ورأيت امرأة معلقة قد شدت رجلاها مع يديها إلى ناصيتها وقد سلطت عليها حيات وعقارب ورأيت امرأة تأكل جسدها والنار توقد من تحتها ورأيت امرأة يقطع جسدها بمقراض من النار ورأيت امرأة مسودة الوجه وتأكل أمعاءها ورأيت امرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغها من منخرها وبدنها منتن من البرص والجذام ورأيت امرأة رأسها كرأس الخنزير وبدنها كبدن الحمار لها ألف ألف نوع من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب تدخل العقارب والحيات من قبلها أو من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون على رأسها بمقامع من نار » فقامت فاطمة وقالت يا أبي وياقرة عيني أخبرني ما كانت أعمال هذه النساء ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « يا فاطمة أما المعلقة بشعرها فكانت لا تكتم شعرها من الرجال ، وأما المعلقة بلسانها فكانت تؤذي زوجها بلسانها » ثم قال عليه الصلاة والسلام « ما من امرأة تؤذي زوجها بلسانها إلا جعل الله لسانها يوم القيامة سبعين ذراعاً ثم عقد خلف عنقها » وروى عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرأة عذبت زوجها بلسانها فهي في لعنة الله وسخطه ولعنة الملائكة والناس أجمعين » وروى عن عثمان رضى الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من امرأة قالت لزوجها ما رأيت منك خيراً إلا أحبط الله عملها سبعين سنة ولو كانت تصوم النهار وتقوم الليل » « وأما المعلقة بثديها فكانت ترضع أطفال الخلق من غير أمر زوجها وأما المعلقة برجليها فكانت امرأة تخرج من بيتها بغير إذن الزوج ولا تغتسل من الحيض والنفاس . وأما التي تأكل جسدها فكانت تتزين للرجال وتغتاب الناس . وأما التي يقطع جسدها بمقراض من النار فكانت تشهر نفسها للناس يعني ليروا زينتها وتحب كل من يراها بهذه الزينة من الرجال وأما التي شد رجلاها مع يديها إلى ناصيتها وسلطت عليها الحيات والعقارب فكانت تقدر على الصلاة والصيام ولم تتوضأ ولم تصل ولم تغتسل من الجنابة . وأما التي رأسها كرأس الخنزير وبدنها كبدن الحمار فكانت نمامة وكاذبة . وأما التي على صورة الكلب فكانت فتانة تبغض زوجها » وروى عن أبي ذر أنه قال سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « أيما امرأة قالت لزوجها عليك لعنة الله

وهى ظالمة لعنها الله تعالى من فوق سبع سموات وكل شىء خلقه الله تعالى إلا الثقلين » أى الإنس والجن ، وروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرأة أدخلت على زوجها الغم فى أمر النفقة أو كلفته مالا يطيقه لا يقبل الله منها صرفا ولا عدلا » وروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو كان جميع ما فى الأرض ذهبا وفضة وحملته امرأة إلى بيت زوجها ثم فخرت عليه يوما من الأيام بقولها من أنت إنما المال لى ولا مال لك أحبط الله عملها ولو كان كثيراً » وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « أيما امرأة خرجت من بيت زوجها بغير إذنه لعنها كل شىء طلعت عليه الشمس والقمر حتى ترجع إلى بيت زوجها » وروى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قال عليه الصلاة والسلام « المرأة إذا خرجت من باب دارها مزينة ومعطرة بالطيب والزوج بذلك راض بنى لزوجها بكل قدم بيت فى النار » نعوذ بالله الملك الجبار ، وروى عن طلحة بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرأة كلحت فى وجه زوجها فتدخل عليه الغم فهى فى سخط الله إلى أن تضحك فى وجه زوجها فتدخل عليه السرور » وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فامتنعت فبات الزوج غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، وروى عن سلمان الفارسى أنه قال : دخلت فاطمة رضى الله تعالى عنها على رسول الله فلما نظرت اليه دمعت عيناها وتغير لونها فقال عليه الصلاة والسلام «مالك يا بنتى» قالت يا رسول الله كان بينى وبين على البارحة مزاح ونشأ من الكلام أن غضب على بكلمة خرجت من فى فلما رأيت أن عليا قد غضب ندمت وغممت فقلت له يا حبيبى ارض عنى وطفت حوله اثنتين وسبعين مرة حتى رضى عنى وضحك فى وجهى مع الرضا وأنا خائفة من ربى فقال لها النبى عليه الصلاة والسلام يا بنتى والذى بعثنى بالحق نبيا إنك لو مت قبل أن ترضى عليا لم أصل عليك ثم قال « يا بنتى أما علمت أن رضا الزوج هو رضا الله وغضب الزوج هو غضب الله . يا بنتى أيما امرأة عبدت عبادة كعبادة مريم بنت عمران ثم لم يرض عنها زوجها لا يقبل الله تعالى منها يا بنتى أفضل أعمال النساء إطاعة الزوج وبعدها ليس لها عمل أفضل من الغزل ، يا بنتى جلوس ساعة عند الغزل خير لهن من عبادة سنة ويكتب لهن بكل طاقة أى بكل نوع من الثياب من غزلهن ثواب شهيد ، يا بنتى إن المرأة إذا غزلت حتى تكسو زوجها وصبيانها وجبت لها الجنة وأعطاها الله بكل من تسربل من أثوابها مدينة فى الجنة » قال النبى عليه الصلاة والسلام « أيما رجل كان له امرأتان فلم يعدل بينهما فى النفقة ولم يسو بينهما فى المضجع والطعم والشرب

فهو برىء منى وأنا برىء منه ولا نصيب له فى شفاعتى إلا أن يتوب » وقال عليه الصلاة والسلام « من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى » وفى رواية « ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » . (كذا فى مرشد المتأهلين) .

المجلس الثالث عشر : فى فضيلة بر الوالدين

سورة النساء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) صنما أو غيره ، أو شيئا من الإشراك جليا أو خفيا (وبالوالدين إحسانا) وأحسنوا بهما إحسانا (وبذى القربى) وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) الذى قرب جواره ، وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين ؛ وقرىء بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه (والجار الجنب) البعيد أو الذى لا قرابة له . وعنه عليه الصلاة والسلام « الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام ، وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام ، وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب » (والصاحب بالجنب) الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة أو سفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) العبيد والإماء (إن الله لا يحب من كان مختالا) يأنف من أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم (فخوراً) يتفاخر عليهم . (قاضى بيضاوى) .

وعن عامر بن ربيعة أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة كما صلى على فليقلل من ذلك العبد أو ليكثر » (شفاء شريف) قال الله تعالى (وقضى ربك) أى أمر أمراً مقطوعا به (أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) بأن تحسنوا بالوالدين لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) فلا تضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنتهما ، وهو صوت يدل على تضجر (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ (وقل لهما قولا كريما) جميلا (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع فيهما (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لافتقارهما إلى كل من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما (وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى بأن يرحمهما برحمته الباقية (كما ربيانى صغيراً) رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وإرشادهما لى فى حال صغرى (قاضى بيضاوى) . (ت) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « اعبدوا الرحمن » أى أفردوه بالعبادة لأن المستحق للعبادة هو الله تعالى فمن أشرك فى عبادة ربه شيئا لا يقبل منه عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين كما قال الله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن

من الخاسرين) فعلى العاقل أن يخلص في عبادة ربه كما قال الله تعالى (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (زبدة الواعظين) يقال للوالد على الولد عشرة حقوق: الطعام إن احتاج، والخدمة إن احتاج، والإجابة إن دعا، والإطاعة إن أمر غير معصية، والتكلم معه باللين دون الغلظة، وإن احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليها، والمشي خلفه، والإرضاء له بما رضي لنفسه، والإكراه له بما يكره لنفسه، والدعاء له بالمغفرة كلما دعا لنفسه (تنبيه الغافلين) عن الفقيه أنه قال سئل عن الوالدين إذا ماتا ساخطين على الولد هل يمكن أن يرضيهما بعد وفاتهما؟ قيل يمكن بثلاثة أشياء: أولها أن يكون صالحا، والثاني أن يصل قرابتهما وأصدقاءهما، والثالث أن يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق لهما (تنبيه الغافلين) عن أنس بن مالك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل المؤمن الجنة حتى يأمن جاره من لسانه» وقال عليه الصلاة والسلام «من أكرم جاره وجبت له الجنة ومن آذى جاره لعنه الله والملائكة والناس أجمعون» (حياة القلوب) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال «من أنفق على الضيف درهما فكأنما أنفق ألف درهم في سبيل الله» وقال النبي عليه الصلاة والسلام «ما من أحد يأتيه الضيف فأكرمه إلا فتح الله له بابا من الجنة». (حكي) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا جاءه ضيف قام بنفسه يخدمه فقيل في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الملائكة يقومون في منزل فيه ضيف فأنا أستحي أن أجلس والملائكة قائمون» (أعراجية) عن النبي عليه الصلاة السلام أنه قال: «أخبرني جبرائيل عليه الصلاة والسلام قال: إن الضيف إذا دخل على أخيه المسلم دخلت معه ألف بركة وألف رحمة وغفر الله ذنوب أهل ذلك البيت ولو كانت ذنوبهم أكثر من زبد البحر وورق الأشجار وأعطاه الله تعالى ثواب ألف شهيد وكتب له بكل لقمة أكلها الضيف ثواب حجة مبرورة وعمرة مقبولة وبنى الله تعالى له مدينة في الجنة، ومن أكرم ضيفا فكأنما أكرم سبعين نبيا» (كنز الأخبار) روى عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وولد صالح يدعو له بالمغفرة وعلم ينتفع به بعده» (تنبيه الغافلين) قال عليه الصلاة والسلام: «تصدقوا فإن الصدقة فكاك من النار». وروى عن بعض أهل العلم أنه قال: أفضل الأعمال إجاعة بطن شبعان بالصيام (أخلص الخالصة) روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم فقال يارسول الله كانت لي ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم وأقرضت منها لربي

أربعة آلاف درهم فقال عليه الصلاة والسلام «يا عبد الرحمن بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت» وقال عثمان بن عفان يارسول الله على جهاز من لاجهاز له فنزلت هذه الآية (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) قال الفقيه: المتصدق كمثل الزارع فان كان الزارع حاذقا فى عمله ويكون البذر جيداً وتكون الأرض عامرة يكون الزرع طيبا كثيراً فكذلك إذا كان المتصدق صالحا والمال طيبا حلالا ووضع موضعه فيكون الثواب أكثر (شفاء أندوعى) وقال الفقيه أبو الليث: قد ذكر الله تعالى فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وجميع كتبه وأمر فى جميعها وأوحى إلى جميع رسله بجعل رضاه فى رضا الوالدين وسخطه فى سخط الوالدين. وسئل النبى عليه الصلاة والسلام أى الأعمال أفضل؟ فقال عليه الصلاة والسلام «الصلاة فى وقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد فى سبيل الله» (كذا فى التنبيه) وقال ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لاتقبل واحدة منها بغير الأخرى: الأولى قوله تعالى (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فمن صلى الصلاة ولم يؤد الزكاة لاتقبل الصلاة منه. والثانية قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فمن أطاع الله تعالى ولم يطع الرسول لاتقبل إطاعته لله. والثالثة قوله تعالى (أن اشكر لى ولوالديك) فمن شكر الله تعالى ولم يشكر لوالديه لايقبل الله تعالى شكره والدليل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم «من أرضى والديه فقد أرضى خالقه ومن أسخط والديه فقد أسخط خالقه» (تنبيه الغافلين) روى أن سليمان عليه السلام سافر بين السماء والأرض حتى بلغ بحراً عميقا فرأى فى البحر موجا هائلا فأمر الريح أن تسكن فسكنت الريح فأمر عفريتا بأن يغوص فى البحر فغاص العفريت فلما بلغ قعره رأى قبة من درة بيضاء لاثقب لها فأخرجها ووضعها بين يدى سليمان عليه السلام فتعجب من ذلك فدعا الله فانفتح باب القبة فاذا فيها شاب ساجد، فقال سليمان عليه السلام من أنت أمن الملائكة أم من الجن أم من الإنس؟ قال بل أنا من الإنس فقال سليمان عليه السلام بأى سبب نلت هذه الكرامة قال ببر الوالدين لما كانت والدتى عجوزاً كنت أحملها على ظهرى، وكان دعاؤها لى اللهم ارزقه القناعة واجعل مكانه بعد وفاتى فى موضع لافى الأرض ولا فى السماء، ولما توفيت كنت أدور على ساحل البحر فرأيت فيه قبة من درة فقربت إليها فانفتحت القبة لى فدخلت فيها فانطبقت القبة باذن الله تعالى فكنت لاأدرى أفى الهواء أنا أم فى الأرض ورزقنى الله فيها؟ فقال سليمان عليه السلام كيف يرزقك الله فيها؟ قال إذا جعت خلق الله فيها شجرة وعليها ثمر فرزقنى منه وإذا عطشت ينبع منها ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج، فقال سليمان عليه السلام كيف تعلم الليل والنهار فيها؟ قال: إذا انفجر الصبح ابيضت القبة فأعرف أنه نهار،

وإذا غربت الشمس تكون القبة فى الظلام فأعرف أنه جاء الليل فدعا الله تعالى فانطبقت القبة وهو فيها كما كانت (مجمع اللطائف) . حكى أن موسى عليه السلام قال : إلهى أرنى جليسى فى الجنة ، فقال الله تعالى اذهب إلى البلد الفلانى إلى السوق الفلانى فهنالك رجل قصاب وجهه كذا فهو جليسك فى الجنة ، فذهب موسى عليه السلام إلى ذلك الدكان فوقف هناك إلى وقت الغروب فأخذ القصاب قطعة لحم وطرحها فى زنبيل ، فلما انصرف قال موسى عليه السلام ؟ هل لك فى الضيف ؟ قال نعم فمضى معه حتى دخل داره فقام الرجل وطبخ من ذلك اللحم مرقة طيبة ثم أخرج من داره زنبيلا فيه عجوز ضعيفة كأنها فرخ حمامة فأخرجها منه فأخذ ملعقة وكان يضع الطعام فى فيها حتى شبعت وغسل ثوبها وجففه وألبسها ثم وضعها فى الزنبيل فحركت العجوز شفتيها . قال موسى عليه السلام قد رأيت شفتيها قالتا : اللهم اجعل ابنى جليس موسى فى الجنة ، ثم أخذها الرجل فعلقها على الوتد ، فقال موسى عليه السلام ماالذى صنعت ؟ قال إن هذه والدتى قد ضعفت حتى لاتقدر على القعود ، فقال موسى عليه السلام لك البشارة ، أنا موسى وأنت جليسى فى الجنة . يسرها الله بحرمة أسمائه الطيبة وبحرمة من هو أفضل البرية . هذه حكاية لطيفة فى الزبدة فعليها بالصدق والعمدة .

(حكى) أن مجوسيا أتى إبراهيم عليه السلام فاستضافه ، فقال له إبراهيم عليه السلام ما أضيفك حتى تخرج عن دينك وتترك المجوسية وانصرف ؟ فأوحى الله ياإبراهيم ماتضيفه حتى يخرج عن دينه ماضرك لو أضفته هذه الليلة ونحن نطعمه ونسقيه سبعين سنة وهو يكفر بنا ، فلما أصبح إبراهيم عليه السلام طلب المجوسى فوجده خلف عليه ، فقال له المجوسى : ماأعجب أمرك بالأمس تطردنى واليوم تطلبنى ؟ فأخبره إبراهيم عليه السلام أن الله تعالى أوحى إلى فى أمرك كذا وكذا ، فقال المجوسى أيعاملنى رب الأرباب بهذه المعاملة وأنا أكفره ؟ أمدد يدك أشهد أن لاإله إلاالله وأنك رسول الله (كذا فى بعض كتب الوعظة وذكره أيضا الشيخ سعدى فى بستانه) وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن فى الصدقات خمس خصال : الأولى تزيدهم فى أموالهم ، والثانية دواء للمرض ، والثالثة : يرفع الله تعالى عنهم البلاء ، والرابعة : يمرون على الصراط كالبرق الخاطف ، والخامسة : يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ، صدق رسول الله . وقال النبى عليه الصلاة والسلام « أفضل الأعمال الصلوات الخمس وأفضل الأخلاق التواضع » صدق رسول الله (دقائق الأخبار)

المجلس الرابع عشر : فى فضيلة المحبة لله ورسوله

سورة النساء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) مزيد ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها بمرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدراً (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للذين حال منه أو من ضميره . قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لايتأخروا عنهم وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل ، ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ماهى عليه ، ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد فى إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى إعلاء كلمة الله تعالى ، ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته (وحسن أولئك رفيقا) فى معنى التعجب ، ورفيقا نصب على التميز أو الحال ، ولم يجمع لأنه يقال للواحد والجمع كالصديق ، أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا . (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبى عليه الصلاة السلام أنه قال : «من صلى على عشراً إذا أصبح وعشراً إذا أمسى آمنه الله تعالى من الفزع الأكبر يوم القيامة وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين » (زبدة الواعظين) (من النبيين) بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أن الكلام فى بيان حكم طاعة نبينا عليه الصلاة والسلام لجريان ذكرهم فى سبب النزول مع مافيه من الإشارة إلى أن طاعته عليه الصلاة والسلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التى لاتتغير بتغير الأعصار (أبو السعود) (والصالحين) الصارفين أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته ، وليس المراد بالمعية الاتحاد فى الدرجة ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث الخ (أبو السعود) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال: إن هذه الآية نزلت فى حق ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر على مفارقته فأتى النبى يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فسأله رسول الله عن حاله ؟ فقال يارسول الله مابى من وجع ولامرض غير أنى إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لاأراك هناك لأنى عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وإن لم أدخل فلا أراك أبداً فكيف يكون فيها حالى فنزلت (ومن يطع الله والرسول) الآية (تفسير) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : من أحب الله تعالى أكثر ذكره ، وثمرته أن يذكره الله برحمته وغفرانه ويدخله الجنة

مع أنبيائه وأوليائه ويكرمه برؤية جماله ومن أحب النبي عليه السلام أكثر من الصلاة عليه وثمرته الوصول إلى شفاعته وصحبته في الجنة » (كذا في الجامع الصغير) عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة » فمن أراد أن ينال رؤية النبي عليه الصلاة والسلام فليحبه حبا شديداً ، وعلامة الحب الإطاعة في سنته السنية وإكثار الصلاة عليه ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال « من أحب شيئا أكثر من ذكره » (رواه في الفردوس) (هق) عن عمرو بن مرة الجهني رضى الله تعالى أنه قال : جاء رجل من قضاعة إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يارسول الله أرأيت أني إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وقمت لياليه وأديت الزكاة فمن أنا ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام له « من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب أصبعه مالم يعق والديه » لأن عاق الوالدين بعيد من الرحمن (مشكاة الأنوار) عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا أراد الله تعالى أن يدخل المؤمنين الجنة يبعث إليهم ملكا ومعه هدية وكسوة من الجنة فاذا أردوا الدخول قال لهم الملك قفوا فان معي هدية من رب العالمين فقالوا ماتلك الهدية فيقول الملك هي عشرة خواتم مكتوب في أحدها : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وفي الثاني : ادخلوها بسلام آمنين . وفي الثالث : أذهبت عنكم الأحزان والهموم . وفي الرابع ألبسناكم الحلل . وفي الخامس : وزوجناهم بحور عين . وفي السادس : إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون . وفي السابع : صرتم شبابا لاتهرمون أبداً . وفي الثامن : صرتم آمنين لاتخافون أبداً . وفي التاسع : ورفيقكم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون . وفي العاشر : كنتم في جوار الرحمن ذي العرش الكريم العظيم ، فيدخلون الجنة فيقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » (سفينة الأبرار) (هق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد » (ت) عن زيد بن طلحة عن أبيه عن جده عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الدين بدا غريبا وسيرجع غريبا ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي » (الطريقة المحمدية) قال مقاتل : عشرة من الحيوانات يدخلون الجنة : عجل إبراهيم وكبش إسماعيل وناقة صالح وحوت يونس وبقرة موسى وحمار عزير ونملة سليمان وهدهد بلقيس وكلب أصحاب الكهف وبراق محمد عليهم الصلاة والسلام ، فكلهم يصيرون على صورة الكبش ثم يقضى بين العباد فلا يبق يومئذ ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شهيد إلا ظن أن لا ينجو لما يرى من شدة العذاب والحساب وهول ذلك اليوم إلا من عصمه الله (مشكاة الأنوار) عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال : رأيت بهرام العجمي يوما من الأيام ينبش المقابر ويأخذ

رءوس الموتى ويطعن بالعصا فى ثقب الأذن فان نفذت عصاه من ثقب الأذن إلى الثقب الآخر رمى ذلك الرأس وإن لم تنفذ أصلا رماه أيضا وإن قرت موضع الدماغ قبله ودفنه ، فسألته عن ذلك ، فقال أما الذى تنفذ فيه العصا من الأذن إلى الأذن الأخرى فهو الذى سمع النصيحة والقول الحق فدخلا فى أذن وخرجا من الأذن الأخرى ولم يقرا فى دماغه ولم يأخذهما فلا خير فيه . وأما الذى لا تنفذ فيــه أصلا فهو الذى لم يسمعهما لشغــله بمراد نفسه وشهواتها فلا خير فيه . وأما الذى قرت العصا فى دماغه فهو الذى أخذ النصيحة والقول الحق وثبتا فى دماغه فهو المقبول عند الله فأقبله وأدفنه (حياة القلوب) روى أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كما فى الجامع الصغير : قال عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالى أعددت » أى هيأت ، فيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن كذا قاله المناوى « لعبادى الصالحين » أى القائمين بما وجب عليهم من حق الحق والخلق « مالا عين رأت » أى مالا رأت العيون كلها فان العين فى سياق النفى تفيد الاستغراق ومثله قوله « ولا أذن سمعت » بتنوين عين وأذن ، وروى بفتحهما « ولا خطر على قلب بشر » معناه أن الله تعالى ادخر فى الجنة من النعم والخيرات واللذات مالم يطلع عليه أحد من الخلق بطريق من الطرق (كذا ذكره المناوى) .

اعلم أن للعبد ثلاثة أمور هى أصناف حسناته ، وهى عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع بل يعلم ، وعمل لسانه وهو يسمع ، وعمل أعضائه وهو يرى ، فاذا أتى العبد بهذه الأشياء عملا صالحا يجعل الله لمسموعه مالا أذن سمعت ولمرئيه مالا عين رأت ولعمل قلبه مالا خطر على قلب بشر ، فعلى العبد أن يواظب على الطاعات لأن الله لا ينقص شيئا من أجور الحسنات بل يعطى الجنة والدرجات (سنانية) روى عن حاتم الزاهد أنه قال : من ادعى حب مولاه من غير ورع فهو كذاب ، ومن ادعى دخول الجنة من غير إنفاق مال فهو كذاب ، ومن ادعى حب النبى عليه الصلاة والسلام من غير اتباع السنة فهو كذاب ، ومن ادعى حب الدرجات من غير صحبة مع الفقراء والمساكين فهو كذاب (تنبيه الغافلين) وعن سعدون المجنون أنه كان يكتب فى كفه : الله ، فقال له السرى السقطى ماتصنع ياسعدون ؟ فقال أنا أحب الله تعالى وقد كتبت اسم ربى فى قلبى حتى لا يسكنه غيره وكتبته على لسانى حتى لا يذكر غيره والآن كتبته على كفى حتى أنظر إليه بعينى فيكون نظرى مشغولا به (مشكاة الأنوار) .

(حكى) أن سمنون تزوج بامرأة فى آخر عمره فولدت له بنتا ، فلما بلغت ثلاث سنين وجــد فى قلبه تعلقا بها فرأى فى منامه كأن القيامة قد قامت ونصبت علائم كل نبى وولى ووراءهم علم رفيع نوره قد ســد الأفق فسأل عنه فقالوا هو علم المحبين الخالصين فرأى سمنون نفسه بينهم فجاء واحد من الملائكة فأخرجه من بينهم ، فقال سمنون أنا محب لله تعالى

وهذا علم المحبين فلم تخرجنى ؟ فقال : نعم أنت من المحبين لله تعالى ، فلما حلت محبتك لولدك فى قلبك محونا اسمك من المحبين لله تعالى ، فبكى سمنون وتضرع فى نومه فقال إلهى إن كان الولد مانعا لى عنك فادفعه عنى حق أقرب إليك بلطفك وكرمك ، فسمع صائحا يقول واويلاه فانتبه فقال ماهذه الصيحة قالوا إن ابنتك سقطت من السطح فماتت . فقال الحمد لله الذى أذهب المانع عنى (مشكاة الأنوار) وعن ذى النون المصرى أنه قال : رأيت رجلا فى الهواء جالساً متربعاً وهو يقول : الله ، فقلت من أنت ؟ قال أنا عبد من عباد الله . فقلت بما وجدت هذه الكرامة ؟ قال تركت هواى لهواه فأجلسنى الله تعالى على الهواء . وكذا روى عن سمنون المجنون أنه كان مشهوراً بمحبة مولاه وكان يسميه الناس سمنون المجنون وسماه الخواص سمنون المحب وهو يسمى نفسه سمنون الكذاب فارتقى يوماً على المنبر ليعظ الناس فلم يلتفتوا إلى قوله فترك الناس والتفت إلى قناديل المسجد ، فقال اسمعوا أنتم ياقناديل خبراً عجيبا عن لسان سمنون ، فرأوا أن القناديل قد دخلوا فى الرقص وتقطعوا وتساقطوا لتأثير كلام سمنون (كذا فى زبدة الواعظين) . فالحاصل أن الإطاعة لله تعالى ولرسوله سبب لمرافقة النبيين والأولياء والصالحين . عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله كيف تقول فى رجل أحب قوما ألم يلحق بهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحب » (كذا فى المصابيح) فمن أحب الله تعالى أكثر ذكره ، فثمرته أن يذكره الله تعالى برحمته وغفرانه ويدخله الجنة مع أنبيائه وأوليائه ويكرمه برؤية جماله ، ومن أحب النبى عليه الصلاة والسلام أكثر الصلاة عليه فثمرته الوصول إلى شفاعته وصحبته فى الجنة (سنانية) روى عن سعيد عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون على إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب » (شفاء شريف) .

المجلس الخامس عشر : فى بيان فضيلة السلام

سورة النساء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) الجمهور على أنه فى السلام ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله ، فإن قاله المسلم زاد وبركاته وهى النهاية ، وإما برد مثله لما روى « أن رجلا قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام : السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله . وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك ، فقال الرجل نقصتنى فأين ماقال الله تعالى وتلا الآية ؟ فقال عليه الصلاة والسلام إنك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله » وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول

النافع وثباتها ، ومنه قيل أو للترديد بين أن يحيي المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية . وحيث السلام مشروع فلا يرد فى الخطبة وفى قراءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها (إن الله كان على كل شىء حسيبا) يحاسبكم على التحية وغيرها (قاضى بيضاوى) .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « السلام اسم من أسماء الله فأفشوه بينكم » وفى رواية « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ، فان لم يرد عليه رد عليه من هم معه ثم يلعنونه سبعين مرة » وكان أبومسلم الخولانى رحمه الله يمر على قوم فلا يسلم عليهم ، ويقول لايمنعنى من السلام عليهم إلا أنى أخشى أن لايردوا على فتلعنهم الملائكة (من بحر العلوم) وذكر (فى بستان العارفين) « إذا مررتم بقوم فسلموا عليهم فاذا سلمتم عليهم وجب عليهم الرد » وقال : يسلم الماشى على القاعد والصغير على الكبير والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار ويسلم الذى يأتيك من خلفك ويسمع الراد جوابه لأنه إذا لم يسمع لم يكن جواباً ويسلم على أهل بيته حين يدخله ، فإن دخل بيتاً ليس فيه أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة يردون سلامه فتحصل تلك البركة أزيد وأتم . واختلف العلماء فى التسليم على الصبيان فقال بعضهم يسلم عليهم ، وقال بعضهم لايسلم عليهم ، وقال بعضهم التسليم أفضل من تركه وبه نأخذ . وفى زبدة المسائل : إن قال رجل السلام عليك يازيد فرد عليه عمرو لايسقط عن زيد . وفى روضة العلماء : إذا استقبل واحد لواحد اختلف الفقهاء . قال بعضهم يسلم الذى جاء من المصر على الذى جاء من القرية لأنه جاء من الأمان فيسلم على الذى جاء من القرية ليكون إخباراً عن سلامة حال المصر . وقال بعضهم يسلم الذى جاء من القرية على الذى جاء من المصر لأن الذى جاء من المصر جاء من أفضل المواضع ، وكفى بهذا هاديا إن كنت من القانع ، وانشر بين الناس ضياء الطالع ، وكن بخوف العلماء بالسيف اللامع (شرح) وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمى فى ذلك الكتاب » قيل إن الابتداء بالسلام قبل الكلام أو الحاجة سنة مستحبة ليس بواجب ، واستماعه مستحب بل واجب على الصحيح ، وهو سنة على الكفاية ، ورده فرض كفاية ، فان كانو جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم وسلام كلهم أفضل وأكمل . وكذا رده واجب بحيث لو لم يسمعه لايسقط عنه هذا الفرض حتى قيل لو كان المسلم عليه أصم يجب على المسلم أن يحرك شفتيه ويريه بحيث لو لم يكن أصم لسمعه انتهى . وقيل إذا قال الرجل السلام عليك بالإفراد فقل وعليكم السلام بالجمع لأن المؤمن لا يكون وحده بل معه الملك فلا ينبغى أن يقول المسلم عليك بالإفراد لأنه إذا قال ذلك فقد حرم الملائكة وحرم نفسه من جواب الملائكة ، وإن كانوا مستغنين

من تسليمنا فلست بستغن عن جوابهم بالرحمة . وأما صفة الرد فالأفضل أن يقول وعليكم السلام بالواو فلو حذفها جاز وكان تاركا للأفضل ، ومن أراد أن يسلم إن شاء يسلم بالتعريف وإن شاء بالتنكير ؛ وأما فى سلام الصلاة فالتعريف ، ويشترط أن يكون الرد على الفور ، فان أخره ثم رده لم يعد جواباً وكان آثما بترك الرد لأن فى تركه إهانة للمسلم ، ولو أتى سلام من غائب مع رسوله أوفى ورقة وجب الرد على الفور ، ولا سلام على أهل البدعة والكفر واللعب . واختلف العلماء فى رد السلام على الكفار وابتدائهم به فمذهبنا تحريم ابتدائهم ووجوب رده عليهم بأن يقول عليك بلا واو وعليك مثله فقد ورد دليلنا فى عدم الابتداء قوله عليه الصلاة والسلام «لاتبتدئوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم فى الطريق فاضطروه إلى منعه» لأن الابتداء بالسلام إعزاز لهم ولايجوز الإعزاز للكفار . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا » إيماناً كاملا « ولاتؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم وأبو داود ، وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف انتهى . قال فى التتارخانية : ويكره تحريما عند قراءة القرآن جهراً لكن يرد جوابه لكونه قادراً على تحصيل فضيلتى القرآن ورد السلام وعلى مستمع القرآن وكذلك عند مذاكرة العلم ، ولايسلم على أحد ممن تذاكروا العلم ، وإن سلم فهو آثم وكذا عند الأذان والإقامة ، والصحيح أنه لايرد السلام أيضاً فى هذه المواضع وإن كان بالإخفاء انتهى . وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل لى لشىء فعلته لم فعلته ولا لشىء لم أفعله لم لم تفعله ، وقال يا أنس إنى موصيك بوصية فاحفظها : أكثر الصلاة فى الليل تحبك الحفظة وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم يزد الله فى بركاتك ؛ وإن استطعت أن لاتأوى إلى فراشك إلا على طهارة فافعل فانك إن مت مت شهيداً ، وإذا خرجت من عند أهلك فسلم على من لقيت يزد الله حسناتك ، ووقر كبير المسلمين وارحم صغيرهم أكن أنا وأنت فى الجنة كهاتين وشبك بين السبابة والوسطى ، واعلم يا أنس أن الله يرضى عن العبد باللقمة يأكلها فيحمد الله عليها والشربة من ماء يشربها فيحمد الله تعالى » الحديث . وعن ابن سلام رضى الله تعالى عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة » . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن فى الجنة غرفا من ألوان كلها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، قالوا يارسول الله لمن تلك الغرف ؟ قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام ».

قلنا : ومن يطيق ذلك يارسول الله ؟ قال سأخبركم عن ذلك : من لقي أخاه وسلم عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان وستامن شوال فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الأخيرة والغداة » أي الفجر « مع جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام » وهم اليهود والنصارى والمجوس ، كما صرح به الإمام الأندلسي رحمة الله انتهى . ويكره السلام عند رواية الحديث وعند الأذان وعند الإقامة إذا كان القوم مشغولين بثناء الأذان والإقامة ، والمسلم يأثم ولكن يردون جوابه ، وعلى من كان في الخلاء فعند أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه يرده بقلبه لا بلسانه . وقال أبو يوسف لا يرده مطلقا . وعند محمد يرده بعد الفراغ من الحاجة ، وعلى المصلي ، والمسلم يأثم ولا يرد جوابه ، وعلى السائل وإن سلم السائل فلا يجب رده ؟ وعلى القاضي في المحكمة ولا يجب الرد عليه ؟ وعلى أستاذه عند الدرس ولو سلم لا يجب رده ، وعلى لاعب الشطرنج ، وعلى لاعب النرد وغيره ، وعلى المبتدعة ، وعلى الملاحدة ، وعلى الزنادقة ، وعلى المضحك ، وعلى قارئ القصة الكاذبة ، وعلى أهل اللغو ، وعلى أهل السب ، وعلى أهل الهجو ، وعلى القاعد على رءوس الطريق لينظر إلى المرأة الحسناء أو إلى الأمرد الصبيح وعلى العريان سواء كان في الحمام أو غيره وعلى المازح ، وعلى الكذاب ، وعلى من يسب الناس وعلى المشتغل في السوق ، وعلى آكل الطعام في السوق أو على الدكان والناس ينظرون ، وعلى المغني ، وعلى مطير الحمام وعلى الكافر (قاله ابن كمال باشا يسر الله له ما شا في شرح حديث السلام قبل الكلام) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « من تكلم قبل السلام فلا تجيبوه » . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما « ان إبليس عليه اللعنة يبكي عند سلام المؤمن ويقول واويلاه لا يفترق هذان المؤمنان حتى يغفر لهما » الحديث . قالوا تحية النصارى وضع اليد على الفم ، وتحية اليهود الاشارة بالاصبع ، وتحية المجوس الانحناء ، وتحية العرب حياك الله ، وتحية المسلمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهي أشرف التحيات (من المنقولات) وعن عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنه « أن رجلا جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال السلام عليكم فرد عليه فقال لك عشر حسنات ، ودخل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فقال له لك ثلاثون حسنة ، ثم أتى آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فرد عليه فقال لك أربعون حسنة » (كذا في مشكاة المصابيح) .

المجلس السادس عشر : في وفاة النبي عليه الصلاة والسلام

سورة المائدة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(اليوم أكملت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الأديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتي)

بالهداية والتوفيق ، أو بإكمال الدين ، أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام) اخترته لكم (دينا) من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير . (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « قال لى جبرائيل يا محمد إن الله تعالى خلق بحراً من وراء جبل قاف وفى البحر سمك يصلى عليك فمن أخذ منه سمكة يبست يداه وتصير السمكة من جملة الأحجار » هذا إشارة إلى أن العبد إذا صلى على محمد وصلى الصلوات الخمس بالجماعة ينجو من أيدى الزبانية ومن عذاب النار . روى أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « ما يبكيك يا عمر ؟ » قال أبكانى أنا كنا فى زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شىء إلا نقص ، فقال عليه الصلاة والسلام « صدقت » (أبو السعود) . (قوله اليوم) اللام للعهد والمراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الماضية والآتية ، وقد روى أن هذه الآية نزلت بعد عصر يوم الجمعة بعرفات فى حجة الوداع والنبي عليه الصلاة والسلام واقف بعرفة على الابل ولم ينزل بعدها شىء من الفرائض فحين نزلت لم يطق النبي عليه الصلاة والسلام احتمال معانيها فاتكأ على ناقته فبركت الناقة فنزل جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد قد تم اليوم أمر دينكم وانقطع ما أمرك ربك وما نهاك فاجمع أصحابك وأخبرهم بأنى لا أنزل عليك بعد هذا اليوم فرجع النبي عليه الصلاة والسلام من مكة وأتى المدينة فجمع أصحابه وقرأ عليهم الآية وأخبرهم بما قال جبرائيل عليه الصلاة والسلام ففرح أصحابه وقالوا قد تم ديننا إلا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فانه قد اغتم وأتى منزله وغلق الباب واشتغل بالبكاء فى الليل والنهار فسمع الأصحاب ذلك فاجتمعوا وأتوا منزل أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقالوا يا أبا بكر لم تبكى فى موضع الفرح والسرور لأن الله تعالى قد أتم ديننا ؟ فقال يا أصحاب أنتم لا تعلمون ما يصيبكم من المصائب أما سمعتم أنه إذا تم أمر بدا نقصه وهذه الآية تخبر عن افتراقنا وعن كون الحسن والحسين يتيمين وعن كون أزواج النبي عليه الصلاة والسلام أرامل فوقع الصراخ بين الأصحاب وبكوا جميعا وسمع غيرهم البكاء من حجرة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وجاءوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقالوا يا رسول الله لا ندرى ما حال الأصحاب غير أنا سمعنا بكاءهم وصراخهم فتغير لون النبي عليه الصلاة والسلام وقام مسرعا حتى انتهى إلى الأصحاب فرآهم فى ذلك الحال فقال ما يبكيكم ؟ فقال على رضى الله تعالى عنه إن أبا بكر يقول إنى شممت من هذه الآية رائحة وفاة رسول الله وهل يستدل بهذه الآية على وفاتك ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام صدق أبو بكر فيما قال وقد قرب ارتحالى من بينكم وحان وقت فراقى منكم ، وهذا اشارة إلى أن أبا بكر أعلم الصحابة فلما سمع أبو بكر ذلك صاح صيحة وخر مغشيا عليه وارتعد على رضى الله تعالى عنه واهتز الأصحاب وخافوا بأجمعهم وبكوا بكاء شديداً حتى بكت الجبال والأحجار معهم والملائكة فى السموات وبكت

الدود والحيوانات فى البرارى والبحار ثم صافح النبي عليه الصلاة والسلام كل واحد من الأصحاب وودعهم وبكى ووصى لهم ثم عاش بعد نزول هذه الآية أحدا وثمانين يوما . وقيل لما نزل قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) الآية عاش عليه الصلاة والسلام بعدها خمسين يوما ولما نزل قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) عاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ولما نزل قوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) الآية عاش بعدها أحدا وعشرين يوما . وهذه الآية آخر ما نزل من القرآن، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها صعد يوما المنبر فخطب خطبة فبكت منها العيون ووجلت منها القلوب واقشعرت منها الأبدان وبشر وأنذر . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه لما قرب وفاة النبي عليه الصلاة والسلام أمر بلالا أن ينادى الناس للصلاة فنادى فاجتمع المهاجرون والأنصار إلى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى ركعتين خفيفتين بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وخطب خطبة بليغة وجلت منها القلوب وبكت منها العيون ثم قال : « يا معاشر المسلمين إنى كنت لكم نبيا وناصحا وداعيا إلى الله باذنه وكنت لكم كالأخ الشفق والأب الرحيم من كانت له عندى مظلمة فليقم وليقتص منى قبل القصاص فى القيامة » فلم يقم إليه أحد حتى قال ثانيا وثالثا فقام رجل يقال له عكاشة بن محصن فوقف بين يدى النبي عليه الصلاة والسلام فقال فداك أبى وأمى يا رسول الله لولا أنك ناشدتنا مرة بعد مرة ما كنت أقدم على شىء من ذلك ولقد كنت معك فى غزوة بدر جارت ناقتى ناقتك فنزلت عن الناقة ودنوت منك حتى أقبل فخذك فرفعت القضيب الذى تضرب به الناقة للسرعة فى المشى وضربت به خاصرتى فلا أدرى أعمداً كان منك يا رسول الله أم أردت به ضرب ناقتك ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «حاشا يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله بالضرب» فقال النبي عليه الصلاة والسلام لبلال « يا بلال انطلق إلى منزل فاطمة فأتنى بقضيبى » فخرج بلال من المسجد ويده على رأسه فقال هذا رسول الله أعطى القصاص من نفسه فقرع باب فاطمة فقالت من على الباب فقال جئتك لقضيب رسول الله فقالت فاطمة يا بلال ما يصنع أبى بالقضيب فقال يا فاطمة إن أباك يعطى القصاص من نفسه فقالت فاطمة يا بلال من الذى يطيب قلبه أن يقتص من رسول الله ؟ فأخذ بلال القضيب ودخل المسجد ودفع القضيب إلى رسول الله والرسول دفعه إلى عكاشة ، فلما نظره أبو بكر وعمر قاما فقالا يا عكاشة نحن بين يديك فاقتص منا ولا تقتص من النبي عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله « اقعدا قد عرف الله تعالى مكانكما » فقام على رضى الله تعالى عنه فقال يا عكاشة أنا فى الحياة بين يدى النبي عليه الصلاة والسلام لا يطيب قلبى أن تقتص من رسول الله عليه الصلاة والسلام فهذا ظهرى وبطنى فاقتص منى بيدك واجلدنى بيدك فقال عليه الصلاة والسلام « يا على قد عرف الله مكانك ونيتك » فقام الحسن والحسين فقالا

يا عكاشة ألست أنت تعرفنا أنا سبطا رسول الله والقصاص منا كالقصاص من رسول الله ؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهما « اقعدا يا قرتي عيني » ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام « ياعكاشة اضرب إن كنت ضاربا » فقال يارسول الله ضربتني وأنا عار عن ثوبي فكشف رسول الله عن ثوبه فصاح المسلمون بالبكاء . فلما نظر عكاشة إلى بياض جسم الرسول انكب عليه وقبل ظهره وقال فداك روحي يا رسول الله من يطيب قلبه أن يقتص منك يارسول الله ؟ وإنما فعلته رجاء أن يمس جسمي بجسمك الشريف ويحفظني ربي بحرمتك من النار فقال عليه الصلاة والسلام « ألا من يحب أن ينظر إلى أهل الجنة فلينظر إلى هذا الشخص » فقام المسلمون يقبلون بين عينيه ويقولون طوبى لك نلت الدرجات العلى ومرافقة محمد عليه الصلاة والسلام في الجنة انتهى . اللهم يسر لنا شفاعته بعزتك وجلالك (من الموعظة الحسنة) قال ابن مسعود : لما دنا وفاة النبي عليه الصلاة والسلام جمعنا في بيت أمنا عائشة ثم نظر إلينا فدمعت عيناه وقال « مرحبا بكم رحمكم الله ، أوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق وقرب المنقلب إلى الله تعالى وإلى الجنة المأوى فليغسلني علي وليصب الماء الفضل ابن عباس وأسامة بن زيد يعينهما وكفنوني في ثيابي إن شئتم أو حلة يمانية بيضاء فاذا غسلتموني ضعوني على سريري في بيتي هـذا على شفير لحدي ثم اخرجوا عني ساعة فأول من يصلي عليّ الله عز وجل ثم جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده ثم سائر الملائكة ثم ادخلوا علي فوجا فوجا وصلوا علي » فلما سمعوا فراق النبي عليه الصلاة والسلام صاحوا وبكوا وقالوا يا رسول الله أنت رسولنا وشمل جمعنا وسلطان أمرنا إذا ذهبت عنا فإلى من نرجع ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « تركتكم على المحجة والطريقة البيضاء وتركت لكم واعظين ناطقا وصامتا فالناطق القرآن والصامت الموت إذا أشكل عليكم أمر فارجعوا إلى القرآن والسنة وإذا قست قلوبكم فلينوها بالاعتبار في أحوال الموت » فمرض رسول الله عليه الصلاة والسلام في آخر شهر صفر وكان مرضاً ثمانية عشر يوما يعوده الناس وكان ابتداء مرضه الذي مات فيه صداعا عرض له عليه السلام ، وبعث عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين ومات فيه فلما كان يوم الاثنين ثقل مرضه فأذن بلال أذان الصبح وقام بباب رسول الله فقال السلام عليك يا رسول الله فقالت فاطمة إن رسول الله مشغول بنفسه فدخل بلال المسجد ولم يفهم كلامها فلما أسفر الصبح جاء بلال ثانيا وقام بالباب فقال كذلك فسمع رسول الله صوته فقال « ادخل يا بلال إني مشغول بنفسي وثقل علي مرضي ، يا بلال مر أبا بكر أن يصلي بالناس » فخرج بلال باكيا ووضع يده على رأسه وهو ينادي وامصيبتاه وانقطاع رجاه وانكسار ظهراه يا ليتني لم تلدني أمي فدخل المسجد فقال يا أبا بكر إن رسول الله يأمرك أن تصلي بالناس هو مشغول بنفسه ، فلما رأى أبو بكر محراب رسول الله خاليا عنه لم يتمالك نفسه فصرخ صراخا وخر مغشيا عليه

فضج المسلمون معه فسمع النبي عليه الصلاة والسلام ضجيجهم فقال يا فاطمة ما هذا الصياح والضجيج ؟ فقالت ضج المسلمون لفقدك منهم فدعا رسول الله عليا والفضل بن عباس واتكأ عليهما فخرج إلى المسجد وصلى بهم ركعتي الفجر من يوم الاثنين ثم ولى بوجهه إلى الناس فقال يامعشر المسلمين أنتم فى وداع الله تعالى وكنفه عليكم بتقوى لله وطاعته فانى مفارق الدنيا وهذا أول يومى من الآخرة وآخر يومى من الدنيا فقام وذهب إلى بيته . فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت أن اهبط إلى حبيبى بأحسن صورة وارفق به فى قبض روحه فان أذن لك أن تدخل فادخل وإن لم يأذن لك فلا تدخل وارجع فهبط ملك الموت على صورة أعرابى فقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أأدخل ؟ فأجابت فاطمة فقالت ياعبد الله إن رسول الله مشغول بنفسه ، ثم نادى الثانية فقال السلام عليكم يارسول الله ويا أهل بيت النبوة ؟ أأدخل ؟ فسمع عليه الصلاة والسلام صوته فقال يا فاطمة من على الباب ؟ فقالت رجل أعرابى نادى فقلت إن رسول الله مشغول بنفسه ثم نادى الثالثة فقلت مثله فنظر إلى نظرة فاقشعر جلدى وخاف قلبى وارتعدت فرائصى وتغير لونى فقال عليه الصلاة والسلام أتدرين من هو يافاطمة ؟ قالت لا ، قال عليه الصلاة والسلام هو هاذم اللذات وقاطع الشهوات ومفرق الجماعات ومخرب الدور ومعمر القبور فبكت فاطمة رضى الله تعالى عنها بكاء شديداً فقالت واويلتاه لموت خاتم الأنبياء وامصيبتاه لممات خير الأتقياء ولانقطاع سيد الأصفياء واحسرتاه لانقطاع الوحى من السماء فقد حرمت اليوم من كلامك ولا أسمع بعد اليوم سلامك فقال عليه الصلاة والسلام لاتبكى فانك أول أهلى لحوقا بى ثم قال عليه الصلاة والسلام ادخل ياملك الموت فدخل فقال السلام عليك يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام وعليك السلام ياملك الموت أجئت زائراً أم قابضا ؟ فقال جئت زائراً وقابضا إن أذنت لى وإلا فأرجع فقال ياملك الموت أين تركت جبرائيل ؟ فقال تركته فى السماء الدنيا والملائكة يعزونه فلم يلبث ساعة حتى هبط جبرائيل عليه الصلاة والسلام وجلس عند رأسه فقال صلى الله عليه وسلم ألم تعلم أن الأمر قد قرب فقال بلى يارسول الله قال صلى الله تعالى عليه وسلم بشرنى مالى عند الله من الكرامة فقال إن أبواب السماء قد فتحت والملائكة صفوا صفوفا ينتظرون فى السماء لروحك وأبواب الجنان قد فتحت والحور كلها قد تزينت ينتظرون لروحك فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله ، ثم قال بشرنى ياجبرائيل كيف تكون أمتى يوم القيامة؟ قال أبشرك أن الله تعالى قال إنى حرمت الجنة على سائر الأنبياء حتى تدخلها أنت وحرمتها على سائر الأمم حتى تدخلها أمتك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الآن طاب قلبى وزال غمى ، ثم قال عليه الصلاة والسلام ياملك الموت ادن منى فدنا يعالج قبض روحه فلما بلغ الروح منه السرة قال عليه الصلاة والسلام ياجبرائيل ماأشد مرارة الموت افولى جبرائيل وجهه عنه ، فقال عليه الصلاة

والسلام ياجبرائيل أكرهت النظر إلى وجهى ؟ فقال ياحبيب الله من يطيق قلبه أن ينظر إلى وجهك وأنت فى سكرات الموت ، قال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه كان روح النبي عليه الصلاة والسلام فى صدره وهو يقول : أوصيكم بالصلاة وما ملكت أيمانكم ، فما برح يوصى بهما حتى انقطع كلامه » ، وقال على رضى الله تعالى عنه إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر نفسه حرك شفتيه مرتين فألقيت سمعى فسمعته يقول خفية أمتى أمتى فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاثنين من شهر ربيع الأول .

فلو كانت الدنيا تدوم لواحـد لكان رسول الله فيها مخـلدا

وروى أن عليا وضع رسول الله عليه الصلاة والسلام على السرير ليغسله فاذا بهاتف يهتف من زاوية البيت بأعلى صوت لاتغسلوا محمـداً فانه طاهر مطهر فوقع فى نفسى شىء من ذلك فقال على من أنت فان النبي أمرنا بذلك ؟ فاذا بهاتف آخر ينادى يا على غسله فان الهاتف الأول كان إبليس عليه اللعنة حسداً على محمد وقصد أن لايدخل محمد قبره مغسولا فقال على جزاك الله خيراً إذ أخبرتنى أن ذلك إبليس عليه اللعنة فمن أنت ؟ قال أنا الخضر حضرت جنازة محمـد عليه الصلاة والسلام فغسله على رضى الله تعالى عنه وصب الماء الفضل بن عباس وأسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهم أجمعين وجبرائيل عليه الصلاة والسلام جاء بحنوط من الجنة وكفنوه ودفنوه فى حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها ليلة الأربعاء وسط الليل وقيل ليلة الثلاثاء وهى قائمة على قبر النبي عليه الصلاة والسلام وتقول يامن لم يلبس الحرير ولم ينم على الفرش الوثير يامن خرج من الدنيا ولم يشبع بطنه من خبز الشعير يامن اختار الحصير على السرير يامن لم ينم طول الليالى من خوف السعير .

المجلس السابع عشر : فى ذم شارب الخمر

سورة المائدة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب) أى الأصنام التى نصبت للعبادة (والأزلام) سبق تفسيرها فى أول السورة (رجس) قذر تعاف منه العقول وأفرده لأنه خبر للخمر وخبر للمعطوفات محذوف ، أو خبر لمضاف محذوف كأنه قال إنما تعاطى الخمر والميسر (من عمل الشيطان) لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) الضمير للرجس أو لما ذكر أو للتعاطى (لعلكم تفلحون) لكى تفلحوا بالاجتناب عنه . واعلم أنه تعالى أكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بأن صدر الجملة بإنما وقرنهما بالأنصاب والأزلام وسماهما رجساً وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على أن الاشتغال بهما شر بحت أو غالب وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بأن بين مافيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم . (قاضى بيضاوى).

روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا

صلى المؤمن عليّ قبض تلك الصلاة ملك الموت باذن الله تعالى وبلغها إلى قبرى فيقول الملك يا محمد إن فلان بن فلان من أمتك صلى عليك فأقول بلغمنى عشر صلوات وقل له حلت شفاعته لك ثم يصعد الملك حتى ينتهى إلى العرش فيقول يارب إن فلان بن فلان صلى على حبيبك محمد مرة فيقول الله تعالى بلغه منى عشر صلوات ثم يخلق الله تعالى من صلاته بكل حرف ملكا له ثلاثمائة وستون رأساً وفى كل رأس ثلاثمائة وستون وجها وفى كل وجه ثلاثمائة وستون فما وفى كل فم ثلاثمائة وستون لسانا يتكلم بكل لسان ويثنى على الله تعالى بثلاثمائة وستين نوعا فيكتب ثواب ذلك للمصلى على النبي عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة » روى أن نوحا عليه الصلاة والسلام لما غرس الكرمة ولم تخضر جاءه إبليس عليه اللعنة فقال يانبي الله إن أردت أن تخضر الكرمة فدعنى أذبح عليها سبعة أشياء فقال افعل فذبح أسداً ودبا ونمراً وابن آوى وكلبا وديكا وثعلبا وصب دماءهم فى أصل الكرمة فاخضرت من ساعتها وحملت الكرمة من العنب سبعين لونا وكانت تحمل من قبل لونا واحداً فلذلك كان شارب الخمر شجاعا كالأسد وقويا كالدب وغضبان كالنمر ومحدثا كابن آوى ومقاتلا كالكلب ومتملقا كالثعلب ومصوتا كالديك (حياة القلوب) وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال إن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب شارب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » (رواه البخارى) . قوله « وهو مؤمن » الواو للحال تقديره هو حال كون شارب الخمر ليس بمؤمن عند الشافعى لأن العمل جزء من الإيمان الكامل عنده وعندنا ليس بجزء فى مطلق الإيمان ولا من الإيمان الكامل فلذلك كان تارك العمل مؤمنا عندنا لأنه سئل رسول الله عن قوله : لا يشرب شارب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فأدار دائرة واسعة فى الأرض ثم أدار فى وسط الدائرة دائرة أخرى ، فقال الدائرة الأولى للإسلام والدائرة الثانية للإيمان فان شرب العبد أو زنى أو سرق خرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام ولا يخرج من دائرة الإسلام إلا بالشرك نعوذ بالله تعالى . اعلموا أيها الإخوان أن الإيمان والإسلام واحد عندنا بدليل قوله تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) أى من المغبونين لأنه اختار منزلة النار ، بدل منزلة الجنة ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » رواه الطبرانى . وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا زنى العبد أو شرب الخمر نزع الله عنه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه » رواه الحاكم ، وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « إذا زنى العبد أو شرب الخمر خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا فرغ من ذلك العمل

رجع إليه الإيمان » رواه البخارى . قال الفقيه أبو الليث : إياك وشرب الخمر فإن فى شربها عشر خصال مذمومة : أولها أنه إذا شرب الخمر يصير بمنزلة المجنون فيصير ضحكة للصبيان ومذموماً عنـد العقلاء . والثانية أنها مذهبة للعقل ومتلفة للمال . والثالثة أن شربها سبب للعداوة بين الإخوان والأصدقاء . والرابعة أن شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة . والخامسة أن شربها يحمله على الزنا لأنه إذا شرب الخمر يمكن أن يطلق امرأته وهو لا يشعر . والسادسة أنها مفتاح كل شر لأنه إذا شرب الخمر سهل عليه جميع المعاصى . والسابعة أنها تؤذى حفظته بإدخالهم فى مجلس الفسق . والثامنة أنه وجب عليه الحد ثمانين جلدة وإن لم يضرب فى الدنيا يضرب فى الآخرة بسوط من نار على رءوس الناس ينظر إليه الآباء والأصدقاء . والتاسعة أنه غلق باب السماء على نفسه لأنه لا يرفع حسناته ولا دعاؤه أربعين يوماً . والعاشر أنه مخاطر على أنه يخاف عليه أن ينزع منه الإيمان عند موته ، فهذه العقوبات فى الدنيا قبل موته وقبل أن ينتهى إلى عقوبات الآخرة ، فلا ينبغى للعاقل أن يختار لذة قليلة على لذة طويلة ، وروى عن أبى أمامة عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق السحرة ومن مات مدمن الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطة وهو نهر يجرى من فروج الزانيات يؤذى أهل النار من نتن ريحه » رواه أحمد وابن عدى ، وروى عن عائشـة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر فلا تزوجوه وإن مرض فلا تعودوه وإن مات فلا تصلوا عليه ، فو الذى بعثنى بالحق نبيا ما شرب الخمر إلا ملعون فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ومن أطعمه لقمة سلط الله على جسده حية وعقربا ، ومن قضى حاجته فقد أعانه على هدم الإسلام ، ومن أقرضه فقد أعانه على قتل مؤمن ، ومن جالسه حشره الله يوم القيامة أعمى لا حجة له » الحديث . وقيل الـكبائر الإشراك بالله وقتل النفس بغير حق وشرب الخمر والزنا واللواطة وقذف المحصنين والمحصنات بالزنا وعقوق الوالدين المسلمين بقول أو بفعل والفرار من الزحف من رجل واحد أو رجلين فى الحرب وأكل مال اليتيم ظلما وشهادة الزور وأكل الربا وأكل فى نهار رمضان بغير عذر عامداً ومقاطعة الرحم واليمين الفاجرة وأكل أموال الناس ظلما والنقص فى الـكيل والميزان وتقديم الصلاة على وقتها وضرب المسلم بغير حق وشتم النبى عليه الصلاة والسلام والـكذب على النبى متعمداً وكتمان الشهادة بلا عذر وأخذ الرشوة وقتل نفسه أو قطع عضو من أعضائه والدياثة والسعاية بين الرجل والمرأة والسعاية عند الظالم والسحر ومنع الزكاة والأمر بالمنكر والنهى عن المعروف والوقيعة فى أهل العلم وإحراق الحيوان بالنار وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب فـكلها كبائر . وروى عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول : « اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث فإنه كان رجل ممن كان قبلـكم يتعبد ويعتزل الناس

فعلقتــه امرأة سوء فأرسلت إليه خادما فقال : إنا ندعوك للشهادة فدخل فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى إذا أفضى أى بلغ إلى امرأة جالسة وعندها غلام وزجاجة فيها خمر فقالت إنا لم ندعك للشهادة ولـكن ندعوك لتقتل هذا الغلام أو تقع على أو تشرب كأساً من الخمر فان أبيت صحت بك وفضحتك ، قال فلما رأى أنه لا بد من ذلك قال اسقينى كأساً من الخمر فسقته كأسا من الخمر فزال عقله حتى وقع عليها أى جامعها وقتل الغلام. فاجتنبوا الخمر فانه لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر فى صدر الرجل أبداً إلا ويوشك أحدهما أن يخرج صاحبه » رواه ابن حبان فى صحيحه ، أما قصة برصيصا لعن أى بعد عن رحمة الله تعالى بسبب شرب الخمر . وذلك أن برصيصا عبدالله مائتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وكان له ستون ألفا من تلاميذه يمشون فى الهواء ببركة عبادته حتى تعجب الملائكة من عبادته قال الله تعالى: ماتعجبون منه ! إنى أعلم مالا تعلمون إن برصيصا فى علمى يكفر ويدخل النار أبد الآبدين بشرب الخمر فسمع إبليس عليه اللعنة ذلك القول فعلم أن هلاكه فى يده فجاء إلى صومعتـه على صورة عابد قد لبس المسوح فناداه فقال له برصيصا من أنت وما تريد ؟ قال أنا عابد جئت إليك لأكون عونا على عبادتك لله تعالى فقال من أراد عبادة الله تعالى فالله يكفى صاحبها فقام إبليس يعبد الله تعالى ثلاثة أيام لم ينم ولم يأكل ولم يشرب . قال برصيصا أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب وأنت لاتأكل ولاتشرب وإنى عبدت مائتين وعشرين سنة ولم أقدر على ترك الأكل والشرب قال إبليس أنا أذنبت ذنبا فمتى ذكرته سقط عنى النوم والأكل قال برصيصا ماحيلتى حتى أكون مثلك ؟ قال اذهب فاعص الله ثم تب إليه فانه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال أى شىء أفعل ؟ قال الزنا قال لا أفعله قال اقتـل مؤمنا قال لا أفعـله قال اشرب الخمر للسكر فانه أهون وخصمك الله قال أين أجده ؟ . قال اذهب إلى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة فاشترى منها الخمر فشرب وسكر وزنى فدخل عليها زوجها فضربه حتى كاد أن يقتله ، ثم إن إبليس تمثل فى صورة إنسان وسعى به إلى الحاكم فأخذوه وجلدوه للخمر ثمانين جلدة وللزنا مائة جلدة وأمر له بالصلب لأجل الدم فلما صلب جاء إبليس إلى برصيصا فى تلك الصـورة قال كيف حالك ؟ قال من أطاع قرين السوء فجزاؤه هكـذا ، قال إبليس كـنت فى بلائك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت النزول أنزلتك قال أريد وأعطيك ماتريد قال اسجد لى سجدة واحدة ، قال لم أقدر أن أسجد لك على الخشب قال اسجد بالإيمان فسجد وكـفر بالله وخرج من الدنيا بلا إيمان نعوذ بالله تعالى (حيـاة القلوب) . روى أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفراً من أصحاب رسول الله حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا أى سكـروا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلى بهم فقرأ : قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد بلا لا فنزلت (لا تقربوا الصلاة وأنتم

سكارى) الآية ، ثم كانوا لايشربون فى أوقات الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقدذهب عنهم السكر وعلموا مايقولون ، ثم نزل فى تحريمها (إنما الخمر والميسر) الآية ومعنى لاتقربوا الصلاة لاتغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله عليه الصلاة والسلام : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم » (كشاف) وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت (إذاما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا) الآية . يعنى أن المؤمنين لاجناح عليهم فى أى شىء طعموه من المباحات إذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمداً لأحوالهم فى الإيمان والتقوى والإحسان ، ومثاله أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت أن ذلك أمر مباح ؟ فتقول ليس على أحد جناح فى المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيداً تقى مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ فيما فعل (تفسير كشاف ملخصا) .

المجلس الثامن عشر : فى ذم الحسد

سورة المائدة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واتل عليهم نبأ ابنى آدم) قابيل وهابيل أوحى الله تعالى إلى آدم عليه الصلاة والسلام أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لأن توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم عليه الصلاة والسلام قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها ، فقبل قربان هابيل بأن نزلت نارفأ كلته فازداد قابيل سخطا وفعل مافعل (بالحق) صفة مصدر محذوف أى تلاوة متلبسة بالحق أو حال من ضمير اتل أومن نبأ ابنى آدم أى متلبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الأولين (إذ قربا قربانا) ظرف لنبأ أوحال منه أوبدل على حذف المضاف أي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ، قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده ، وهابيل صاحب ضرع وقرب جملاسميناً (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) لأنه سخط حكم الله تعالى ولم يخلص النية فى قربانه ، وقصد هابيل إلى أحسن ماعنده (قال لأقتلنك) توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ، ولذلك (قال إنما يتقبل الله من المتقين) فى جوابه ؟ أى إنما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لامن قبلى فلم تقتلنى ؟ وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغى أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل مابه صار المحسود محظوظا لافى إزالة حظه فان ذلك مما يضره ولاينفعه وأن الطاعة لاتقبل إلا من مؤمن متق (قاضى بيضاوى) .

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لقيت جبرائيل فقال إنى أبشرك أن الله تعالى يقول : من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه »

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال اللهم صل على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي يوم القيامة » (شفاء شريف) قوله (ابني آدم) قيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وإنما هما رجلان من بني إسرائيل ولذا قيل في حقهم (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل) الآية ، لكن الصحيح ماذهب إليه جمهور المفسرين من أنهما من صلبه يدل عليه قوله تعالى (فبعث الله غراباً) الآية لأن القاتل لم يدر مايصنعه بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب (تفسير الخازن) قيل عمد هابيل إلى كبش أحسن مافي غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضا الله تعالى ، وقابيل قرب أردأ قمح عنده فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم عليه الصلاة والسلام فنزلت من السماء نار فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فغضب قابيل على هابيل وأضمر لأخيه الحسد إلى أن أتى آدم عليه الصلاة والسلام إلى مكة لزيارة البيت وغاب عنهما فقصد قابيل هابيل وهو في غنمه وقال لأقتلنك قال هابيل لم تقتلني ؟ قال إن الله قبل قربانك ورد قرباني وتريد أن تنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس أنك خير مني ويفخر ولدك على ولدي (تفسير الخازن) وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم في الكتب الأول : إن آدم عليه الصلاة والسلام كان تغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت بقابيل وأخته ولم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبط إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت الوحم والوصب والطلق والدم وكان الرجل منهم يزوج ابنته لأي إخوتها شاء غير توأمها الذي ولدت معه ، فلما كبر قابيل وهابيل وكان بينهما سنتان أمر الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أن يزوج قابيل ليوذا ويزوج هابيل إقليما أخت قابيل وكانت إقليما أحسن من ليوذا فبلغ آدم عليه الصلاة والسلام ذلك ورضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض إلى آخر القصة (تفسير الخازن) ذكر في الأخبار أن حواء كانت تلد لآدم عليه الصلاة والسلام في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ماولدته أربعين ولداً في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمته إقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم بارك الله تعالى في نسل آدم عليه الصلاة والسلام : وقال ابن عباس لم يمت آدم عليه الصلاة والسلام حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا . واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم عليه الصلاة والسلام حواء بعد إهباطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته إقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته ليوذا في بطن (تفسير الخازن) قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله ؟ فتمثل له إبليس عليه اللعنة وقد أخذ طيراً فوضع رأسه على حجر وأسقط حجراً آخر عليه وقابيل ينظره فعلمه القتل ففعل مثله وقيل وهابيل نائم . واختلفوا في موضع قتله فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على جبل ثور وقيل عند عقبة جبل حراء

وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الأعظم (تفسير الخازن) فلما قتله أصبح من النادمين على قتله لما كان فيه من التحير فى أمره وحمله على رقبته سنة أو أكثر على ماقيل ولتعلمه من الغراب اسود لونه وتبرأ أبوه منه ، إذ روى أنه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عليه الصلاة والسلام عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا ، قال بل قتلته فلذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لايضحك وعدم الظفر بما فعله من أجله (قاضى) . قيل هرب بعده إلى عدن من أرض اليمن فأدركه إبليس عليه اللعنة فقال إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار فاصنع أنت مثل ذلك ففعل ؛ فهو أول من اتخذ آلات اللهو وانهمك فى المعاصى من شرب الخمر وعبادة الأوثان والزنا وغيرها من الفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان فى أيام نوح عليه الصلاة والسلام، ومن ارتكب مثل تلك الأفعال حشر مع قابيل وأولاده يوم القيامة (رونق المجالس) وفى الحديث « لاتقتل نفس ظلما إلا وعلى قابيل كفل » أى نصيب « من دمها فانه أول من سن القتل » وكذا قيل إن أول من حسد فى السموات كان إبليس عليه اللعنة فجرى عليه ماجرى ، وأول من حسد فى الأرض كان قابيل حيث حسد أخاه هابيل فجرى عليه ما جرى ويكفى فى النصيحة للعاقل حالهما ، قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن لنعم الله تعالى أعداء — قيل من هم يارسول الله ؟ — قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » قال بعض الحكماء أمهات الخطايا ثلاثة : الحسد والحرص والكبر ، أما الكبر فكان أصله من إبليس حيث تكبر وأبى من السجدة فلعن ، وأما الحرص فكان أصله من آدم عليه الصلاة والسلام حيث قيل له الجنة كلها مباحة لك إلا هذه الشجرة فحمله الحرص فأخرج منها ، وأما الحسد فكان أصله من قابيل حيث قتل أخاه هابيل فصار كافراً بسبب حسده ، وكذا قال الفقيه أبو الليث : ثلاثة لاتستجاب دعوتهم : آكل الحرام ومكثار الغيبة ، ومن كان فى قلبه غل أو حسد للمسلمين . وعن عطية بن عوزة السعدى أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « إن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن فيكم من يكون سريع الغضب سريع الفيء وفيكم من يكون سريع الغضب بطىء الفيء فخيركم من يكون بطىء الغضب سريع الفيء وشركم من كان سريع الغضب بطىء الفيء » (زبدة الواعظين) .

اعلم أن للحاسد ثمان آفات : الأولى إفساد الطاعة ، إذ روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « إياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والعشب » أو يؤديه إلى الكفر . والثانية الإفضاء إلى فعل المعاصى إذ الحاسد لايخلو عن الغيبة والكذب والسب والشماتة عادة (طب) عن ضمرة بن ثعلبة أنه قال : «لايزال الناس بخير مالم يتحاسدوا » . والثالثة حرمان الشفاعة (طب) عن عبدالله

ابن بشر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ليس منى ذو حسد ولا ذو نميمة ولاذو كهانة ولا أنا منه ، ثم تلا عليه الصلاة والسلام هذه الآية (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) » والرابعة دخول النار (ديلمى) . عن ابن عمر وأنس بن مالك رضى الله تعالى عنهم أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة . قيل من هم يا رسول الله ؟ قال الأمراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرساتيق بالجهل والعلماء بالحسد » . والخامسة الإفضاء إلى إضرار الغير فلذا أمر الله تعالى بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمرنا بالاستعاذة من شر الشيطان الرجيم حيث قال (ومن شر حاسد إذا حسد) وقال عليه الصلاة والسلام : « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود » . والسادسة التعب والهم من غير فائدة بل مع وزر ومعصية ، قال ابن السماك : لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد : تعب دائم وعقل هائم وغم لازم . والسابعة عمى القلب حتى يكاد لا يفهم حكما من أحكام الله تعالى ، قال سفيان : لا تكن حاسداً تكن سريع الفهم . والثامنة الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراده وينصر على عدوه ، فلذا قيل : الحسود لا يسود (طريقة محمدية) .

المجلس التاسع عشر

فى نزول المائدة من السماء بدعاء عيسى عليه الصلاة والسلام

سورة المائدة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وإذ أوحيت إلى الحواريين) أى أمرتهم على ألسنة رسلى (أن آمنوا بى وبرسولى) يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) مخلصون (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم) منصوب باذكر أو ظرف لقالوا فيكون تنبيها على أن ادعاءهم الإخلاص مع قولهم (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة ، وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة ، وقيل المعنى هل يستطيع ربك : أى هل يجيبك ، واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب (قال اتقوا الله) من أمثال هذا السؤال (إن كنتم مؤمنين) بكمال قدرته وصحة نبوتى ، أو صدقتم فى ادعاء الإيمان (قالوا نريد أن نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال (وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال بكمال قدرته (ونعلم أن قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة وأن الله يجيب دعوتنا (ونكون عليها من الشاهدين) إذا استشهدتنا ، أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً) أى يكون يوم نزولها عيداً نعظمه ، وقيل العيد السرور العائد ، ولذلك سمى يوم العيد عيداً (لأولنا

وآخرنا) بدل من لنا بإعادة العامل ، أى عيداً لمتقدمينا ومتأخرينا (وآية) عطف على عيداً (منك) صفتها ، أى آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا) المائدة والشكر عليها (وأنت خير الرازقين) أى خير من يرزق لأنه خالق الرزق (قال الله إنى منزلها عليكم) إجابة إلى سؤالكم (فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا) أى تعذيبا (لا أعذبه أحداً) الضمير للمصدر أو للعذاب (من العالمين) أى عالمى زمانهم أو العالمين مطلقا (قاضى بيضاوى) .

روى فى الأخبار : « ثلاثة أشياء لا تزن عند الله جناح بعوضة : أحدها الصلاة بلا خضوع وخشوع . والثانى الذكر بالغفلة لأن الله تعالى لا يستجيب دعاء قلب غافل . والثالث الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام من غير حرمة ونية » كما قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات » (زبدة) . روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا لو عملنا لأحد فقضينا لأطعمنا ثم سألوا الله تعالى المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها ، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم . وقال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل الطعام إلا اللحم . وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة . وقال عطية العوفى نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شىء . واختلف فى أن عيسى عليه السلام سأل المائدة لنفسه أو سألها لقومه وإن كان أضافها إلى نفسه فى الظاهر ولكن كلاهما يحتمل طلب نزولها (نيسابورى) قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد وهو قوله تعالى (فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه) الآية خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن ؛ والصحيح الذى عليه جماهير الأمة ومشاهير الأئمة أنها قد نزلت ، كما روى أن عيسى عليه السلام اغتسل ولبس صوفا وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره ثم دعا بما دعا وأجيب بما أجيب ، وإذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم ، فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ، ثم قال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها ، فقال شمعون رئيس الحواريين أنت أولى بذلك ، فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث ، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد ، فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة ؟ قال

ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى ، فقال يا سمكة احي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير ، وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير إلا غنى مدة عمره ولا مريض إلا برئ ولن يمرض أبداً ، ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة فى الحشوش ، فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى وبكوا على الممسوخين ، فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم بأسمائهم واحداً بعد واحد فيكون ويشيرون برءوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا .

(قصة عجيبة) يا أيها الإخوان سأل قوم عيسى من عيسى عليه السلام طعاما فاسألوا عقيب صومكم رحمة الله ومغفرته ، وإنما سمى العيد عيداً لأنه يعود فى السنة مرتين ، ولهذا روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تعالى للملائكة يا ملائكتى إن كل عامل يطلب أجره وعبادى الذين صاموا شهرهم وخرجوا إلى عيدهم يطلبون أجورهم اشهدوا أنى قد غفرت لهم فينادى المنادى يا أمة محمد ارجعوا إلى منازلكم فقد بدلت سيئاتكم بالحسنات من فضل الله تعالى » كما قال عليه الصلاة والسلام : « إذا كان يوم الفطر وخرج الناس إلى المصلى وسجدوا لربهم يقول الله تعالى يا عبادى لى صمتم ولى أفطرتم ولى صليتم قوموا مغفوراً لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر » . وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « اجتهدوا يوم الفطر فى الصدقة وأعمال الخير والبر من الصلاة والزكاة وأكثروا التسبيح والتهليل فانه اليوم الذى يغفر الله فيه ذنوبكم ويستجيب دعاءكم وينظر إليكم بالرحمة والمغفرة » . قال وهب ابن منبه يحزن إبليس فى كل عيد فيجتمع عنده الأباليس فيقولون يا سيدنا من أغضبك من السماء والأرض حتى نكسره ؟ فيقول لا ولكن الله غفر لهذه الأمة فى هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللذات المحظورات وشرب الخمر حتى يبغضهم الله فيعذبهم (كذا فى الزبدة) وعليك بالعمدة فتخرج من أداء ما فى العهدة وتدخل فى سرير الجنة .

المجلس العشرون : فى فضيلة صيام ستة أيام من شوال

سورة الأنعام — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أى عشر حسنات أمثالها فضلا من الله تعالى ، وقرأ يعقوب عشر ا بالتنوين وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ، ولذلك قيل المراد بالعشرة الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) قضية للعدل (وهم لا يظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب. (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى على مرة فلا ذنب له ذرة ولاحبة » (زبدة الواعظين) . أخرج (م) عن أبى هريرة وأبى أيوب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله » وهو معنى قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) لأن السنة ثلاثمائة وستون يوما وصوم رمضان ثلاثون يوما وهو يعدل ثلثمائة يوم فبقى ستون يوما فان صام ستا من شوال وهى تعدل ستين يوما فقد كملت السنة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله » . وحكى عن بعض كراهته حذراً من التشبه بأهل الكتاب فى زيادتهم على الفرض . وأجيب عنه بأنه قد زال التشبه بفصل يوم الفطر ولأن الأول فرض والآخر نافلة (درة الواعظين) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام من شوال فمن صام تلك الستة كتب الله تعالى له بعدد كل خلق من خلقه حسنة ويمحو عنه سيئاته ويرفع درجاته » ، قال النبي عليه الصلاة والسلام « إن للميت ستمائة عضو على كل عضو من أعضائه ألف فم إلا على القلب فانه موضع المعرفة فمن صام هذه الستة هون الله عليه سكرات الموت كشرب الماء البارد للعطشان » (درة الواعظين) قيل من غرس شجرة رجاء لثمراتها يسقيها عند زمانها فعلامة إنما كها خضرة أوراقها فاذا اخضرت ومضى مدة ثم أصابها حر الشمس وجفت أوراقها علم أنها لم تمسك وإذا لم تجف أوراقها بل زادت علم أنها تمسك فكذا حال العبد فى رمضان يسارع إلى الصوم والصلاة والخيرات رجاء لقبولها ببركة رمضان فعلامة قبولها أن يكون العبد بعد رمضان على الطاعات والعبادات. (حياة القلوب) وعن سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه ، أنه قال : كنت بمكة ثلاث سنين فكان رجل من أهل مكة يجىء إلى البيت الحرام كل يوم عند الظهر ويطوف بالبيت ويصلى ثم يسلم على ويرجع حتى ألفت به وألفنى فرض يوما ودعانى وقال إذا مت فاغسلنى بنفسك وصل على

وادفني ولاتتركني في تلك الليلة فريدا في قبري وبت عند قبري ولقني التوحيد حين سؤال منكر ونكير فضمنت له ، فلما فعلت ما أمرني به وبت عند قبره فكنت بين النوم واليقظة إذ سمعت مناديا ياسفيان لاحاجة له إلى حفظك وتلقينك فقلت بماذا ؟ قال بصيام رمضان وإتباعه ستا من شوال فاستيقظت فلم أر أحداً فتوضأت وصليت حتى نمت ثم رأيت ذلك ثلاث مرات فعرفت أنه من الرحمن لا من الشيطان الرجيم فانصرفت من عند قبره وأنا أقول اللهم وفقني لصيام رمضان وإتباعه ستا من شوال فوفقني الله الكبير المتعال (بدر الدرر) (هق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، أنه قال : الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفرار أي من فرغ من الصوم ثم رجع إليه يكون كمن هرب من القتال ثم عاد إليه ، والمراد أن يصوم ستا من شوال ولهذا كان الشعبي يقول صوم يوم بعد رمضان أحب إليه من صوم الدهر كله (مناوى) عن عبد الوهاب أنه قال السر في مشروعية الصوم في هذه الأيام أن النفس ربما أقبلت بهمتها على الشهوات في يوم العيد وحصل لها فيه شيء من الغفلة والحجاب فكانت هذه الستة كأنها جوابر لما نقص من الأداء والخلل في صوم رمضان كالسنن التابعة للفرائض أو السجود للسهو ، وكيفيتها أنها متوالية وقد قال بعض العلماء المحققين وزمرة الواصلين الأفضل أن يكون صيام الستة متواليا غير متفرق لأن المتوالى أقرب في جلاء الباطن من المتفرق ولذا قال سيدى على زاده ينبغي في صوم هذه الستة ما ينبغي في صوم رمضان بل هي أشد منه لأنها جوابر والكلام في أفضليته فان فرقها أو أخرها عن أوائل الشهر حصلت له فضيلة الاتباع (سط) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال قال عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (كذا في الترغيب والترهيب) عن كعب الأحبار أنه قال : مرضت فاطمة رضي الله تعالى عنها فجاء على إلى منزلها ، فقال يافاطمة ما يريد قلبك من حلوات الدنيا ؟ فقالت ياعلى أشتهي رمانا فتفكر ساعة لأنه ماكان معه شيء ثم قام وذهب إلى السوق واستقرض درهما واشترى به رمانة فرجع إليها فرأى شخصا مريضا مطروحا على قارعة الطريق فوقف على ؟ فقال له ما يريد قلبك ياشيخ : فقال ياعلى لي خمسة أيام هنا وأنا مطروح ومر الناس على ولم يلتفت أحد إلى يريد قلبي رمانا فتفكر في نفسه ساعة ، فقال لنفسه اشتريت رمانة واحدة لأجل فاطمة فان أعطيتها لهذا السائل بقيت فاطمة محرومة وإن لم أعطه خالفت قوله تعالى (وأما السائل فلا تنهر) والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لاتردوا السائل ولو كان على فرس » فكسر الرمانة فأطعم الشيخ فعوفي في ساعته وعوفيت فاطمة رضي الله تعالى عنها وجاء على وهو مستحى فلما رأته فاطمة رضي الله تعالى عنها قامت إليه وضمته إلى صدرها

فقالت أما إنك مغموم فوعزة الله تعالى وجلاله إنك لما أطعمت ذلك الشيخ الرمان زال عن قلبي اشتهاء الرمان ففرح علي بكلامها فأتى رجل فقرع الباب فقال علي من أنت فقال أنا سلمان الفارسي افتح الباب فقام علي وفتح الباب ورأى سلمان الفارسي وبيده طبق مغطى رأسه بمنديل فوضعه بين يديه ، فقال علي عمن هذا ياسلمان ، فقال من الله إلى الرسول ومن الرسول إليك فكشف الغطاء فاذا فيه تسع رمانات ، فقال ياسلمان لو كان هذا إلى لكان عشراً لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) فضحك سلمان فأخرج رمانة من كمه فوضعها في الطبق فقال ياعلي والله كانت عشرة ولكن أردت بذلك أن أجربك (روضة المتقين) والحكمة في تضاعف حسنات هذه الأمة ثلاث أشياء : أحدها أنه كان أعمار الأمم الماضية طويلة وطاعتهم كثيرة وأعمار هذه الأمة قصيرة فكانت طاعتهم قليلة ففضل الله هذه الأمة على الأمم السالفة بتضعيف الأعمال وتفضيل الأوقات وليلة القدر لتكون طاعتهم أكثر من طاعات الأمم الماضية ، كما روى أن موسى عليه السلام قال يارب إني وجدت في التوراة أمة تكتب حسناتهم عشراً وسيئاتهم مثلا فاجعلهم أمتي قال الله تعالى ياموسى تلك أمة محمد تجيء في آخر الزمان . والثاني درجات الجنة تستحق بطاعة خالصة من غير تقصير وطاعة هذه الأمة مع التقصير فوضع الله تعالى أضعافا من فضله وكرمه ليكون تقصير طاعة هذه الأمة كاملا بالأضعاف حتى يعلم أنهم ينالون درجات الجنة بالأضعاف . والثالث وضع الأضعاف فان الخصماء يوم القيامة يتعلقون بخصومهم فيذهبون بأعمالهم فيبقى لهم الأضعاف فيقول الخصم يارب أعطني من أضعافه فيقول الله تعالى إنها ليست من فعله بل هي من رحمتي وأنا لاأقبض منه رحمتي بل أعطيتك فعله (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) (روضة العلماء) .

(حكاية) قال عبدالله بن المبارك : حججت سنة من السنين فكنت في حجر إسماعيل ونمت فيه . فرأيت في المنام رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال إذا رجعت إلى بغداد فادخل في محلة كذا واطلب بهرام المجوسي واقرأ عليه مني السلام وقل له إن الله تعالى عنك راض فانتبهت وقلت لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هذه رؤيا من الشيطان فتوضأت فطفت بالكعبة ماشاء الله فغلبني النوم فرأيت كذلك ثلاث مرات فلما تم الحج رجعت إلى بغداد فدخلت تلك المحلة فطلبت دار بهرام المجوسي فوجدت شيخا كبيرا فقلت أنت بهرام المجوسي ؟ قال نعم أسلفت الناس سلفا جديداً بين الناس وهذا عندي خير فقلت هذا حرام عند محمد عليه الصلاة والسلام ، فقلت هل لك خير غير ذلك ؟ قال نعم كان لي أربع بنات وأربعة بنين فزوجتهن من أبنائي فقلت هذا أيضاً حرام ثم قلت هل عندك خير غير ذلك ؟ قال نعم جعلت وليمة للمجوس وقت تزويج البنات لأبنائي فقلت هذا أيضاً حرام فقلت

هل عندك غير ذلك ؟ قال نعم كان عندى بنت من أجمل النساء ما وجدت لها كفؤا فزوجتها من نفسى وجعلت وليمة تلك الليلة وكان فى تلك الليلة من المجوس أكثر من ألف فقلت هذا أيضاً حرام فقلت هل عندك غير ذلك ؟ قال نعم ليلة من الليالى وطئت ابنتى على فراشى فجاءت امرأة مسلمة من أهل دينك تسرج من سراجى فأوقدت السراج فخرجت وأطفأت السراج ثم دخلت ثانيا وأوقدت السراج وخرجت ثم أطفأته فقلت فى نفسى لعل هذه جاسوسة اللصوص فخرجت خلفها فدخلت منزلها فرأيت لها أربع بنات فلما دخلت قلن لها يا أما. هل جئت لنا بشىء فانه لم يبق لنا طاقة وصبر على الجوع ، فدمعت عيناها وقالت لهن استحييت من ربى أن أسأل شيئاً من أحد دونه وأطلب حاجة من عدو الله تعالى وهو مجوسى . قال بهرام فلما سمعت كلامها رجعت إلى دارى فأخذت طبقا وجعلته ملآنا من كل شىء فذهبت به بنفسى إلى دارها وأعطيته إياها ففرحت . قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه قلت هو هذا الخير ولك البشارة وبشرته بالرؤيا التى رأيتها وقصصت عليه الرؤيا . قال بهرام المجوسى : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فخر من ساعته ومات فلم أبرح حتى غسلته وكفنته وصليت عليه . وكان عبد الله بن المبارك يقول ياعباد الله استعملوا السخاوة مع خلق الله تعالى فانه ينقل الأعداء إلى درجة الأحباء وله الملك فى الأرض والسماء غفر الله لنا بحق أعظم الأسماء وبحرمة معاشر الأنبياء (زبدة) قال النبى عليه الصلاة والسلام : « إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل » .

المجلس الحادى والعشرون : فى فضيلة دعاء الجهر والخفية

سورة الأعراف — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أى ذوى تضرع وخفية فان الإخفاء دليل على الاخلاص (إنه لايحب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به فى الدعاء وغيره ، نبه به على أن الداعى ينبغى أن لا يطلب مالا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء ، وقيل هو الصياح فى الدعاء والإسهاب فيه . وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل . ثم قرأ — (إنه لايحب المعتدين) » (قاضى بيضاوى) .

عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسد : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستفتح» أى يطلب الفتح والظفر على الكفار من الله تعالى « بصعاليك المهاجرين » أى بفقرائهم يعنى

ببركة دعائهم بأن يقول اللهم انصرنا على الأعداء بحرمة عبادك الفقراء المهاجرين ، وهذا يدل على تعظيم الفقراء والرغبة فى دعائهم والتبرك بوجودهم (من حسان المصابيح) وقع فى ترغيبات الأبرار : « قوام الدنيا بأربعة أشياء : بعلم العلماء وبعدل الأمراء وبسخاوة الأغنياء وبدعاء الفقراء ، ولولا العلماء لهلك الجهلاء ولولا عدل الأمراء لأكل الناس بعضهم بعضاً كما يأكل الذئب الغنم ، ولولا سخاوة الأغنياء لهلك الفقراء ، ولولا دعاء الفقراء لخربت السماوات والأرض » (موعظة) وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث دعوات مستجابة لاشك فيهن : دعوة الوالد لولده ودعوة المسافر ودعوة المظلوم » حتى روى عن النبى عليه الصلاة والسلام : « اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » يعنى لاأضيع حقك ولاأرد دعاءك ولو مضى زمان طويل لأنى حليم لاأعجل بعقوبة العباد فلعلهم يرجعون عن الظلم والذنوب إلى إرضاء الخصوم والتوبة (مجالس) قيل فى فضيلة الدعاء إن منصور بن عمار كان يعظ الناس فقام سائل فطلب أربعة دراهم ، فقال منصور من يعطيه ما سأله حتى أدعو له أربع دعوات فكان مملوك أسود فى طرف المسجد وكان سيده يهوديا وكان معه أربعة دراهم جمعها فقام وقال : أيها الشيخ أنا أعطيه أربعة دراهم على شرط أن تدعو لى أربع دعوات كما أقول وأزيد ، فقال نعم فأعطاه وقال يا شيخ أنا مملوك فادع لى بالعتق ومولاى يهودى فادع له بالاسلام وأنا فقير فادع لى بالغنى حتى يغنينى الله من فضله عن خلقه وادع الله لى أن يغفر ذنوبى ، فدعا له فلما رجع رأى مولاه فأخبره بالقصة فاستطاب اليهودى ذلك وقال قد أعتقتك من مالى وإلى الآن كنت مولاك فأنت اليوم مولاى فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قد شاركتك فى جميع مالى . وأما الحاجة الرابعة أعنى الغفران فهو ليس فى يدى وإلا كنت أغفر الجميع فسمع هاتفا يقول من السماء من زاوية البيت قد أعتقتكما من النار وغفرت لكما ولمنصور معكما (رونق المجالس) قيل الدعاء من أقوى الأسباب فى رفع المكروه وحصول المرام ولكن قد لايتحقق أثره إما لضعفه لنفسه بأن يكون دعاء لايحبه الله تعالى لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله تعالى وجمعيته عليه وقت الدعاء ، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو والهوى كما روى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال « . . . واعلموا أن الله تعالى لايقبل الدعاء من قلب غافل » (من المواهب) قيل أربعة أشياء تزيد فى العمر : الأول تزوج الأبكار ، والثانى النوم على الشمال ، والثالث الاغتسال بالماء الجارى ، والرابع أكل التفاح بالأسحار .(وحكى) أنه كان رجل من

الصالحين قدضاق حاله من القوت والنفقة وكانت له امرأة فقالت لزوجها ادع الله يوسع علينا الدنيا فدعا الرجل فدخلت المرأة الدار فرأت فى الزاوية لبنة من ذهب فأخذتها ، فقال الرجل أنفق كيف شئت فرأى الرجل في النوم أنه دخل الجنة فرأى قصراً قد نقص بمقدار لبنة قال لمن هذا ؟ قيل لك فقال أين هذه اللبنة ؟ قيل بعثناها إليك ، فانتبه الرجل فقال للمرأة هات اللبنة فأخذها ووضعها عند رأسه ودعا فقال إلهى قد رددتها إليك فردها الله تعالى إلى موضعها ، وكذا قال عليه الصلاة والسلام « ماأخذ أحد لقمة من الدنيا إلا وقد نقص الله تعالى حصته من الآخرة » كما قال الله تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) قال عمر رضى الله عنه : « رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو مضطجع على حصير وقد أثر الحصير فى جنبيه قلت يارسول الله ادع الله فليوسع الدنيا عليك فان ملوك فارس والروم قد وسع عليهم وهم لايعبدون الله ، فقال قد ادخر هذا لنا يا بن الخطاب وهؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى الدنيا » وفى رواية : « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة » وعن عمرو بن شعيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله تعالى شاكراً صابراً : من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ومن نظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله تعالى على ما تفضل به عليه كما قال الله تعالى (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليما) » . وعن شقيق الزاهد رحمة الله عليه أنه قال : اختار الفقراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء : اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب (كذا فى زبدة الواعظين) .

المجلس الثانى والعشرون : فى بيان الإيمان

سورة الأنفال — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنما المؤمنون) أى الكاملون فى الإيمان (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله ، وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه ، وقرئ وجلت بالفتح وهو لغة أى فزعت وخافت (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الدلائل أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون إليه أمورهم ولايخشون ولايرجون إلا إياه (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا) لأنهم حققوا إيمانهم

بأن ضموا إليهم مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي هي المعيار عليها كالصلاة والصدقة ، وحقا صفة مصدر محذوف أي إيماناً حقاً أو مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا (لهم درجات عند ربهم) كرامات وعلو منزلة . وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) أعد لهم في الجنة لاينقطع عدده ولا ينتهي أبداً . (قاضي بيضاوي) .

عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مابقي اسمي في ذلك الكتاب » (شفاء شريف) عن الحسن البصري أنه قال : رأيت أبا عصمة في النام فقلت مافعل الله بك ؟ فقال غفر لي ربي ، فقلت بم ؟ قال ماذكرت حديثا إلا صليت على النبي عليه الصلاة والسلام (زبدة) قوله (إنما) تفيد الحصر . والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم (تفسير الخازن) قوله (وجلت قلوبهم) أي خافت . قال أهل الحق : الخوف على قسمين : خوف العقاب وخوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لأنهم يعلمون عظمته تعالى فيخافون أشد الخوف ، أما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن إذا ذكر الله وجل قلبه على قدر رتبته في ذكر الله تعالى (تفسير الخازن) قوله (زادهم إيمانا) المعنى أنه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك إيمانا وتصديقاً لأن زيادة الإيمان بزيادته وذلك على وجهين : الأول هو الذي عليه عامة أهل العلم على ماحكاه الواحدي أنه قال كلما كانت الدلائل أكثر وأقوى كان إيمانه أزيد لأنه عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد إيمانه . والثاني أنهم يصدقون بكل مايتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الإقرار تصديقاً وإيماناً (تفسير الخازن) قوله (أولئك هم المؤمنون حقاً) فيه دليل على أنه لايجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمناً حقا لأن الله تعالى إنما وصف بذلك أقواماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل واحد لايتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهذا يتعلق بمسألة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلفوا في أنه هل يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقا أو أنا مؤمن إن شاء الله أولا ؟ فقال أصحابنا الحنفية الأولى أن يقول أنا مؤمن حقا ولايجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله ، واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين : الأول أن المتحرك لايجوز أن يقول أنا متحرك إن شاء الله تعالى وكذا القول في القائم والقاعد فكذلك هذه المسألة يجب فيها أن يقول المؤمن أنا مؤمن حقا ولايجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله . والثاني أن الله تعالى قال

(أولئك هم المؤمنون حقا) قد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا وفى قوله أنا مؤمن إن شاء الله شك فيما قطع الله به وذلك لا يجوز (تفسير الخازن) قوله (ومما رزقناهم ينفقون) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « الصدقة تمنع سبعين نوعا من أنواع البلايا أهونها البرص » قوله (لهم درجات) يعنى مراتب بعضها أعلى من بعض لأن المؤمنين تتفاوت أحوالهم فى الأخذ بتلك الأوصاف المذكورة فبهذا تتفاوت مراتبهم فى الجنة لأن درجات الجنة على قدر الأعمال . وقال (عط) : درجات الجنة يرزقون فيها بأعمالهم (ت) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إن فى الجنة مائة درجة ما بين الدرجتين مائة عام » ، وعن سعيد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إن فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن لوسعتهم » (خازن) عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم وتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال هو ذكر الله تعالى » (مصابيح) قيل وإنما كان ذكر الله تعالى أرفع من سائر العبادات كلها لأن سائر العبادات وسيلة إلى ذكر الله فكان ذكر الله هو المطلب الأعلى والمقصد الأقصى إلا أنه ينقسم إلى قسمين : أحدهما ذكر باللسان والآخر ذكر بالجنان فهو غير ملفوظ باللسان ولا مسموع بالآذان بل هو فكر وملاحظة قلب وهو أعلى مراتب الذكر لما جاء فى الخبر « تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة » وهو لا يحصل إلا بمداومة الذكر باللسان مع حضور القلب حتى يتمكن الذكر فى قلبه ويحصل الصرف عن غيره (مجالس رومى) روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لو وزن إيمان أبى بكر مع إيمان أمتى لرجح إيمان أبى بكر » ، وكذلك روى عن أبى هريرة وأنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى قالوا عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا يدل على أن الإيمان يزيد وينقص وحجتنا أن الإيمان عبارة عن التصديق لما ذكرنا من الدلائل وهو لا يقبل الزيادة والنقصان . وأما قوله تعالى فى سورة الفتح « ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » فقلنا ذلك فى حق الصحابة لأن القرآن كان ينزل فى كل وقت فيؤمنون فيكون تصديقهم قلبا زيادة على الأول أما فى حقنا فلا لأنه انقطع الوحى ، وأما قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فقلنا ذلك صفة المؤمنين والمؤمنون فى الطاعات متفاوتون أما فى الإيمان فلا ، وأما قوله تعالى (زادتهم إيمانا) فالمراد منه اليقين لا نفس الإيمان ، وأما حديث أبى بكر فقلنا كان ترجحا فى الثواب لأنه سابق فى الإيمان وقد قال عليه الصلاة والسلام : « الدال على الخير كفاعله » وأما قوله عليه الصلاة والسلام : « يخرج

من النار من كان فى قلبه شعرة من الإيمان » فقلناروى فى بعض الروايات « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » فيجب حمله على هذا بما ذكرنا من الدلائل . (كذا فى بحر الكلام) وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت ؟ قال الإيمان إيمانان ، فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألنى عن قوله (إنما المؤمنون) الآية فوالله لاأدرى أنا منهم أم لا . وعن الثورى من زعم بأنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا إلزام منه يعنى كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثنى فى الايمان ، وكان أبو حنيفة ممن لا يستثنى فيه . وحكى عنه أنه قال لقتادة لم تستثنى فى إيمانك ؟ قال اتباعا لابراهيم عليه الصلاة والسلام فى قوله (والذى أطمع أن يغفر لى) فقال له هلا اقتديت به فى قوله : « أولم تؤمن قال بلى ؟ » (كشاف) واعلم أنهم اختلفوا فى جواز الاستثناء فى الايمان فذهب الشافعى وأصحابه إلى الجواز بأن يقول أنا مؤمن إن شاء الله كما مر هذا الاختلاف فيما سبق وتعلقوا بقول الثورى فانه إذا لم يجز القطع بالايمان جاز أن يقوله وهذا إنما يتم لو كان المراد بالايمان فى الآية مجرد الايمان وليس كذلك بل المراد الايمان الكامل لأن قوله (إنما المؤمنون الذين) يفيد الحصر وكذا قوله (أولئك هم المؤمنون حقا) كما سبق تفصيلها فلو كان المراد مجرد الايمان يلزم من انتفاء إحدى الصفات انتفاء الايمان وليس مراد الحسن من الايمانين إلا مجرد الايمان الكامل فقد ظهر أن لا تعلق لمسألة الاستثناء بالآية أصلا ولم يجوز أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه الاستثناء لأنه يوجب الشك فينافى الايمان الذى هو اليقين وقيل يحمل على التبرك كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) والله تعالى منزه عن الشك ، أو الايمان فى المآل عند الموت . وحاصل هذا النزاع أن الايمان لو أريد به التصديق والعمل جاز الاستثناء لجواز الشك فى الاتيان بالعمل الصالح والشك فى الجزء مستلزم للشك فى الكل ، وإن أريد به مجرد التصديق فان كان المراد بالاستثناء الشك لم يجز وإن كان المراد غيره جاز فاذن النزاع لفظى ، وقوله اتباعا لابراهيم يعنى أن إبراهيم رجا المغفرة ولم يجزم بها ، وهو مشعر بجواز الاستثناء وفيه منع لأن عدم القطع بالمغفرة لا يوجب عدم القطع بالايمان كما مر فى كلام الثورى . وأما قوله (بلى) فهو جزم بالايمان ، كذا فى حاشية الكشاف عليك بمطالعتها ليس فى قولنا انحراف . عن شقيق البلخى أنه قال : كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يمشى فى أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا له يا أبا إسحاق قال الله تعالى فى كتابه (ادعونى أستجب لكم) ونحن منذ دهر ندعو فلا يستجاب لنا . قال يا أهل البصرة ماتت قلوبكم فى عشرة أشياء كيف يستجاب دعاؤكم : الأول عرفتم الله تعالى ولم تؤتوه حقه

والثانى قرأتم القرآن ولم تعملوا به . والثالث ادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه ووافقتموه . والرابع تقولون إنكم من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تعملوا بسنته . والخامس ادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها . والسادس ادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها أنفسكم . والسابع قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له . والثامن اشتغلتم بعيوب إخوانكم ولم تنظروا لعيوب أنفسكم . والتاسع أكلتم نعمة ربكم فلم تشكروا له . والعاشر دفنتم أمواتكم ولم تعتبروا بهم (حياة القلوب) .

المجلس الثالث والعشرون : فى بيان ترك أوامر الله تعالى

سورة الأنفال — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالغلول فى الغنائم (وتخونوا أماناتكم) فيما بينكم ، وهو مجزوم بالعطف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو (وأنتم تعلمون) أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) لأنهم سبب الوقوع فى الإثم أو فى العقاب أو فى محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبى لبابة (وأن الله عنده أجر عظيم) لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه . (قاضى بيضاوى) .

روى فى سبب نزول هذه الآية « أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حاصر يهود بنى قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بنى النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى صلى الله تعالى عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله فى أيديهم فبعثه إليهم فقالوا له ما ترى هل تنزل على حكم سعد ؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح ، قال أبو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت أنى خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله على ؟ فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله هو الذى يحلنى فجاء عليه الصلاة والسلام فحله بيده فقال إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى فقال عليه الصلاة والسلام يجزئك الثلث » أى بأن تتصدق به .

اعلم أن تعطيل السنة الترك لها ، قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ليأتى على الناس زمان تخلق سنتى فيه كما يخلق الثوب على الأبدان وتحدث البدعة فمن اتبع سنتى

يومئذ صار غريبا وبقي وحيداً ومن اتبع بدعة الناس وجد خمسين صاحبا أو أكثر فقالوا يا رسول الله هل بعدنا أحد أفضل منا ؟ قال بلى ؟ قالوا فيرونك يا رسول الله ؟ قال لا قالوا هل ينزل عليهم الوحى ؟ قال لا قالوا فكيف يكونون فيه ؟ قال كالملح فى الماء تذوب قلوبهم كما يذوب الملح فى الماء قالوا كيف يعيشون فى ذلك الزمان ؟ قال كالدود فى الخل قالوا كيف يحفظون دينهم ؟ قال كالجمر فى اليد إن وضعه طفىء وإن أمسكه وعصره أحرق اليد » . فاعتبروا يا أولى الأبصار بقول رسول الله الملك الغفار ، قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « عشرة مما علمهن وعمل بهن أبوكم إبراهيم : خمس فى الرأس وخمس فى الجسد . أما التى فى الرأس فالسواك والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب وإعفاء اللحية ، وأما التى فى الجسد فالختان والاستحداد ونتف الابط وقص الأظفار (٧) ولكل عضو عبادة حتى الختان للذكر قال الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام : إنى عرضت الأمانة عليهن فلم يطقنها فهل أنت آخذها بما فيها ؟ قال يارب وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فحملها آدم عليه الصلاة والسلام فقال الله تعالى إن حملت فأعينك أجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر إلى مالا يحل لك فأغمض حجاب عينيك خوفا من عقابى وأجعل للسانك باباً بمصراعين فاذا خشيت أن تتكلم الفحش فأغلق باب لسانك خوفا من عقابى وأجعل لك أذنين فاذا خشيت أن تسمع الكلام الذى لا يحل لك استماعه فاحفظ أذنيك من الاستماع وأجعل لفرجك لباسا فاذا خشيت أن تكشفه فاستتر به خوفا من عقابى وكف يديك عن الحرام ورجليك عن المشى إلى مالا يحل لك فاذكر عقابى » وهذه المذكورات كلها أمانة الله تعالى (موعظة) قال وهب بن منبه : لما ضرب الدرهم والدينار حملهما إبليس عليه اللعنة وقبلهما ووضعهما على عينيه وقال الويل لمن أحبكما من حلال والويل ثم الويل لمن أحبكما من حرام . قيل « إن رجلا جاء إلى النبى عليه الصلاة والسلام من أرض فسأله عن أرضه فأخبره بسعة أرضه وكثرة النعم فيها فقال عليه الصلاة والسلام له : كيف تفعلون ؟ قال إنا نتخذ ألوانا من الطعام ونأكلها ثم قال تصير إلى ماذا ؟ قال إلى ما تعلم يا رسول الله يعنى تصير بولا وغائطا ، فقال عليه الصلاة والسلام كذلك مثل الدنيا » صدق من روى ونطق . وقال الله تعالى فى أسرار الوحي : يا أحمد لو صلى العبد صلاة أهل السموات والأرض وصام صيام أهل السموات والأرض ثم أرى فى قلبه مقدار ذرة من حب الدنيا من رياستها وزينتها لا يجاورنى فى دارى (موعظة) قال عبد الله بن عمرو بن العاص : أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها فالفرج أمانة والرجل أمانة واليد أمانة واللسان أمانة والعين أمانة والأذن أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له فرض الله

هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال لقوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) قال لهن أتحملن هذه بما فيها ؟ قلن وما فيها ؟ قال إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن قلن يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً قلنا ذلك خوفاً وخشية وتعظيما لدين الله أن لايقمنه لامخالفة لأمره (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا) قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى » وروى أنه عليه الصلاة والسلام جلس يوما يحدث أصحابه فبكوا غير أسامة بن زيد فقال أشكو إليك يارسول الله قسوة قلبي فوضع عليه الصلاة والسلام يده على صدره ثم قال اخرج ياعدو الله ، فبكى ثم قال عليه الصلاة والسلام : « جمود العين من قسوة القلب وقسوة القلب من كثرة الذنوب وكثرة الذنوب من نسيان الموت ونسيان الموت من طول الأمل وطول الأمل من حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة » روى عن فضيل بن عياض قال : جعل الشر كله في بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد ، عليك بتركها تنل الدرجات العليا .

المجلس الرابع والعشرون

في قوله تعالى : والذين يكنزون الذهب والفضة الآية

سورة التوبة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به ، وأن يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ (فبشرهم بعذاب أليم) هو الكي بهما (يوم يحمى عليها في نار جهنم) أي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لأن جمعهم وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية (هذا ما كنزتم) على إرادة القول (لأنفسكم) لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي وبال كنزكم أو ماتكنزونه . (قاضي بيضاوي) .

عن أنس بن مالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرج من عندي جبرائيل آنفا فأخبرني عن ربي عزوجل أنه قال : أي مسلم صلى عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشراً فأكثروا على الصلاة يوم الجمعة فإذا صليتم فصلوا على تعظيما » الحديث ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من آتاه الله مالا ولم يؤد زكاته مثل ماله

يوم القيامة شجاعاً أقرع » وهي الحية التي لاشعر برأسها أي قشر جلد رأسها من كثرة سمها ولها نقطتان سوداوان فوق عينيها « يطوق ذلك الشجاع طوقا في عنقه فيعذبه عذاباً شديداً ويقول أنا مالك الذي كنزته في الدنيا ولم تؤد زكاته كما قال الله تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) » (مشكاة) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من آتاه الله مالا ولم يؤد زكاته إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من النار فأحمي عليها في نار جهنم فتحرق بها — أي بتلك الأموال — جبهته وجنباه وظهره وكلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره ألف سنة كما قال الله تعالى (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » (زبدة الواعظين) يقال إن الله قرن الصلاة بالزكاة في كتابه فقال (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وجه النظم بينهما أن الصلاة حق الله تعالى والزكاة حق العباد ، فالواجب مراعاتهما بأمر الله تعالى ومرجع جميع العبادات إلى هذين فالصلاة عبادة بدنية والزكاة عبادة مالية وجميع العبادات ينقسم إليهما ، ولذا قيل ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل واحدة منها بغير الأخرى : أولها قوله تعالى (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فمن صلى الصلاة ولم يؤد الزكاة لا يقبل منه الصلاة . والثانية قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لا يقبل منه إطاعة الله تعالى . والثالثة قوله تعالى (أن اشكر لي ولوالديك) فمن شكر الله تعالى ولم يشكر لوالديه لا يقبل منه شكره لله تعالى (تنبيه الغافلين) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من منع نفسه عن خمس منع الله عنه خمسا : الأول من منع الزكاة من ماله منع الله حفظ ماله من الآفات . والثاني من منع العشر مما يخرج من الأرض منع الله تعالى البركة من كل كسبه . والثالث من منع الصدقة منع الله تعالى عنه العافية . والرابع من منع الدعاء لنفسه منع الله تعالى عنه الإجابة . والخامس من منع الحضور مع الجماعة منع الله عنه كمال الإيمان فلا يكون إيمانه كاملا » (زبدة الواعظين) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا أمراضكم بالصدقة واستقبلوا أنواع البلايا بالدعاء والتضرع » صدق رسول الله فيما قال . وروى الحسن عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يحدث هذا الحديث لأصحابه فمر عليه نصراني فسمع هذا الحديث فذهب وأدى زكاته وكان له شريك خرج للتجارة إلى مصر فقال إن كان محمد صادقا في قوله يظهر صدقه ويصير مالي مع شريكي محصنا وأسلم وأومن به ، وإن ظهر كذبه فأخرج عليه بالسيف فأقتله فاذ قد ورد من القافلة مكتوب أن اللصوص قد قطعوا علينا الطريق وسلبوا أموالنا ولباسنا وكل شيء معنا فسمع النصراني بذلك فاضطرب حاله وقال فيه ما قال فخرج عليه بالسيف بنية القتل فبعد ذلك ورد مكتوب آخر من شريكه أن لا تحزن ولا تهتم أنا كنت في خلف القافلة فوقع عليهم اللصوص

وأنا فى السلامة ومعى جميع مالنا فلما قرأ النصرانى مكتوبه قال إنه صادق ونبي حق فجاء إليه فقال يارسول الله اعرض على الإسلام فآمن وتشرف بشرف الإسلام (روضة العلماء) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان يوم القيامة خرج شيء من جهنم اسمه حريش من ولد العقرب طوله مابين السماء والأرض وعرضه من المغرب إلى الشرق ، فيقول جبرائيل عليه الصلاة والسلام إلى أين تذهب ياحريش ؟ فيقول إلى العرصات فيقول : لمن تطلب ؟ فيقول أطلب خمسة نفر الأول تارك الصلاة والثانى مانع الزكاة والثالث عاق الوالدين والرابع شارب الخمر والخامس المتكلم فى المسجد كما قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) » (زبدة الواعظين) وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال لأن أدفع من فوق قصر فأنكسر أحب إلى من مجالسة الغنى لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم ومجالسة الموتى قيل يارسول الله ومن الموتى ؟ قال الأغنياء » وكذا قال عليه الصلاة والسلام « اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء » كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إنى رأيت الجنة فرأيت الفقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون الجنة سعيا ولم أر من الأغنياء من يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المبشرة بالجنة » والعشرة المبشرة بالجنة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .
وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت عليهم يقول الله تعالى وعزتى وجلالى لأبعدنهم ولأقربنكم وتلا رسول الله (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) » (وحكى) أنه قيل لبعض أهل المعرفة كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم قال أما على العوام فأمر الشرع على كل مائتين خمسة وأما نحن فيجب علينا بذل جميع المال لقوله تعالى (وأنفقوا مما رزقناكم) وسئل الشبلى رحمه الله تعالى فقيل ما الفرائض ؟ قال محبة الله تعالى ، قيل وما السنن ؟ قال ترك الدنيا ، قيل وما مقدار الزكاة ؟ قال بذل الجميع فقيل أليس خمسة دراهم من مائتى درهم ؟ قال ذلك على البخلاء قال له السائل من إمامك فى هذا المذهب قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث تصدق بجميع ماله فجلس فى كساء حتى جاء جبرائل بكساء مثله فقال له السائل هل لك حجة فى القرآن ؟ قال نعم هى قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية ومن باع ماله فعليه تسليمه والأموال اسم عام . حكى أن قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب

ابن إسحق بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان ابن عم موسى وكان يقرأ التوراة عن قلبه ولكن ينافق لموسى عليه السلام كما نافق السامرى له وكان عاملا لفرعون ويؤذى موسى عليه الصلاة والسلام كل وقت وهو يداريه لقرابته فلما نزلت آية الزكاة صالحه من كل ألف دينار على دينار ومن كل ألف درهم على درهم والحال أن الزكاة عليهم كانت إخراج ربع المال فجمعها فصارت كالتل فرآها كثيرة فمنعها من البخل ، ولذا قيل كان يحمل مفاتح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح لايزيد المفتاح على أصبع فقال لبنى إسرائيل إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فأمر بما شئت فقال ائتونى بفلانة الزانية حتى ترميه بنفسها فجاءوا بها فجعل قارون لها ألف دينار وقال لها قولى إن موسى وطئنى وأنا حامل منه فجمع قارون الناس وكان اليوم يوم عيد لهم فقال قارون لموسى عليه الصلاة والسلام عظنا وأوجز فوعظ موسى عليه الصلاة والسلام فقال فى أثناء كلامه : من سرق قطعنا يده ومن قذف جلدناه ومن زنا وهو محصن رجمناه ، فقال قارون وإن كنت أنت ؟ فقال وإن كنت أنا ، فقام وقال إن بنى إسرائيل يزعمون أنك زنيت بفلانة فقال ادعها فأحضرت وحلفها موسى عليه الصلاة والسلام فقال بالذى خلقك وخلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله تعالى ووفقها فقالت ياموسى أنت برىء مما يقول ، إن قارون جعل لى ألف دينار على أن أقذفك بنفسى وأخاف من الله تعالى أن أقذف رسوله فخر موسى ساجداً يبكى فقال يارب إن كنت نبيك حقا فأغثنى فأوحى الله تعالى إليه ياموسى إنى جعلت الأرض مسخرة فى أمرك فمرها ماشئت ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام من كان مع قارون فليثبت معه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزل الناس كلهم إلا رجلين فقال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم قال ثانيا خذيهم فأخذتهم إلى أوساطهم وهم يتضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ثم قال ثالثا خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم وهم يتضرعون اليه وموسى عليه السلام لايلتفت إليهم لشدة غضبه فقال رابعاً خذيهم فانطبقت الأرض عليهم ، فأصبح بنو إسرائيل يتناجون بينهم فقالوا إنما دعا موسى على قارون ليرث داره وكنوزه ، فسمع موسى عليه الصلاة والسلام ذلك فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله كما قال الله تعالى (فخسفنا به وبداره الأرض) فهو يتحرك وينحب كل يوم مقدار قامة رجل حتى إذا بلغ قعر الأرض الأسفل بقى إلى يوم ينفخ فى الصور (مشكاة) قيل كان قارون يخرج فى زينته على بغلة بيضاء عليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهم الحلى والديباج فتكبر على موسى عليه الصلاة والسلام بتكذيبه ومخالفة أمره فخسف الله به وبداره الأرض (موعظة) قال عليه الصلاة والسلام : رأيت ليلة المعراج وراء جبل قاف مدينة مملوءة من

بنى آدم فلما رأونى قالوا الحمد لله الذى أرانا وجهك يا محمد فآمنوا بى وعلمتهم أحكام الشريعة وبعد ذلك سألت منهم من أنتم ؟ قالوا يا محمد نحن قوم من بنى إسرائيل فلما مات موسى عليه الصلاة والسلام وقع الاختلاف بين بنى إسرائيل وظهر الفساد فقتلوا فى ساعة واحدة ثلاثة وأربعين نبيا وبعد قتل الأنبياء ظهر مائتا رجل عابد زاهد وأمروا الناس بالمعروف ونهوهم عن المنكر وفى ذلك اليوم قتلهم بنو إسرائيل كلهم فظهر بينهم فساد قوى ونحن خرجنا من بينهم وجئنا إلى ساحل البحر ودعونا الله أن يخلصنا من فسادهم فبينما نحن ندعوا ونتضرع إذ تقببت الأرض ووقعنا وكنا تحت الأرض ثمانية عشر شهراً وبعد ذلك خرجنا إلى ذلك المكان وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد وصانا إذا رأى أحدكم وجه محمد عليه الصلاة والسلام نبي آخر الزمان فسلموا عليه منى ، فقالوا الحمد لله الذى أرانا وجهك فعلمنا فعلمهم النبي عليه الصلاة والسلام القرآن والصلاة والصوم وأداء صلاة الجمعة وسائر الأحكام (حامية من يس شريف) .

المجلس الخامس والعشرون : فى فضيلة رجب

سورة التوبة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن عدة الشهور) أى مبلغ عددها (عند الله) معمول عدة لأنها مصدر (اثنا عشر شهراً فى كتاب الله) فى اللوح المحفوظ أو فى حكمه وهو صفة لاثنا عشر ، وقوله (يوم خلق السموات والأرض) متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدرا . والمعنى إن هذا أمر ثابت فى نفس الأمر منذ خلق الله الأجرام والأزمنة (منها أربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) أى تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القيم دين إبراهيم وإسماعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما فكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه وأخيه لم يهجه (فلا تظلموا فيهن) فى الحرم (أنفسكم) أى بهتك حرمتها وارتكاب حرامها ؛ والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه أعظم وزراً كارتكابها فى الحرم وحال الإحرام . وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا فى الحرم والأشهر الحرم الآن يقاتلوا ، ويؤيد الأول ماروى أنه عليه الصلاة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعاً ، وهى مصدر كف عن الشىء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا أن الله مع المتقين) شهادة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأيت ليلة المعراج نهراً ماؤه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب من المسك فقلت لجبرائيل ياجبرائيل لمن هذا ؟ قال لمن صلى عليك

فى رجب. قال عليه الصلاة والسلام أنيبوا إلى ربكم واستغفروا من ذنوبكم واجتنبوا المعاصى فى الشهر الحرام وهو رجب كما قال الله تعالى (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيـه قل قتال فيه كبير) » الآية ، فيه تقديم وتأخير . يعنى يسئلونك يا محمد عن القتال فى الشهر الحرام هل يجوز أو لا (قل قتال فيه كبير) والغدر فيه أقبح لحرمته عند الله ، كما أن الطاعة مضاعفة فيه وصيامها حراماً لتحريم القتال ثم نسخ تحريم القتال فيهن بقول الله تعالى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) والحرمة باقية والذنوب مغفورة والطاعة مقبولة وثوابها مضاعف فى الشهر الحرام لأن الحسنة الواحدة فى سائر الشهور بعشرة أمثالها كما قال الله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) الآية ، وفى رجب بسبعين وفى شعبان بسبعمائة وفى رمضان بألف وليس إضعاف الحسنة إلا لهذه الأمة خاصة (خزينه العلماء) قال النبى عليه الصـلاة والسلام « إن أردتم الراحة وقت الموت من العطش والخروج مع الإيمان والنجاة من الشيطان فاحترموا هذه الشهور كلها بكثرة الصيام والندم على ماسلف من الآثام واذكروا خالق الأنام تدخلوا جنة ربكم بسلام » (زهرة الرياض) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنـه أنه قال : لقيت معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنـه فقلت له من أين جئت يا معاذ ؟ قال جئت من عند النبى عليه الصلاة والسلام ، فقلت ما سمعت منه ؟ قال سمعت من قال لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً دخل الجنـة ، ومن صام يوما من رجب يبتغى به وجه الله دخل الجنـة ثم دخلت على رسول الله فقلت يا رسول الله إن معاذاً أخبرنى بكذا وكذا فقال عليه الصلاة والسلام« صدق معاذ » (زهرة الرياض) واعلم أن ما سيتلى من القصص اللطيفة والكلام الشريف عن خاتم النبوة . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى خطبة يوم النحر فى حجـة الوداع « ألا إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليـة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان »والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة . يعنى أن الزمان الذى انقسم إلى الشهور والأعوام عاد إلى ما كان عليـه ورجعت السنة إلى أصل الحساب الذى اختاره الله تعالى يوم خلق السموات والأرض وعاد الحج إلى ذى الحجة بعد ما كان أهل الجاهلية أزالوه من محله بالنسىء الذى أحدثوه وهو النسىء الذى ذكره الله تعالى فى كتابه وقال (إنما النسىء زيادة فى الـكفر) ومعناه تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر فإنهم فى الجاهليـة كانوا يعظمون الأشهر الحرم وراثة من إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فـكانوا يحرمون فيها القتال حتى أحدثوا النسىء فغيروا التحريم لأنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم ، فكانوا يحرمون من شهور

العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها، وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين، وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر وأربعة عشر شهراً . ويروى أنه أحدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارات . وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية فكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحلل فحرموه ، جعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفراً (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيماناً (فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) (كشاف) ليتسع لهم الوقت ولذلك ورد التنصيص على العدد في القرآن والحديث أما القرآن فما سبق آنفا وهو قوله تعالى (إن عدة الشهور) الآية . وأما الحديث فإنه عليه الصلاة والسلام بين فيه أن السنة اثنا عشر شهرا وإنما هي أشهر مقدرة بسير الشمس كما يفعل أهل الكتاب ، ومن هذه الأشهر القمرية أربعة حرم ثلاثة منها متواليات وهي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو شهر رجب ، وإنما أضيف إلى مضر فيما سبق في الحديث لأن قبيلته كانت تزيد في تعظيمه واحترامه ولذلك نسب إليهم ، وقد كان فيه لأهل الجاهلية أحكام : منها أنهم كانوا يحرمون فيه القتال على ما سبق فكان تحريمه جاريا في ابتداء الاسلام . واختلف العلماء في بقائه ، وذهب الجمهور إلى النسخ ، واستدلوا عليه بأن الصحابة اشتغلوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام بفتح البلاد ومواصلة القتال والجهاد فلم ينقل عن واحد منهم أنه توقف عن القتال في شيء من الأشهر الحرم وهذا يدل على إجماعهم على نسخه ، ومنها أنهم كانوا في الجاهلية يذبحون فيه ذبيحة يسمونها عتيرة . واختلف العلماء في حكمها بعد الاسلام فالأكثرون على أن الاسلام أبطلها لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : « لا فرع ولا عتيرة » والفرع بفتحتين أول ولد تلده الناقة فكان أهل الجاهلية يذبحونه لآلهتهم في الجاهلية ويتبركون به . والعتيرة ذبيحة كانت تذبح في العشر الأول من رجب وتسمى رجبية وكان يتقرب بها أهل الجاهلية في الجاهلية وأهل الاسلام في صدر الاسلام ثم نسخت بحديث « لا فرع ولا عتيرة » . وقد روى عن الحسن رضي الله تعالى عنه أنه قال : ليس في الاسلام عتيرة وإنما كانت العتيرة في الجاهلية كان أحدهم يصوم رجبا ويعتر فيه ويشبه الذبح فيه باتخاذه موسم عيد . وروى عن طاوس رضي الله تعالى عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « لا تتخذوا شهراً عيداً ولا يوماً عيداً » وأصل هذا أن المسلمين لا يجوز لهم أن يتخذوا وقتا من الأوقات عيداً إلا ما جاءت الشريعة باتخاذه عيداً . وهو في الأسبوع يوم الجمعة وفي العام يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام

التشريق ، وأما ما عدا ذلك فاتخاذه عيداً وموسماً بدعة لا أصل له فى الشريعة المحمدية بل هو من أعياد المشركين وقد كانت لهم أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الاسلام أبطلها الله تعالى وعوض من أعيادهم الزمانية عيد الفطر وعيد النحر وأيام التشريق ، وعن أعيادهم المكانية الكعبة وعرفات ومنى ومزدلفة يسر نا الله زيارتها ، وليس من غير هذه المواسم موسم ولا من هذه الأماكن مكان إلا وفيه لله تعالى وظيفة من وظائف طاعاته يتقرب بها إليه ولطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يشاء من عباده بفضله ورحمته ، فالسعيد من اغتنم هذه المواسم والأماكن وتقرب فيها إلى مولاه بما شرع فيها من وظائف الطاعات حتى يصيبه نفحة من تلك النفحات ويأمن بها من عذاب النار وما فيها من اللفحات . وأما الصوم فيه فقد ورد فيه أحاديث من جملتها ما رواه البيهقى فى شعب الايمان عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « فى الجنة نهر يقال له رجب أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله تعالى من ذلك النهر » هذا فى صيام بعضه . وأما صيام كله فلم يصح فيه بخصوصه شىء عن النبى عليه الصلاة والسلام ولا عن أصحابه وإنما ورد فى صيام الأشهر الحرم كلها ورجب أحدها فيلزم أن لا ينهى عن صومه . وقد روى عن أبى قلابة رضى الله تعالى عنه أنه قال : فى الجنة قصر لصوام رجب . قال البيهقى إن أبا قلابة رضى الله تعالى عنه من كبار التابعين ولا يقول مثله إلا عن بلاغ عمن فوقه عمن يسمع عن النبى عليه الصلاة والسلام ، نعم قد روى عن ابن عباس أنه كره أن يصام رجب كله وكرهه الامام أحمد أيضاً وقال يفطر منه يوماً أو يومين وحكاه عن عمر وابن عباس رضى الله تعالى عنهم لكن تزول كراهة صومه بأن يصوم معه شهراً آخر ، وقد قال الماوردى فى الاقناع : يستحب صوم رجب وشعبان . وأما الصلاة فيه فلم يثبت فيها ما يختص به كما ذكرنا تفصيلها فيما سبق (من مجالس الرومى) وقال ابن الهمام رحمة الله تعالى عليه : ما تردد من العبادات بين الواجب والبدعة يؤتى به احتياطا وما تردد بين السنة والبدعة يترك لأن ترك البدعة لازم وأداء السنة غير لازم فتلك الصلاة مما تردد بين السنة والبدعة فتعين تركها ولا يحل لأحد فعلها لا منفرداً ولا جماعة لأن الجماعة فيها بدعة أيضاً (وهذا من مجالس الرومى فى موضع آخر) روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال : إذا مضى ثلث الليل من رجب فى أول جمعة لا يبقى ملائكة فى السموات ولا فى الأرض إلا ويجتمعون فى الكعبة فينظر الله تعالى إليهم ويقول يا ملائكتى اسألوا ما شئتم فيقولون ربنا حاجتنا أن تغفر لمن صام رجب فيقول الله تعالى قد غفرت لهم ، وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : قال النبى عليه الصلاة والسلام « كل الناس جياع يوم القيامة إلا الأنبياء وأهليهم وصائم رجب وشعبان ورمضان فانهم شباع لا جوع لهم ولا عطش ».

(زبدة الواعظين) حتى أن امرأة فى بيت المقدس كانت عابدة فاذا جاء رجب تقرأ كل يوم (قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرة تعظيما له وكانت تنزع اللباس الأطلس وتلبس الثياب البالية فمرضت فى رجب وأوصت ابنها بأن يدفنها فى ثياب بالية فكفنها بثياب مرتفعة رياء للناس فرآها فى النوم فقالت يا بنى لم تأخذ وصيتى وأتاعنك غير راضية فانتبه فزعاً ونبش قبرها فلم يجدها فى قبرها وتحير وبكى بكاء شديداً فسمع نداء يقول أما علمت أن من عظم شهرنا رجب لم يترك فى القبر فريداً وحيداً (زبدة الواعظين) .

المجلس السادس والعشرون : فى فضيلة السخاء

سورة التوبة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) نزلت فى ثعلبة ابن حاطب أتى النبى عليه الصلاة والسلام وقال ادع الله لى أن يرزقنى مالا فقال عليه الصلاة والسلام: يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال : والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه النبى عليه الصلاة والسلام فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال: يا ويح ثعلبة ، فبعث عليه الصلاة والسلام مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيى فنزلت . فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبى عليه الصلاة والسلام إن الله منعنى أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هـذا جزاء عملك قد أمرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله عليـه الصلاة والسلام فجاء بها إلى أبى بكر فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمن عثمان (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) منعوا حق الله منه (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الإعراض عنها . (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبى عليـه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة رضى الله عنها : « يا عائشة لا تنامى حتى تعملى أربعة أشياء حتى تختمى القرآن وحتى تجعلى الأنبياء لك شفعاء يوم القيامة وحتى تجعلى المسلمين راضين عنك وحتى تجعلى حجة وعمرة ، فدخل عليـه الصلاة والسلام فى الصلاة فبقيت على فراشى حتى أتم الصلاة . فلما أتمها قالت يا رسول الله فداك أبى وأمى أمرتنى بأربعة أشياء لا أقدر فى هذه الساعة أن أفعلها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليـه وسلم وقال : إذا قرأت (قل هو الله أحد) ثلاثا فكأنك ختمت القرآن ، وإذا صليت على وعلى الأنبياء من قبلى فقد صرنا لك شفعاء يوم القيامة ، وإذا استغفرت للمؤمنين فكلهم

يرضون عنك ، وإذاقلت سبحان اللهوالحمد لله ولاإله إلاالله والله أكبر فقد حججت واعتمرت »
(تفسير حق) روى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه فى سبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن حاطب الأنصارى كان ملازما لمسجد رسول اللهليلاونهاراً ، وكانت جبهته كركبة البعيرمن كثرة السجود على الأرض والحجارة فيوماً من الأيام خرج من المسجد من غير لبس واشتغال بالدعاء والصلاة ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام مالك تعمل عمل المنافقين بتعجيل الخروج ؟ فقال يا رسول الله خرجت حيث لى ولامرأتى ثوبواحد وهو الذى على فأنا أصلى فيه وهى عريانة فى البيت ثم أعود إليها فأنزعه وهى تلبسه فتصلى فيه فادع اللهلى أن يرزقنى مالا ، فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبةقليلتؤدى شكرهخير من كثير لا تطيقه ، ثم أتاه بعد ذلك ثانيا فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال عليــه الصلاة والسلام أما لك فى رسول الله أسوة حسنة ؟ والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ، ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا والذى بعثك بالحق نبيا لئن رزقنى الله تعالى مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعا عليــه الصلاة والسلام وقال اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها وهى تنمو كما ينمو الدود وكان يصلى معه عليــه الصلاة والسلام الظهر والعصر ويصلى سائر الصلوات فى غنمه ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينــة فصار لا يشهد إلا الجمعة ، ثم كثرت فتباعد أيضاً حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة وإذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس ويسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله صلى الله عليــه وسلم ذات يوم فقال : ما فعل ثعلبة ؟ قالوا يا رسول الله اتخذ غنما مايسعها واد ، فقال ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقات فبعث رسول الله رجلين لأخذ الصدقات فاستقبلهما النـاس بصدقاتهم حتى أتيا ثعلبة فطلبا منه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله الذى فيه الفرائض فلم يعطها وقال ما هــذه إلا جزية أو أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيى وأتفكر تفكرى ، فلما رجعا إلى النبي عليــه الصلاة والسلام قال لهما رسول الله قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين ثم أنزل الله تعالى هــذه الآية فى سورة التوبة وعنده عليــه الصلاة والسلام رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج حتى أتى النبي عليــه الصلاة والسلام وجاءه بالصدقة فقال عليــه الصلاة والسلام إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقــال هــذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فجاء بها الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال اقبل صدقتى فأبى أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله تعالى عليــه وسلم

وأنا أقبلها فلم يقبلها ، ثم جاء بها إلى عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته فقال اقبل صدقتى فقال لم يقبلاها منك وأنا أقبلها ولم يقبلها ، ثم جاء بها إلى عثمان رضى الله تعالى عنه فقال اقبل صدقتى فقال لم يقبلوها منك وأنا أقبلها ولم يقبلها وهلك ثعلبة فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وكل هذه العقوبة من البخل وحب المال وترك الزكاة ومن أجل أن خلف الوعد سبب للنفاق جعل خلف الوعد ثلث النفاق وهذا إشارة إلى أن « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » (ابن كمال باشا وحياة القلوب) . روى « أنهم سألوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالوا يارسول الله إذا خرجت من الدنيا فظهر الأرض خير لنا أم بطن الأرض ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطنها خير لكم من ظهرها » (موعظة) عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « السخاء شجرة أصلها فى الجنة وأغصانها متدليات فى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدته إلى الجنة ، والبخل شجرة أصلها فى النار وأغصانها متدليات فى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدته إلى النار » وقال عليه الصلاة والسلام : « تصدقوا عن أنفسكم وعن موتاكم ولو بشربة ماء فان لم تقدروا على ذلك فبآية من كتاب الله فان لم تعلموا شيئا من كتاب الله فادعوا بالمغفرة والرحمة فقد وعدكم بالإجابة » (حياة القلوب) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولايقبل الله إلا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » والمراد بذلك يعظم ذاتها ويبارك فيها ويزيدها من فضله حتى تثقل فى الميزان . ومصداق هذا الحديث فى سورة البقرة (يمحق الله الربا) أى يذهب الله بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه الربا ولايقبل منه فعل الخير (ويربى الصدقات) أى يزيدها ويبارك فيها فى الدنيا ويضاعف الثواب فى الآخرة . سؤال : لم جعل ثواب الصدقة أفضل من سائر الأعمال . جواب : لأن إعطاء المال أشد على النفس من سائر الأعمال وكل عمل مشقته أكثر فثوابه أكثر لما روى عنه عليه الصلاة والسلام « أفضل الأعمال أحمزها » كما قال الله تعالى فى آل عمران (لن تنالوا البر) أى لن تبلغوا حقيقة البر (حتى تنفقوا مما تحبون) أى حتى تصدقوا من أموالكم التى تحبونها (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) أى الله تعالى يعلمه ويجازى عليه . أخرج مج عن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة

ذكركم له تعالى ، وأكثروا الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا » (خادمى) .
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « الصدقة تسد سبعين باباً من السوء » الصدقة على أربعة أوجه الواحدة بعشر والواحدة بسبعين والواحدة بسبعمائة والواحدة بسبعة آلاف . أما الواحدة بعشر فهو أن يدفعها إلى الفقراء ، وأما الواحدة بسبعين فهو أن يدفعها إلى ذى الرحم ، والواحدة بسبعمائة فهو أن يدفعها إلى الإخوان ، وأما الواحدة بسبعة آلاف فهوأن يدفعها إلى طالب العلم ويؤيد هذا قوله تعالى فىسورة البقرة (مثل الذين ينفقون أموالهمفى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبةوالله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وعن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « من كان له مال فليتصدق بماله ومن كان له علم فليتصدق بعلمه ومن كان له قوة فليتصدق بقوته » (جامع الأزهار) وعن أنس رضى الله تعالى عنهأنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لما خلق الله تعالى الأرض تحركت ومادت فخلق الجبال فوضعهاعليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يارب هل من خلقك شىء أشدمن الجبال ؟ قال نعم الحديد فقالوايارب هل منخلقكشىء أشد من الحديد ؟ قال نعم النار فقالوا يارب هل من خلقك شىء أشد من النار ؟ قال نعم الماء فقالوا يارب هل من خلقك شىء أشد من الماء ؟ قال نعم الريح فقالوا يارب هل من خلقك شىء أشد من الريح ؟ قال نعم ابن آدم يتصدق صدقة بيمينه يخفيها عن شماله فهو أشد منه » وإنما كانت الصدقة الموصوفة أشد من الريح الأشد مما قبله لأن صدقة السر تطفىء غضب الرب الذى لايقابله شىء كما قال الله تعالى (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وبهذا السبب بالغ السلف فى إخفاء صدقتهم عن أعين الناس حتى طلب بعضهم فقيراً أعمى لئلا يعلم أحد من المتصدق وبعضهم ربطها فى ثوب الفقير نائماً وبعضهم ألقاها فى طريق الفقير ليأخذها (موعظة) حكى أنه وقع القحط فى بنى إسرائيل فدخل فقير على باب غنى فقال تصدقوا بقطعة خبز لوجه الله تعالى فأخرجت إليه ابنة الغنى خبزا حاراً فدفعته إليه وجاء الغنى المشئوم داره فقطع يد بنته فحول الله حاله وأذهب ماله وافتقر ومات فى حال ذلك وبنته تدور بين الأبواب سائلة وكانت جميلة فجاءت يوماً إلى باب غنى فخرجت والدة الغنى فنظرت إليها وإلى جمالها وأدخلتها بيتها فقصدت تزوجها ابنها فلما تزوجها زينتها وقدمت إليها مائدة بالليل فأخرجت هذه الابنة يدها اليسرى لتأكل مع زوجها فقال لقد سمعت بأن الفقير يكون قليل الأدب أخرجى يدك اليمنى فأخرجت يدها اليسرى مرة أخرى فردد عليها مرات فهتف هاتف من زاوية البيت أخرجى يدك اليمنى ياأمق لقد أعطيت الخبز لأجلنا ولا جرم نعطيك يدك فأخرجت يدها اليمنى بالالتئام بقدرة الله

تعالى وأكلت مع زوجها (وحكى) أنه كان فى بنى إسرائيل قحط شديد سنين متوالية وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعتها فى فمها لتأكلها فنادى سائل فى الباب لله لقمة فأخرجتها من فمها فدفعتها إلى السائل ثم خرجت إلى الصحراء لتحتطب وكان لها ابن صغير معها فيها فجاء الذئب فحمله وذهب فوقعت الصيحة فذهبت الأم فى أثر الذئب فبعث الله تعالى جبرائيل فأخرج الصبى من فم الذئب فدفعه إلى أمه وقال لها ياأمة الله أرضيت لقمة بلقمة (كذا فى تفسير الحق).

المجلس السابع والعشرون : فى بيان الرزق

سورة هود — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه تفضلا ورحمة وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملا على التوكل فيه (ويعلم مستقرها ومستودعها) أماكنها فى الحياة والممات والأصلاب والأرحام أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من الواد والمقار حين كانت بعد بالقوة (كل) كل واحد من الدواب وأحوالها (فى كتاب مبين) مذكور فى اللوح المحفوظ ، وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها ، وبما بعدها بيان كونه قادراً على الممكنات بأسرها تقريراً للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد . (قاضى بيضاوى).

دفع الله عنا بلاءه الجلى والخفى . وفى الحديث « لاصلاة لمن لم يصل على » قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل على مرة فى عمره . وفى حديث أبى جعفر عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من صلى صلاة لم يصل فيها على وعلى أهل بيتى لم تقبل منه » . قال الدارقطنى الصواب أنه من قول أبى جعفر الصادق محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم : لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبى ولا على أهل بيته لرأيت أنها لاتتم (شفاء شريف) قال الشيخ الأستاذ الإمام أحمد . إنه عليه الصلاة والسلام تزوج بامرأة وزفها إلى بيته وعمل وليمة وجمع أصحابه فى داره ، وكان الطعام قليلا ، وكانو يلحسونه لكونه مانعا من قلة الدقيق فيتحدث كل واحد منهم شيئاً والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى ، فلما فرغ قال فيم أنتم تتحدثون ؟ قالوا فى باب الرزق ، فقال عليه الصلاة والسلام ألا أحدثكم بحديث حدثنى به جبرائيل ؟ فقالوا يارسول الله نعم قال عليه الصلاة والسلام : حدثنى جبرائيل أن أخى سليمان كان يصلى على شاطىء البحر فرأى نملة تسير وفى فمها ورقة خضراء فصاحت على شاطىء البحر فخرج ضفدع وحملها على ظهره وغاص بها ، ثم بعد ساعة علت النملة فوق الماء وجاءت فقال سليمان أخبرينى بالقصة ، فقالت فى أسفل هذا البحر صخرة صماء وفى وسطها دودة قد جعل الله رزقها إلى فكل يوم أحمل مارزقها

الله تعالى إليها مرتين وخلق لى فى هذا البحر ملـكا على صورة ضفدع فيحملنى فيغوص فى البحر حتى يضعنى على تلك الصخرة فتنشق حتى تخرج تلك الدودة منها فأطعمها مما يكون معى ثم تحملنى الضفدع إلى رأس الماء ، فـكلما أكلت الدودة رزقها قالت سبحان الذى خلقنى وفى البحر صيرنى ولم ينسنى بالرزق أفينسى أمة محمد من الرحمة ؟ » (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (رونق المجالس) اعلم أن الله تعالى لما ذكر فى الآية الأولى أنه يعلم مايسرون وما يعلنون أردفه بما يدل على كونه عالما بجميع المخلوقات وما خصت به من المهمات . وفى الآية مسائل : المسئلة الأولى قال الزجاج الدابة اسم لـكل حيوان لأن الدابة اسم مأخوذ من الدبيب ، وبنيت هـذه اللفظة على هاء التأنيث وأطلقت على كل حيوان ذى روح مذكراً كان أو مؤنثا إلا أنه بحسب عرف العرب اختص بالفرس والمراد بهذا اللفظ فى هـذه الآية الوضع الأصلى اللغوى فيدخل فيه جميع الحيوانات وهذا متفق عليه بين المفسرين ، ولا شك أن أقسام الحيوانات وأنواعها كثيرة وهى الأجناس التى تـكون فى البر والبحر والجبال والله يحصيها دون غيره والله تعالى عالم بكيفية طبائعها وأعضائها وأحوالها وأغذيتها وسمومها ومساكنها وما يوافقها وما يخالفها ، وهو المدبر لأطباق السموات والأرض (من التفسير الـكبير) وتحرير السؤال أن الرزق تفضل من الله. وكلمة على للوجوب فيتنافيان . والجواب أنه تفضل فى المرتبة الأولى ، ثم لما ضمن وتـكفل به صار واجباً . فى المرتبة الثانية فلا منافاة كما فى نذور العباد . فإن الصوم مثـلا كان تبرعا فإذا نذره كان واجبا وقال الإمام : الرزق واجب بحسب الوعد والفضل والإحسان ، ومعناه أن الرزق باق على تفضله لـكن لما وعد به وهو لايخلف بما وعد صور بصورة الوجوب لفائدتين : إحداهما التحقق لوصوله . والثانية حمل العباد فيه على التوكل عليه (حاشية الـكشاف) روى أن الإمام الزاهدى أراد أن يتيقن يقيناً فى الرزق فخرج إلى برية وقصد جبلا ثم دخل غاراً وقعد فى زاوية الغار قال وكنت أنظر كيف يرزقنى ربى فضلت قافلة من طريقها ، فجاء المطر عليهم فطلبوا أكناناً يدخلونها فدخلوا الغار الذى هو فيـه فرأوه ، فقالوا يا عبد الله فلم يجبهم فقالوا ربما وجد البرد فلم يقدر على الـكلام فأوقدوا ناراً بقربه حتى دفئوه وكلموه فلم يجبهم فقالوا ربما جاع الفقير فقدموا إليه سفرة فأشاروا إليه فلم يتناول منها شيئاً ، فقالوا هـذا من مدة مديدة لم يجد شيئاً فاطبخوا له لبنا حاراً حتى يأكله فعملوا فالوذجا من السكر وقدموه إليه ، فلم يلتفت إليه ، فقالوا قد اشتبكت أسنانه ، فقام من جملتهم رجلان وأخذا سكينا ليفتحا فمه ففتحافه وطرحا اللقمة فى فمه فضحك فقالا له أنت مجنون ؟ فقال لا ولـكن أردت أن أجرب ربى فى رزقى فعلمت أنه يرزقنى ويرزق عبده حيث كان وأين كان وكيف كان (رونق المجالس) .

(حكاية) حكى أن إبراهيم بن أدهم كان سبب توبته أنه كان يوماً من الأيام قد خرج إلى الصيد فنزل منزلا وبسط السفرة ليأكل الطعام ، فبينما هو كذلك إذ جاء غراب وأخذ منها قطعة خبز بمنقاره وطار فتعجب من ذلك فركب فرسه وذهب خلف الغراب حتى صعد الغراب الجبل وغاب عن عينه فصعد إبراهيم بن أدهم الجبل لطلبه فرأى من بعيد ذلك الغراب فلما دنا إبراهيم طار الغراب ورأى رجلا مشدود اليد والرجل مضطجعا على قفاه ، فلما رأى إبراهيم ذلك الرجل على هذه الحالة نزل عن فرسه وحل عقده فسأله عن حاله وقصته ، فقال الرجل إنى كنت تاجراً فأخذنى قطاع الطريق وأخذوا ما كان معى من المال وما قتلونى ولكن شدونى وطرحونى فى هذا الموضع سبعة أيام فصار كل يوم يجيء الغراب بالخبز ويجلس على صدرى ويكسر الخبز بمنقاره ويضعه فى فمى وما تركنى الله تعالى جائعا فى تلك الأيام ، فركب إبراهيم وأردفه خلفه وجاء به إلى الموضع الذى نزل فيه ، وتاب إبراهيم بن أدهم ونزع ثيابه الفاخرة ولبس الصوف وأعتق عبيده ووقف عقاره وأملاكه وأخذ بيده عصا وتوجه إلى مكة بلا زاد ولا راحلة وتوكل على الله تعالى ولم يهتم بالزاد فلم يبق جائعا حتى دخل الكعبة وشكر الله تعالى (حديث أربعين) . قال حاتم الأصم : التوكل على أربعة أوجه : توكل على الخلق ، وتوكل على المال ، وتوكل على النفس ، وتوكل على الرب ؛ فالمتوكل على الخلق يقول مادام فلان فلا غم لى . والمتوكل على المال يقول مادام مالى كثيراً فلا يضرنى شيء . والمتوكل على النفس يقول مادام جسدى صحيحاً فلا ينقص منى شيء ، فهذه الثلاثة توكل الجاهلين . والمتوكل على الرب يقول لا أبالى أصبحت غنيا أم فقيراً فان معى ربى يمسكنى كيف شاء (حديث أربعين) قال الله تعالى (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) وحقيقة الشكر أن لاتستعين بنعمة الله على معصيته وأن تستعمل كل عضو فيما خلق له من الطاعات ، فتصون الجوارح السبع من المحرمات والمكروهات لتغلق عنك أبواب جهنم السبعة ذات الدركات فاذا استخدمتها فيما خلقت له من العبادات والطاعات بحضور الرئيس وهو مضغة القلب بالإخلاص فتحت لك أبواب الجنة الثمانية (شرح المصابيح) . وإذا علمت أن من توكل على الله لا يبقى جائعا ورزق كل حيوان على الله تعالى كما ورد النص فى كتابه العزيز فاعلم ماسيتلى عليك من الأحاديث الواردة عن خاتم النبوة فى جواز السؤال وعدمه . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم » رواه ابن عمر ؛ والمراد بعدمها يوم القيامة فى وجه السائل ما يلحقه فى الآخرة من الفضيحة والهوان لأن السؤال حرام فى الأصل ولا يباح إلا عند الضرورة وإنما كان الأصل فيه الحرمة لأنه لاينفك عن عدة أمور : الأول إظهار الشكوى من الله ، فكما أن

العبد المملوك إذا كان سؤاله شنيعاً على مولاه فكذلك سؤال العبد يكون شنيعاً على الله تعالى وهذا يقتضى أن يحرم السؤال ولا يحل إلا عند الضرورة كما لا يحل أكل الميتة إلا عند الضرورة . والثانى إذلال نفسه لغير الله ، وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله تعالى . والثالث إيذاء المسئول منه غالباً لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل ويستحى أن يرى بالمنع فى صورة البخلاء ففى البذل نقصان ماله وفى المنع نقصان جاهه وبكل منهما يحصل الأذى وهو حرام لا يحل إلا عند الضرورة ؛ ثم إنه إن بذل لا يبذل له إلا حياء أو رياء فيحرم على الآخذ أخذه . إذا فهمت هذه المحظورات فهمت قوله عليه الصلاة والسلام « السؤال من الفواحش وما أحل من الفواحش غيره » . فانظر كيف سماه فاحشة ، ولا خفاء أن الفاحشة لا تباح إلا عند الضرورة . واختلف العلماء فى أى وقت يحل السؤال ؟ فقال بعضهم من وجد غداء يومه وعشاء ليلته لا يحل له السؤال . وقال بعضهم من قدر على الكسب ليس له أن يسأل إلا إذا استغرق أوقاته لطلب العلم . وقال بعضهم ليس لنا وضع المقادير بل نستدرك ذلك بالتوقيف . وقد ورد فى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : « استغنوا بغنى الله تعالى ، قالوا وما هو يا رسول الله ؟ قال غداء يوم وعشاء ليلة » . وفى حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من سأل وله خمسون درهماً أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافاً » . وفى لفظ آخر « أربعون » ، واختلاف الروايات فى التقديرات يلزم أن يحمل على أحوال مختلفة ، فما يحتاج إليه السائل فى الحال من طعام يومه وليلته ولباس يلبسه ومأوى يبيت فيه فلا شك فيه . وأما سؤاله للمستقبل فلا لأن فيه ثلاث أحوال : إحداها ما يحتاج إليه غداً . والثانية ما يحتاج إليه بعد أربعين يوما أو خمسين يوماً . والثالثة ما يحتاج إليه بعد السنة فنقطع أن من معه ما يكفيه ويكفى عياله سنة فسؤاله حرام لأن ذلك غاية الغنى ، فإن كان يحتاج إليه قبل السنة لكن يقدر على السؤال فى ذلك الوقت ولا يفوته فرصة السؤال لا يحل له السؤال لأنه مستغن عن السؤال فى الحال ، وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل مالا يحتاج إذا وجد عنده ما يكفيه من غداء يومه وعشاء ليلته وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر السؤال يباح له السؤال ، لأن البقاء إلى السنة غير بعيد وهو بتأخير السؤال يخاف أن يبقى مضطراً عاجزاً عما يغنيه وتراخى المدة التى يحتاج فيها إلى السؤال لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاده ونظره لنفسه فيستفتى قلبه ويعمل به ولا يصغى إلى تخويف الشيطان لأنه يعد الفقر ويأمر بالفحشاء التى أبيحت للضرورة ، فإن من عجز عن الكسب واشتد جوعه وخاف على نفسه يلزمه السؤال لأن السؤال نوع اكتساب لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « السؤال آخر الكسب » ، فإن ترك السؤال فى تلك الحالة حتى مات يأثم لأنه ألقى نفسه إلى التهلكة إذا كان السؤال يوصله إلى ما يقوم به نفسه فالسؤال فى تلك الحالة كالكسب ولا ذل فى السؤال فى تلك الحالة وإنما الذل إذا

سأل من غير حاجة فان من ملك قوت يومه لا يحل له السؤال لأنه يذل نفسه من غير ضرورة وهو مخالف للحديث السابق (من مجالس الرومى ملخصاً) .

المجلس الثامن والعشرون : فى بيان ذم إعانة الظالم

سورة هود — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) ولا تميلوا إليهم أدنى ميل لأن الركون هو الميل اليسير كالتزى بزيهم وتعظيم ذكرهم (فتمسكم النار) بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلى من وجد منهم ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين : أى الموسومين بالظلم ثم بالميل كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ، ولعل الآية أبلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فان الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفى الإفراط والتفريط ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم فى نفسه ، وقرئ تركنوا بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من أركنه (ومالكم من دون الله من أولياء) من أنصار يمنعون العذاب عنكم ، والواو للحال (ثم لا تنصرون) أى ثم لا ينصركم الله إذ سبق فى حكمه أن يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره إياهم ، وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم ويجوز أن يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين أن الله تعالى يعذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلا. (قاضى بيضاوى) .

عن أبى طلحة رضى الله عنه « أن رسول الله عليه الصلاة والسلام جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه فقالوا يارسول الله إنا لنرى السرور فى وجهك فقال إنه أتانى الملك فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً قال قلت بلى » رواه أحمد وابن حبان وغيرهما . وروى أن ظالما من الظلمة قصد أن يزور عالما زاهداً فلما قرب الظالم ستر الزاهد وجهه فاستعذر ابنه وقال إن والدى مرض مرضاً شديداً فستر وجهه لذلك ، فقال الشيخ الزاهد له ليس لى مرض ولا وجع ولكن أردت أن لا أنظر وجهك فرجع الظالم تائبا مستغفراً فغفر الله تعالى لهما أما الشيخ فلعدم نظره إلى وجه الظالم وأما الظالم فلتوبته من ظلمه هكذا سمعت من أستاذى عليه رحمة الله ، وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه » . ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء ؟ فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت (كذا فى الرجبية) وعن ميمون بن مهران أنه قال : فى صحبة السلطان خطران إن أطعته خاطرت بدينك ، وإن عصيته خاطرت بنفسك والسلامة أن لا تعرفه ولا يعرفك (تنبيه الغافلين) .

(حكى) أن ظالما كان يظلم ضعيفاً أعواماً فلما طال ظلمه قال المظلوم للظالم يوماً إن ظالك على قد طاب بأربعة أشياء : هى أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والديان يحكم بيننا (من أخلص الخاصة) وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من سن سنة حسنة » يعنى فى الإسلام وهو مقتدى به فى هذه السنة « فله أجرها وأجر من عمل بها » يعنى أن كل من أتى بعده بهذه السنة يكتب له أجرها « ومن سن سنة سيئة » وهو مقتدى به فى هذه السنة « فعليه وزرها ووزر من عمل بها » يعنى أن كل من أتى بهذه السنة السيئة يكتب عليه وزرها ووزر من عمل بها (من أحاديث البخارى ومسلم) . عن عمر رضى الله عنه أنه قال : « سئل النبى عليه الصلاة والسلام عن أحب العباد إلى الله تعالى فقال أنفع الناس للناس ، وعن أفضل الأعمال فقال إدخال السرور على قلب المؤمن يطرد عنه جوعا أو يكشف عنه كرباً أو يقضى له ديناً ، ومن مشى مع مسلم فى حاجة له كان كصيام شهر واعتكافه ، ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام ، ومن كف غضبه ستر الله عورته وإن الخلق السيء يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل » فعلم من هذا الحديث أن أحب العباد إلى الله تعالى من ينفع الناس وأن أفضل الأعمال إدخال السرور على قلب المؤمن بأن يدفع عنه الجوع أو يكشف عنه الكرب أو يقضى دينه ، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة له كان كصيام شهر مع اعتكافه ، ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدميه على الصراط كما مر آنفا ويؤيده ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أعان مظلوما حزينا مطروحاً كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة : واحدة منها إصلاح أمره فى الدنيا واثنتان وسبعون درجة فى العقبى » . وعنه أيضاً أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من أصبح لا ينوى الظلم على أحد غفر له ما جنى ، ومن أصبح ينوى نصرة المظلوم وقضاء حاجة المسلم كانت له كأجر حجة مبرورة » . وكذا روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « من فرج عن مسلم كربة فى الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » وكذا روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أعان مظلوماً أعانه الله يوم القيامة فى الجواز على الصراط وأدخله الجنة ، ومن رأى مظلوماً فاستغاث به فلم يغثه ضرب فى القبر بمائة سوط من النار » (مجالس البصرى) وجاء فى الآثار : ينادى المنادى يوم القيامة ائتونى بفرعون فيؤتى به على رأسه قلنسوة من النار لابساً قميصاً من قطران راكباً على خنزير ثم ينادى أين الجبارون المتكبرون ؟ فيؤتى بهم وينطلق بهم إلى النار وإمامهم فرعون ، ثم ينادى أين قابيل فيؤتى به كذلك ثم ينادى أين الحاسدون أضمهم إليه ؟ فانه إمامهم إلى

النار ، ثم ينادى أين كعب بن الأشرف رئيس علماء اليهود ؟ كما جاء فى الخبر « لو آمن لآمن جميع اليهود » فيؤتى به كذلك ، ثم ينادى أين الذين كتموا الحق والعلم فيسوقونهم معه إلى النار فهو إمامهم ، ثم ينادى أين أبو جهل فيؤتى به كذلك ثم ينادى أين الذين كذبوا على الله ورسوله فيكون إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين الوليد بن المغيرة ؟ فيؤتى به كذلك ثم ينادى أين المستهزئون بفقراء المسلمين فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين أجدع قوم لوط الذى رسم اللواطة فيؤتى به كذلك ، ثم ينادى أين الذين يلوطون ؟ فيؤتى بهم فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين امرؤ القيس ؟ فيؤتى به كذلك ثم يجمع الشعراء الذين كذبوا فهو إمامهم الى النار ، ثم ينادى أين مسيلمة الكذاب ؟ فيؤتى به كذلك ، ثم ينادى أين الذين كذبوا الكتاب فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين إبليس عليه اللعنة ؟ فيؤتى به كذلك ثم يقول يا حاكم العدل ادفع لى جندى ومؤذنى وقرائى ومصاحفى ووزرائى وفقهائى وخزانى وتجارى وطبالى وحواشى ، فيقال يا ملعون يا مدحور من جندك ؟ فيقول هم الذين أصابهم الحرص ومؤذنى اللحانون وقرائى المغنون ومصاحفى الواشم والمستوشم وفقهائى الذين يستهزئون بأصحاب المصائب ويأكلون الطيبات وخزانى الذين يحضرون خوان السكر ويمنعون الزكاة وتجارى بائعو البربط وطبالى الذين يضربون الطبول والدف وحواشى الذين يغرسون الكروم لأجل السكر . فتخرج حية طول عنقها مسيرة سبعين عاماً فتجمعهم فتطردهم إلى النار؛ ثم يدعى الخلق إلى الحساب فيقول الله تعالى يا جبريل أول من يدخل جنتى محمد عليه الصلاة والسلام فيوضع على رأسه تاج من نور ويلبس حريراً أخضر ويحمل بين يديه سبعون ألف علم ، فيحمل لواء الحمد ثم ينادى أين الذين كانوا يختارون الفقر ويبرون الفقراء وكانوا على طريق محمد عليه الصلاة والسلام واتبعوا السنة فيقال انطلقوا مع نبيكم إلى الجنة ، ثم يؤتى بآدم عليه السلام وعلى رأسه تاج من نور وبين يديه ثمانية آلاف علم فيقال أين الذين حجوا واعتمروا ؟ فآدم عليه السلام إمامهم الى الجنة ، ثم يؤتى بإبراهيم عليه السلام كذلك بين يديه عشرون ألف علم ثم يقال أين الذين يحبون الأضياف ويبرون الغرباء ؟ فإبراهيم عليه السلام إمامهم الى الجنة ، ثم يؤتى بيوسف عليه السلام كذلك بين يديه عشرة آلاف علم ، ثم يقال أين الذين تركوا أهواء أنفسهم حين قدروا فيوسف عليه السلام إمامهم الى الجنة ، ثم يؤتى بيعقوب عليه السلام كذلك ، ثم يقال أين الذين يحسنون الى جيرانهم فيعقوب عليه السلام امامهم الى الجنة ثم يؤتى بموسى عليه السلام ثم ينادى أين الذين قالوا الحق لوجه الله تعالى فموسى عليه السلام إمامهم الى الجنة ، ثم يؤتى بهارون عليه السلام ثم يقال أين الذين عدلوا فى خلائقهم فهارون عليه السلام إمامهم الى الجنة ، ثم يؤتى بأيوب عليه السلام ثم يقال أين الذين صبروا فى أمراضهم وبلائهم فأيوب عليه السلام امامهم الى الجنة ؟

ثم يؤتى بأبى بكر الصديق رضى الله عنه وعلى رأسه تاج من نور لابساً من سندس وإستبرق فينادى مناد أين الصديقون فأبو بكر إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى بعمر رضى الله عنه ثم يقال أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، فعمر إمامهم إلى الجنة ثم يؤتى بعثمان رضى الله عنه وعليه لباس الحياء ثم يقال أين الذين تركوا المعاصى حياء من الله تعالى فعثمان إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى بعلى رضى الله عنه ثم يقال أين الغازون فى سبيل الله فعلى إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى بالحسن والحسين رضى الله عنهما ثم يقول أين المظلومون والمقتولون فى طاعة الله فهما إماماهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى بمعاذ بن جبل رضى الله عنه ثم يقال أين الفقهاء فهو إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى ببلال الحبشى رضى الله عنه ثم يقال أين المؤذنون فهو إمامهم إلى الجنة ؟ (تفسير التيسير)وفى الحديث : « من آذى مؤمناً فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله تعالى فليتبوأ مقعده من النار » يعنى يبدل مكانه من الجنة إلى النار ، وإذا كان يوم القيامة يتعلق المظلوم بالظالم والخصم بالخصم ويقول بينى وبينك العادل فى حكمه يعلم الظالمون ماذا يفعل بهم حين يؤخذ من حسناتهم وتدفع إلى مظلوميهم (كذا فى زبدة الواعظين) .

(حكى) عن بلال رضى الله عنه أنه قال « كنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام فى منزل أبى بكر الصديق بمكة فقرع الباب فخرجت فاذا رجل نصرانى يقول هل هنا محمد بن عبد الله فدخل ، قال يا محمد تزعم أنك رسول الله ، فان كنت كذلك حقا فانصرنى على من ظلمنى ، قال عليه الصلاة والسلام من ظلمك ؟ قال أبو جهل بن هشام أخذ مالى فقام عليه الصلاة والسلام وذلك عند الهاجرة ، قال بلال قلنا يا رسول الله إنه الآن فى القيلولة فيشق عليه ذلك ونخاف أن يغضب عليك ويؤذيك فلم يسمع كلامنا فذهب إلى أبى جهل وقرع عليه الباب مغضباً فخرج أبو جهل بالغضب فاذا هو رسول الله قائما فقال ادخل هلا أرسلت إلى فآتيك فقال عليه الصلاة والسلام أخذت مال هذا النصرانى رد عليه ماله فقال أبو جهل ألهذا جئت ؟ فلو بعثت إلى أحداً لرددته عليه فقال عليه الصلاة والسلام لا تطول ولكن ادفع ماله إليه فقال لغلامه أخرج جميع ما أخذته منه ورده عليه وقال عليه الصلاة والسلام يارجل هل وصل إليك مالك ؟ فقال نعم إلا سلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام لأبى جهل أخرجها فطلبها فى بيته فلم يجدها فدفع أبو جهل إليه بدلا خيراً منها فقالت امرأة أبى جهل والله لقد تواضعت ليتيم أبى طالب كل التواضع والتذلل فقال أبو جهل لو رأيت ما رأيت لم تقولى هكذا قالت ما رأيت ؟ قال لا تفضحينى فى قومى رأيت على منكبيه أسدين كلما هممت أن أقول لا أدفع كادا يفترسانى فلذلك تواضعت قال بلال فلما رأى النصرانى ما رأى من أبى جهل قال يا محمد إنك رسول الله ودينك حق فأسلم وحسن إسلامه ببركة إعانة المظلوم » (زبدة الواعظين) .

المجلس التاسع والعشرون : فى بيان أحوال الناس يوم القيامة

سورة إبراهيم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وأنذر الناس) يا محمد (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيامة أو يوم الموت فانه أول أيام عذابهم وهو مفعول ثان لأنذر (فيقول الذين ظلموا) بالشرك والتكذيب (ربنا أخرنا إلى أجل قريب)أخر العذاب عنا وردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى حد من الزمان قريب أو أخر آجالنا وأبقنا مقدار مانؤمن بك ونجيب دعوتك (نجب دعوتك ونتبع الرسل)جواب للأمر ونظيره « لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) على إرادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية . والمعنى أقسمتم أنكم باقون فى الدنيا لاتزولون بالموت (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصى كعاد وثمود (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) بما تشاهدون فى منازلهم من آثار مانزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم (وضربنا لكم الأمثال) من أحوالهم : أى بينا لكم أنكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب أو صفات مافعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة كالأمثال المضروبة . (قاضى بيضاوى) .

عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ومن صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً ، ومن صلى على عشراً صلى الله عليه مائة ، ومن صلى على مائة كتب الله بين عينيه براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله تعالى يوم القيامة مع الشهداء » (حياة القلوب) روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف مشاة وصنف ركبان وصنف مشاة على وجوههم ، قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم ينسلون على وجوههم من كل حدب وشوك » رواه الترمذى . وأما المشاة فالمذنبون من المؤمنين ؛ وأما الركبان فالمتقون السابقون الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ؛ وأما المشاة على وجوههم فهم الكفار ، وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف: صنف من المسلمين وهم ركبان وصنفان من الكفار أحدهما المتكبر المتجبر المتمرد الذى لايقبل للوعظة فهؤلاء يحشرون على وجوههم وأتباعهم يمشون الحديث . قوله عليه السلام: « راغبين راهبين » فيا سيأتى عوام المؤمنين الذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئا لعلهم أصحاب المعصيه وهم الصنف الأول ، والصنف الثانى الركبان المسرعون إلى ماأعد لهم فى الجنان وهم الذين اجتنبوا الشبهات لعلهم السابقون (ابن ملك) اتفقوا على رواية عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير

وأربعة على بعير وعشرة على بعير » وهذه الأعداد تفصيل لمراتبهم على سبيل الكناية والتمثيل فمن كان أعلى مرتبة كان أقل شركة وأشد سرعة وأكثر سباقا . فان قلت ركوب الاثنين وأخواته بطريق الاجتماع أم الاعتقاب قلت بطريق الاعتقاب لكن الأولى أن يحمل على وجه الاجتماع لأن فى الاعتقاب لا يكون الاثنان ولا الثلاثة على بعير واحد حقيقة . وإنما اقتصر على ذكر العشرة إشارة إلى أنها غاية عدد الراكبين على بعير وذلك البعير المتحمل للعشرة من بدائع فطرة الله تعالى كناقة صالح حيث قويت على مالايقوى عليه غيرها من النوق وإنما لم يذكر الخمسة والستة وغيرهما إلى العشرة للإيجاز ولم يذكر أيضاً فى السابقين من تفرد منهم بركوب بعير لأن المراد من الناس غير الخواص ، ولعل ذلك يكون مرتبة الأنبياء والأولياء وتحشر بقيتهم النار وهم الفرقة الثالثة تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وهى النوم فى الظهر وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا . يعنى أن النار تلازم هذه الفرقة فى جميع أحوالهم وهم الكفار . قال بعض الشراح هذا الحشر يكون قبيل القيامة أحياء إلى الشام بقرينة قيلولتهم وبيتوتتهم لأن هذه الأحوال إنما تكون فى الدنيا ولأن الناس يبعثون من القبور حفاة غير موصوفين بالركوب والتعاقب . وهذا آخر أشراط الساعة كما جاء فى حديث آخر « وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تطرد الناس إلى محشرهم » . وقال بعضهم يكون بعد البعث لأن الحشر إذا ذكر مطلقاً يصرف إلى مابعد الموت وهو المختار للامام التوربشتى لما روى عن أبى هريرة من الحديث المتقدم « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف » إلى آخر الحديث . وأما الظالم فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى أنه قال « ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وعلى عبادى ألا فلا تظلموا » رواه مسلم والترمذى . فمعنى هذا الحديث أنى تقدست وتعاليت عن الظلم ، وعن جابر رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . قال القاضى عياض : وهو على ظاهره فيكون الظلم ظلمات على صاحبه لايهتدى يوم القيامة سبيلا حيث يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ، ويحتمل أن الظلمات ههنا الشدائد ، وقوله « فان الشح أهلك من كان قبلكم » يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذى أخبر عنه فى الدنيا وفى الآخرة . وقال جماعة : الشح البخل ، وقيل الشح الحرص على ماليس عنده والبخل بما عنده ، وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شىء آخر فليستحله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر المظلمة وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه وحملت

عليه » (رواه البخارى والترمذى) . فان قلت هذا ينافى قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . قلت الظالم فى الحقيقة مجزى بقدر ظلمه وإنما أخذ من سيئات المظلوم تخفيفاً له وتحقيقاً للعدل ، فمعنى الآية أن واحداً لو قال لآخر أحمل عنك وزرك لا يؤاخذ به فى الآخرة . قال الفقيه ليس شىء من الذنوب أعظم من الظلم لأن الذنب إذا كان فيما بينك وبين الله تعالى فان الله تعالى كريم أن يتجاوز عنك وإن كانت الذنوب بينك وبين العباد فلا حيلة لك سوى إرضاء الخصم فينبغى للظالم أن يتوب من الظلم ويستحل من المظلوم فى الدنيا فاذا لم يقدر عليه ينبغى أن يستغفر له ويدعو له فانه يرجى أن يحلله بذلك . عن ميمون بن مهران أن الرجل إذا ظلم إنساناً فان أراد أن يستحل منه ففاته ولم يقدر عليه فاستغفر له فى دبر كل صلاة خرج من مظلمته . قال بعض أهل المعرفة : الظلم ثلاثة أوجه : ظلم يغفره الله تعالى إن شاء . وظلم لا يغفره الله تعالى . وظلم يقضى الله تعالى فيه . فأما الظلم الذى يغفره الله فهو ظلم فيما بينهم وبين ربهم من ترك الصلاة والصوم والزكاة والحج وفضل المحارم . وأما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك كما قال الله تعالى فى سورة النساء (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وفى هذه الآية دليل على أن صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة فانه فى خطر المشيئة إن شاء عفا عنه وأدخله الله الجنة بكرمه وإن شاء عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته وإحسانه لأن الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فهو مخلد فى النار . وأما الظلم الذى يقضى الله تعالى فيه قضاء فظلم العباد فيما بينهم كالغيبة والبهتان والنميمة وقتل النفس بغير حق وأكل المال الحرام والضرب والشتم وغير ذلك من حقوق العباد .

موعظة حسنة

(حكى) أنه كان لعاد ابنان أحدهما شداد والآخر شديد فملكا قهراً فمات شديد وملك شداد وحده الدنيا وكان يقرأ الكتب فسمع ذكر الجنة فقال أصنع فى الدنيا مثل الجنة على وجه الأرض فشاور الملوك فقال إنى أريد أن أبنى الجنة التى وصفها الله تعالى فى كتابه فقالوا الأمر إليك والدنيا كلها فى حكمك فأمر بأن يجمعوا ذهبا وفضة من الشرق والغرب ثم جمعوا بنائين واختاروا منهم ثلاثمائة رجل تحت يد كل رجل ألف رجل فطافوا عشر سنين ووجدوا أرضاً طيبة فيها الأشجار والأنهار فبدءوا بناء الجنة فرسخا فى فرسخ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، فلما تم بناؤها أجروا فيها أنهاراً وغرسوا فيها أشجاراً جذوعها من فضة وفروعها من ذهب وبنوا فيها قصوراً من ياقوت أحمر وبلور أبيض وعلقوا الدر والياقوت على أغصان الأشجار وألقوا الجواهر واللؤلؤ فى الأنهار والمسك والعنبر فيما بين الأنهار والأشجار ، فلما تم بناؤها أرسلوا إلى شداد

وأخبروه بتمام الجنة فسار إليها بأهل مملكته فكان الملوك والأعوان يأخذون الذهب والفضة ظلما فلم يبق شيء منهما إلا مقدار درهمين في عنق صبي يتيم فأخذوه منه فرفع الصبي وجهه إلى السماء فقال : إلهي أنت تعلم بما يعمل هذا الظالم بعبادك وإمائك فأغثنا ياغياث المستغيثين ، فأمن ملائكة السماء على دعاء الصبي فأرسل الله تعالى جبرائيل فلما كان منها مسيرة يوم وليلة صاح جبرائيل من السماء فهلكوا جميعاً قبل الدخول في الجنة فلم يبق منهم غنى ولا فقير ولا ملك بسبب دعاء الصبي المظلوم (زبدة الواعظين) .

اعلم أيها العزيز ماقلنالك وإياك والمشى إلى باب السلاطين فانه من غير ضرورة ظلمة واقتراف معصية فان المشى تواضع وإكرام لهم وقد أمر الله تعالى بالإعراض عنهم بقوله (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) وهو تكثير لسوادهم وإعانة لهم على ظلمهم وإن كان ذلك لسبب طلب مالهم فهو سعى إلى حرام ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثادينه » هذا فى غنى صالح فما ظنك بالغنى الظالم وإنما قال ذلك لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع لغنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثادينه ، فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله

وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك محصورة عليك فلا تحرك شيئاً منها فى معصية الله أصلا واستعملها فى طاعة الله . واعلم أنك إن قصرت فى المراقبة فعليك يرجع وباله أى عقابه وإن شمرت فاليك تعود ثمرته وثوابه والله غنى عنك وعن عملك ، وإنما كل نفس بما كسبت رهينة ، وإياك أن تقول إن الله كريم رحيم يغفر ذنوب العصاة فان هذه كلمة حق لا يجوز أن يراد بها باطل وصاحب هذا القول إذا لم يقل هذا من حقيقة حاله ملقب بالحماقة بتلقيب رسول الله حيث قال « الكيس » أى العاقل الحاذق « من دان نفسه » أى ذل « وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها » شهواتها « وتمنى على الله الأمانى » أى الرجاء بلا عمل . واعلم أن قوله هذا يشبه قول من يريد أن يصير فقيها عالما فى علوم الدين فاشتغل بالباطل ، وكقول من يريد مالا يترك الحراثة والتجارة والكسب (بداية الهداية للامام الغزالى)

المجلس الثلاثون : فى بيان مغفرة توبة التائب

سورة الحجر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم) فذلكة ماسبق من الوعد والوعيد وتقرير له ، وفى ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتق الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها ، وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده (قاضى بيضاوى) .

سبب نزول هذه الآية : أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون.

فقال: «أتضحكون وبين أيديكم النار» فجاء جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال: يقول لك ربك يا محمد لا تقنط عبادى فإنى غفور لذنوبهم رحيم بهم. (عيون) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «ألا أنبئكم بأبخل البخلاء ألا أنبئكم بأعجز الناس؟» أى عن طلب الرحمة والمغفرة بالصلاة على، صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذكر اسمه الشريف بين يديه «من ذكرت عنده فلم يصل على» اللهم صل على محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آل محمد وصحبه وأهل بيته وسلم، فعلم من هذا الحديث أنه لا يترك الصلاة عليه كلما ذكر اسمه إلا عاجز محروم من الخير. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع فى جنته أحد» وفيه بيان كثرة عقوبته كى لا يغتر مؤمن برحمته فيأمن عذابه «ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة» أى من غير التفات إلى العقوبة «ما قنط من جنته أحد» وفيه بيان كثرة رحمته كى لا يخاف كافر من الإيمان بعد سنين كثيرة فى الكفر، فعلى العبد أن يكون خائفاً وراجياً من الله لأن الخوف والرجاء كالجناحين للمؤمن لأنه يصل بهما إلى ما يرجو من الله تعالى ويأمن مما يخافه. وقال لقمان لابنه: يا بنى ارج الله رجاء لا تأمن فيه من مكره وخف الله خوفاً لا تيأس فيه من رحمته. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى: علامة الخوف تتبين فى ثمانية أشياء: أولها أن تبين فى لسانه فيمنع لسانه من الكذب والغيبة وكلام الفضول ويجعل لسانه مشغولا بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم. والثانى أن يخاف فى أمر بطنه فلا يدخل بطنه إلا حلالا قليلا ويأكل من الحلال مقدار حاجته. والثالث أن يخاف فى أمر بصره فلا ينظر إلى الحرام ولا إلى الدنيا بعين الرغبة وإنما يكون نظره على وجه العبرة. والرابع أن يخاف فى أمر يده فلا يمد يده إلى الحرام وإنما يمدها إلى ما فيه الطاعة. والخامس أن يخاف فى أمر قدميه فلا يمشى فى معصية الله تعالى وإنما يمشى فى طاعة الله. والسادس أن يخاف فى أمر قلبه فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الإخوان ويدخل فيه النصيحة وشفقة المسلمين. والسابع أن يكون خائفاً فى أمر طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف الرياء والنفاق. والثامن أن يخاف فى أمر سمعه فلا يسمع إلا الحق (سنانية) قال الإمام القشيرى قدس سره لما ذكر حديث المتقين فى الآية التى قبل هذه الآية بقوله (إن المتقين فى جنات وعيون) الآية وما لهم من رفيع المنزلة علم انكسار قلوب العاصين، فقال لنبيه أخبر عبادى العاصين أنى أنا الغفور الرحيم: أى إن كنت الشكور الكريم للمطيعين فإنى أنا الغفور الرحيم للعاصين، وجاء فى الخبر مسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلا يؤمر به إلى النار فإذا بلغ ثلث الطريق التفت وإذا بلغ نصف الطريق التفت وإذا بلغ ثلثى الطريق التفت، فيقول الله تعالى ردوه ثم يسأله ويقول

لم التفت ؟ فيقول يارب لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك (وربك الغفور ذو الرحمة) فقلت لعلك تغفر لى ، فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك (ومن يغفر الذنوب إلا الله) فقلت لعلك تغفر لى ، ولما بلغت ثلثى الطريق تذكرت قولك (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) فازددت طمعا . فيقول الله تعالى اذهب فقدغفرت لك » . فعلى العاقل أن يسأل من الله تعالى المغفرة لذنوبه ويبكى من خشية الله تعالى ، ويعترف بتقصيراته ويتوب إلى الله تعالى إنه تعالى تواب لايرد التائب خائباً من بابه . حكى أنه رؤى بعض الصالحين فى النوم فسئل عن حاله ، فقال نجوت بعد كل جهد ، قيل بأى الأعمال وجدت النجاة ؟ قال بالبكاء من خشية الله تعالى وطول الاستغفار (كذا فى الخالصة) قال عليه الصلاة والسلام : « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » إشارة إلى المذكور أى النار مثل الجنة فى كونها أقرب من شراك النعل وإنما كانت الجنة والنار كذلك لأن سبب دخولها فعل الشخص وهو العمل الصالح والسىء وهو أقرب إليه من شراك نعله (شرح المصابيح) والمراد من السبب سبب ظاهرى لأنه قال عليه الصلاة والسلام : « لايدخل أحداً منكم عمله الجنة ولايجيره من النار ولا أنا أدخل الجنة بعملى إلا برحمة الله تعالى » أى لكن رحمة الله تدخل الجنة ، وليس المراد توهين أمر العمل بل نفى الاغترار به وبيان أنه إنما يتم بفضل الله . روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « خرج من عندى جبرائيل آنفاً فقال يامحمد والذى بعثك بالحق نبيا إن عبداً من عباد الله تعالى عبد الله خمسمائة عام على رأس جبل يحيط به بحر فأخرج الله له عيناً عذبة فى أسفل جبل وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فاذا أمسى نزل وأصاب من العين الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام للصلاة فسأل ربه أن يقبض روحه ساجداً ولايجعل للأرض ولاشىء على جسده سبيلا حتى يبعثه وهو ساجد ففعل وقال جبرائيل نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا وهو على حاله فى السجدة ونحن نجده فى العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول له الرب تبارك وتعالى أدخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول بل بعملى فيقول الله تعالى قيسوا عبادة عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وتبقى عليه النعم الباقية بلا عبادة فى مقابلتها فيقول الله تعالى أدخلوا عبدى النار قال فيجرونه إلى النار فينادى العبد فيقول برحمتك أدخلنى الجنة فيقول الله ردوه إلى فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول : ياعبدى من خلقك ولم تك شيئا فيقول العبد أنت يارب فيقول أكان ذلك بعملك أم برحمتى ؟ فيقول بل برحمتك فيقول الله تعالى من قواك على عبادة خمسمائة سنة ومن أنزلك فى جبل وسط البحر وأخرج الماء العذب من بين المالح وأخرج تلك الرمانة كل ليلة وإنما تثمر فى السنة مرة ومن قبض روحك ساجداً ؟ فيقول أنت يارب

فيقول فذلك كله برحمتى وبرحمتى ادخل الجنة » (مشكاة) قال عليه الصلاة والسلام : « إن أمامكم عقبة لايجوزها المثقلون من الذنوب إلا بمشقة عظيمة . وتلك العقبة ما بعد الموت من الشدائد من القبر والحشر والوقوف بين يدى الله تعالى فى المحشر والحساب والصراط والميزان ومن علم يقينا بوقوع هذه الأشياء يخفف أثقاله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبعدم محبته فى الدنيا لأن قلة الدنيا محض فائدة فى حق صاحبه وسبب لعلو رتبته ومزيد مثوباته ، ألا ترى إلى ماروى عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال « بعث الفقراء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا فأتى الرسول فقال يارسول الله إنى رسول الفقراء إليك فقال صلى الله عليه وسلم : مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من قوم أحبهم الله . فقال يارسول الله يقول الفقراء إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه ويعتقون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل مالهم ذخراً فقال صلى الله عليه وسلم : بلغ عنى الفقراء أن من صبر منكم واحتسب فله ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شىء : الخصلة الأولى أن فى الجنة غرفاً من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم لا يدخلها إلا نبى أو شهيد أو مؤمن فقير . والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام ويدخل سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام بعد دخول الأنبياء بأربعين عاما بسبب الملك الذى أعطاه الله تعالى . والثالثة إذا قال الفقير : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لحق شيئا لم يلحقه الغنى وإن أنفق عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها . فرجع إليهم الرسول فأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يارب » (تنبيه الغافلين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة » وفيه حث للأمة على التوبة لأنه صلى الله عليه وسلم إذا كان يتوب فى اليوم مائة مرة مع عظم شأنه وكونه معصوماً فكيف لايشتغل بالتوبة ليلا ونهاراً من يدنس جريدة أعماله بالذنب مرة بعد أخرى ، فعلى هذا لايكون المصر على المعاصى كاملا فى الإيمان بل يكون ناقصاً فيه وذلك لأن ترك الذنوب لايتصور إلا بالصبر والصبر لايتيسر إلا بالخوف والخوف لايتحقق إلا بالعلم بعظم ضرر الذنوب ، والعلم بعظم ضرر الذنوب لايحصل إلا بتصديق الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن لم يترك الذنوب وأصر عليها يصير كأنه لم يصدق الله تعالى ورسوله فيخاف عليه أمر عظيم عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لزوال الإيمان فيختم له بسوء الخاتمة معاذ الله تعالى ويبقى فى جهنم أبد الآباد وإن لم يمت على سوء الخاتمة بل مات على الإيمان يكون فى مشيئة الله تعالى إن شاء يدخله جهنم ويعذبه فيها بقدر ذنوبه ثم يخرجه منها ويدخله الجنة ولو بعد حين وإن شاء يعفو عنه ويدخله الجنة بلا عذاب إذ لايستحيل أن يشمله عموم العفو

بسبب خفى لا يطلع عليه أحد غير الله تعالى (مجالس رومى) ومن كان أقرب إلى الله تعالى فالمصائب له فى الدنيا أكثر والبلاء عليه أشد ، أما تسمع قوله عليه الصلاة والسلام : « أشد الناس بلاء : الأنبياء ثم العلماء ثم الأمثل فالأمثل » وقال الله تعالى (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) ومهما عظم أهل الدنيا فى قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال دنياهم فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر فى أعينهم (بداية الهداية للامام الغزالى) .

فالفقراء أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة ، فالقناعة راحة الأبدان وسلامة القلوب فمن قنع بالرزق المقسوم فقد فاز بالآخرة وطاب عيشه . فالتوكل على الله هو الاكتفاء بالله وإسقاط الخوف والرجاء ممن سوى الله تعالى . فالحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع (من المجموعة) (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) . قال السدى : أراد به الزكاة المفروضة ، وقال غيره أراد به صدقة التطوع والنفقة فى الخير (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تتبايعوا ما تنفقون (كشاف) أى لا فداء فيه سماه بيعاً لأن الفداء شراء نفسه (ولا خلة) أى لا صداقة (ولا شفاعة) إلا بإذن الله (والكافرون هم الظالمون) أى هم الكاملون فى الظلم لأنهم وضعوا العبادة فى غير موضعها لتوقعهم الشفاعة ممن لا يشفع لهم من الأوثان (معالم التنزيل)

المجلس الحادى والثلاثون : فى بيان العدل والإحسان

سورة النحل — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن الله يأمر بالعدل) بالتوسط فى الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقاً كالجود المتوسط بين البخل والتبذير (والإحسان) إحسان الطاعات وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » (وإيتاء ذى القربى) وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة (وينهى عن الفحشاء) عن الإفراط فى مشايعة القوة الشهوية كالزنى فانه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها (والمنكر) ما ينكر على متعاطيه من إثارة القوة الغضبية (والبغى) والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم (يعظكم) بالأمر والنهى والتميز بين الخير والشر (لعلكم تذكرون) تتعظون (قاضى بيضاوى) .

قال عليه الصلاة والسلام « البخيل » أى الكامل فى البخل كما يفيده تعريف المبتدأ

« من ذكرت عنده » أى من ذكر اسمى بسمع منه « فلم يصل على » لأنه بخل على نفسه حيث حرمها صلاة الله عليه عشراً إذا صلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واحدة (كذا فى الجامع الصغير) قال عليه الصلاة والسلام « أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان » أى ذو حكم وسلطنة « مقسط » أى عادل « متصدق » أى محسن إلى الفقراء « موفق » بفتح الفاء الذى رزق طاعة الله والعدل فى الحكم « ورجل » يعنى والثانى رجل « رحيم رقيق القلب » أى فى قلبه رقة وشفقة ورحمة « لكل ذى رحم ومسلم » أى للأقارب والأجانب « وعفيف » أى والثالث رجل صالح « متعفف » أى مانع نفسه عما لا يحل ولا يليق « ذو عيال » ولا يحمله حب العيال على تحصيل المال الحرام بل يختار حب الله على حب العيال « وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا صبر له » أى لا تماسك له « عند » مجىء « الشهوات » فلا يرتدع عن حرام ، والذى يعنى الذين ولذا أبدل منه « الذين هم فيكم تبع » قيل هم أهل البطالات لا هم لهم فى عمل الآخرة « لا يبغون » أى لا يطلبون « أهلا » فأعرضوا عن التزوج وارتكبوا الفواحش « ولا مالا » أى لا يطلبون مالا بكسب الحلال إذ لا رغبة لهم فى عمل أيديهم ؛ وقيل هم الذين يدورون حول الأمراء يخدمونهم لا يبالون من أى وجه يأكلون ويلبسون أمن الحلال أم من الحرام ليس لهم همة إلى أهل ولا إلى مال بل قصروا أنفسهم على المأكل والمشرب « والخائن الذى لا يخفى له طمع » أى لا يخفى له طمعه فى شىء ما « وإن دق » أى قل « إلا خانه » أى إلا سعى فيه حتى يجده فيخونه ، أو معناه لا يطمع فى موضع خيانة إلا خان ما طمع فيه وإن كان المطموع فيه شيئاً يسيراً وهذا هو الثانى من الخمسة « ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك » أى لا يفارق مخادعته إياك عن أهلك ومالك « صباحه ومساءه » أى يخدعك فى أكثر أحواله « وذكر » أى قال الراوى ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخمسة « البخل والكذب » أى البخيل والكذاب فأقام المصدر مقام اسم الفاعل ، وهذا هو الرابع « والشنظير » بكسر الشين والظاء المعجمتين يتخللهما السكون هو السيىء الخلق « الفحاش » نعت له أى هو مع سوء خلقه فحاش فى كلامه وهذا هو الخامس (كذا فى شرح المصابيح لابن ملك) قال الإمام القشيرى قدس سره : أمر الله تعالى العبد بالعدل فيما بينه وبين الله تعالى وفيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الخلق . فالعدل بينه وبين ربه إيثار حق الله تعالى على حظ نفسه وتقديم رضاه على هواها والتجرد عن جميع الزاجر والتفرد بملازمة جميع الأوامر والعدل فيما بينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها . والعدل الذى بينه وبين خلقه بذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل أو كثر والإنصاف لهم بكل وجه وأن لا يسوء إلى أحد لا بالقول ولا بالفعل ولا بالعزم . اعلم أن الأمر بهذه الأشياء الثلاثة جامع لجميع ما أمر الله تعالى به فى القرآن وكذلك النهى عن الأشياء الثلاثة جامع لجميع

ما نهى الله تعالى عنه فى القرآن ولذلك يقرأ كل خطيب على المنبر فى آخر كل خطبة هذه الآية لتكون عظة جامعة للناس كلهم ، وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : أجمع آية فى القرآن هذه ، وعن على رضى الله تعالى عنه قال : جماع التقوى فى قول الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل) الآية (من العيون والتيسير) روى عن عثمان بن مظعون أنه قال : « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونى إلى الإسلام فأسلمت استحياء مخالفته ولم يتقرر الإسلام فى قلبى فحضرت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم فبينما هو يحدثنى إذ رأيت بصره يشخص إلى السما ثم رأسه عن يمينه رفعه مرة أخرى ثم خفضه عن يساره ثم أقبل على محمرا وجهه يرفض عرقا فسألته عن تلك الحالة النازلة عليه، فقال عليه الصلاة والسلام : بينما أنا أحدثك إذ رفعت بصرى إلى السماء فرأيت جبرائيل نزل عن يمينى فقال يا محمد قرأ (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) « إلى آخر الآية » قال عثمان فاستقر الإيمان فى قلبى يومئذ فكان نزول هذه الآية سببا لاستقرار إيمان عثمان بن مظعون كذا ذكره ابن الشيخ ، فمن كان صاحب لب يتعظ بمواعظ الله تعالى ويتصح بنصائح رسول الله عليه الصلاة والسلام ويتنبه بتنبيهاته قال عليه الصلاة والسلام : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال عليه الصلاة والسلام : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » . ولذا قال عليه الصلاة والسلام : « من كانت له مظلمة لأخيه من عرض أو شىء آخر فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر ظلمه وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » (مشكاة المصابيح) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وعن سهل بن معاذ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يتخير من أى الحور شاء » (كذا فى اللباب) روى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : من قدر وعفا نظرت إليه كل يوم سبعين نظرة ومن نظرت إليه نظرة واحدة لم أعذبه بنارى (روضة المغنى) فعلى العاقل أن يعتاد العفو عن الناس والإحسان إليهم ويحترز عن الغيظ والغضب لأنه يؤدى إلى النار حفظنا الله من النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار . حكى عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت بمرقة فعثرت فصبت المرقة عليه فأراد ميمون أن يضربها فقالت الجارية يا مولاى استعمل قول الله تعالى (والكاظمين الغيظ) قال قد فعلت ، فقالت استعمل ما بعده (والعافين عن الناس) قال قد عفوت عنك

فقالت الجارية (والله يحب المحسنين) فقال ميمون أحسنت إليك فأنت حرة لوجه الله تعالى (روضة المتقين) (الذين ينفقون في السراء والضراء) أى في اليسر والعسر ، فأول ما ذكر من أخلاق المتقين الموجبة للجنة ذكر السخاء وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ، والجاهل السخى أحب إلى الله من العالم البخيل » . (والكاظمين الغيظ) أى الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه ، والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ أن يمتلىء غيظاً فيرده في جوفه ولا يظهره ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يختار من الحور ما شاء » (والعافين عن الناس) أى عمن ظلمهم وأساءهم (والله يحب المحسنين) (معالم التنزيل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء » أى الرجل « على دين خليله » أى صديقه وصاحبه « فلينظر أحدكم » أى الخليل « إلى من يخالل » أى يخالله « فاطلب رفيقاً » أى صاحباً يكون شريكك في التعلم وصاحبك « في أمر دينك » أى في فعل دينك « ودنياك » لأن الخليل يحصل منه فوائد دينية كالعلم والعمل والدعاء والشفاعة في الآخرة ودنيوية كالجاه والاستئناس والمجاورة وغيرها ، وفهم من هذا الحديث أنه لا يصحب من ساء خلقه وهو الذى لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة فيقع في المعصية (هذا الحديث في بداية الهداية للامام الغزالى) .

المجلس الثانى والثلاثون : في بيان معراج النبي عليه الصلاة والسلام

سورة الإسراء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف وانتصابه بفعل متروك وإظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد ، وأسرى وسرى بمعنى السير ، وليلا نصب على الظرفية وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل أى بعضه كقوله تعالى « ومن الليل فتهجد به » (من المسجد الحرام) بعينه لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبرائيل عليه السلام بالبراق » أو من الحرم ، وسماه المسجد الحرام لأنه كله مسجد أو لأنه محيط به ليطابق المبدأ للمنتهى . لما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها . وقال : مثل لى النبيون فصليت بهم ثم خرج إلى المسجد وأخبر به قريشاً فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن

به وسعى رجال إلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، فقال إن كان قال لقد صدق ، فقالوا أتصدقه على ذلك ؟ قال إنى لأصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة . واختلفوا فى أنه عليه الصلاة والسلام كان فى المنام أو فى اليقظة بروحه أو بجسده ، والأكثر على أنه أسرى بجسده إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه (إلى المسجد الأقصى) بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحى ومتعبد الأنبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالأنهار والأشجار والثمار (لنريه من آياتنا) كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات . وقرىء ليريه بالياء (إنه هو السميع) لأقوال محمد عليه الصلاة والسلام (البصير) بأفعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (قاضى بيضاوى) .

عن الحسن بن على عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أكثروا الصلاة على فان صلاتكم مغفرة لذنوبكم ، واطلبوا لى الوسيلة والدرجة الرفيعة فان وسيلتى عند ربى شفاعة لكم » (الجامع الصغير) وعن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد حلت له شفاعتى يوم القيامة » (شفاء شريف) سبب نزول هذه الآية أن النبى عليه الصلاة والسلام لما ذكر الإسراء وكذبوه أنزلها الله تصديقاً لنبيه . وقال البرهان النسفى : لما وصل النبى عليه الصلاة والسلام إلى الدرجات العاليات والمراتب الرفيعة أوحى الله تعالى إليه يا محمد بماذا أشرفك قال عليه الصلاة والسلام تشرفنى بأن تنسبنى إلى نفسك بالعبودية فأنزل الله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) (معراجية) وفى تصدير السورة بالكلمة الدالة على التعجب قرينة دالة على أن الوارد بعدها أمر خارق للعادة وآية لا يقدر عليها أحد إلا الله ، فلما قيل ليلا تبين بتلك القرينة أن المراد منه بعض الليل ، فان التبعيض قريب من التقليل ، فكأنه قيل أسرى بعبده فى بعض الليل من مكة إلى بيت المقدس مسيرة أربعين ليلة ، فتعين بهذه القرينة تقليل مدة الاسراء والدلالة على أن الإسراء واقع فى بعض الليل (شيخ زاده) . فان قلت لفظ من فى قوله (من آياتنا) يقتضى التبعيض ، وقال الله تعالى فى حق إبراهيم عليه السلام (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) وظاهر هذا يدل على تفضيل إبراهيم عليه السلام على محمد ولا قائل به فما وجهه ؟ قلت : ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله تعالى ، لأن آيات الله تعالى أفضل من ذلك ، فالذى رآه محمد عليه

الصلاة والسلام من آيات الله وعجائبه أفضل من ملكوت السموات والأرض ، فظهر بذلك فضل محمد عليه الصلاة والسلام على إبراهيم عليه السلام (من تفسير اللباب) .

الحكمة فى افتتاح هذه السورة بالتسبيح وجهان : أحدهما أن العرب تسبح عند الأمر العجيب فكأن الله عجب من خلقه بما أسندوا إلى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام من الاستهزاء والسخرية . والثانى أن يكون خرج مخرج الرد عليهم لأنه عليه الصلاة والسلام لما حدثهم عن الإسراء كذبوه فيكون المعنى نزه الله أن يتخذ رسولا كذاباً (الإمام أبو حارث) . فان قلت ما الحكمة فى افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد . قلت إن التسبيح جاء مقدماً على التحميد مثل (فسبح بحمد ربك)و«سبحان الله والحمد لله»، لأن التسبيح هو التنزيه والتحميد هو الثناء ، والتنزيه هو التخلية والتحميد التحلية ،والتخلية مقدمة على التحلية(معراجية). وقال بعضهم المراد بالمسجد الحرام مسجد مكة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « أول مسجد وضع فى الأرض المسجد الحرام » وهو مسجد مكة شرفها الله تعالى وقد قال الله تعالى(إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) وفى الصحيحين عن أبى ذر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « أول مسجد وضع فى الأرض المسجد الحرام وبعده المسجد الأقصى الذى أسسه يعقوب بن إسحاق عليهما السلام بعد بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة » (معراجية) . فان قلت ظاهر الآية يدل على أن الإسراء كان إلى بيت القدس ، والأحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف يصح الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط . قلت :كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى ومنه كان عروجه إلى السماء على المعراج ، وفائدة ذكر المسجد الأقصى فقط أنه عليه الصلاة والسلام لو أخبر بصعوده إلى السماء أولا لاشتد إنكارهم لذلك فلما أخبر أنه أسرى به إلى بيت القدس وبان لهم صدقه فيما أخبر عنه من العلامات وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك أن الأقصى كالتوطئة لمراجه إلى السماء ، فجعل الإسراء إلى المسجد الأقصى كالتوطئة لمراجه إلى السماء (تفسير الخازن) . وعن الزهرى وعروة أن النبى عليه الصلاة والسلام لما أصبح ليلة أسرى به وأخبر الناس بذلك ارتد ناس ممن صدقوه عليه الصلاة والسلام وفتنوا فتنة عظيمة وسعى رجال من المشركين إلى أبى بكر ، فقالوا إن صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت القدس ومنه إلى السموات وجاء قبل أن يصبح ، قال لئن قال ذلك لقد صدق ، قالوا أأنت تصدقه فى هذا ؟ قال نعم أصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، فلذا سمى الصديق وجاء واحد منهم فقال يامحمد قم فقام عليه الصلاة والسلام فقال ارفع إحدى رجليك فرفع ، ثم قال ارفع الأخرى فقال إن رفعتها أسقط ، فقال الكافر إذا لم ترفع عن الأرض شبراً فكيف رفعت إلى السماء وإلى سدرة

المنتهى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام اخرج من المسجد واحك بهذا القول لعلى فانه يجيبك فخرج من المسجد فلقى عليا فحكى له القصة فسل سيفه وضرب عنقه فمات فأنكر الأصحاب على على وقالوا لم قتلته ؟ وقول النبي عليه الصلاة والسلام معقول وهو أمرك بالجواب لا بالقتل ، فقال على جواب المعاند يكون هكذا فان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يعجز عن جوابه لكن علم أنه لا يقبل الجواب فأرسله إلى لأقتله . وجوابه أن الرسول بحوله وقوته عاجز عن العروج مقدار شبر ، لكن أمر المعراج إنما حصل بقوة القادر القوى الذى جميع القدر عند قدرته كذرة من الشمس وقطرة من البحر ، ثم اجتمعوا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجلسوا حوله يسألون عن أشياء فى بيت المقدس فقالوا : أخبرنا عن عيرنا أى تجارتنا الذين مضوا إلى الشام هل لقيت شيئاً منها ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم فى طلبه وفى رحالهم قدح من ماء أخذته فشربته ثم وضعته كما كان ، فاسألوهم هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا ؟ قالوا هذه علامة ثم قالوا أخبرنا عن عيرنا متى تجىء إلينا قال عليه الصلاة والسلام مررت بها بالتنعيم وهو موضع قبيل الحرم قالوا فما عددها وأحمالها وهيئتها ومن فيها ؟ قال هى كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق وهو ما يكون لونه كلون التراب عليه غرارتان تطلع عليكم طلوع الشمس ، قالوا هذه علامة فخرجوا فى آخر الليل ينتظرون العير ليستدلوا بها على صدقه فى خبر السماء إن ظهر صدقه ، فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر منهم هذه الابل والله قد طلعت يقدمها بعير أورق وفيها فلان وفلان كما أخبر عليه الصلاة والسلام فلم يؤمنوا وقالوا إن هذا إلا سحر مبين (موعظة) . عن أبى سعيد الخدرى أنه سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الليلة التى أسرى به فيها فقال « أتيت بدابة وهى أشبه الدواب بالبغل وهو البراق الذى كان يركبه الأنبياء قال فانطلق بى يضع يده عند منتهى بصره فسمعت نداء عن يمينى يا محمد على رسلك فمضيت ولم أعرج عليه ثم سمعت نداء عن شمالى فمضيت ولم ألتفت إليه ثم استقبلتنى امرأة وعليها من كل زينة فمدت يدها وقالت على رسلك فمضيت ولم ألتفت إليها ثم أتيت بيت المقدس أو قال المسجد الأقصى فنزلت وأوثقته بالحلقة التى كانت الأنبياء يوثقونه بها ثم دخلت المسجد فصليت فقلت يا جبرائيل سمعت نداء عن يمينى فقال ذلك داعى اليهودية ، أما إنك لو وقفت عليه لتهودت أمتك فقلت سمعت نداء عن شمالى فقال ذلك داعى النصرانية أما إنك لو وقفت عليه لتنصرت أمتك ، وأما المرأة فكانت الدنيا تزينت لك أما إنك لو وقفت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ، ثم أتيت بإناءين أحدهما فيه لبن والآخر فيه خمر فقال لى اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته وتركت الخمر فقال جبرائيل أصبت

الفطرة أى أعطيت أمتك الإسلام ، أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك » (قصة) . روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لما كانت ليلة أسرى بى وأنا بمكة بين النوم واليقظة جاءنى جبرائيل فقال يا محمد قم فقمت فاذا جبرائيل ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل ائتنى بطست من ماء زمزم لكى أطهر قلبه وأشرح له صدره قال عليه الصلاة والسلام فشق بطنى وغسله ثلاث مرات وقد اختلف إليه ميكائيل بثلاث طسوت من ماء فشرح صدرى ونزع ما كان فيه من غل وملأه حكمة وعلما وإيمانا وختم بين كتفى بخاتم النبوة ، ثم أخذ جبرائيل بيدى حتى انتهى إلى سقاية زمزم فقال للملك ائتنى بذنوب من ماء زمزم أو من ماء الكوثر وقال لى توضأ فتوضأت ثم قال انطلق يا محمد فقلت إلى أين ؟ فقال إلى ربك ورب كل شىء فأخذ بيدى وأخرجنى من المسجد فاذا أنا ببراق فوق الحمار ودون البغل خده كخد الإنسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الإبل وأظلافه كأظلاف البقر وظهره كأنه درة بيضاء عليه رحل من رحال الجنة وله جناحان فى فخذيه يمر مثل البرق خطوه عند منتهى طرفه فقال اركب . وهى دابة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التى كان يزور عليها البيت الحرام فركبته ، ثم سار ومعه جبرائيل فقال انزل فصل قال فنزلت وصليت فقال جبرائيل أتدرى أين صليت ؟ قلت لا قال صليت بطيبة وإليها المهاجرة إن شاء الله ثم سرنا ثم قال انزل فصل فنزلت وصليت فقال أتدرى أين صليت ؟ قلت لا ، قال صليت بطورسيناء حيث كلم الله موسى ثم سرنا ثم قال انزل فصل فنزلت فصليت قال أتدرى أين صليت ؟ فقلت لا قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه الصلاة والسلام ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس فلما انتهيت فاذا أنا بملائكة قد نزلوا من السماء وتلقونى بالبشارة والكرامة من عند الله تعالى يقولون : السلام عليك يا أول يا آخر يا حاشر . قال قلت يا جبرائيل ما تحيتهم إياى ؟ قال إنك أول من تنشق عنه الأرض وعن أمتك وأول شافع وأول مشفع وإنك آخر الأنبياء وإن الحشر بك وبأمتك ، ثم جاوزنا حتى انتهينا إلى باب المسجد فأنزلنى جبرائيل وربط البراق فى الحلقة التى كانت تربطه الأنبياء فيها بخطام من حرير الجنة ، فلما دخلت الباب إذا أنا بالأنبياء والمرسلين » وفى حديث أبى العالية « أرواح الأنبياء الذين بعثهم الله من قبلى من لدن إدريس ونوح عليهما الصلاة والسلام إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قد جمعهم الله عز وجل فسلموا على وحيونى مثل تحية الملائكة ، قلت يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال إخوانك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم أخذ جبرائيل بيدى فانطلق بى إلى الصخرة فصعد بى . قال فاذا معراج إلى السماء لم أر مثله حسنا وجمالا لم ينظر الناظرون إلى شىء قط أحسن منه ومنه تعرج الملائكة أصله على صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسماء ، إحدى عارضتيه ياقوتة

والأخرى زبرجدة درجة من فضة ودرجة أخرى من زمرد مكلل بالدر والياقوت وهو المعراج الذى يهبط منه ملك الموت لقبض الأرواح ، فاذا رأيتم ميتكم شخص بصره فانه تتقطع عنه المعرفة إذا عاينه لحسنه ، فاحتملنى جبرائيل عليه الصلاة والسلام حتى وضعنى على جناحه ثم ارتفع إلى سماء الدنيا من ذلك المعراج فقرع الباب فقيل من ذا ؟ فقال أنا جبرائيل فقيل من معك ؟ قال محمد ففتح الباب فدخلنا فيه ، وبينما أنا أسير فى سماء الدنيا إذ رأيت ديكا له ريش أبيض كأشد بياض ، مارأيت مثله قط وله زغب أخضر تحت ريشه كأشد خضرة مارأيت مثلها قط وإذا رجلاه فى تخوم الأرض السفلى ورأسه تحت العرش له جناحان فى منكبيه إذا نشرهما جاوز الشرق والمغرب فاذا كان بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله عز وجل يقول : سبحان الملك القدوس الكبير المتعال لا إله إلا الله الحى القيوم ، فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت بالصراخ فاذا سكن ذلك الديك فى السماء سكنت ديكة الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أزل منذ رأيت ذلك الديك مشتاقاً إلى أن أراه ثانياً ، قال عليه الصلاة والسلام ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء الثالثة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء السادسة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء السابعة فاستفتح إلى آخره ، ثم دخلنا فاذا أنا برجل أشمط جالساً على كرسى عند باب الجنة وعنده قوم جلوس بيض الوجوه، فقلت ياجبرائيل من هذا الأشمط ومن هؤلاء وما هذه الأنهار ؟ قال هذا أبوك إبراهيم أول من شمط على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وإذا إبراهيم مستند إلى بيت فقال جبرائيل هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة فاذا خرجوا لم يعودوا إليه ، قال عليه الصلاة والسلام فأتى بى جبرائيل إلى سدرة المنتهى فاذا هى شجرة لها أوراق الواحدة منها تغطى الدنيا بما فيها ، وإذا نبقها مثل قلال هجر يخرج من أصلها أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان، فسألت جبرائيل فقال : أما الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات . قال ثم انتهيت إلى سدرة المنتهى وأنا أعرف ورقها وثمرها فغشيها من نور الله ما غشى أى تجلى وغشيها الملائكة كأنهم جراد من ذهب من خشية الله تعالى ، فلما غشيها ماغشى تحولت حتى لايستطيع أحد أن ينعتها . قال عليه الصلاة والسلام : وفيها ملائكة لايعلم عددهم إلا الله تعالى عز وجل ، ومقام جبرائيل فى وسطها ، فقال لى جبرائيل تقدم فقلت يا جبرائيل تقدم أنت فقال بل تقدم يا محمد إنك أكرم على الله منى فتقدمت وجبرائيل على أثرى حتى انتهى بى إلى حجاب فراش الذهب فحرك

الحجاب فقيل من ذا ؟ قال أنا جبرائيل ومعى محمد قال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى وتخلف جبرائيل فقلت إلى أين ؟ فقال يا محمد وما منا إلا له مقام معلوم إن هذا منتهى الخلائق ، وإنما أذن لى فى الدنو من الحجاب لاحترامك وإجلالك ، فانطلق بى الملك فى أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب ، فقال الملك من وراء الحجاب من هذا ؟ قال أنا صاحب فراش الذهب وهذا محمد رسول العرب معى ، قال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب حتى وضعنى بين يديه ، فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وما بين الحجاب إلى الحجاب خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف أخضر ضوؤه كضوء الشمس فالتمع بصرى ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملنى ، فلما رأيت العرش وجدته أوسع من كل شىء فقربنى الله عز وجل إلى مسند العرش وتزلت قطرة من العرش فوقعت على لسانى فما ذاق الذائقون أحلى منها ، فأنبأنى الله عز وجل نبأ الأولين والآخرين وأطلق لسانى بعد كلاله من هيبة الله ، فقلت : التحيات لله والصلوات والطيبات ، فقال الله عز وجل ثناؤه : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقال لى ربى عز وجل : يا محمد اتخذتك حبيباً كما اتخذت إبراهيم خليلا ، وكلمتك كما كلمت موسى تكليما وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلتهم أمة وسطا وجعلتهم الأولين والآخرين فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، ثم أفضى إلى أموراً لم يؤذن لى أن أخبركم وفرضت على وعلى أمتى فى كل يوم خمسون صلاة ، فلما عهد إلى بعهده وتركنى ما شاء الله ، قال لى ارجع إلى أمتك وبلغهم عنى فحملنى الرفرف الذى كنت عليه ولم يزل يخفضنى ويرفعنى حتى أهوى بى إلى سدرة المنتهى ، فاذا أنا بجبرائيل أبصره بقلبى كما أبصره بعينى أمامى ، فقال حياك الله بما لم يحى أحداً من خلقه لا ملكا مقرباً ولا نبيا مرسلا ، وقد بلغك مقاماً لم يصل إليه أحد من أهل السموات والأرض ، فهنيئا لك بما حياك الله من المنزلة الرفيعة والكرامة الفائقة فخذ بشكره فان الله منعم يحب الشاكرين ، فحمدت الله على ذلك ، ثم قال جبرائيل عليه الصلاة والسلام انطلق يا محمد إلى الجنة حتى أريك مالك فيها حتى تزداد بذلك فى الدنيا زهادة إلى زهادتك وفى الآخرة رغبة إلى رغبتك فجزنا حتى وصلنا بإذن الله تعالى فما ترك فيها مكاناً إلا رأيته وأخبرنى عنه ، فرأيت القصور من الدر والياقوت والزبرجد ، ورأيت الأشجار من الذهب الأحمر ، ورأيت فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك مفروغ منه معد وإنما ينظر به صاحبه من أولياء الله ، فتعاظمنى الذى رأيت وقلت : لمثل هذا فليعمل العاملون ثم عرض على النار حتى نظرت إلى أغلالها وسلاسلها ، ثم أخرجنى من السماء فمررنا بالسموات متحدرين من

سماء إلى سماء حتى أتيت إلى موسى فقال ماذا فرض الله عليك وعلى أمتك ؟ فقلت خمسين صلاة ، فقال موسى إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإنى قد جربت الناس وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فأتيت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فأتيت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشراً ، فأتيت إليه فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشراً فأتيت إليه ، فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فأتيت إليه ، فقال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإنى قد جربت الناس وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قلت سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم ، فلما جاوزته نادى مناد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى وفى رواية أخرى وأجزى بالحسنة عشر أمثالها ، قال عليه الصلاة والسلام : ثم انصرفت مع أخى جبرائيل لا يفوتنى ولا يفوته حتى انصرفنا إلى مضجعى ، وكان ذلك فى ليلة واحدة من لياليكم هذه قال عليه الصلاة والسلام : أنا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر » .

قال ابن عباس رضى الله عنهما وعائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لما كانت ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة ، عرفت أن الناس لا يصدقوننى فقعد عليه الصلاة والسلام حزيناً ، فمر به أبو جهل عدو الله فأتاه فجلس إليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شىء ؟ قال نعم أسرى بى الليلة قال إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم . قال أتحدث قومك بما حدثتنى ؟ قال نعم قال يا معشر بنى كعب بن لؤى هلموا فجاءوا حتى جلسوا اليهما ، قال حدث قومك بما حدثتنى قال : نعم ، أسرى بى الليلة قالوا إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم فسعى رجال من المشركين إلى أبى بكر الصديق ، فقالوا هل لك من صاحبك خبر يزعم أنه أسرى به الليلة قال أو قد قال ؟ قالوا قال ، قال نعم لقد صدق قالوا أتصدقه ؟ قال أصدقه فى أبعد من ذلك » هـذه القصة بإيجاز . وأما رؤيته عليه الصلاة والسلام لربه عز وجل ؛ فاختلف السلف فى رؤيته سبحانه بعين بصره . فأنكرته عائشة ، عن عامر عن مسروق : أنه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه يعنى ليلة الإسراء فى حال اليقظة ؟ فقالت قف شعرى مما قلت أى اقشعر شعر جسدى مما طلبت منى « ثلاث من حدثك بهن فقد كذب : من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) » الآية وذكر الحديث ، وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن أبى هريرة أنه قال إنما رأى جبرائيل واختلف عنه ، وقال بإنكار هـذا وامتناع رؤيته فى الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين . وعن

ابن عباس أنه رآه بعينه ، وروى عطاء عنه رآه بقلبه . وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين . وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه ؟ فقال نعم ، والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه ، روى ذلك عنه من طرق وقال : إن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ؟ . ولقد رآه نزلة أخرى) قال الماوردى قيل إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين ، وحكى السمرقندى عن محمد ابن كعب القرظي وربيع بن أنس « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك ؟ قال رأيته بفؤادى ولم أره بعيني » الخ (شفاء شريف) .

وأما سبب المعراج فهو أن الأرض افتخرت على السماء فقالت الأرض أنا خير منك لأن الله تعالى زينني بالبلاد والبحار والأنهار والأشجار والجبال وغيرها ، فقالت السماء أنا خير منك لأن الشمس والقمر والكواكب والأفلاك والبروج والعرش والكرسي والجنة في ، وقالت الأرض في بيت يزوره ويطوف به الأنبياء والمرسلون والأولياء والمؤمنون عامة ، وقالت السماء في البيت المعمور يطوف به ملائكة السموات ، وفي الجنة التي هي مأوى أرواح الأنبياء والمرسلين وأرواح الأولياء والصالحين ، وقالت الأرض إن سيد المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين وأفضل الموجودات عليه أكمل التحيات وطن في وأجرى شريعته على ، فلما سمعت السماء هذا عجزت وسكتت عن الجواب وتوجهت إلى الله فقالت إلهي أنت تجيب المضطر إذا دعاك وأنا عجزت عن جواب الأرض فأسألك أن تصعد محمداً إلى فأتشرف به كما تشرفت الأرض بجماله وافتخرت به الأرض فأجاب دعوتها وأوحى الله تعالى إلى جبرائيل عليه الصلاة والسلام في الليلة السابعة والعشرين من رجب لا تسبح هذه الليلة ويا عزرائيل لا تقبض الأرواح هذه الليلة ، فقال جبرائيل عليه الصلاة والسلام أجاءت القيامة ؟ قال لا يا جبريل ولكن اذهب إلى الجنة وخذ البراق واذهب به إلى محمد فذهب جبرائيل ورأى أربعين ألف براق يرتعون في رياض الجنة وعلى جبينهم اسم محمد ورأى فيهم براقاً منكساً رأسه يبكي وتسيل من عينيه الدموع ، فقال جبرائيل مالك يا براق ؟ قال يا جبرائيل إني سمعت منذ أربعين ألف سنة اسم محمد فوقع في قلبي محبة صاحب هذا الاسم وعشقته وبعد ذلك لم أحتج إلى طعام ولا شراب واحترقت بنار العشق فقال جبرائيل أنا أوصلك بمعشوقك ثم أسرجه وألجمه وجاء به إلى النبي عليه الصلاة والسلام إلى آخر القصة (أعرجية)

المجلس الثالث والثلاثون : فى بيان فضيلة الإنسان

سورة الإسراء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ولقد كرمنا بنى آدم) بحسن الصورة والمزاج الأعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والإفهام بالنطق والاشارة والخط والهدى إلى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الأرض والتمكن فى الصناعات وانسياق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية إلى ما يعود عليهم بالمنافع ، إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه ، ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفمه إلا الانسان فانه يرفعه إليه بيده (وحملناهم فى البر والبحر) على الدواب والسفن ، من حملته حملا إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يغرقهم الماء (ورزقناهم من الطيبات) المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) بالغلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ، ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفراده (قاضى بيضاوى) .

روى عن وهب بن منبه أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « من سلم على عشراً فكأنما أعتق رقبة » (شفاء شريف) « روى أن عمرو بن كعب وأبا هريرة رضى الله تعالى عنهما دخلا على النبى عليه الصلاة والسلام فقالا يا رسول الله من أعلم الناس ؟ قال العاقل قالا من أعبد الناس ؟ قال العاقل ، قالا من أفضل الناس ؟ قال العاقل ، لكل شىء آلة وآلة المؤمن العقل ، ولكل قوم راع وراعى المؤمن العقل ، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل » (حياة القلوب) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : العقل عشرة أجزاء : خمسة منها ظاهرة وخمسة منها باطنة ، أما الظاهرة فأولها الصمت كما قال عليه الصلاة والسلام « من صمت نجا » وقال عليه الصلاة والسلام « من كثر كلامه كثر سقطه » والثانى الحلم والثالث التواضع كما قال عليه الصلاة والسلام « من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله » والرابع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والخامس العمل الصالح . وأما الباطنة ، فأولها التفكر ، والثانى العبرة ، والثالث استعظام الذنوب ، والرابع الخوف من الله تعالى ، والخامس تحقير النفس وتذليلها (حياة القلوب) وفى الخبر « خلق الحسن على سبعة أقسام : اللطافة والملاحة والضياء والنور والظلمة والرقة والدقة ؛ ولما خلق الخلق وهذه الأشياء جعل لكل شىء منها قسما واحداً ، فجعل اللطافة للجنة والملاحة للحور العين والضياء للشمس والنور للقمر والظلمة لليل والرقة والدقة للهواء وزين العالم الأكبر يعنى السماء والأرض بهذه الأقسام ؛ ولما خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وحواء وهو العالم الأصغر زينه بكل هذه الأشياء ، فجعل اللطافة لروحه والملاحة للسانه والضياء لوجهه والنور لعينه

والظلمة لشعره والرقة لقلبه والدقة لسره ، فكان الإنسان أحسن من كل شيء كما قال الله تعالى في حقه (في أي صورة ماشاء ركبك) » (مجالس) لا نزاع في أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الملائكة السفلية إنما النزاع في الملائكة العلوية السماوية ، فقال أكثر الصحابة الأنبياء عليهم السلام أفضل وعليه الشيعة وأهل الملل ، وقالت المعتزلة الملائكة أفضل وعليه الفلاسفة . واحتج أصحابنا بوجوه : الأول قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فأمروا بالسجود لآدم وأمر الأدنى بالسجود للأفضل هو السابق إلى الفهم . والثاني قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) إلى قوله (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) فانه يدل على أن آدم عليه السلام علم الأسماء كلها ولم يعلموها والعالم أفضل من غيره ، وقال الله تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) والثالث أن للبشر عوائق عن العبادة من شهوته وغضبه وحاجته الشاغلة لأوقاته وليس للملائكة منها شيء ، ولا شك أن العبادة مع هذه العوائق أدخل في الإخلاص وأشق فيكون أفضل ، وتفصيل هذا في شرح العلامة التفتازاني على العقائد فعليك بمطالعته . قال عليه الصلاة والسلام « أفضل الأعمال أحمزها » أي أشقها فيكون ثوابها أكثر . والرابع أن الإنسان ركب تركيباً بين الملك الذي له عقل بلا شهوة وبين البهيمة التي حالها شهوة بلا عقل فبعقله له حظ من الملائكة وبطبيعته له حظ من البهيمة ، ثم إن غلبت طبيعته على عقله فهو أشر من البهائم لقوله تعالى (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقوله تعالى (إن شر الدواب عند الله الصم) وذلك يقتضي أن يكون من غلب عقله على طبيعته خيراً من الملائكة (كذا في شرح المواقف) . (هق) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون ويلبسون الثياب وينامون ويسرحون ولم تجعل لنا شيئاً من ذلك فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال الله تعالى لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن خلقته بكن فيكون » أي كمن خلقته بمجرد الأمر وهو الملك . يعني لا يستوى البشر والملك في الكرامة والقربة بل كرامة البشر أكثر ومنزلته أعلى (مصابيح) يقال تركيب الأفلاك والبروج مثل تركيب الإنسان ، فكما أن الأفلاك سبعة كذلك الأعضاء والفلك منقسم إلى اثني عشر برجاً وكذلك في الجسد اثنا عشر ثقباً عينان وأذنان ومنخران وسبيلان وثديان وفم وسرة ، ستة من البروج جنوبية وستة شمالية وكذلك ستة ثقوب من جهته اليمنى وستة من جهته اليسرى ، وفي الفلك سبعة أنجم وفي الجسد سبع قوى سامعة وناظرة وشامة وذائقة ولامسة وعاقلة وناطقة ، فحركاتك مثل حركات الكواكب وولادتك مثل طلوع الكواكب وموتك مثل غروب الكواكب وهذا الاعتبار في العالم

العلوى . وأما فى العالم السفلى فجسدك كالأرض وعظامك كالجبال ومخك كالمعادن وعروقك كالجداول ولحمك كالتراب وشعرك كالنباتات ووجهك كالمشرق وظهرك كالمغرب ويمينك كالجنوب وشمالك كالشمال وتنفسك كالريح وكلامك كالرعد وضحكك كالبرق وبكاؤك كالمطر وغضبك كالسحاب ونومك كالموت وسهرك كالحياة وشبابك كالصيف وشيخوختك كالشتاء (فتبارك الله أحسن الخالقين) وجعل فى الكف خمسة وثلاثين عظما وفى الرجل كذلك (زهرة الرياض) روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فى تفسير قوله تعالى (رب العالمين) أن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم أربعة أصناف : الملائكة والشياطين والجن والإنس ، ثم جعل هؤلاء الأربعة عشرة أجزاء فتسعة منهم للملائكة وجزء واحد منهم الشياطين والإنس والجن ، ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء فتسعة منهم الشياطين وجزء واحد منهم الإنس والجن ، ثم جعلهما عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن وجزء واحد منهم الإنس ، ثم جعل الإنس مائة وخمسة وعشرين جزءا ، فجعل مائة جزء منهم فى بلاد الهند ومصيرهم كلهم إلى النار وجعل اثنى عشر جزءا فى بلاد الروم ومصيرهم جميعهم إلى النار وجعل ستة أجزاء منهم فى الشرق ومصيرهم جميعهم إلى النار وجعل ستة أجزاء منهم فى المغرب كلهم من أهل النار ، وبقى جزء واحد ثلاثة وسبعون جزءا اثنان وسبعون منها أهل البدعة والضلالة وفرقة منها ناجية وهم أهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (تفسير الوسيط) .

سئل أبو بكر البلخى عن الفقير لو أخذ جائزة السلطان مع علمه أن السلطان أخذها غصباً أيحل ذلك ؟ قال إن كان السلطان خلط الدراهم بعضها ببعض فلا بأس بأخذه ، وإن دفع إليه عين الغصب من غير خلط لا يجوز أخذه . قال الفقيه أبو الليث هذا الجواب يستقيم على قول أبى حنيفة ، إذ عنده من غصب الدراهم من قوم وخلط بعضها ببعض يملكها الغاصب ويكون مديوناً لهم . وذكر فى بستان العارفين أن الناس اختلفوا فى أخذ جائزة السلطان ، فقال بعضهم يجوز مالم يعلم أنه يعطيه من الحرام ، وقال بعضهم لا يجوز . أما من أجازه فقد ذهب إلى ما روى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن السلطان يصيب من الحلال والحرام فما يعطيك فخذه فإنما يعطيك من الحلال . وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام : « من أعطى شيئاً من غير مسألة فليأخذه فإنما هو رزق رزقه الله تعالى » . وروى عن حبيب بن أبى ثابت أنه قال : رأيت ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وابن عباس رضى الله تعالى عنهما يأتيهما هدايا المختار فيقبلانها مع كونه مشهورا بالظلم . وروى محمد بن الحسن عن أبى حنيفة رحمة الله عليه عن حماد أن إبراهيم النخعى رحمه الله خرج إلى زهير بن عبد الله الأزدى وكان عاملا على

حلوان يطلب جائزته هو وأبو ذر الهمدانى رضى الله تعالى عنه ، قال محمد رحمه الله وبه نأخذ مالم تعرف شيئاً من إعطائه حراماً بعينه وهـذا قول أبى حنيفة (موعظة) أقول فى زماننا لا يمكن الأخـذ بالقول الأحوط فى الفتوى لأن الاستقصاء البالغ فى الحلال على قانون الورع الأعلى مما يفضى إلى الحرج سيما فى حق الطلبة وهو مدفوع فى الدين بل الشرع هو الميزان المستقيم فما لايذمه الشرع فهو حلال ورحمة من الله تعالى على عباده فاذا تمسك أحـد بالشريعة فليس لأحـد أن ينكر عليه لأن الإنكار استخفاف بالشريعة فمن استخفها يخاف عليه زوال الإيمان . إذا تحقق هذا فالورع والتقوى فى هذا الزمان أن يجعل مافى يد كل إنسان ملكا له مالم يتيقن أنه بعينه مغصوب أومسروق وإن علم يقيناً أن فى ماله حراماً إذ قال قاضيخان فى فتاواه: رجل دخل على سلطان فقدم إليه شىء من المأكولات إن لم يعلم أنه بعينه غصب يحل له أن يأكل لأن الأصل فى الأشياء الإباحة والإفلا (من استفادات الحقير) .

قال الله تعالى فى سورة يس (وآية) عظيمة منا دالة على كمال قدرتنا ووحدانيتنا (لهم) أى يستدلون بها على صـدقنا (أنا) أى بشأن عظمتنا (حملنا ذريتهم فى الفلك) والمراد بالذرية الآباء والأجداد وإن كان اسم الذرية يقع على الأولاد (المشحون) أى المملوء والمراد بالفلك سفينة نوح عليه السـلام ، وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح عليه والسلام وكانوا فى أصلاب آبائهم . قال بعضهم : المراد بالفلك المشحون سفينة هذا الزمان وذرياتهم فى السفينة التى تجرى فى البحر وليس لها يد ورجل وتقطع مسيرة عشرين يوماً فى يوم واحد هذا كله يدل على كمال قدرتنا (وخلقنا لهم من مثله مايركبون) قيل أراد به السفن التى عملت بعـد سفينة نوح عليه السـلام على هيئتها ، وقيل أراد به السفن الصـغار التى تجرى فى الأنهار كالفلك الكبار فى البحر ، وهذا قول قتادة والضحاك وغيرهما . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن المراد من مثله الإبل فى البر كالسفن فى البحر يعنى خلقنا لهم فى البحر السفن يركبونها وخلقنا لهم فى البر الإبل والفرس والحمار يركبونها ، وهذا كله يدل على قدرتنا وقوتنا (من معالم التنزيل وغيره) .

المجلس الرابع والثلاثون : فى بيان صلاة التهجد

سورة الإسراء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ومن الليل فتهجد به) أى بعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك على الصـلاة المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبها بك (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا) مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو يطلق فى كل مقام يتضمن كرامة . والمشهور أنه مقام الشفاعة لما روى عن أبى هريرة عن النبى عليه الصلاة والسلام

أنه قال : هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى ، ولإشعاره بأن الناس يحمدونه لقيامه فيه وماذاك إلا مقام الشفاعة ، وانتصابه على الظرف بإضمار فعله أى فيقيمك مقاماً أو بتضمين يبعثك معناه ، أو الحال بمعنى أن يبعثك ذامقام (قاضى بيضاوى) .

عن أنس بن مالك عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على إلا وإنهما لم ينصرفا حتى يغفر الله ذنوبهما ماتقدم وماتأخر من كرمه » . وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « أنه كان جالسا فى المسجد فدخل عليه شاب فعظمه وأجلسه بجنبه فوق أبى بكر ثم اعتذر عليه الصلاة والسلام فقال إنما أجلسته أعلى منك لأنه ليس فى الدنيا من يصلى على أكثر منه وهو يقول كل غداة وعشى : اللهم صل على سيدنا محمد بعدد من صلى عليه وصل على سيدنا محمد بعدد من لم يصل عليه وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه وصل على محمد كما أمرت أن يصلى عليه فلذلك أجلسته أعلى منك » (زبدة الواعظين) قوله : ومن الليل متعلق ، بتهجد أى تهجد بالقرآن فى بعض الليل فاترك الهجود ، والأظهر أن يكون متعلقاً بمقدر عطف عليه فتهجد لأن الفاء لابد لها من المعطوف عليه ، والتقدير قم من الليل فتهجد بالقرآن (شيخ زاده) وقوله : ومن الليل فتهجد أى قم بعد نومك فتهجد لأن التهجد لا يكون إلا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل والصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الأمة فى ابتداء الإسلام لقوله تعالى (يا أيها المزمل قم الليل) الآية ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً فى حق الأمة بالصلوات الخمس وبقى قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) وبقى الوجوب ثابتاً فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل قوله تعالى (نافلة لك) أى زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التى فرضها الله تعالى ، وقيل صار الوجوب منسوخاً فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى حق الأمة فصار قيام الليل نافلة له عليه الصلاة والسلام لأن الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك (من تفسير الخازن) المراد بالنافلة الفضيلة لفضله على أمته بوجوبها عليه ويزداد ثواباً وهى فضيلة له لا مكفرة لذنوبه لكونه مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (شهاب) . فان قلت : فما معنى التخصيص إذا كان زيادة فى حق المسلمين كما فى حق النبى عليه الصلاة والسلام . قلت فائدة التخصيص أن النوافل كفارات لذنوب العباد والنبى عليه الصلاة والسلام قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان نافلة له وزيادة فى رفع الدرجات العاليات ، بخلاف الأمة فان لهم ذنوبا محتاجة إلى الكفارة فهم محتاجون إلى النوافل لتكفير الذنوب والسيئات لا لمحض زيادة الثواب ، فالإشارة إلى هذا المعنى جعل تطوعات النبى عليه الصلاة والسلام زوائد فى مثوبته

بخلاف الأمة (شيخ زاده) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : أمر النبي عليه الصلاة والسلام بقيام الليل وكتب عليه دون أمته ولكن صحح البغوى أنه نسخ عن النبي عليه الصلاة والسلام فرضية التهجد (شهاب) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « رحم الله تعالى رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته وإن أبت نضح بالماء وجهها ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت بالماء وجهه » (موعظة) عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ثلاثة على فريضة وسنة لكم : الوتر والسواك وقيام الليل » (شهاب) عن عمر بن الخطاب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى في الليل وأحسن الصلاة أكرمه الله تعالى بتسعة أشياء : خمسة في الدنيا وأربعة في الآخرة ، الخمسة التي في الدنيا يحفظه الله من الآفات ويظهر أثر الطاعة في وجهه ويحبه قلوب عباده الصالحين والناس أجمعين وينطق لسانه بالحكمة ويجعله حكيما أي يرزقه الفقه . والأربعة التي في الآخرة يحشر من القبر أبيض الوجه وييسر عليه الحساب ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويعطى كتابه بيمينه يوم القيامة (روضة العلماء) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ليلة أسرى بي إلى السماء أوصاني ربي بخمسة أشياء فقال لا تعلق قلبك بالدنيا فاني لم أخلقها لك ، واجعل محبتك لي فان مصيرك إلى ، واجتهد في طلب الجنة وكن آيساً من الخلق فانه ليس في أيديهم شيء ودم على التهجد فان النصرة مع قيام الليل (شرعة الإسلام) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من استيقظ من النوم فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رب اغفرلي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات فقد غفر له ربه » (زبدة الواعظين) قال إبراهيم بن أدهم نزل بي أضياف فعلمت أنهم أبدال ، فقلت أوصوني بوصية حتى أخاف الله تعالى كخيفتكم ، فقالوا نوصيك بسبعة أشياء : أولها من كثر كلامه فلا تطمع فيه يقظة القلب ، وثانيها من كثر أكله فلا تطمع فيه الحكمة ، وثالثها من كثر اختلاطه بالناس فلا تطمع فيه حلاوة العبادة ، ورابعها من أحب الدنيا فلا تطمع فيه حسن الخاتمة ، وخامسها من كان جاهلا فلا تطمع فيه حياة القلب ، وسادسها من اختار صحبة الظالم فلا تطمع فيه استقامة الدين ، وسابعها من طلب رضا الناس فلا تطمع فيه رضا الله تعالى عنه (حديث الأربعين) (ت) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم من الأنبياء والأولياء » روى أن آل داود عليه السلام كانوا يقومون ، وفيه تنبيه على أنكم أولى بذلك ، فانكم خير الأمم ، وإيماء إلى أن من لا يقوم في الليل ليس من الصالحين الكاملين

« ومقرب لكم إلى ربكم » أى أقرب إلى محبة مولاكم مما تتقربون به إليه تعالى ، وفيه إشارة إلى الحديث القدسى وهو قوله : « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » « ومكفرة للسيئات ومنهاة » هما مصدران ميميان كالمحمدة بمعنى الفاعل ، أى ساترة للذنوب وماحية للعيوب قال الله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) « وناهية عن الإثم » قال الله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (على القارى عليه رحمة البارى) قال عليه الصلاة والسلام « أشفع لأمتى حين يناديني ربى فيقول أرضيت يا محمد ؟ فأقول يا رب رضيت » (حديث الأربعين) عن عمر بن عبد العزيز أنه كان خليفة وكان من الزاهدين قالت له جاريته يوماً يا أمير المؤمنين إنى رأيت رؤيا عجيبة فقال ما رأيت ؟ قالت رأيت القيامة قد قامت وحشر الناس ونصب الميزان ومد الصراط عليها ، وجاءوا أولا بعبد الملك بن مروان وقالوا له أعبر من هذا فلما وضع قدميه على الصراط وأراد أن يمشى ، فما مشى من خطوة أو خطوتين إلا سقط فى النار ، ثم جاءوا بابنه الوليد بن عبد الملك وقالوا أعبر فلما وضع قدمه على الصراط إلا وقع فى النار ، وكان الخلفاء كلهم مثل ذلك ، ثم جاءوا بك يا أمير المؤمنين ، فلما قالت الجارية ذلك صاح عمر بن عبد العزيز صيحة واضطرب اضطراباً شديداً كالسمك فى الشبك وجعل يضرب برأسه أرضاً وجداراً والجارية تصيح وتقول : والله رأيت أنك فى الجنة وجاوزت الصراط سالما ، فلم يسمع كلامها من اضطرابه فلما سكن اضطرابه وجدوه قد مات (موعظة) قال عليه الصلاة والسلام « يعقد الشيطان على ناصية رأس أحدكم إذ هو نائم ثلاث عقد ، فاذا استيقظ فذكر اسم الله تعالى انحلت عقدة واحدة ثم إذا توضأ انحلت عقدة ثانية ، ثم إذا صلى انحلت عقدة ثالثة فأصبح نشيطاً وإلا بال الشيطان فى أذنيه » (كذا فى المشكاة) قال الإمام الغزالى رحمه الله : إذا كان أول الليل نادى مناد من تحت العرش ألا ليقم العابدون فيقومون ويصلون ما شاء الله ، ثم ينادى مناد فى شطر الليل ألا ليقم الخائفون الذين يطيلون قيامهم فى الصلاة إلى السحر ، ثم ينادى مناد ألا ليقم المستغفرون فيقومون فيستغفرون ، وإذا طلع الفجر ينادى مناد ألا ليقم الغافلون فيقومون من فراشهم كالموتى ينشرون من قبورهم ؛ ولذا أوصى لقمان ابنه ، وقال يا بنى لا تكن نائما والديك ينادى فى الأسحار وأنت نائم . وقال الشيخ محيى الدين بن العربى قدس سره : عليك من قيام الليل بما يزيل عنك اسم الغفلة وأقل ذلك بعشر آيات أى فى الصلاة . وكذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من قام بعشر آيات فى الصلاة لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المكثرين ثواباً وهو كمن تصدق بسبعين ألف دينار » (كذا فى زبدة الواعظين) حكى أن موسى عليه السلام مر يوماً

برجل وهو يصلي مع خضوع وخشوع فقال يا رب ما أحسن صلاته ! قال الله تعالى يا موسى لو صلى في كل يوم وليلة ألف ركعة وأعتق ألف رقبة وصلى على ألف جنازة وحج ألف حجة وغزا ألف غزوة لم ينفعه حتى يؤدي زكاة ماله ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ومنع الزكاة ينشأ من حب الدنيا (موعظة) قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من حافظ منكم على الصلاة حيثما كان وأينما كان جاز على الصراط كالبرق الخاطف مع أول زمرة من السابقين ، وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، وكان له بكل يوم وليلة كأجر ألف شهيد » . وقال عليه الصلاة والسلام « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » فان قلت لم هذا الأجر العظيم للفعل اليسير القليل ؟ قلت أما سمعت حكاية الشافعي رحمه الله حكي عنه أنه سقط سوطه من يده فأسرع إليه شخص فأخذه فأعطاه إياه ، فدفع إليه الإمام صرة فيها مبلغ عظيم فقيل له لم هذا الأجر العظيم لهذا الفعل اليسير ؟ فقال الإمام : إنه استعمل فينا جميع وسعه ونحن ما استعملنا إلا البعض من وسعنا ، هذه معاملة الشافعي ، فكيف معاملة رب العالمين ؟ فان الشافعي روى حديثاً في ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « يقبل ربي بعذر واحد ألفي كبيرة » لا سيما تكبيرة الافتتاح في الصلاة قال النبي عليه الصلاة والسلام « التكبيرة الأولى خير من الدنيا وما فيها » قيل المراد منه لو كانت لك الدنيا فأنفقتها في سبيل الله تعالى لم يحصل لك ما يحصل بالتكبيرة الأولى (موعظة) .

المجلس الخامس والثلاثون : في بيان فضيلة الأصحاب

سورة الكهف — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واصبر نفسك) واحبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) في مجامع أوقاتهم أو في طرفي النهار (يريدون وجهه) رضا الله وطاعته (ولا تعد عيناك عنهم) ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم ، وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا (تريد زينة الحياة الدنيا) حال من الكاف في المشهورة (ولا تطع من أغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش (واتبع هواه) وجوابه ما مر غير مرة (وكان أمره فرطا) أي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط أي متقدم الخيل ومنه الفرط (قاضي بيضاوي) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « من صلى علي صلاة » بأن قال اللهم صل على محمد معناه يا رب أعط ما أعطيته من الشرف والكرامة « صلى الله عليه عشراً » الصلاة من الله على العبد رحمة له « وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات » . قيل هذه الآية نزلت حين طلب رؤساء الكفار

طرد فقراء المسلمين عن مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام كصهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم ، فقالوا اطردهم عن مجلسك يا محمد حتى نجلس معك لأنهم قوم أرذلون كأن ريحهم ريح ضأن ونحن رؤساء القوم نستنكف الجلوس معهم ، فان طردتهم آمنا بك فهم عليه الصلاة والسلام أن يفعل ذلك لحرصه على إيمانهم فنزل جبريل عليه السلام بقول الله تعالى — ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه — فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهانى الله عن طرد هؤلاء ، فقالوا فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً فقال لا أفعل ، فقالوا فاجعل المجلس واحداً وأقبل علينا بوجهك وول ظهرك إليهم فنزل قوله تعالى (واصبر نفسك) الآية .(معالم) وقال قتادة هذه الآية نزلت فى أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة فقير فى مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا إلى ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هـذه الآية قال عليه الصلاة والسلام : « الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم » (معالم التنزيل) عن أنس رضى الله عنه أنه قال : بعث الفقراء إلى رسول الله واحداً فقال يا رسول الله إنى رسول الفقراء إليك قال عليه الصلاة والسلام مرحباً بك وبمن أقدمك جئت من قوم أحبهم الله ، فقال يا رسول الله يقول الفقراء إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه ويعتقون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخراً فقال عليه الصلاة والسلام : سلم على الفقراء وبلغهم عنى أن من صبر منكم واحتسب فله ثلاث خصال ليست للأغنياء : الأولى أن فى الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم ولا يصل إليها إلا نبى أو ولى أو شهيد أو مؤمن فقير . والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام يتمتعون فيها حيثما شاءوا ويدخل سليمان بن داود عليهما السلام الجنة بعد دخول الأنبياء بأربعين عاماً بسبب المال والملك الذى أعطاه الله تعالى فى الدنيا . وقال عليه الصلاة والسلام « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً » أى سنة . فان قلت ما التوفيق بين الحديثين ؟ قلنا يجوز أن يكون السابق بخمسمائة عام فقيراً صابراً ، والسابق بأربعين خريفاً غير صابر ، ويجوز أن يكون السابق بأربعين خريفاً فقراء المهاجرين على أغنيائهم لا مطلق الفقراء ولا الأغنياء .

(وحكى) أن رجلا سأل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال ألك امرأة تأوى إليها ؟ فقال نعم . قال ألك مسكن تسكن فيه ؟ قال نعم ، قال أنت من الأغنياء قال فان لى خادماً فقال أنت من الملوك . والثالثة إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً وقال الغنى مثل ذلك مخلصاً لم يبلغ ثواب الغنى مثل ثواب

الفقير وإن أنفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذا الحال فى كل أعمال البر فرجع إليهم رسولهم فأخبرهم بذلك فاستبشروا وقالو رضينا يارب بالفقر انتهى . (من ابن ملك على المشارق) وقال أبو الليث : للفقراء خمس كرامات : إحداها أن ثواب عملهم أكثر من ثواب عمل الأغنياء فى الصلاة والصدقة وغيرها . والثانية أن الفقير إذا اشتهى شيئا لايجده يكتب له من الأجر . والثالثة أنهم سابقون إلى الجنة . والرابعة أن حسابهم فى الآخرة أقل . والخامسة أن ندامتهم أقل لأن الأغنياء يتمنون فى الآخرة أن لو كانوا فقراء . وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : « دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير وإذا الحصير قد أثر فى جنبه فنظرت فى خزينته فرأيت نحو صاع من شعير فبكيت ، فقال مايبكيك قلت كسرى وقيصر ينامان على فراش حرير وأنت رسول الله أرى فيك من الفقر ماأرى . فقال عليه الصلاة والسلام ياعمر ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا » وإنما قال لنا ولم يقل لى مع كون السؤال عن حاله إشارة إلى أن الآخرة لتابعيه أيضاً ، وروى « ياابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا » يعنى أن حظ الكفار مانالوه من نعيم الدنيا ولاحظ لهم فى الآخرة انتهى (من ابن ملك على المشارق) وقال عليه الصلاة والسلام : « يقوم فقراء أمتى يوم القيامة ووجوههم كالقمر وشعورهم منسوجة بالدر والياقوت وبأيديهم أقداح من نور ويجلسون على منابر من نور والناس فى الحساب وينظر أهل الجنة إليهم فيقولون أهؤلاء من الملائكة فيقولون لا وتنظر إليهم الملائكة فيقولون أهؤلاء من الأنبياء ؟ فيقولون لا ، بل نحن من أمة محمد عليه الصلاة والسلام فيقولون بأى الأعمال رزقكم الله تعالى هذه الدرجات ؟ فيقولون لم تكن أعمالنا كثيرة ولم نصم الدهر ولم نقم الليل بل كنا نحافظ على الصلوات الخمس بالجماعة وإذا سمعنا اسم محمد عليه الصلاة والسلام فاضت عيوننا بالدمع وكنا ندعوا من قلب خاشع ونشكر الله على الفقر الذى أصابنا » (زبدة الواعظين) وعن عمرو بن شعيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله تعالى شاكراً صابراً : من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ومن نظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله تعالى على فضل الله عليه كما قال الله تعالى (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليما) » وعن شقيق الزاهد رحمه الله تعالى أنه قال : اختار الفقراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء ، اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب (زبدة الواعظين) وقال الجنيد البغدادى الفقر ثلاثة أحرف : الفاء هو الفناء والقاف هو القناعة والراء هو الرياضة وإن لم تكن هذه

الصفات موجودة فى الفقير لايكون فقيرا . قيل الموالى أى الأغنياء يدخلون الجنة بعد مماليكهم بخمسمائة سنة ، وفقراء الكفار يدخلون النار بعد أغنيائهم بخمسمائة عام لكن ينبغى لك أن تعرف أن السبق لايستلزم رفع الدرجات على من تأخر بل قد يكون بعض من تأخر كالذين أنفقوا مالهم فى وجوه الخيرات أرفع درجة ممن سبقه فى الدخول (من ابن ملك) . حكى أن الجنيد البغدادى لما مات أبدل مكانه رجل يقال له محمد الحريرى وهو قد جاور مكة سنة ولم يفطر ولم ينم ولم يسند ظهره إلى جدار ولم يمد رجليه ، فلما مضى من عمره ستون سنة جلس فى مقام التطبية قيل له أى شىء رأيت من العجائب ؟ قال بينا أنا جالس فى زاوية إذ دخل على شاب حاسراً رأسه وحافياً رجليه متفرقاً شعره مصفراً وجهه فجعل يتوضأ وصلى ركعتين ثم جعل رأسه فى جيبه حتى حضر وقت المغرب فصلى معنا المغرب ثم جعل رأسه فى جيبه فاتفق فى تلك الليلة أن دعا خليفة بغداد الصوفية للنصيحة فأردنا الخروج للإجابة فقلت له يافقير أتريد أن تخرج معنا الإجابة دعوة الخليفة قال ليس لى حاجة عند الخليفة ولكن أريد أن تجعل لى عصيدة سخينة فقلت فى نفسى لايوافقنى فى الإجابة ويريد منى شيئاً فتركته وأتيت مجلس الخليفة ثم أتيت زاويتى فرأيت الشاب كأنه نائم فنمت أنا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الشيخان الأنوران وخلفه جماعة عظيمة تتلألأ وجوههم نوراً فقيل لى هذا رسول الله وعن يمينه إبراهيم خليل الله وعن يساره موسى كليم الله والذين خلفه مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، فاستقبلت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأقبل يده فحول وجهه عنى ثم فعلت كذا فحول وجهه ثانياً وثالثاً ، فقلت يارسول الله أى شىء صدر منى أعرضت عنى بوجهك الكريم فنظر إلى محمراً وجهه كالياقوتة الحمراء لجلاله فقال إن فقيراً من فقرائنا أرادمنك عصيدة فبخلت بها وتركته جائعاً فى هذه الليلة فانتبهت خائفاً ترتعد فرائصى ، وهى اللحوم التى تتعلق بالعصب فغاب الشاب فلم أجده فى مكانه فخرجت من الزاوية ورأيته يذهب فقلت يافتى بالله الذى خلقك اصبر ساعة حتى أجىء بعصيدة فنظر إلى متبسما وقال ياشيخ من أراد لقمة منك فأين بجدمائة وأربعة وعشرين ألفاً من الأنبياء يأتونك شفعاء للقمة من عصيدة قال هكذا وغاب (مشكاة الأنوار) قال الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) مثل نفقات المنفقه فى طاعته (كمثل حبة) لزارع زرعها فى أرض عامرة (أنبتت سبع سنابل) فرضاً وتقديراً و... هو الله ولكنها سبب الإنبات أى أخرج سبع شعب من أصلها لجودة الحبة وحذاقة ال... وعمارة الموضع ، وضع جمع الكثرة موضع جمع القلة وهو سنبلات (فى كل سنبـ..ـة حبة) فيكون جملتها سبعمائة حبة ؛ فكذلك المتصدق الصالح بالمال الصالح إذا أعطاه

من يستحقه بإذن الشرع ، يعطيه الله بكل صدقة سبعمائة حسنة أو أكثر (والله يضاعف) أى يزيد الثواب (لمن يشاء) من المنفقين لا لكل منفق لتفاوت الأحوال بينهم (والله واسع) أى واسع الفضل لتلك الأضعاف (عليم) بإنفاقهم ونياتهم ، ثم بين لهم طريق الإنفاق فى سبيله لنيل ثوابه فقال (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) أى يصرفونها فى مواضعها (ثم لا يتبعون ما أنفقوا) منها (منا) أى لايمنون عليهم بما تصدقوا بأن يقول المتصدق للمان اصطنعتك كذا وأحسنت إليك كذا (ولا أذى) أى ولا يؤذونهم بأن يقول المتصدق المؤذى إنى قد أعطيتك ، فما شكرت إلى أو كم تأتينى وتؤذينى أو كم تسأل ألا تستحى (لهم أجرهم) ثوابهم مهيئا (عند ربهم ولا خوف عليهم) فى الآخرة (ولاهم يحزنون) على ماخلفوا من أمر الدنيا ، قيل نزلت هذه الآية فى شأن عثمان حين اشترى بئر رومة وجعلها سبيلا على المسلمين ، ثم قال الله تعالى تأكيد النهى المن والأذى (قول معروف) الآية (تفسير عيون) قال النبى عليه الصلاة والسلام : « الضيف بركة من الله ونعمة من الله ومن أكرم الضيف فهو معى فى الجنة ومن لم يكرم الضيف فليس منى » . وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أراد أن يحبه الله ورسوله فليأكل مع ضيفه » . وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حق الصدقة وفضائلها : « الصدقة ستر من النار ، فإذا كان يوم القيامة يستظل الناس بظل صدقاتهم » . (زهرة الرياض)

المجلس السادس والثلاثون : فى بيان ذم الدنيا وزوالها

سورة الكهف — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) اذكر لهم مايشبه الحياة الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة (كماء) هو كماء ، ويجوز أن يكون مفعولا ثانياً لاضرب على أنه بمعنى صير (أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) فالتف بسببه ، وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه ؟ أو نجع فى النبات حتى روى وورق ، وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الأرض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته (فأصبح هشيما) مهشوماً مكسوراً (تذروه الرياح) تفرقه وقرئ تذريه من أذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله ، بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارقا ، ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن (وكان الله على كل شىء) من الإنشاء والإفناء (مقتدرا) قادراً (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يتزين بها الإنسان فى دنياه وتفنى عنه عن قريب (والباقيات الصالحات) وأعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها أبد الآباد ويندرج فيها مافسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والكلام الطيب (خير عند ربك)

من المال والبنين (ثواباً) عائداً (وخير أملا) لأن صاحبها ينال بها فى الآخرة ما كان يؤمل بها فى الدنيا (قاضى بيضاوى) .

عن أبى هريرة وعمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى خلق ملكا وأعطاه سمع الخلائق كلها وهو قائم على قبرى إلى يوم الدين فما من أحد من أمتى يصلى على إلا سماه باسمه واسم أبيه ، وقال يا محمد إن فلان بن فلان يصلى عليك » (أبو السعود)

قال عيسى عليه السلام : الدنيا ثلاثة أيام يوم أمس قد مضى ما بيدك منه شىء ، ويوم غد لا تدرى أتدركه أم لا ، ويوم أنت فيه فاغتنمه . والدنيا ثلاث ساعات : ساعة مضت ، وساعة لا تدرى أتدركها أم لا ، وساعة أنت فيها فاغتنمها ، فلست تملك بالحقيقة إلا ساعة واحدة ، إذ الموت من ساعة إلى ساعة . الدنيا ثلاثة أنفاس نفس: مضى عملت فيه ما عملت ، ونفس لا تدرى أتدركه أم لا ، ونفس أنت فيه فلست تملك إلا نفسا واحداً لا يوماً ولا ساعة ، فبادر فى هذا النفس الواحد إلى الطاعة قبل أن تفوت وإلى التوبة قبل أن تموت ، فلعلك فى النفس الثانى تموت وأفضل الأعمال حفظ الأوقات عند الأنفاس فإن من ضيع وقته ضيع عمره (تنبيه الغافلين) . وفى الخبر عن النبى عليه والسلام أنه قال لرجل وهو يعظه « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وصحتك قبل سقمك ، وحياتك قبل موتك » لأن الإنسان يقدر على الأعمال فى حال شبابه ما لا يقدر فى حال هرمه ، فينبغى أن يجتهد فى هذه الخمسة ويغتنم أيام الصحة ووقت الفراغ مادام حيا فمن اشتاق إلى الله تعالى سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار نهى نفسه عن الشهوات (تنبيه الغافلين) .

روى أن ابن عمر رضى الله عنهما جاء من الكتاب وهو يبكى فقال عمر رضى الله عنه ما يبكيك ياولدى ؟ فقال إن الصبيان فى المكتب عدوا رقاع قميصى ، وقالوا انظروا إلى ابن أمير المؤمنين كم رقعة فى قميصه وقد كان ثوب عمر مرقعا فى أربعة عشر موضعاً وبعض الرقع كان من أديم ، فبعث عمر إلى الخازن وقال أقرضنى من بيت المال أربعة دراهم إلى رأس الشهر ، فإذا كان رأس الشهر اجعله من مشاهرتى أى مما آخذ من وظيفتى شهراً فشهرا من بيت المال ، فكتب إليه الخازن ياعمر أتأمن على حياتك شهراً حتى أنقد لك فما تفعل بدراهم بيت المال لومت وبقيت عليك ؟ فلما سمع عمر كلام الخازن بكى وقال : يابنى ارجع إلى الكتاب ، فإنى لا آمن على روحى ساعة (مشكاة الأنوار) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « ماشبع رسول الله عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى إلى سبيله » . وفى رواية « من خبز شعير يومين متوالين ولو شاء لأعطاه الله تعالى مالا يخطر بباله » وفى رواية أخرى « ماشبع آل رسول الله من خبز بر حتى لقى الله تعالى » وقالت

عائشة رضى الله تعالى عنها « ماترك عليه الصلاة والسلام ديناراً ولا درهماً ولاشاة ولابعيراً » وفى حديث عمرو بن الحارث رضى الله عنه « ماترك عليه الصلاة والسلام إلا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة » قالت رضى الله عنها : ولقد مات عليه الصلاة والسلام وما فى بيتى شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى وقال لى عليه الصلاة والسلام « إنه عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك » ، وفى حديث آخر « أن جبرائيل عليه السلام نزل فقال له يامحمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهباً وتكون معك حيثما كنت ، فأطرق ساعة ثم قال : ياجبرائيل إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له قد يجمعها من لاعقل له فقال له جبرائيل ثبتك الله يامحمد بالقول الثابت » . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت « إنا كنا آل محمد لنمكث شهرا مانستوقد ناراً ماهو إلا التمر والماء » (شفاء شريف) (طب) عن سعيد عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال لبلال « يابلال مت فقيراً ولا تمت غنياً » قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمتلىء جوف النبى شبعاً قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإنه كان ليظل جائعاً يلتوى طول ليلته **من الجوع** فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ، ولقد كنت أبكى له رحمة مما أرى به وأمسح بيدى على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول ياعائشة مالى وللدنيا إخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحيى إن توفرت فى معيشتى أن يقصر بى غداً دونهم وما من شىء هو أحب إلى من اللحوق باخوانى وأخلائى قالت فما أقام بعد إلا شهراً حتى توفى صلى الله عليه وسلم (شفاء شريف) وعن جابر بن عبدالله قال « كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أتاه رجل أبيض الوجه حسن الشعر أبيض الثياب فقال : السلام عليك يارسول الله ، ماالدنيا ؟ قال كحلم النائم قال وما الآخرة ؟ قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير ؟ قال فما الجنة ؟ قال بدل الدنيا لتاركها فان ثمن الجنة ترك الدنيا ، قال فما جهنم ؟ قال بدل الدنيا لطالبها ، قال فما خير هذه الأمة ؟ قال الذى يعمل بطاعة الله تعالى ، قال فكيف يكون الرجل فيها ؟ قال مشمراً كطالب القافلة قال فكم القرار فيها ؟ قال كقدر المتخلف عن القافلة قال فكم مابين الدنيا والآخرة ؟ قال غمضة عين قال جابر فذهب الرجل فلم نره فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام هذا جبرائيل أتاكم ليزهدكم فى الدنيا ويرغبكم فى الآخرة » (زبدة الواعظين) قال النبى عليه الصلاة والسلام : « إن الله لم يخلق خلقاً أبغض من الدنيا وإنه لم ينظر إليها منذ خلقها » قال عليه الصلاة والسلام

« إذا طلبتم من الدنيا شيئا فتعسر عليكم وإذا طلبتم من الآخرة شيئا فتيسر لكم فاعلموا أن الله تعالى يحبكم » . قال النبي عليه الصلاة والسلام « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء وألزم قلبه أربع خصال : الأولى هم لا ينقطع عنه أبدا . والثانية شغل لا يتفرغ منه أبدا . والثالثة فقر لا يبلغ غنى أبدا . والرابعة أمل لايبلغ منتهاه أبدا » (زبدة الواعظين) قال عليه الصلاة والسلام « حب الدنيا رأس كل خطيئة فعليك بالإعراض عنها » وقال ابن السماك : من جرعته الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها . قيل الدنيا مثالها مثال حية فيها سم وترياق فوائدها ترياقها وغوائلها سمها ، فمن علمها ينتفع بترياقها ويحترز من سمها (من الموعظة الحسنة) روى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنفق فى سبيل الله أربعين ألف دينار فى السر وأربعين ألف دينار فى العلانية حتى لم يبق له شىء وأنه لم يخرج من داره ثلاثة أيام لما لم يجد ما يستر به عورته ولم يحضر إلى النبى عليه الصلاة والسلام فحضر عليه الصلاة والسلام إلى بيوت نسائه ، وفتش فلم يجد شيئا زائدا على حوائجهن فجاء النبى عليه الصلاة والسلام إلى بيت فاطمة فاغتم لأبى بكر وقال: ليس عندنا شىء نعطيه لأبى بكر وكذلك فاطمة اغتمت فخرج عليه الصلاة والسلام من عندها حزيناً وبقيت فاطمة حزينة لما لم تجد شيئاً تعطيه ، وحين زوجها النبى عليه الصلاة والسلام من على دعا أبا بكر وعمر وعثمان وأسامة رضى الله عنهم ليحملوا جهاز فاطمة فحملوا طاحونة وجلداً مدبوغاً ووسادة حشوها ليف ومسبحة من النوى وكوزاً وقصعة ، فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله هذا جهاز فاطمة فقال النبى عليه الصلاة والسلام : يا أبا بكر هذا كثير لمن كان فى الدنيا ، فخرجت فاطمة عروساً عليها شملة من صوف رقعت فى اثنى عشر مكاناً وكانت تطحن الشعير باليد وتقرأ القرآن باللسان وتفسره بالقلب وتحرك المهد بالرجل وتبكى بالعين ، وامرأة زماننا تضرب الدف باليد وتغتاب باللسان وتحب الدنيا بالقلب وتغمز بالعين ؟ فكيف تدخل الجنة ؟ ثم لما خرج النبى عليه الصلاة السلام حزيناً من بيت فاطمة قصدت إلى وسادة كانت من جهازها وعباءة كانت نسجتها بنفسها وبعثت بجارية لها فقالت : قولى لأبى بكر قد علمنا ما فعلت فى حق أبينا ، ولم يكن عندنا شىء سوى هذه الوسادة التى جهزنى بها والدى والعباءة ، فلما وصلت الجارية إلى الباب نادت وقالت : السلام عليك يا صاحب الصدق إن سيدتى فاطمة بنت النبى عليه الصلاة والسلام تقرئك السلام وتقول لك كذا ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعليها السلام وأخذ تلك العباءة فاشتمل بها من غير خياطة استعجالا ليرى وجه النبى عليه الصلاة والسلام وخللها بخلال من شوك النخل لئلا ينكشف وقت المشى فخرج إلى النبى عليه الصلاة والسلام ماشياً حافياً فجاء جبرائيل إلى النبى عليه الصلاة والسلام فرآه قد اشتمل بعباءة وخللها بشوك النخل فقال عليه الصلاة

والسلام يا أخي يا جبرائيل إني قبل هذه الحالة ما رأيتك قط بهذه الصورة قال جبرائيل : يا رسول الله أنت تراني ولم يبق في ملكوت السموات إلا من تزيا بهذه الصورة حباً في أبي بكر وموافقة له وقال يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويقول لك قل لأبي بكر هل هو راض عني كما أنا راض عنه ، فأخبره النبي عليه الصلاة والسلام بذلك ، فبكى أبو بكر وقال : إلهي أنا عنك راض وأنت راض عني ثلاث مرات (تنبيه الغافلين) وقال عليه الصلاة والسلام « أربع خصال من الشقاوة : جمود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، وحب الدنيا » وقال عليه الصلاة والسلام « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة أو جناح طير ما سقى كافراً منها شربة ماء » (زبدة الواعظين) .

المجلس السابع والثلاثون : في بيان شدة الموت

سورة مريم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واذكر في الكتاب إدريس) وهو سبط شيث وجد أبي نوح واسمه أخنوخ ، واشتقاق إدريس من الدرس فلقب به لكثرة درسه إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب (إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً) يعني شرف النبوة والزلفى عند الله ، وقيل الجنة ، وقيل السماء السادسة أو الرابعة (قاضي بيضاوي) .

وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « صلوا على أنبياء الله تعالى ورسله فانه بعثهم كما بعثني » . وروي أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينيك ومن سمعك إلى أذنك ، فأكثر الصلاة على محمد . فالمسئلة الشرعية مختلفة بين العلماء . قال صاحب الشفاء : أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : لا تجوز الصلاة على غير النبي . وقال لا ينبغي الصلاة على أحد إلا على النبيين والاختلافات كثيرة ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم ، واحتج بحديث ابن عمر رضي الله عنهما وبما جاء في حديث تعليم النبي عليه الصلاة والسلام الصلاة عليه ، وفيه وعلى أزواجه وعلى آله ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم صل على آل أبي أوفى . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان . وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريانه (من شفاء قاضي) والمراد بالآل قيل أتباعه ، وقيل أمته وقيل آل بيته ، وقيل آل الرجل ولده ، وقيل قومه ، وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة . وفي رواية أنس سئل النبي عليه الصلاة والسلام : من آل محمد ؟ قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد نفسه فانه عليه الصلاة والسلام كان يقول

فى صلاته اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه الشريفة (شفاء شريف) وفى الخبر « إذا أراد الله تعالى قبض روح المؤمن يجيء ملك الموت من قبل الفم ليقبض روحه فيخرج الذكر فيقول لا سبيل لك من هذه الجهة إنما أجرى فيه ذكر ربى فيرجع ملك الموت إلى ربه فيقول قال كذا وكذا فيقول الله تعالى اقبض من جهة أخرى فيجيء ملك الموت من قبل اليد فتخرج منها الصدقة ومسح رأس اليتيم وكتب العلم وضرب السيف فتقول كالأول ، ثم يجيء إلى الرجل فتقول كالأول فانه قد مشى بى إلى الجماعة والأعياد ومجالس العلم ، ثم يجيء إلى أذنيه فتقول كالأول فانه سمع بى القرآن والذكر ويجيء إلى العين فتقول كالأول فانه نظر بى إلى المصاحف والكتب ثم ينصرف ملك الموت إلى الله تعالى فيقول يا رب غلبتنى أعضاء العبد بالحجة كيف أقبض روحه ؟ فيقول الله تعالى اكتب اسمى على كفك وأره روح المؤمن فتراه روح المؤمن فتحبه فتخرج من الفم » فمن بركة اسمه تنصرف عنه مرارة النزع فكيف لا ينصرف عنه العذاب والقطيعة والفضيحة ، وكذلك على صدوركم اسم الله أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان — أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » أفلا ينصرف عنكم العذاب وأهوال يوم القيامة (موعظة حسنة) .

روى أنه تفكر بعض العارفين فى أنه هل فى القرآن شيء يقوى قوله صلى الله عليه وسلم « ويخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من العجين » فختم القرآن بالتدبر فما وجده فرأى النبي عليه الصلاة والسلام فى منامه فقال يا رسول الله قال الله تعالى (ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) فما وجدت معنى هذا الحديث فيه ؟ فقال اطلبه فى سورة يوسف فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله تعالى (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن) الآية لما رأين جمال يوسف اشتغلن به وما وجدن ألم القطع ، وكذلك المؤمن إذا رأى الملائكة ورأى مقامه فى الجنة وما فيها من النعم والحور والقصور اشتغل قلبه بها ولا يجد ألم الموت إن شاء الله تعالى كما فى قوله تعالى (تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) (شرعة الإسلام) وفى الخبر « إذا وقع العبد فى النزع ينادى المنادى دعه حتى يستريح ، وكذلك إذا بلغت الروح الركبتين والسرة وإذا بلغت الصدر قال دعه حتى يستريح ، وكذلك إذا بلغت الحلقوم يجيء النداء دعه حتى يودع الأعضاء بعضها بعضا فتودع العين العين فتقول السلام عليكم إلى يوم القيامة وكذلك الأذنان واليدان والرجلان وتودع الروح النفس » فنعوذ بالله من وداع الإيمان اللسان ووداع القلب المعرفة فتبقى اليد بلا حركة والرجلان لا حركة لهما والعينان لا نظر لهما والأذنان لا سمع لهما والبدن لا روح له ، ولو بقى اللسان بلا إقرار والقلب بلا معرفة وتصديق فكيف حال العبد فى اللحد لا يرى أحداً ولا أباً ولا أما ولا ولداً ولا إخواناً ولا أصحاباً ولا فراشاً

ولا حجاباً ، فان لم ير رباً كريماً فقد خسر خسراناً عظيما (دقائق الأخبار) قيل فى سبب رفع إدريس عليه الصلاة والسلام إلى الجنة أنه كان يرفع له كل يوم وليلة من العمل مثل عمل أهل الأرض فاشتاق إليه ملك الموت وسأل الله تعالى أن يأذن له فى زيارته فأذن له فأتى إليه على صورة آدمى وسلم عليه وجلس عنده ، وكان إدريس عليه الصلاة والسلام صائم الدهر ، فاذا دنا وقت إفطاره أتاه ملك بطعام الجنة فأكل إدريس عليه الصلاة والسلام فقال لملك الموت كل أنت أيضاً فلم يأكل ، فقام إدريس عليه الصلاة والسلام واشتغل بالعبادة وهو جالس عنده حتى طلع الفجر وطلعت الشمس والرجل جالس عنده فتعجب إدريس عليه الصلاة والسلام فقال ياهذا أتسير معى إذا سرت حتى تتفرج فقال ملك الموت نعم فقاما وسارا حتى أتيا مزرعة ، فقال ملك الموت أتأذن لى أن آخذ من هذا الزرع سنابل لنأكل فقال إدريس سبحان الله لم تأكل الطعام الحلال أمس وتريد أن تأكل اليوم من الحرام فمضيا حتى مضى عليهما أربعة أيام وكان إدريس عليه الصلاة والسلام يرى منه ما يخالف طبع الآدميين فقال له من أنت ؟ قال أنا ملك الموت قال أنت الذى تقبض الأرواح ؟ قال نعم قال أنت عندى منذ أربعة أيام فهل قبضت روح أحد ، قال نعم قبضت أرواحاً كثيرة وأرواح الخلق عندى كالمائدة أتناولها كما تتناول اللقمة قال إدريس عليه الصلاة والسلام يا ملك الموت أجئت زائراً أم قابضاً ؟ قال جئت زائراً باذن الله تعالى ، ثم قال إدريس عليه الصلاة والسلام يا ملك الموت لى حاجة إليك فقال ما حاجتك ؟ قال حاجتى منك أن تقبض روحى ثم يحيينى الله تعالى حتى أعبد الله بعد ما ذقت مرارة الموت ، فقال إنى لا أقبض روح أحد إلا أن يأذننى الله تعالى به ، فأوحى الله إليه أن اقبض روح إدريس فقبض من ساعته فمات إدريس عليه الصلاة والسلام ، فبكى ملك الموت وتضرع إلى الله تعالى وسأل منه أن يحيى صاحبه إدريس فأجابه الله تعالى فأحياه فقال يا أخى كيف وجدت مرارة الموت ؟ فقال إن الحيوان إذا انسلخ جلده حال حياته وهو حى فمرارته أشد منه ألف مرة فقال ملك الموت الرفق الذى فعلت بك فى قبض روحك ما فعلته بأحد قط ثم قال إدريس عليه الصلاة والسلام يا ملك الموت لى إليك حاجة أخرى إنى أريد أن أرى نار جهنم وأعبد الله بعد ما أبصرت الأنكال والأغلال وما فيها ، قال ملك الموت كيف أذهب بك إلى نار جهنم بغير إذن ، فأوحى الله تعالى إليه أن اذهب بادريس إليها ، فذهب به إليها فرأى فيها جميع ما خلق الله لأعدائه من السلاسل والأغلال والأنكال من الحيات والعقارب والنيران والقطران والزقوم والحميم ثم رجعا فقال إدريس عليه الصلاة والسلام لى حاجة أخرى أريد أن تذهب بى إلى الجنة حتى أرى ما فيها مما خلق الله تعالى للعباد وأزيد فى طاعتى ، فقال ملك الموت كيف أذهب بك إلى الجنة بغير إذن الله تعالى ، فأوحى الله إليه أن اذهب به إلى الجنة فذهبا ووقفا

على باب الجنة ، فرأى إدريس ما فيها من النعيم والملك العظيم والعطاء الجسيم والأشجار والفواكه والأثمار ، فقال يا أخى ذقت مرارة الموت ورأيت أهوال الجحيم وأفزاعها فهل لك أن تسأل الله أن يأذن لى فى الدخول إلى الجنة وأشرب من مائها لتزول عنى مرارة الموت وأفزاع الجحيم ، فاستأذن ملك الموت من الله فأذن له على أن يدخل ثم يخرج فدخل الجنة ووضع نعليه تحت شجرة من أشجارها فخرج منها ثم قال ياملك الموت تركت نعلى فى الجنة فأرجعنى فيها فرجع ودخل الجنة ولم يخرج منها ، فصاح ملك الموت يا إدريس اخرج . فقال لا أخرج لأن الله تعالى قال : (كل نفس ذائقة الموت) وقد ذقته ، وقال الله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) وقد وردت النار ، وقال : (وما هم منها بمخرجين) فمن يخرجنى منها ، فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت دعه فإنى قضيت فى الأزل أنه من أهل الجنة ، وأخبر رسوله عن قصته فقال : (واذكر فى الكتاب إدريس) الآية . فانتبه من نوم الغفلة أيها الأخ وأخلص عملك لوجه الله لأن كل عمل لم يكن خالصاً لله فهو رياء والرياء شرك خفى ، فالله تعالى لا يقبل عمل المرائى . قال شداد بن أوس « رأيت النبى عليه الصلاة والسلام يبكى فقلت ما يبكيك يارسول الله ؟ فقال تخوفت على أمتى الشرك أما إنهم لا يعبدون صنما ولكنهم يراءون بأعمالهم » قال عليه الصلاة والسلام « وتصعد الحفظة بعمل العبد من صوم وصلاة ونفقة وغير ذلك لها صوت كصوت النحل وضوء كضوء الشمس ومعها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به السماء السابعة ، فيقول الملك الموكل بالسماء للحفظة قوموا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وجوارحه واقفلوا على قلبه ، إنى أحجب أى أمنع عن ربى ارتفاع كل عمل لم يرد به ربى إنما أراد به غير الله لأنه أراد به رفعة ورياء عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن وفى الناس ، أمرنى ربى أن لا أدع ولا أترك عمله يجاوزنى إلى غيرى . وتصعد بعمله الصالح وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطع الحجب كلها إلى الله فيقفون بين يديه يشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله تعالى أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على قلبه إنه لم يردنى بهذا العمل وأراد به غيرى فعليه لعنتى ولعنة الملائكة عليه والسموات ومافيهن ، قال معاذ : قلت يارسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد يامعاذ وإن كان فى عملك نقص يامعاذ احفظ لسانك من الوقوع فى الغيبة فى إخوانك المسلمين بتلاوة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ، ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ، ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الآخرة ، ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس ولا تمزق الناس بلسانك فيمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار ، قال الله تعالى (والناشطات نشطا) هل تدرى ماهى يامعاذ ؟ قلت ماهى بأبى أنت وأمى يارسول الله ؟ قال هى كلاب فى النار تمزق لحوم من يمزق لحوم

الناس بلسانه وتنشط اللحم والعظم وقال بأبي وأمي أنت يارسول الله من يطيق هـذه الخصال ومن ينجومنها ؟ قال يامعاذ إنه يسير على من يسره الله عليه » قال رجل اسمه خالد بن مقداد : فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحديث (بداية الهداية) .

المجلس الثامن والثلاثون : في بيان تارك الصلاة

سورة مريم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(فخلف من بعدهم خلف) فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء (أضاعوا الصلاة) أي تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في المعاصي . وعن علي : واتبعوا الشهوات من بناء المشيد وركوب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) أي شراً أو جزاء غي كقوله (يلق أثاماً) أو غيا عن طريق الجنة . وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها (إلا) استثناء (من تاب وآمن وعمل صالحا) يدل على أن الآية في الكفرة (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) ولا ينقصون من جزاء أعمالهم ، ويجوز أن ينتصب شيئا على المصدر ، وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم (قاضي بيضاوي) .

نزلت هذه الآية في تارك الصلاة من هذه الأمة وتابع الأهواء ولهذا وصفهم بقوله عز وجل (أضاعوا الصلاة) عن الحسن بن علي أنه قال : إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبورا ، وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني » وفي حديث أوس رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي » وعن سلمان بن سحيم رحمه الله قال : رأيت النبي عليه الصلاة والسلام في النوم فقلت : يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ قال عليه الصلاة والسلام نعم وأرد عليهم (شفاء شريف) قوله « أضاعوا الصلاة » أي لم يعتقدوا وجوبها ، وقيل تركوها ولم يحافظوا عليها ، وقيل خربوا معابدهم ومساجدهم بترك السعي إليها وعدم اعتبارهم ، وقيل ضيعوها بعد الأداء بالغيبة والرياء ، وقيل ضيعوها بترك شروطها وأركانها وقت الأداء ، وقيل تركوها بالغفلة ولم يقضوها بعدها (تفسير كبير) واختلفوا في معنى الغي . قال وهب بن منبه : الغي نهر في جهنم بعيد قعره شديد حره خبيث طعمه لو قطرت قطرة منه إلى الدنيا لهلك أهل الدنيا كلهم . وقال ابن عباس : الغي واد في جهنم وأودية جهنم تستعيذ منه كل يوم ألف مرة إلى الله تعالى من شدة حرارته ، أعد ذلك

الوادى لتارك الصلاة والجماعة ، وقال عطاء : الغى واد فى جهنم يسيل منه دم وقيح . وقال كعب : الغى وادفى جهنم ما أبعدقعره وأشدحره ، وفيه بئر يقال لهـا الهبهب كلما سكنت جهنم فتح الله تلك البئر فتتوقد وتتلهب . وقال الضحاك : هوخسران وهلاك (كذا فى لباب التفاسير) حكى أن رجلا كان يمشى فى البادية فرافقه الشيطان يوماً ولم يصل الرجل الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء ، فلما صار وقت النام أراد الرجل أن ينام فهرب الشيطان منه ، فقال الرجل لم تهرب منى ؟ فقال الشيطان إنى عصيت الله تعالى فى مدة عمرى مرة واحدة فكنت ملعوناً وأنت عصيت فى اليوم خمس مرات فأخاف من الله أن يغضب عليك ويقهرك ويقهرنى معك بسبب عصيانك (تفسير الفاتحة) وعن النبى عليه الصلاة والسلام « أنه ذكر الصلاة يوماً فقال من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف » (من شرح المنية للحلبى) وروى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من تهاون بالصلاة مع الجماعة عاقبه الله تعالى باثنتى عشرة بلية : ثلاث فى الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث فى القبر وثلاث يوم القيامة . أما الثلاث التى فى الدنيا : فالأولى يرفع الله البركة من كسبه ورزقه . والثانية ينزع منه نور الصالحين . والثالثة يكون مبغوضاً فى قلوب المؤمنين . وأما التى عند الموت : فالأولى يقبض روحه عطشان ولو شرب ماء الأنهار . والثانية يشتد عليه نزع روحه . والثالثة يخاف عليه من زوال الإيمان نعوذ بالله تعالى . وأما التى فى القبر : فالأولى يضيق عليه سؤال منكر ونكير . والثانية تشتد عليه ظلمة القبر . والثالثة يضيق قبره حتى تنضم أضلاعه . وأما التى فى يوم القيامة : فالأولى يشتد عليه حسابه والثانية يغضب عليه ربه . والثالثة يعاقبه الله بالنار نعوذ بالله تعالى » (كنز الأخبار) ولذا يقال ولا يرخص لمن سمع الأذان فى أن يترك الجماعة فإنها سنة مؤكدة غاية التأكيد بحيث لو تركها أهل ناحية وجب قتالهم بالسلاح ، لأنها من شعائر الإسلام ، ولو تركها واحد منهم بغير عذر يجب التعزير ولا تقبل شهادته ويأثم الجيران والإمام والمؤذن بالسكوت عنه وأقل التعزير ثلاثة أسواط . وقال صاحب خلاصة الفتاوى : سمعت من ثقة التعزير بأخذ المال إذا رآه القاضى أو الوالى جاز ومن جملة ذلك رجل لا يحضر الجماعة يجوز تعزيره بأخذ المال فإنه أكثر تأثيراً فيه من الضرب (كذا فى الجواهر وشرعة الإسلام) وقيل مطالعة كتب الفقه عذر إذا لم يكن عن تكاسل ولم يواظب على تركها بل يقع الترك أحياناً لاشتغاله بالفقه له وللمصلين والمرض والمطر والبرد والظلمة الشديدة والخوف والحبس ، كلها أعذار والسفر ليس بعذر كما صرح به فى التبيين بأنه هو الصحيح . قال عليه الصلاة والسلام « إن تارك الصلاة مع الجماعة ملعون فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وتارك الجماعة يمشى على الأرض والأرض تلعنه وتارك الجماعة يبغضه الله وتبغضه الملائكة وكل شىء جعل الله

فيه الروح ويلعنه كل ملك بين السماء والأرض والحيتان فى البحر » وكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام « من منع من نفسه خمسة منع الله منه خمسة : الأول من منع الدعاء منع منه الإجابة ، والثانى من منع الصدقة منع الله منه العافية ، والثالث من منع الزكاة منع منه حفظ المال ، والرابع من منع العشر منع الله البركة من كسبه ، والخامس من منع حضور الجماعة منع الله منه الشهادة وهى لاإله إلا الله محمد رسول الله » قال عليه الصلاة والسلام : « أتانى جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك تارك الجماعة من أمتك لا يجد ريح الجنة وإن كان عمله أكثر من عمل أهل الأرض ، وتارك الجماعة ملعون فى الدنيا والآخرة » فاذا كان هذا حال تارك الجماعة ، فما حال تارك الصلاة ؟ كما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم الرجل يلازم المسجد فاشهدوا له بالإيمان » كما قال الله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) وكما قال الله تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) كما روى عن مجاهد رضى الله تعالى عنه أن رجلا جاء إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال : ماتقول فى رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولايشهد الجمعة ولايصلى بالجماعة فمات على هذه الحال فلأى شىء هو ؟ قال هو للنار قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « سلموا على اليهود والنصارى ولاتسلموا على يهود أمتى ، قيل من هم يارسول الله ؟ قال الذين يسمعون الأذان والاقامة ولا يحضرون الجماعة » قال أبو هريرة رضى الله عنه « أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقيل إنه عبد الله بن أم مكتوم فقال يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد فسأله أن يرخص له فيصلى فى بيته فرخص له ، فلما رجع دعاه فقال هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال نعم قال فائت الجماعة » كما قال عليه الصلاة والسلام « لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » وكما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « بشر المشائين فى ظلم الليالى إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة » (كذا فى زبدة الواعظين) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين » عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن شر تارك الصلاة يتعدى إلى سبعين رجلا من أهله وجيرانه ، بل يصل من يومنا هذا إلى زمان آدم عليه الصلاة والسلام وذلك أن المصلى إذا قعد فى التشهد يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيصل ثوابها إلى أرواح المؤمنين من يومنا إلى عهد آدم عليه الصلاة والسلام . وتارك الصلاة يكون مانعاً ذلك الخير فيكون كمن أصاب شره جميع المسلمين كقوله تعالى (مناع للخير معتد أثيم) » (أنيس المجالس) روى عن عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال « سافرت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت منه ثلاثة أشياء فاستقر الاسلام فى قلبي

بسببها : فأولها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أن يقضي حاجته وكان بحذائه أشجار فقال لي امض إليها وقل لهما إن رسول الله يقول تعالين وكوني لي ستراً فإني أريد أن أتوضأ فخرجت ، فما استتممت الرسالة إلا والأشجار قد انقطعت من أصولها وتحولت حوله حتى فرغ النبي عليه الصلاة والسلام فرجعت إلى مكانها . والثاني غلبني العطش فطلبت الماء فلم أجده فقال عليه الصلاة والسلام اصعد إلى هذا الجبل وأقرئه مني السلام وقل له إن كان فيك ماء فاسقني ، قال فصعدت الجبل وقلت له ما قال النبي عليه الصلاة والسلام فما استتممت الكلام حتى قال الجبل بكلام فصيح قل لرسول الله أنا منذ يوم أنزل الله هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) أبكي من الفزع أن أكون ذلك الحجر فلم يبق في ماء . والثالث كنا نمشي فإذا نحن بجمل يعدو حتى بلغ رسول الله فقال يارسول الله الأمان الأمان ، فلم يلبث حتى جاء خلفه أعرابي ومعه سيف مسلول فقال النبي عليه الصلاة والسلام ماتريد من هذا المسكين ؟ قال يارسول الله اشتريته بثمن كثير وليس هو يطيعني فأريد أن أذبحه فأنتفع بلحمه فقال النبي عليه الصلاة والسلام للجمل لم تعصيه ؟ فقال يارسول الله لست أعصيه من العمل ولكني أعصيه من ذلك العمل القبيح عنده لأن القبيلة التي هو فيها ينامون عن صلاة العشاء الأخيرة فلو عاهدك أن يصليها عاهدتك أن لاأعصيه فإني أخاف أن ينزل عليهم عذاب من الله فأكون فيهم فأخذ النبي عليه الصلاة والسلام العهد على الأعرابي أن لايترك الصلاة ، وسلم الجمل إليه ورجع إلى أهله » (رونق المجالس) حكي أن عيسى عليه الصلاة والسلام سافر يوماً فرأى قوماً يعبدون الله تعالى بالجد والسعي وهم يجتمعون في مكان عال فسلم عليهم وجلس فيما بينهم فرأى عندهم كثيراً من الطعام والشراب الخالص والفواكه المتنوعة والأولاد والزوجات الحسان فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام فرأى قريتهم مزينة بتمام الزينة التي لاتقبل الوصف ثم ذهب عيسى عليه الصلاة والسلام عنهم ثم رجع بعد زمان إلى ذلك المكان فرآهم كلهم قد هلكوا مع أولادهم وزوجاتهم وقريتهم قد انهدمت فتعجب عيسى عليه الصلاة والسلام من حالهم فنادى وقال يارب بأي شيء هلكوا أتركوا الصلاة والطاعة ؟ فقال الله تعالى لا ولكن قد مر عليهم تارك الصلاة وغسل يديه ووجهه فوقعت غسالته على أراضيهم وديارهم ، فلذلك هلكوا (أنيس المجالس) روي « أن النبي عليه الصلاة والسلام جلس يوماً مع أصحابه فجاء شاب من العرب إلى باب المسجد وهو يبكي ، فقال عليه الصلاة والسلام مايبكيك ياشاب ؟ فقال يارسول الله مات أبي وليس له كفن ولاغاسل ، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، فذهبا إلى الميت فرأياه مثل الخنزير الأسود فرجعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقالا مارأيناه إلا مثل الخنزير الأسود يارسول الله ، فقام عليه الصلاة والسلام

إلى الجنازة فدعا فصار الميت على صورته الأولى ، وصلى عليه عليه الصلاة والسلام وأرادوا الدفن فرأوه كالخنزير الأسود ، فقال عليه الصلاة والسلام ياشاب أى عمل كان يعمل أبوك فى الدنيا ؟ فقال كان تارك الصلاة ، فقال عليه الصلاة والسلام يا أصحابى انظروا حال من ترك الصلاة يبعثه الله يوم القيامة مثل الخنزير الأسود نعوذ بالله تعالى » (بهجة الأنوار) مات فى زمن أبى بكر الصديق رجل ، فقاموا إلى الصلاة عليه فإذا الكفن يتحرك فنظروا فوجدوا حية مطوقة فى عنقه تأكل لحمه وتمص دمه فأرادوا قتلها ، فقالت الحية لا إله إلا الله محمد رسول الله لم تقتلوننى وليس لى ذنب ولا خطأ ؟ فإن الله تعالى أمرنى أن أعذبه إلى يوم القيامة ، فقالوا ما خطاياه ؟ قالت ثلاث خطايا : الأولى كان إذا سمع الأذان لا يجىء الجماعة . والثانية لا يخرج الزكاة من ماله . والثالثة لا يسمع قول العلماء وهذا جزاؤه (من للرسوم) .

المجلس التاسع والثلاثون : فى بيان ذم المعرض عن القرآن

سورة طه — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ومن أعرض عن ذكرى) عن الهدى الذاكر والداعى إلى عبادتى (فإن له معيشة ضنكا) ضيقاً مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث . وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لأن مجامع همه ومطامح نظره تكون إلى أعراض الدنيا متهالكاً على ازديادها خائفاً على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال الله تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة — ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل — ولو أن أهل القرى آمنوا) الآيات (ونحشره يوم القيامة أعمى) أعمى البصر أو القلب ، ويؤيد الأول (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت ، ثم فسره فقال (أتتك آياتنا) واضحة نيرة (فنسيتها) بالانهماك فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها (وكذلك) ومثل تركك إياها فى الدنيا (اليوم تنسى) تترك فى العمى والعذاب (وكذلك نجزى من أسرف) بالانهماك فى الشهوات والإعراض عن الآيات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها وخالفها (ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أى والنار بعد ذلك (أشد وأبقى) من ضنك العيش أو منه ومن الحشر على العمى ، ولعله إذا دخل النار زال عماه ليرى له محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها (قاضى بيضاوى) .

عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أكثروا الصلاة على نبيكم كل يوم جمعة فإنى أشهدها منكم فى كل جمعة » وفى رواية « فإن أحداً لا يصلى على إلا عرضت على صلاته حين يفرغ منها » (شفاء شريف) عن على بن أبى طالب عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم

حرامه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار» وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ القرآن وهو فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأ القرآن فى غير الصلاة على وضوء فله بكل حرف خمس وعشرون حسنة ، ومن قرأ القرآن على غير وضوء فله عشر حسنات » (مجالس الأنوار) قيل المراد من الذكر القرآن كقوله تعالى (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون) وقيل عن قراءته حتى نسيه ، وقيل عن توحيدى كما قال الله تعالى (حتى نسوا الذكر) وقيل عن طاعتى وتوحيدى كما قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وقيل عن العلم كما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وقيل عن الذكر باللسان كما قال الله تعالى (اذكروا الله ذكراً كثيرا) وقيل عن الصلاة كما قال الله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) وقوله تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) (تفسير حنفى) . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الضنك هو الشقاء ، وعنه أنه قال : إذا أعطى العبد قليلا أو كثيراً ولم يقنع فلا خير فيه فهو الضنك فى المعيشة وإن قوماً أعرضوا عن الحق وكانوا فى سعة الدنيا فكانت حالهم ضنكا ، وذلك انهم يرون أن الله تعالى ليس بخالق لهم فاشتد عليهم معاشهم مع سعتهم من سوء ظنهم بالله (بحر العلوم) . قيل المعرض عن ذكر الله تعالى من سلط عليه الشيطان الذى هو عدوه المريد به كل هلاك وضلال فلا يكون أحد أشد عيشا وأعظم ضلالا منه وأشقى (بحر العلوم) قال الله تعالى (يا أيها الذين ءامنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكر الله كالصلاة وسائر العبادات المذكورة للعبودية ، والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى إليها للمبالغة ، ولذا قال الله تعالى (ومن يفعل ذلك) أى اللهو والشغل (فأولئك هم الخاسرون) لأنهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (قاضى بيضاوى) عن معاذ بن جبل أنه قال « كنت مع النبى عليه الصلاة والسلام فى سفر فقلت يا رسول الله حدثنا بحديث ننتفع به ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحر والهدى من الضلالة فأديموا قراءة القرآن فإنه كلام الرحمن وحصن من الشيطان ورجحان فى الميزان » وكذا قال النبى عليه الصلاة والسلام « أفضل عبادات أمتى قراءة القرآن » فعلى المكلف أن يشتغل بتعلمه وقراءته (بدر الرشيد) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال « مات رجل فى زمن النبى عليه الصلاة والسلام فقام عليه الصلاة والسلام على جنازته ليصلى عليه فتحرك الكفن ونظره النبى عليه الصلاة والسلام فوجد فيه حية تمتص دمه وتأكل لحمه فقصد أبو بكر رضى الله تعالى عنه أن يضربها فنطقت الحية باذن الله تعالى فقالت بلسان فصيح أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وقالت

يا أبا بكر لم تضربني وليس لي ذنب وأنا مأمورة بذلك ؟ أمرني الله أن أعذبه إلى يوم القيامة فقال أبو بكر ما خطاياه ؟ فقالت الحية له ثلاث خطيئات الأولى تارك الصلاة والثانية مانع الزكاة والثالثة لا يسمع قول العلماء » (حياة القلوب) وقال النبي عليه الصلاة والسلام « يقول الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين إذا أخفته في الدنيا آمنته يوم القيامة وإذا آمنته في الدنيا أخفته يوم القيامة » (حكى) عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أن دحية الكلبي كان ملكاً كافراً من العرب ، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب إسلامه لأنه كان تحت يده سبعمائة من أهل بيته ، وكان عليه الصلاة والسلام يدعوله ويقول اللهم ارزق الإسلام دحية الكلبي ، فلما أراد الإسلام أوحى الله تعالى إلى النبي عليه الصلاة والسلام بعد صلاة الفجر : يا محمد قذفت نور الإيمان في قلب دحية الكلبي فهو يدخل عليك الآن ، فلما دخل دحية الكلبي المسجد رفع النبي عليه الصلاة والسلام رداءه عن ظهره وبسطه على الأرض وأشار إلى ردائه ، فلما رأى دحية إكرام النبي عليه الصلاة والسلام بكى ورفع رداءه وقبله ووضعه على رأسه وعينيه وقال يا نبي الله ما شرائط الإسلام اعرضها علي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم بكى فقال له عليه الصلاة والسلام ما هذا البكاء يا دحية أجيئك إلى الإسلام أم لأمر آخر ؟ قال : يا رسول الله إني ارتكبت ذنوباً كبائر ، فقل لربك ما كفاراتها ، إن أمرني أن أقتل نفسي أقتلها وإن أمرني أن أخرج عن مالي صدقة أخرج عنه ، فقال عليه الصلاة والسلام وما تلك الذنوب يا دحية ؟ قال كنت رجلا من ملوك العرب استنكفت أن تكون لي بنات لهن أزواج لئلا يقال فلان بن فلان صهر دحية الكلبي ، فقتلت سبعين من بناتي بيدي فتحير النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك ، فنزل جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله قل لدحية الكلبي وعزتي وجلالي إنك لما قلت لا إله إلا الله محمد رسول الله غفرت لك كفرك ستين سنة وسبك إياي ستين سنة ، فكيف لا أغفر قتل بناتك وهن لك ؟ قال فبكى النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه فقال النبي عليه الصلاة والسلام إلهي قد غفرت لدحية قتل بناته بشهادة مرة واحدة فكيف لا تغفر للمؤمنين صغارهم بشهادات كثيرة » دحية بفتح الدال وكسرها لغتان . واختلف في الراجحة منهما . وهو دحية بن خليفة بن فروة الكلبي وكان من أجمل الناس وجهاً ، كان إذا قدم المدينة لم تبق مخدرة إلا خرجت تنظر إليه ، وكان جبرائيل يأتي النبي عليه الصلاة والسلام على صورة دحية لجماله . أسلم قديماً وشهد المشاهد التي بعد بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي إلى خلافة معاوية وشهد المعركة وسكن المزة بكسر الميم والزاي قرية بقرب دمشق . وكان مرسلا بكتاب النبي عليه الصلاة والسلام إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى هرقل وذلك في آخر سنة ست من الهجرة (كرماني) روى عن

أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال قال النبى عليه الصلاة والسلام « من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله خرج من فمه ملك مثل الطير الأخضر له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب أبيضان مكللان بالدر والياقوت فيرتفع حتى إذا انتهى إلى العرش وله دوى كدوى النحل تقول له حملة العرش اسكن بعزة الله تعالى فيقول لا أسكن حتى يغفر الله لقائلها فيقول الله تعالى قد غفرت لقائلها ثم يجعل الله تعالى لذلك الملك الطائر سبعين لساناً كل لسان يستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة ويجىء ذلك الطائر يوم القيامة فيأخذ بيد صاحبها ويكون له قائداً ودليلا إلى الجنة » (رونق المجالس) عن على كرم الله وجهه أنه قال : سمعت سيد الخلائق محمداً عليه الصلاة والسلام يقول « سمعت سيد الملائكة جبرائيل عليه الصلاة والسلام يقول ما نزلت بكلمة أجل من كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله على الأرض وبها قامت السموات والأرض والجبال والشجر والبر والبحر ألا وهى كلمة الإخلاص ألا وهى كلمة الإسلام ألا وهى كلمة القرب ألا وهى كلمة التقوى ألا وهى كلمة النجاة ألا وهى الكلمة العليا ولو وضعت فى كفة الميزان ووضع السبع سموات والسبع أرضين فى كفة أخرى لرجحت عليهن » (زبدة الواعظين) .

(حكى) أن رجلا كان واقفاً بعرفات وفى يده سبعة أحجار فقال أيتها الأحجار اشهدوا أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فوضع الأحجار تحت رأسه فنام ، فرأى فى منامه كأن القيامة قد قامت وأنه حوسب فوجبت له النار فذهبوا به إلى باب النار فإذا حجر من تلك الأحجار التى نفسه على باب النار فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فلم يطيقوه ثم ذهبوا به إلى باب آخر فإذا عليه حجر من الأحجار السبعة فاجتمعت الملائكة فلم يقدروا على رفعه حتى ذهبوا به إلى سبعة أبواب النار ، وكان على كل باب حجر من تلك الأحجار ثم ذهبوا به إلى العرش ، فقال الله تعالى يا عبدى أشهدت الأحجار فلم تضيع حقك فكيف أضيع حقك وأنا شاهد على شهادتك ؟ أدخلوه الجنة فلما قرب إلى الجنان إذا أبوابها مفتوحة بالمفتاح الذى هو لا إله إلا الله محمد رسول الله (كذا فى زبدة الواعظين) . قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « دخلت الجنة فرأيت مكتوباً على باب الجنة ثلاثة أسطر : الأول لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟ والثانى وجدنا ما قدمنا وربحنا ما أكلنا وخسرنا ما خلفنا كما قال الله تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) والثالث أمة مذنبة ورب غفور » (زبدة الواعظين) .

المجلس الأربعون : فى بيان ألم الموت

سورة الأنبياء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) نزلت حين قالوا (نتربص

به ريب المنون) والفاء لتعليق الشرط بما قبله والهمزة لإنكاره بعد ما تقرر ذلك (كل نفس ذائقة الموت)ذائقة مرارة مفارقتها جسدها ، وهو برهان على ما أنكروه (ونبلوكم) ونعاملكم معاملة المختبر(بالشر والخير)بالبلايا والنعم(فتنة)ابتلاء ، مصدر من غير لفظه(وإلينا ترجعون) فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر ، وفيه إيماء بأن المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق (قاضى بيضاوى) .

عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال : الصلاة على النبي أمحق للذنوب من الماء البارد للنار ، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب(شفاء شريف)يقال مع ملك الموت سبعون ملكاً من ملائكة الرحمة وسبعون من ملائكة العذاب ، فاذا قبض روح المؤمن دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونه بالجنة والثواب ويصعدون إلى السماء إلى أعلى عليين ، وإذا قبض روح الكافر دفعها إلى ملائكة العذاب ثم يردون إلى سجين إلى أسفل سافلين (مطالع الأنوار) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن ألم بشعرة من ألم الميت وضع على السموات والأرض لمات أهلهما باذن الله تعالى ، لأن فى كل شعرة موتاً ولا يقع الموت فى شيء إلا مات مع كل أعضائه » يقال إن لملك الموت أربعة أوجه : أولها على رأسه والثانى قدامه والثالث خلف ظهره والرابع تحت رجليه ، فيأخذ أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة من وجه رأسه ، وأرواح المؤمنين من وجه قدامه ، وأرواح الكافرين من وجه ظهره ، وأرواح الجن من وجه قدميه ، وإحدى رجليه على جسر جهنم والأخرى على سرير الجنة ؛ ومن عظمته أنه لو صب جميع ماء البحار والأنهار على رأسه ما وقعت قطرة على الأرض (مطالع الأنوار) روى أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى باذن الله ، فقال بعض الكفرة إنك تحيي الموتى إذا كان حديثاً ولعله لم يكن ميتاً فأحى لنا من مات فى الزمن الأول فقال عيسى عليه السلام اختاروا ماشئتم ، فقالوا أحى لنا سام بن نوح ، فجاء إلى قبره فصلى ركعتين ودعا الله فحيي سام فاذا رأسه ولحيته قد ابيضا ، فقال ياسام ما هذا الشيب ولم يكن فى زمانك ؟ فقال سمعت نداءك فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسى ولحيتى من الهول فقال منذ كم سنة أنت ميت ؟ فقال منذ أربعة آلاف سنة فما ذهب عنى ألم سكرات الموت ومرارته (درة الواعظين) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال« لايخرج روح المؤمن حتى يرى مكانه فى الجنة ، ولايخرج روح الكافر حتى يرى مكانه فى النار ؟ فقالوا يارسول الله كيف يرى المؤمن مكانه فى الجنة والكافر مكانه فى النار؟ فقال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى خلق جبرائيل على أحسن صورة وله ستمائة جناح وبين تلك الأجنحة جناحان أخضران مثل جناح الطاوس إذا نشر الجناح علاً ما بين السماء والأرض وعلى جناحه الأيمن مكتوب صورة الجنة وما فيها من الحور العين والقصور والدرجات والخدام والغلمان والولدان

وعلى جناحه الأيسر مكتوب صورة جهنم وما فيها من الحيات والعقارب والدركات والزبانية . فاذا جاء أجل عبد يدخل فوج من الملائكة عروقه ويعصرون روحه من قدميه إلى ركبتيه ويخرج ذلك الفوج الأول ويدخل الفوج الثانى ويعصرون روحه من ركبتيه إلى سرته ويخرج ذلك الفوج الثانى ويدخل الفوج الثالث ويعصرون روحه من البطن إلى الصدر ويخرج ذلك الفوج الثالث ويدخل الفوج الرابع فيعصرون روحه من الصدر إلى الحلقوم كما قال الله تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون) وعند ذلك الوقت إذا كان مؤمناً ينشر جبرائيل عليه السلام جناحه الأيمن فيرى مكانه فيها ويعشقه وينظره ولم ينظر إلى غيره من أبيه وأمه وأولاده من عشق ذلك المكان ، وإذا كان منافقاً ينشر جناحه الأيسر فيرى مكانه فيها وينظره ولم ينظر إلى غيره من أبيه وأمه وأولاده من فزع ذلك المكان ، طوبى لمن كان قبره روضة من رياض الجنان وويل لمن كان قبره حفرة من حفر النيران » (كنز الأخبار) والروح ثلاثة أضرب : أولها سلطانية ، والثانى روحانية ، والثالث جسمانية فموضع السلطانية الفؤاد : يعنى القلب ، وموضع الروحانية الكبد : يعنى الصدر . وموضع الجسمانية بين اللحم والدم وبين العظم والعروق ؟ فان قيل إذا نام العبد خرج روحه أم لا ؟ فان قال قائل خرج فقد أخطأ وإن قال لم يخرج فقد أخطأ . والجواب إذا نام العبد خرج روحه الجسمانى مع العقل ومشى بين السماء والأرض فان كان العقل معه رأى مارأى فى المنام وإن لم يكن العقل معه رأى مارأى ولكن لايفهم (تفسير) فان قيل ما الفرق بين الروح والروان ؟ قلنا الروح لايذهب ولايجىء والروان يذهب ويجىء وإذا زال الروان نام العبد وإذا زال الروح مات العبد ومثل الإيمان بين الروح والجسد كمثل الشمس بين السماء والأرض إذا مات العبد ذهب لا إله إلا الله مع روحه ويبقى محمد رسول الله مع جسده وإذا اجتمعا صار إيماناً (حكى) أن إلياس عليه السلام كان يوماً من الأيام جالساً فجاء ملك الموت ليقبض روحه فجزع وبكى بكاء شديدا فقال له ملك الموت ما هذا الجزع والبكاء يانبي الله ؟ أجزعت على الدنيا أم على الموت ؟ فقال لا ، بل إنما أجزع على فوت ذكر الله حيث يجتمع قوم بعدى يذكرون الله تعالى ولا أذكره ، فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت أن لايقبض روحه فانه يسأل الحياة لذكري لا لنفسه ، دعه ياملك الموت حتى يعيش فى ذكرى .ويرتع فى رياض مناجاتى إلى آخر الدنيا . عن عثمان رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا مر على قبر وقف يبكى حتى تبتل لحيته ، فقيل له يا أمير المؤمنين تذكر الجنة والنار وأهوال القيامة فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى ،فقال : قال النبى عليه الصلاة والسلام « القبر أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا فمن نجا منه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد » وقال إن كنت فى النار كنت مع الناس وإن كنت فى القيامة كنت مع الناس وإن كنت فى القبر لم يكن معى أحد فلذلك

أبكى (مشكاة الأنوار) روى عن وهب بن منبه عن جده إدريس قال : وجدت فى بعض الكتب أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال لأمه إن هذه الدار دار فناء ودار زوال والآخرة دار بقاء فتعالى يا أماه فانطلقا إلى جبل لبنان فكانا فيه يصومان النهار ويقومان الليل يأكلان من ورق الأشجار ويشربان من ماء الأمطار فمكثا على ذلك زمانا طويلا ثم إن عيسى عليه السلام هبط ذات يوم من الجبل إلى بطن الوادى ليلتقط الحشيش لإفطارهما فلما هبط جاء ملك الموت فقال : السلام عليك يامريم الصائمة القائمة قالت من أنت فإن جلدى قد اقشعر من صوتك وطار عقلى من هيبتك ؟ فقال : أنا الذى لا أرحم الصغير لصغره ولا أكرم الكبير لكبره وأنا قابض الأرواح ، قالت ياملك الموت أزائرا جئت أم قابضا قال استعدى للموت قالت أفلا تأذن لى حتى يرجع حبيبى وقرة عينى وثمرة فؤادى وريحانة قلبى قال لها لم أومر بذلك وإنما أنا عبد مأمور والله لا أستطيع أن أقبض روح بعوضة فقد أمرنى ربى أن لا أزيل قدماً عن قدم حتى أقبض روحك فى موضعك هذا قالت له ياملك الموت استسلمت لأمر الله تعالى فأمض أمر الله فدنا منها وقبض روحها وأبطأ عيسى عليه السلام فى ذلك الوقت حتى دخل وقت العشاء الأخيرة ، فلما صعد الجبل ومعه الحشيش والبقل نظر إليها وهى نائمة فى محرابها فظن أنها أدت الفرائض ، فوضع الحشيش واستقبل المحراب ولم يزل قائماً إلى الليل ، ثم نظر إلى أمه فنادى بصوت حزين من قلب خاشع : السلام عليك يا أماه قد هجم الليل وأفطر الصائمون ووقف العابدون وما بالك لا تقومين إلى عبادة الرحمن ؟ فرجع فقال إن لبعض النوم حلاوة ، ثم استقبل المحراب ولم يأكل شيئا حتى مضى الثلث الثانى يريد بذلك بر أمه بالإفطار معها ، فلم يزل قائماً فنادى بصوت حزين وقلب مغموم السلام عليك يا أماه ، فرجع واستقبل المحراب حتى طلع الفجر ثم وضع خده على خدها وفمه على فمها وهو يناديها باكياً بكاء شديداً : السلام عليك يا أماه قد مضى الليل وأقبل النهار هذا وقت فريضة الرحمن فبكت ملائكة السموات وبكت الجن من حوله وارتعد الجبل من تحته فأوحى الله تعالى إلى الملائكة ما يبكيكم ؟ قالوا إلهنا أنت أعلم فأوحى الله تعالى إنى أعلم وأنا أرحم الراحمين فإذا مناد ينادى ياعيسى ارفع رأسك فقد ماتت أمك فأعظم الله أجرك فرفع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه باكياً يقول: من لوحشتى ومن لوحدتى ومن آنس به فى غربتى ومن يعيننى فى عبادتى ؟ فأوحى الله تعالى إلى الجبل أن كلم روحى بالموعظة فقال الجبل ياروح الله ماهذا الجزع أوتريد مع الله أنيساً ؟ ثم هبط من ذلك الجبل إلى قرية من قرى بنى إسرائيل فنادى السلام عليكم يابنى إسرائيل ، فقالوا من أنت يا عبد الله فقد أضاء حسن وجهك دورنا ؟ فقال أنا روح الله إن أمى قد ماتت غريبة فأعينونى على غسلها وكفنها ودفنها قالوا ياروح الله إن هذا الجبل كثير الأفاعى والحيات لم يسلكه آباؤنا وأجدادنا منذ

ثلاثمائة عام فرجع عيسى عليه السلام إلى الجبل فاذا هو قد وجد شابين جميلين فسلم عليهما فردا عليه ثم قال لهما إن أمي قد ماتت غريبة في هذا الجبل فأعيناني على تجهيزها فقال أحدهما له: هذا ميكائيل وأنا جبرائيل وهذا الحنوط والأكفان من عند ربك فان الحور العين قد هبطن الآن من الجنة لغسلها وتكفينها وشق جبريل عليه السلام قبرها من رأس الجبل ودفنوها فيه بعد أن صلوا عليها وشيعوا جنازتها ثم قال عيسى عليه السلام اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي ولا يخفى عليك شيء من أمري فان أمي ماتت ولم أشهدها عند وفاتها فأذن لها تكلمني فأوحى الله تعالى إليه إني قد أذنت لها فجاء عيسى عليه السلام ووقف على قبرها فناداها بصوت حزين السلام عليك يا أماه فأجابته من القبر ياحبيبي ياقرة عيني قال لها يا أماه كيف وجدت مقيلك ومصيرك وكيف رأيت القدوم على ربك ؟ قالت مقيلي خير مقيل ومصيري خير مصير قدمت على ربي فوجدته راضيا غير غضبان قال يا أماه كيف وجدت ألم الموت ؟ قالت والذي بعثك بالحق نبياً ماذهبت مرارة الموت من حلقي وهيبة ملك الموت بين عيني فعليك السلام ياحبيبي إلى يوم القيامة . (وحكى) أن فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما ماتت حمل جنازتها أربعة نفر : زوجها علي وابناها الحسن والحسين وأبوذر الغفاري رضي الله تعالى عنهم أجمعين فلما وضعوها على شفير القبر قام أبوذر فقال ياقبر أتدري من التي جئنا بها إليك ؟ هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجة علي المرتضى وأم الحسن والحسين فسمعوا نداء من القبر يقول : ما أنا موضع حسب ونسب ، وإنما أنا موضع العمل الصالح ، فلا ينجو مني إلا من كثر خيره وسلم قلبه وخلص عمله (كذا في مشكاة الأنوار) قال الفقيه أبو الليث السمرقندي : من أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يلازم أربعة أشياء ويجتنب أربعة أشياء . فأما التي يلزم أن يلازمها فالمحافظة على الصلاة والصدقة وقراءة القرآن وكثرة التسبيح فانها تضيء القبر وتوسعه . وأما التي يلزم الاجتناب عنها فالكذب والخيانة والنميمة والبول قائماً. قال عليه الصلاة والسلام «استنزهوا عن البول فان عامة عذاب القبر منه» (مشكاة الأنوار) قال بعض العلماء : إن العذاب على الروح دون البدن . وقال بعض آخر إنه على البدن دون الروح. وقال بعض آخر إنه على الروح والبدن إلى غير ذلك من الأقوال . فان قيل لا يجوز أن يعذب البدن لأنه خال عن الروح فيمتنع عذابه . قلت إن الله قادر على أن يخلق فيه نوع حياة قدر ما يمكن الألم والتنعم من غير إعادة الروح إليه لئلا يحتاج إلى نزع جديد . وقال بعض العلماء : يجعل الروح في جسده كما كان في الدنيا ويجلس ويسأل . وقال بعضهم : يكون السؤال للروح دون الجسد . وقال بعضهم يدخل الروح في جسده إلى صدره . وقال الآخرون يكون بين جسده وكفنه ، وفي كل ذلك قد جاءت الآثار ، والصحيح عند أهل العلم أن يقر العبد بعذاب القبر ونعيمه ولا يشتغل

بكيفيته (من شرح العقائد ملخصاً) سئل أبوبكر رضى الله تعالى عنه عن الأرواح حين تخرج من الأجساد أين تذهب ؟ قال في سبعة مواضع : أما أرواح الأنبياء والمرسلين فمقرها جنات عدن، وأما أرواح العلماء فمقرها جنات الفردوس ، وأما أرواح السعداء فمقرها جنات عليين ، وأما أرواح الشهداء فتطير مثل الطيور فى الجنة حيث شاءت ، وأما أرواح المؤمنين المذنبين فتكون معلقة فى الهواء لا فى الأرض ولا فى السماء إلى يوم القيامة ، وأما أرواح أولاد المؤمنين فتكون فى جبل من المسك ، وأما أرواح الكافرين فتكون فى سجين يعذبون مع أجسادهم إلى يوم القيامة قال الله تعالى فى كتابه الكريم (كلا إن كتاب الفجار لفى سجين) والله أعلم بحقيقة الحال وله الحمد فى كل مقال سوى الكفر والضلال . فعليك بامتثال الأوامر وهو منزه عن الكفء والمثال لا تؤاخذنا بجرمنا ياذا الاكرام والجلال ، وقد قيل : الخلائق إذا نشروا من القبور يقفون وقوفاً على المواضع التى نشروا منها يوم القيامة أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يتكلمون قيل يارسول الله بم تعرف أمتك يوم الدين ؟ قال «إن أمتى يوم القيامة غر محجلون من آثار الوضوء » وفى الخبر « إذا كان يوم القيامة بعث الله الخلائق من قبورهم فتأتى ملائكة إلى رأس قبور المؤمنين فيمسحون رءوسهم من التراب وينثرون التراب عنهم إلا موضع سجودهم فتمسح الملائكة تلك المواضع فلا يذهب منها ، فينادى المنادى ياملائكتى ليس ذلك تراب قبورهم إنما هو تراب محاريبهم ، دعوا ما عليهم حتى يعبروا الصراط ويدخلوا الجنة حتى إن كل من ينظر إليهم يعلم أنهم خدامى وعبادى » وروى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة وبعث من فى القبور أوحى الله إلى رضوان : إنى قد أخرجت الصائمين من قبورهم جائعين عطشى ، فاستقبلهم بشهواتهم فى الجنان ، فيصيح رضوان أيها الغلمان ويا أيها الولدان الذين لم يبلغوا الحلم تعالوا فيأتون بطباق من نور ويجتمعون عند رضوان أكثر من عدد التراب وأقطار الأمطار وكواكب السماء وأوراق الأشجار بالفاكهة الكثيرة والأطعمة النفيسة والأشربة اللذيذة ، فيتلقونهم ويطعمونهم من ذلك ، ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) » الآية وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ثلاثة نفر تصافحهم الملائكة يوم يخرجون من قبورهم : الشهداء ، والقائمون شهر رمضان والصائمون يوم عرفة » عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ياعائشة إن فى الجنة قصوراً من در وياقوت وزبرجد وذهب وفضة ، قلت يارسول الله لمن هذا ؟ قال لمن صام يوم عرفة ، ياعائشة إن أحب الأيام إلى الله يوم الجمعة ويوم عرفة لما فيهما من الرحمة ، وإن أبغض الأيام إلى إبليس يوم الجمعة ويوم عرفة ، ياعائشة من أصبح صائماً يوم عرفة فتح الله له

ثلاثين بابا من الخير ، وأغلق عنه ثلاثين بابا من الشر ، فاذا أفطر وشرب الماء يستغفر له كل عرق فى جسده ، ويقول اللهم ارحمه إلى طلوع الفجر » وفى خبر آخر « يخرج الصائمون من قبورهم ، ويعرفون بريح صيامهم ، ويلقون بالموائد والأباريق ، يقال لهم كلوا فقد جعتم حين شبع الناس ، واشربوا فقد عطشتم حين روى الناس ، واستريحوا ، فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس فى الحساب » وقد جاء فى الخبر « لايبلى عشرة نفر : النبى والغازى والعالم والشهيد وحافظ القرآن والمؤذن والمرأة إذا ماتت فى نفاسها ومن قتل مظلوماً ومن مات يوم الجمعة وليلتها » وفى الخبر عن النبى عليه الصلاة والسلام « يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم ، حفاة عراة ، فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : الرجال والنساء ؟ قال نعم ، قالت واسوأتاه ، ينظر بعضهم بعضا ؟ فضرب النبى عليه الصلاة والسلام يده على منكبيها وقال : ياابنة ابن أبى قحافة اشتغل الناس يومئذ عن النظر ، وشخصت أبصارهم إلى السماء ، يقفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون فمنهم من يبلغ العرق إلى قدميه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ، ومنهم من يبلغ إلى بطنه ، ومنهم من يبلغ إلى صدره ، والعرق يكون من طول الوقوف ، قالت قلت : يارسول الله هل يحشر أحد كاسيا يوم القيامة ؟ قال الأنبياء وأهلهم ، وصائمو رجب وشعبان ورمضان على الولاء ، وكل الناس جياع يومئذ إلا الأنبياء وأهل بيتهم ، وصائمو رجب وشعبان فانهم شباع الناس لاجوع لهم ولاعطش ، يساقون بأجمعهم إلى المحشر عند بيت المقدس بأرض يقال لها الساهرة ، قال الله تعالى (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) » الآية. ويقال إن الخلائق فى عرصات القيامة ، يكونون مائة وعشرين صفا ، طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة ، وعرض كل صف مسيرة عشرين ألف سنة ، ويقال إن المؤمنين منهم ثلاثة صفوف والباقى كفرة . وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن أمتى مائة وعشرون صفا » وهذا هو الأصح . وصفة المؤمنين أنهم بيض الوجوه غر محجلون ، وصفة الكافرين أنهم سود الوجوه مقرنون مع الشياطين (دقائق الأخبار) .

المجلس الحادى والأربعون : فى بيان الساعة

سورة الحج — (بسم الله الرحمن الرحيم)

١ (أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة) تحريكها للأشياء على الإسناد المجازى ، وقيل هى زلزلة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها ، وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراطها (شىء عظيم) هائل ، علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ، ويعلموا أنهم لايؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى ، فيبقوا على أنفسهم ، ويقوها ، بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) تصوير لهولها ، والضمير

للزلزلة ، ويوم منصوب بتذهل (وتضع كل ذات حمل حملها) جنينها (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى (وما هم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فأرهقهم هوله ، بحيث طير عقولهم ، وأذهب تمييزهم (قاضى بيضاوى).

عن جابر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « ماجلس قوم مجلساً ثم تفرقوا على غير صلاة على إلا تفرقوا على أنتن من ريح الجيفة » وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم « من نسى الصلاة على نسى طريق الجنة » (شفاء شريف) عن على بن أبى طالب عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « يأتى على الناس زمان لايبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولامن الدين إلا رسمه ، ولامن القرآن إلا درسه ، يعمرون مساجدهم وهى خراب عن ذكر الله ، أشر أهل ذلك الزمان علماؤهم ، منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود ، وهؤلاء علامات القيامة » (زبدة الواعظين) عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال « اطلع علينا النبى عليه الصلاة والسلام ونحن نتذاكر فقال عليه الصلاة والسلام ماتذاكرون ؟ قلنا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر عليه الصلاة والسلام : الدخان والدجال ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » (زبدة) الدجال هو بلاء عظيم لابلاء مثله من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ، ويفعل بالاستدراج من خوارق العادة مالا يحصى عدده ، ويدعى الألوهية ، وإحدى عينيه عمياء ، وبين عينيه مكتوب هـذا كافر (شرح بركوى للقنوى) يملأ الدخان بين المشرق والمغرب ويبقى مقدار أربعين يوما يكون المؤمن مثل مموس الزكام ، والكافر كالسكران ، يخرج من أنوفهم وآذانهم وأدبارهم . (شرح بركوى للقنوى) تخرج دابة الأرض فى مكة عند الصفا تتكلم بلسان فصيح ، وتملأ وجه الأرض بالعدل ، ومعها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام ، إذا ضربت بالعصا على جبهة المؤمن يكتب هـذا مؤمن ، وإذا ختمت بالخاتم على جبهة الكافر يكتب هـذا كافر . (شرح بركوى للقنوى) نزول عيسى عليه السلام فى الشام فى المنارة البيضاء ، ويقتل الدجال بحيث لولم يقتله لذاب كالملح فى الماء ، ثم يعمل بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام (شرح بركوى) خروج يأجوج ومأجوج هما صنفان ، صنف صغير جدا وصنف كبير جدا ، الآن موجودان وراء السد الذى بناه إسكندر ذو القرنين ، إذا جاء الوقت يخرجان ، عددهما لايعد ولايحصى بحيث لاتبقى قطرة فى بحيرة طبرية من شربهما . (شرح بركوى) وقال عليه الصلاة والسلام « للساعة أشراط : يظهر عدم نفاق الأسواق : يعنى الكساد ، ويقل المطر والنبات ، وتفشو

القينة ، ويؤكل الربا ، وتظهر أولاد الزنا ، ويعظم رب المال ، وتعلو أصوات الفسقة فى المساجد ، ويظهر أهل المنكر على أهل الحق » (تنبيه الغافلين) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إذا اتخذ الفىء دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما والتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وقرب صديقه وبعد أباه وظهرت الأصوات فى المساجد وكان رئيس القبيلة فاسقهم وأكرم الرجل مخافة شره ولا يكرمها عند الله أى مخافة عذاب الله ، فتلك علامات القيامة » (موعظة) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما خلق الله السموات والأرض خلق الصور ، وللصور إحدى عشرة دائرة ، وأعطاه الله تعالى إسرافيل عليه السلام ، وهو واضعه على فيه ناظر ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » وقال أبو هريرة « ما الصور يارسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : هو قرن عظيم من النور ، والذى بعثنى بالحق نبيا ، عظم كل دائرة فيه كعرض السموات والأرض ، وينفخ فيه ثلاث نفخات : نفخة للفزع ونفخة للصعق ونفخة للبعث يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام بالنفخة الأولى فينفخ فيه ، فيفزع من فى السموات ومن فى الأرض ، وهو قوله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض) أى يستغيث كل من فيهما خوفا حتى (تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها) الآية . وتصير الولدان شيبا ، فيمكثون ماشاء الله تعالى ثم يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام أن ينفخ نفخة الصعق ، فينفخ فيموت من فيهما كما قال الله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) يعنى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وحملة العرش ، فيأمر الله تعالى ملك الموت أن يقبض أرواحهم ، فيقبض أرواحهم ثم يقول الله تعالى : ياملك الموت من بقى من خلق ؟ فيقول يارب بقى العبد الضعيف ملك الموت ، فيقول الله تعالى : ياملك الموت ألم تسمع قولى (كل نفس ذائقة الموت) اقبض روح نفسك . فيجىء ملك الموت إلى موضع بين الجنة والنار ، وينزع روحه ، فيصيح صيحة لو كان الخلق كلهم أحياء لماتوا من صيحته ، فيقول : لو علمت بالموت من الشدة والألم ماقبضت أرواح المؤمنين إلا بالرفق ، ثم يموت ، فلا يبقى أحد من الخلق ، فتبقى الأرض خرابا أربعين سنة ، فيقول الله تعالى : أيتها الدنيا الدنية ، أين الملوك ، وأين أبناء الملوك ، وأين الجبابرة ، وأين الذين كانوا يأكلون رزقى ويعبدون غيرى (لمن الملك اليوم) ؟ فلم يوجد أحد يجيبه فيجيب نفسه بنفسه ويقول (لله الواحد القهار) ثم يرسل الله تعالى الريح العقيم التى أرسلها على قوم عاد مقدار مايخرج من ثقب الإبرة ، فلا تترك على وجه الأرض جبلا ولا تلا إلا هدمته وجعلته مثل الأديم ، كما قال الله تعالى (لاترى فيها عوجا ولا أمتا) ثم يأمر

الله تعالى السماء أن تمطر ، فتمطر السماء كمنى الرجال أربعين يوما حتى يكون الماء فوق كل شيء اثنى عشر ذراعاً ، فينبت الخلق بذلك كنبات البقل حتى تتكامل أجسادهم وتكون كما كانت ، ثم يحيى الله تعالى حملة العرش ، ثم يحيى الله إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل فيحيون باذن الله ، ثم يأمر الله رضوان أن يدفع إليهم البراق والتاج وحلة الكرامة ورداء الكبرياء وإزار العزة واللواء ، فيقفون بين السماء والأرض فيقول جبرائيل عليه السلام : أيتها الأرض أين قبر محمد ؟ فتقول الأرض : والذى بعثك بالحق أرسل الله على الريح العقيم فجعلتنى دكا دكا لا أدرى قبره ، ثم يرفع من قبر النبي عليه الصلاة والسلام عمود من النور إلى عنان السماء فيعلم جبرائيل أنه قبر محمد ، فينطلقون إليه فيقفون ، فيبكى جبرائيل عليه السلام ويقولون ما بكاؤك ؟ فيقول لم لا أبكى ، يقوم محمد ويسألنى عن أمته ولا أدرى أين أمته ؟ فيهتز قبره وتنشق الأرض ، ويقوم محمد عليه الصلاة والسلام ، فينفض التراب عن رأسه ، وينظر عن يمينه وعن شماله ، فلا يرى من العمارات شيئا ، ويرى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، فيقول يا جبرائيل : أى يوم هـذا ؟ فيقول : هذا يوم الحسرة ويوم الندامة ، وهذا يوم القيامة ويوم شفاعتك ، ويقول يا جبرائيل : أين أمتى لعلك تركتهم على شفير جهنم وجئت لأن تخبرنى بهم ، فيقول جبرائيل : معاذ الله ، والذى بعثك بالحق نبيا ما انشقت الأرض عن أحد قبلك ، ويضع التاج على رأسه ويلبس الحلل ويركب البراق ويقول : يا أخى يا جبرائيل . أين أصحابى أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ؟ فاذا هم يقومون بإذن الله تعالى ، ويأتى ملك ومعه حلل وبراقات يلبسون ويركبون ويقومون عند النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم يخر النبي عليه الصلاة والسلام ساجداً باكيا يقول : أمتى أمتى ، ثم يأتى من قبل الله صوت إلى إسرافيل : أن انفخ فى الصور ، فينفخ فتخرج الأرواح كأنها النحل ، قد ملأت ما بين السماء والأرض ، فتدخل إلى الأجساد كما قال الله تعالى (ثم نفخ فيـه أخرى فإذاهم قيام ينظرون) الآية ، فتبعث الخلائق إلى المحشر من الجن والإنس غير الملائكة » (زبدة الواعظين) عن معاذ بن جبل أنه قال « قلت للنبي عليـه الصلاة والسلام : يا رسول الله أخبرنى عن قوله تعالى (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) فبكى عليـه الصلاة والسلام حتى ابتلت ثيابه من دموع عينيه ، فقال : يا معاذ سألتنى عن أمر عظيم تحشر أمتى على اثنى عشر صنفا . الأول يحشرون من قبورهم ليس لهم يدان ولا رجلان ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يؤذون الجيران ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (والجار ذى القربى والجار الجنب) الآية . والثـانى يحشرون من قبورهم على صورة الخنازير ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يتهاونون بالصلوات ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم

إلى النار لقوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) الثالث يحشرون من قبورهم وبطونهم مثل الجبال مملوءة من الحيات والعقارب كمثل البغال ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يمنعون الزكاة ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار لقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة) الآية . والرابع يحشرون من قبورهم يجرى من أفواههم الدم ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين كذبوا فى البيع والشراء ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) والخامس يحشرون من قبورهم قد انتفخوا ، وهم أنتن رائحة من الجيفة بين الناس ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يكتمون المعاصى خوفا من الناس ولا يخافون من الله ، ثم ماتوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) والسادس يحشرون من قبورهم مقطوعى الحلاقيم والأقفية ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يشهدون الزور ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) الآية . والسابع يحشرون من قبورهم ليس لهم ألسنة ، يجرى من أفواههم القيح والدم ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يمنعون الشهادة ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) . والثامن يحشرون من قبورهم ناكسى رءوسهم وأرجلهم فوق رءوسهم ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين كانوا يزنون ثم ماتوا ولم يتوبوا ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) والتاسع يحشرون من قبورهم سود الوجوه زرق العيون وبطونهم مملوءة من النار ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين كانوا يأكلون أموال اليتامى ظلما لقوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) والعاشر يحشرون من قبورهم وقد ملئوا جذاما وبرصا ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين عقوا الوالدين ، لقوله تعالى (وبالوالدين إحسانا) والحادى عشر يحشرون من قبورهم عميان القلب والعين ، وأسنانهم كقرن الثور ، وشفاههم مطروحة على صدورهم وألسنتهم مطروحة على بطونهم وعلى فخذهم يخرج من بطونهم القذر ، فينادى المنادى : هؤلاء الذين كانوا يشربون الخمر لقوله تعالى (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) والثانى عشر يحشرون من قبورهم ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف ، فينادى المنادى : هؤلاء الذين يعملون الصالحات والحسنات ، ويجتنبون المعاصى ، ويحافظون على الصلوات الخمس ، وماتوا على التوبة ، فجزاؤهم الجنة والمغفرة والرحمة والرضوان ، لقوله تعالى (ألا تخافوا ولا تحزنوا) » الآية (تنبيه الغافلين) .

المجلس الثاني والأربعون : في بيان التواضع

سورة الفرقان — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وعباد الرحمن) مبتدأ خبره — أولئك يجزون الغرفة — (الذين يمشون على الأرض) وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل ولأنهم الراسخون في عبادته ، على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار (هوناً) هينين أومشياً هيناً مصدر وصف به ؛ والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) تسلمنكم ومتاركة لكم ، لا خير بيننا ولا بينكم ولا شر ، أوسدادا من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم ، ولا تنافيه آية القتال لنسخه ؛ فان المراد هو الإعراض عن السفهاء ، وترك مقابلتهم في الكلام (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من ذكرت بين يديه فلم يصل على دخل النار » لأن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذكره واجبة عند الإمام الطحاوى في كل مرة . وقال بعض العلماء : يكفى في المجلس مرة واحدة وإن كرر ذكره كسجدة التلاوة وتشميت العاطس ، وبه يفتى ؛ والأفضل أن يصلى عليه كلما ذكر انتهى . وروى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من أحد إلا وفى رأسه سلسلتان : إحداهما إلى السماء السابعة ، والأخرى إلى الأرض السابعة ، فاذا تواضع رفعه الله تعالى بالسلسلة التي في السماء السابعة ، وإذا تكبر وضعه الله بالسلسلة التي في الأرض السابعة » وأما ذم الكبر ، فروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « قال الله تعالى : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني فيهما ألقيته في النار ولا أبالي » رواه ابن ماجه . قوله الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري : يعني أنهما صفتان من صفات الله تعالى ، فلا ينبغي للعبد الضعيف أن يتكبر . وروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، ويسقون من طينة الخبال ، وهي عصارة أهل النار » رواه القضاعي . قوله الذر : الذرة هي النملة الصغيرة : أي يكون المتكبرون يوم القيامة على غاية الذل والحقارة ، فيطؤهم أهل المحشر بأرجلهم . قوله : يغشاهم الذل : أي يأتيهم الذل من كل مكان . قوله نار الأنيار : أي أشد حرارة من جميع أنواع النار . قوله بولس : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام بعدها سين مهملة ، والخبال : بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة موضع في جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار . وروى عن أبي هريرة أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم

القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب عظيم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل متكبر » رواه مسلم . قوله عائل : أى فقير ، وقيل ذو العيال الذى لا يقدر على تحصيل حوائجهم ويستكبر أن يسأل : يعنى لا يطلب الزكاة والصدقة ، ولا يسأل من بيت المال من التكبر ، وهذا آثم لإيصال الضرر إلى عياله ، انتهى كلامه . روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من تواضع رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله » وقال عليه الصلاة والسلام « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، وإنما صار حجابا عن الجنة لأنه يحول بين العبد وأخلاق المؤمنين كلها ، وتلك الأخلاق هى أبواب الجنة » الحديث. وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه ، وما شرب رجل من سؤر أخيه إلا كتب له سبعون حسنة ، ومحيت عنه سبعون سيئة ، ورفعت درجته فى أعلى عليين » الحديث رواه صاحب الفردوس . وروى عن جابر رضى الله عنه أنه قال : قال نوح عليه السلام لابنه سأنبئك بخصال من كن فيه ليس بمتكبر : اعتقال الشاة وركوب الحمار ولبس الصوف والمجالسة مع فقراء المؤمنين وأكل أحدكم مع عياله . رواه صاحب الفردوس . وروى عن عمر أنه قال : رأس التواضع أن تبتدئ بالسلام على من لقيته من المسلمين ، وأن ترضى بالدون من المجلس وأن تكره أن تذكر بالبر والتقوى . وروى الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من خصف نعله ورقع ثوبه وعفر وجهه لله فى السجود فقد برئ من الكبر » وروى عن قيس بن حازم أنه قال : لما توجه عمر بن الخطاب إلى الشام ، جعل بينه وبين غلامه تناوبا فى الركوب فكان عمر يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمام الناقة ويسير فرسخا ، ثم ينزل ويركب الغلام ويأخذ عمر رضى الله عنه بزمام الناقة ويسير مقدار فرسخ ثم ينزل ؛ فلما قرب إلى الشام كانت نوبة الركوب للغلام فركب الغلام وأخذ عمر بزمام الناقة ، فاستقبله الماء فى الطريق ، فجعل عمر يخوض فى الماء وهو آخذ بزمام الناقة ونعلاه تحت إبطه اليسرى ، فخرج إليه أبو عبيدة بن الجراح وكان أميرا على الشام ، وكان من العشرة المبشرة بالجنة فقال : يا أمير المؤمنين إن عظماء الشام يخرجون إليك ، فلا يحسن أن يروك على هذه الحالة ، فقال عمر إنما أعزنا الله بالإسلام ، فلا أبالى من مقالة الناس انتهى . روى أن مطرف بن عبد الله رأى المهلب يتبختر فى جبته ، فقال : يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله ، فقال المهلب : أما تعرفنى ؟ قال بلى أعرفك ، أولك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بينهما حامل العذرة ، فمضى المهلب وترك المشية وتاب . وروى عن أبى هريرة أنه قال : بعث عمر بن الخطاب أميرا على البحرين وهو راكب على حمار ، فجعل يقول طرقوا ؛ فهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كان خلقهم

التواضع ، وكانوا أعز الناس عند الخلق وعند الملائكة وعند الله تعالى . وفى الخبر « لما خرج رسول الله من مكة مهاجرا إلى المدينة ، ودخل باب المدينه ، كان الأغنياء يتعلقون بزمام الناقة ، فقال عليه الصلاة والسلام : اتركوها فإنها مأمورة ، فتركوا زمامها عليها ، وكانت الناقة تتقدم أمام العسكر ، فكلما جاوزت دار رجل حزن صاحبها ويقول : لو كان لى دولة لكان محمد عليه الصلاة والسلام ضيفى ، فلما انتهى إلى باب دار أبى أيوب الأنصارى بركت الناقة ، فجعلوا ينخسونها فلم تقم ، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال : انزل هنا فإنه تواضع لله حين نزلت على باب المدينة ، واعتنى الناس وزينوا ديارهم ، وقالوا ينزل رسول الله فى دارنا ، وإن أبا أيوب الأنصارى قال فى نفسه إنى رجل فقير من أين يكون لى قدر عند الله حتى ينزل محمد فى دارى ، فأنزل الله نبيه فى داره لتواضعه » روى عن وهب بن منبه أنه قال : كان رجل فى بنى إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة ، لايفطر إلا من السنة إلى السنة ، ثم سأل الله تعالى حاجة ، فلم يقض حاجته ، فقال : لو كانت لك منزلة عند الله تعالى لقضى الله حاجتك ، فأنزل الله تعالى ملكا قال له : يا ابن آدم تواضعك الآن أفضل عند الله تعالى من عبادتك سبعين سنة ، فقضى الله حاجتك لتواضعك إليه . فاعتبروا يا أولى الألباب ، وكونوا من المتواضعين .
وروى عن كعب الأحبار أنه قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام فقال : يا موسى أتدرى لما اتخذتك كليما بلا واسطة ؟ قال أنت أعلم بذلك يارب ، قال الله تعالى إنى نظرت فى قلوب عبادى ، فلم أر قلبا أشد تواضعا من قلبك ، فلهذا كلمتك ؟ وقيل إن ستة أشياء تواضعت لله تعالى فرفعها بين أمثالها : أولها أن الله أوحى إلى الجبال كلها ، فقال : إنى أجلس سفينة نوح ومن معه من المؤمنين على جبل منكن ، فشمخت : أى تكبرت الجبال كلها وتطاولت ، وتواضع الجودى وقال : من أين يكون لى قدر حتى يجلس الله تعالى سفينة نوح عليه السلام على ، فرفعه الله فوق الجبال كلها ، وقرر السفينة عليه بتواضعه ، كما قال الله تعالى فى سورة هود (واستوت) أى استقرت (على الجودى) وهو جبل بأرض الجزيرة بقرب الموصل ، فقالت الجبال : ياربنا لم فضلت الجودى علينا وهو أصغرنا ؟ فقال الله إنه تواضع لى وأنتم تكبرتم ، وحق على أن من تواضع لى رفعته ، ومن تكبر على وضعته . والثانى أوحى الله تعالى إلى الجبال كلها فقال : إنى مكلم عليكن عبدا من عبيدى ، فشمخت : أى تكبرت الجبال كلها إلا طورسيناء : فإنه تواضع لله تعالى فقال : من أنا حتى يكلم الله على عبدا من عباده ، فلذلك كان الكلام بينه وبين موسى عليه السلام على الطور . والثالث أوحى الله إلى السمك كله فقال إنى مدخل يونس فى بطن واحد منكن ، فتكبرت كلها إلا سمكة واحدة ، وقالت : من أنا حتى يجعل الله

تعالى بطنى وعاء نبيــه ، فرفعها الله وأكرمها بتواضعها . والرابع أوحى الله تعالى إلى الطيور كلها فقال : إنى واضع شرابا فى إحدا كن فيه شفاء للناس ، فتكبرت الطيور كلها إلا النحل ، فإنها قالت : من أنا حتى يضعه فى ، فرفعها الله ووضعــه فيها بتواضعها . والخامس أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السـلام ، فقال من أنت ؟ قال أنا الخليل ، وقال لموسى عليه السلام : من أنت قال أنا الـكليم ، وقال لعيسى عليه الســلام : من أنت قال أنا الروح ، وقال لمحمد عليه الصلاة والسـلام من أنت ؟ قال أنا اليتيم ، فرفع الله درجتــه على سائر الأنبياء ، كما قال الله تعـالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) والسادس للؤمن الذى تواضع لله بالســجود والتوحيــد فأكرمه الله بأن شرح صدره للإســلام ، فهــو على نور من ربــه انتهى (من للوعظــة الحسنة المرغوبة) .

(دخول إبراهيم عليه السلام على ملك مصر) وقصته أن إبراهيم عليه السلام لما جعل الله له النار بردا وســلاما ، قصد نحو مصر (فقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين) وذهب مع زوجته سارة عليها السلام ، فقيل له : إن فى مصر ملـكا ظالما يأخذ أزواج الناس ظلما ، وله فى كل طريق عشار ، وكان إبراهيم عليه السلام غيورا وكانت سارة من أجمل النساء حتى لم يكن لها فى زمانها نظير فأخذ إبراهيم عليه السلام صندوقا أدخل فيه سارة عليها السلام ووضع إبراهيم عليه السلام القفل على الصندوق وحملها على البعير وقصد نحو مصر ، فلما وصل إلى العشار سأل منه المكث وأراد فتح الصندوق فأبى ، فلم يتركه حتى جاء مع أعوانه ، وفتح الصندوق فرأى سارة ذات جمال وكمال ، فقال لإبراهيم عليه الســلام : هذه زوجتك قال هى أختى ، قال أظنها تصلح للملك ، فذهبوا بسارة رضى الله عنها إلى الملك ، ورفع الله عن إبراهيم عليه السلام الحجاب حتى رأى سارة من خارج البيت ، فقصــد الملك نحــو ســارة ، ومد يده إليها فيبست يده ورجله ، فقال الملك إنك امرأة ســاحرة أيبست يدى ورجلى ، قالت ما أنا بساحرة ولـكنى زوج خليــل الله ، فدعا عليك ، فأيبس الله يدك ورجلك ، فتب إلى الله حتى يصحح الله يدك ورجلك ، فتاب الملك فصحح الله يده ورجله من ساعتــه ، ثم نظر إلى سارة فلم يصبر عنها فعمد إليها ثانيا فأعمى الله عينيه ثم تاب فرد الله تعالى له بصره ، ثم عمــد إليها ثالثا فأيبس الله جميع أعضائه ثم تاب توبة حقيقية ، وأعادها إلى إبراهيم عليــه الســلام واعتذر له كثيرا وقال له احكم على بما شئت ، فقال إبراهيم عليه السلام : هذا من أمر ربى ، فلا أحكم إلا بما يأمرنى ربى فنزل عليه جبرائيل عليه السلام ، وقال يا إبراهيم : يقول لك الله قل للملك يخرج من جميع ملـكه وخزائنه ، ويسلمها إليك ، ثم ادع له ، فأخبره إبراهيم عليه السلام بحـكم الله ، فرضى الملك بحـكم الرب ، فدعا له إبراهيم عليه السلام ، فصحح الله تعالى جميع أعضائه .

(نـكتة) إن سارة كانت امرأة جميلة وكان يحبها الخليل عليــــه السلام ، فحفظها الله

تعالى من غيره حتى لم يجد أحد إليها سبيلا ، وكلمة التوحيد التى فى قلب المؤمن محبها الجليل ، فاذا لم يكن للعدو سبيل إلى من أحبه الخليل فكيف يكون للشيطان سبيل إلى من محبه الجليل . رجعنا إلى القصة ، فلما صح للملك أنى بهاجروهبها لسارة رضى الله عنها فقالت سارة : إنى أهبها لإبراهيم عليه السلام ، لأنه اغتم لأجلى ، فوهبتها له ، واعتذرت سارة لإبراهيم عليه السلام ، وقالت لاتغتم فان الله تعالى رفع الحجاب بينى وبينك (نقل من السبعيات) وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من أكرم عالما فقد أكرم سبعين نبيا ، ومن أكرم متعلما فقد أكرم سبعين شهيدا ، ومن أحب العالم لاتكتب عليه خطيئته أيام حياته » وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء ، فيقول يامعشر العلماء : إنى لم أضع فيكم علمى إلا لعلمى بكم ، فلم أضع علمى فيكم لأعذبكم ، انطلقوا فقد غفرت لكم » (تاتارخانية) .

المجلس الثالث والأربعون : فى ذم المعصية والظلم

سورة الروم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ظهر الفساد فى البر والبحر) كالجدب والموتان ، وكثرة الحرق والغرق ، وإخفاق الغاصة ، ومحق البركات ، وكثرة المضار ، والضلالة ، والظلم (بما كسبت أيدى الناس) بشؤم معاصيهم ، أو بكسبهم إياها (ليذيقهم بعض الذى عملوا) بعض جزائه ، فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة والعاقبة (قاضى بيضاوى) .

قال فضالة بن عبيد « سمع النبى عليه الصلاة والسلام رجلا يدعو فى صلاته ، فلم يصل عليه ، عليه الصلاة والسلام ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : عجل هذا ، ثم دعاه ، فقال له ولغيره : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله ، والثناء عليه ، ثم ليصل على النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم ليدع بعد ماشاء » وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال « الدعاء والصلاة معلقان بين السماء والارض ، لا يصعد إلى الله تعالى منهما شىء حتى يصلى على النبى عليه الصلاة والسلام » (شفاء شريف) وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام فى زمرة من الصحابة « إن من أمتى أقواما يقول الله تعالى لهم يوم القيامة : ياعبادى ادخلوا الجنة ، فيتحيرون فى عرصات القيامة إلى أن يهديهم الله إلى الجنة ، فقيل : من هم يارسول الله ؟ فقال الذين ذكرت بين أيديهم ولم يصلوا على من السهو والغفلة » (رونق المجالس) وفى الأصل كانت الأرض خضرة مونقة ، لايأتى ابن آدم إلى شجرة إلا وجد عليها ثمرة ، وكان ماء البحر عذبا ،

وكان الأسد لايقصد البقر ولا الذئب الغنم ، فلما قتل قابيل هابيل اقشعت الأرض ، وشاكت الأشجار ، وصارت الأرض سوداء ، والبحار ملحا زعاقا ، حتى قيل : ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل أخاه هابيل ، وفى البحر بجلندى ، وهو ملك كافركان يأخذ كل سفينة غصبا . قوله بشؤم معاصيهم : أى بشؤم معاصى تارك الصلاة ظهر الفساد فيها ؛ ورد فى السنة أن كل محلة يكون فيها تارك الصلاة ينزل عليها كل يوم سبعون لعنة فان قلت ما الحكمة فى نزول اللعنة على أهل المحلة عامة ، ولم تنزل خاصة ؟ قلت : إنهم يرون تاركها ولم ينهوه عنها ، فلذلك يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده ، كما وقع فى الحديث « الساكت عن الحق شيطان أخرس » (موعظة) قوله ليذيقهم الخ اللام للتعليل إن كان المعنى أفسد الله أسباب معاش النـاس ، أو للعاقبة إن كان المعنى أفسد الناس أفعالهم وأخلاقهم ، إذ ليس غرضهم من إفسادها أن يذيقهم الله تعالى عقوبة ما كسبوه لـكن لما ترتب الغرض من الفعل عليـه شبهت العاقبة المرتبة عليه بالعلة الغائية ، فدخلت عليها لام العاقبـة كما فى قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليـكون لهم عدوا وحزنا) (شيـخ زاده) قال عليه الصلاة والسلام « يا أيها الناس اتقوا ربكم ولايظلم أحد منـكم مؤمنا ، وماظلم أحـد مؤمنا إلا انتقم الله منـه يوم القيامة » (حياة القلوب) قيل أى ذنب أخوف لسلب الايمـان ؟ قال ترك الشكر على الإيمان وترك خوف الخاتمة والظلم على العباد . وقال رحمة الله تعالى عليه : من كان على هـذه الخصال الثلاث ، فالأغلب أنه يخرج من الدنيا كافرا ، نعوذ بالله إلا من أدركته السعادة (دقائق الأخبار والموعظة الحسنة) ورد فى الحديث القدسى « يا ابن آدم الموت يكشف أسراركم ، والقيامة تتلو أخباركم ، والـكتاب يهتك أستاركم فاذا أذنبت ذنبا فلا تنظر إلى صغره ، ولـكن انظر إلى من عصيته ، وإذا رزقت رزقا قليلا فلا تنظـر إلى قلتـه ولـكن انظـر إلى من رزقك ، ولا تحقر الذنب الصغـير ، فانك لاتدرى بأى ذنب أغضب عليك ، ولاتأمن مكرى ، فهو أخفى من دبيب النمل على الصفا فى الليـلة الظلماء ، يا ابن آدم هل عصيتنى فذكرت غضبى فانتهيت عنـه ، وهل أديت الأمانة لمن ائتمنك ، وهل أحسنت لمن أساء إليك ، وهل عفـوت عمن ظلمك ، وهل كلمت من هجـرك ، وهل وصلـت من قطعك ، وهل أنصفـت من خانك ، وهل سألت العلماء عن أمر دينك ودنياك ؟ وإنى لا أنظر إلى صوركم ، ولكن أنظر إلى قلوبكـم ونياتكم وأرضى بهذه الخصال عنكم » (موعظه حسنة) هذه حال الظالم . ثم اعلم حال العادل وفقنا الله وإياكم . روى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يسرى بالليل فمر على باب دار ، فسمع بكاء فوقف ، فسمع امرأة تقول لأولادها : الله بينى وبين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فأراد عمر أن يطيب قلبها من الحزن فدق

الباب ، فقال : مافعل بك عمر ؟ ولم يعلموا أنه عمر ، فقالت المرأة : قد بعث زوجي إلى غزوة كذا وقد ترك لي أولادا صغارا ، وليس معي شيء أنفقه عليهم ، فيبكون ، ويقولون : قد غفل أمير المؤمنين عنا ، فخرج عمر وأخذ عدلا من الدقيق ولحما كثيرا وحمله على ظهره ، فقال له من كان معه : ضعه حتى أحمله ، فقال : هب أنك تحمل في الدنيا هذا ، فمن يحمل أوزاري يوم القيامة ؟ وكان يبكي حتى دخل الدار ، فعجن في الساعة من الدقيق بيده ، وأوقد التنور ، وطبخ الخبز واللحم ، ونبه الصبيان فكان يلقمهم بيده حتى شبعوا ، فقال لهم : اجعلوني في حل على أن لاتخاصموني يوم القيامة ، فقالوا نعم ، فخرج هو ومعه عدله . ورؤى في المنام بعد موته بخمس عشرة سنة فقيل له مافعل الله بك ياعمر ؟ قال الآن فرغت من حساب قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية (من رونق المجالس) . حكاية : مكتوب على جناح الجراد : نحن جند من الأجناد سلطنا الله على العباد لتخريب النواحي والبلاد عند ظهور الجور والفساد (نقل من المشكاة) ورد عن السلف : الجور والعلم في المدينة ، والجهل والبركات في القرى ، فيجذب العلم البركات إلى المدينة بسبب المناسبة بينهما ، ويجذب الجهل الظلم إلى القرى لمناسبتهما . والآن هكذا أهل المدينة يشكون من أهل المدينة ولايشكون من أهل القرى ، وأهل القرى يشكون من أهل القرى ولايشكون من أهل السفر ، وأهل السفر يشكون من دين الإسلام ولايشكون من سائر الملل .

قيل كانت سنة من السنين ، فقحط الناس بمكة ، فخرج الناس يستسقون ثلاثة أيام فلم يمطروا . قال عبد الله بن المبارك فقلت لنفسي أخرج من بين هؤلاء القوم ، وأدعو الله تعالى فعسى أن يرحمني ويستجيب دعائي ، فاعتزلت عنهم ، ودخلت بعض الكهوف ، فلم ألبث حتى دخل غلام أسود ، وصلى ركعتين ، ووضع رأسه على الأرض ودعا الله ، وكنت أسمعه يقول : إلهي إن هؤلاء عبادك قد استسقوك ثلاثة أيام فلم تسقهم ، فبعزتك لاأرفع رأسي حتى تسقينا قال فلم يرفع رأسه حتى أمطرت السماء وقام ومضى ، فاتبعته حتى دخل في البلد فدخل دارا ، فوقفت على الباب ، فقعدت هناك حتى خرج واحد ، فقلت لمن هذه الدار ؟ فقال لفلان ، فدخلت ، فقلت أريد أن أشترى مملوكا ، فعرض على المالك غلاما ، فقلت أريد غيره أهل عندك غيره ؟ فقال : إن معي غلاما لكنه لايصلح لك ، فقلت لم ؟ قال لأنه كسلان ، فقلت اعرضه علي ، فدعاه فأبصرته ، ، فقلت قد رضيته ، فبكم تبيعه ؟ قال أنا اشتريته بعشرين دينارا لكنه لايساوي عشرة دنانير وقد بعته منك بعشرة دنانير ، فقلت اشتريته منك بعشرين دينارا ، ودفعت الثمن إليه وتسلمت منه المملوك ، فقال لي الغلام يابن المبارك لم اشتريتني فاني لاأخدمك ؟ فقلت : ما اسمك ؟ قال الأحبة تعرف

الأحبة ، قال فجئت به إلى بيتى فأراد التوضأ ، فقمت فقدمت الإناء إليه ووضعت النعل بين يديه ، فقام وتوضأ وصلى وسجد قال : فدنوت لأن أسمع مايقول ، فاذا سمعته يقول :

ياصاحب السر إن السر قد ظهرا ولا أريد حياتى بعد ما اشتهرا

ثم سكت ساعة ، فحركته فاذا هو ميت ، فأخذت فى تجهيزه ، فدفنته ، فرأيت النبى عليه الصلاة والسلام من ليلتى فى المنام وشيخ نورانى محبوب عن يمينه والغلام الأسود عن يساره ، فقال لى : جزاك الله عنا خيرا ولا أراك ضيرا لما أحسنت إلى حبيبنا ، فقلت هل هو حبيبك يارسول الله ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم : نعم هو حبيبى وحبيب لخليل الرحمن (رونق المجالس) وعن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » (مصابيح) وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى عليه وسلم أنه قال : ستة يدخلون النار بستة : الأمراء بالجور ، والأعراب بالتعصب . وأهل الرستاق بالجهل ، والدهاقين بالكبر ، والتجار بالخيانة ، والعلماء بالحسد » وذكر أن آدم عليه السلام قال : إن الله تعالى أعطى أمة محمد عليه الصلاة والسلام أربع كرامات ما أعطانيها : إحداها أن قبول توبتى كان بمكة ، وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يتوبون فى كل مكان فيقبل الله توبتهم . والثانية أنى كنت لابسا فلما عصيت جعلنى عريانا وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يعصون عرايا فيلبسهم . والثالثة لما عصيت فرق بينى وبين امرأتى وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يعصون الله ولايفرق بينهم وبين أزواجهم . والرابعة أنى عصيت فى الجنة فأخرجنى منها وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يعصون الله تعالى خارج الجنة فيدخلهم فيها إذا تابوا (تنبيه الغافلين) .

المجلس الرابع والأربعون : فى الذكر والتوحيد

سورة الأحزاب — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) يغلب الأوقات ويعم أنواع ما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد (وسبحوه بكرة وأصيلا) أول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهورين كإفراد التسبيح من جملة الأذكار ، لأنه العمدة فيها ، وقيل الفعلان متوجهان إليهما ، وقيل المراد بالتسبيح الصلاة (هو الذى يصلى عليكم) بالرحمة (وملائكته) بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد القدر المشترك ، وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) حتى اعتنى بصلاح أمرهم وإنافة قدرهم ، واستعمل فى ذلك الملائكة المقربين (قاضى بيضاوى) .

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا » أى لم يحتج إلى أحد أبدا قال الله تعالى (فاذكرونى) أى بالطاعة (أذكركم) أى بالمغفرة والثواب ، أو فاذكرونى بالتوبة أذكركم بقبولى ومغفرتى ، أو اذكرونى بالدعاء أذكركم بالإجابة كما قال الله تعالى (ادعونى أستجب لكم) أو فاذكرونى فى مهدكم أذكركم فى لحدكم ، وهو التثبيت بالقول حين يسأله الملكان فى قبره عن ربه وعن دينه وعن نبيه ، أو فاذكرونى بالتوكل أذكركم بالكفاية بدليل قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أو فاذكرونى بالإحسان أذكركم بالرحمة لقوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) (بحر الحقائق) قوله : هو الذى يصلى إلى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الأمرين ، فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها ، وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على مايستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه . وقوله تعالى : وملائكته عطف على المستكن فى يصلى لمكان الفصل المغنى عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولا والاستغفار ثانيا ، فان استعمال اللفظ الواحد فى معنيين متغايرين مما لامساغ له بل على أن يراد بها معنى مجازى عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له ، وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم ، فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيق له (أبو السعود) قوله هو الذى يصلى عليكم وملائكته إلى آخره : صلاته مغفرة ورحمة لخلقه ، وصلاة الملائكة الدعاء ، والاستغفار للمؤمنين ، جعلوا لكونهم مستجابى الدعوات كأنهم فاعلو الرحمة ، ولذا جاز عطف الملائكة عليه ، وإلا لاعموم للمشترك فى مفهوميه الحقيقة والمجاز (شيخ زاده) قال عليه الصلاة والسلام « لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تورث قسوة القلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى » (مصابيح شريف) حكى أنه مات رجل من أهل الله تعالى ، فرآه البعض فى النوم ، فسأله عن حاله فقال : جاءنى ملكان وجههما أحسن شىء وريحهما أطيب شىء ، فقالا من ربك ؟ فقلت إن سألتما امتحانا فحرام وإن سألتما استفهاما فربى الله تعالى ، فذهبا ، فقلت لا تذهبا مالم تأتيا بالخبر عن سيدى فجاء النداء فى الحال : هو عبدى ، فذهبا انتهى . عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم « رأيت ليلة المعراج بحرا لايعلم مقداره إلا الله تعالى ، وعلى شاطئه ملك على صورة الطير ، وله سبعون ألف جناح ، إذا قال العبد سبحان الله تحرك من مكانه ، وإذا قال والحمد لله بسط أجنحته ، وإذا قال ولا إله إلا الله طار ، وإذا قال والله أكبر أوقع نفسه فى البحر ، وإذا قال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم يخرج فينفض أجنحته ، فيقطر من كل جناح سبعون ألف قطرة ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيسبحون ويهللون ويستغفرون لقائلها إلى يوم القيامة » (زبدة الواعظين)

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله تعالى خلق عمودا بين يدى العرش ، فاذا قال العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله اهتز العمود ، فيقول الله تعالى : اسكن ياعمود ، فيقول العمود : كيف أسكن ولم تغفر لقائلها ؟ فيقول الله تعالى قد غفرت له فيسكن عند ذلك » (زبدة الواعظين) حكى أن موسى عليه الصلاة والسلام كان مارا فى بعض الطرق ، فرأى شيخا قد انحنى ظهره من الكبر ، وقد شد زنارا على وسطه ، وبين يديه نار يعبدها ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام : ياشيخ منذ كم سنة تعبد هذه النار ؟ فقال منذ أربعمائة وتسعين سنة ، فقال ألم يأن لك أن تتوب من عبادة النار ، وتعود إلى الملك الجبار ؟ فقال ياموسى : أترى أن الله تعالى لو رجعت إليه يقبلنى ؟ قال موسى عليه الصلاة والسلام : فكيف لايقبلك وهو أرحم الراحمين ؟ فقال ياموسى : إن علمت أن الله تعالى يقبل الهاربين بكرمه ولطفه اعرض على الإسلام ، فعرض عليه موسى عليه الصلاة والسلام الإسلام فأسلم ، فقال لا إله إلا الله موسى رسول الله ، فأخذته الصيحة والصراخ حتى خشى عليه الموت بفرح الإسلام ، فحركه موسى عليه الصلاة والسلام برجله فاذا هو فارق الدنيا ، فأخذ موسى عليه الصلاة والسلام فى تجهيزه ودفنه ، ثم وقف على قبره فقال إلهى أريد أن تعلمنى بماذا عاملت هذا العبد بتوحيد واحد ، فنزل جبرائيل عليه الصلاة والسلام ، وقال ياموسى إن ربك يقرئك السلام ويقول : أما علمت أن من صالحنا بكلمة لا إله إلا الله موسى رسول الله نقربه إلى جنابنا وتلبسه من حلل الجنة ، فرجع موسى عليه الصلاة والسلام إلى قومه ، فأخبرهم القصة ، فعدوا حروف لا إله إلا الله موسى رسول الله أربعة وعشرين حرفا ، فقد غفر الله بكل حرف ذنوب سبع وعشرين سنة (رونق المجالس) . وفى الخبر « يؤتى بالعبد يوم القيامة ، ويوقف بين يدى الله تعالى ويحاسبه ، فيستحق النار بكثرة ذنوبه وقلة حسناته ، فيقرب إلى الهلاك وهو يرتعد ، فيقول الله تعالى : ياملائكتى انظروا دفتره ، هل تجدون فى ديوانه حسنة ؟ فينظرون فيقولون : ياربنا لم نجد شيئا ، فيقول الله تعالى : عندى له شىء إنه كان نائما فى الليل فاستيقظ من منامه وأراد أن يذكرنى ، فغلب عليه النوم فلم يقدر أن يذكرنى إنى قد غفرت له بذلك » (تنبيه الغافلين) عن سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الشيطان عليه اللعنة ، قال لربه بعزتك وجلالك يارب لا أزال أبدا أغوى عبادك وآمرهم بالكفر والمعصية مادامت أرواحهم فى أجسادهم ، قال الله تعالى ياملعون : وعزتى وجلالى لاأزال أغفر لهم ماداموا ذاكرين لى ومستغفرين منى » (مجالس الأنوار) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ، فيخرج له تسعة وتسعون سجلا ، وكل سجل منها مد البصر وفيها خطاياه وذنوبه ، فتوضع فى كفة الميزان ،

ثم يخرج قرطاس مثل النملة ، فيه شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فيوضع في الكفة الأخرى ، فيرجح على خطاياه ، فينجيه الله تعالى بتوحيده من النار ويدخله الجنة » (تنبيه الغافلين) . قال الفقيه أبو الليث : من حفظ سبع كلمات ، فهو شريف عند الله تعالى والملائكة ، ويغفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، ويجد حلاوة الطاعة ، وتكون حياته ومماته خيرا . الأولى : أن يقول عند ابتداء كل شيء بسم الله . والثانية : أن يقول بعد فراغ كل شيء الحمد لله . والثالثة إذا جرى على لسانه مالا يعنيه أن يقول أستغفر الله . والرابعة إذا أراد فعلا غدا أن يقول إن شاء الله . والخامسة إذا استقبل إليه فعل مكروه أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والسادسة : إذا أصابته مصيبة أن يقول إنا لله وإنا إليه راجعون . والسابعة : لا يزال يجري على لسانه في الليل والنهار كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله (من تفسير حنفي) . فاعمل بما قررنا لك ياصوفي . قيل سبعة أشياء تنور القبر ، وكل واحد ثابت بكتاب الله تعالى : أولها الإخلاص في العبادة لقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) والثاني : بر الوالدين لقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) والثالث : صلة الرحم لقوله تعالى (وآت ذا القربى حقه) والرابع : أن لا يضيع عمره في المعصية ؛ لقوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) والخامس : أن لا يتبع هواه ، لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) والسادس : أن يجتهد في الطاعة لقوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) والسابع أن يكثر ذكر الله تعالى لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) (تنبيه الغافلين) . قال عليه الصلاة والسلام « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » وهذا الحديث من حسان المصابيح ، رواه جابر رضي الله تعالى عنه ، وإنما جعل فيه الحمد لله تعالى أفضل الدعاء ، لأن الدعاء عبارة عن ذكر العبد ربه وسؤاله منه فضله ، ففي الحمد لله هذا المعنى موجود ، إذ فيه ذكر الرب وطلب المزيد لأنه رأس الشكر ، والعمدة فيه قوله عليه الصلاة والسلام « الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده » والشكر يستلزم المزيد لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) فمن قال الحمد لله يصير كأنه سأل منه زيادة فضله بعد الثناء عليه ، وأما كون لا إله إلا الله من أفضل الأذكار ، فلأن فيه معنى لا يوجد في ذكر غيره ، وبمعرفة ذلك المعنى يحصل للمكلف جميع ما يجب عليه معرفته في حقه تعالى ، وذلك معنى إثبات الألوهية له تعالى ونفيها عما عداه ، ويندرج في معنى الألوهية جميع ما يجب على المكلف معرفته ، مما يجب في حقه تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز له ، لأن الألوهية

تشتمل على معنيين : أحدهما استغناؤه تعالى عن جميع ماسواه . والثانى افتقار جميع ماعداه إليه تعالى ، فعلى هذا يكون معنى كلمة التوحيد ، لامستغنى عن جميع ماسواه إلا الله ، فيجب له تعالى الوجود والقدم والبقاء ، إذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان محتاجا إلى محدث ، لأن انتفاء شيء من هذه الصفات يستلزم الحدوث ، وكل حادث مفتقر إلى محدث . وكذا يجب له تعالى التنزه عن النقائص ، ويدخل فى التنزه عن النقائص وجوب السمع والبصر والكلام (مجالس الرومى ملخصا) .

المجلس الخامس والأربعون : فى فضيلة الذكر

سورة الأحزاب — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن الله وملائكته يصلون على النبى) يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أنتم أيضا ، فإنكم أولى بذلك ، وقولوا : اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) وقولوا السلام عليك أيها النبى ، وقيل : وانقادوا لأوامره ، والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه فى الجملة . وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة السلام « رغم أنف رجل ذكرت عنده ، فلم يصل على ، فدخل النار ، فأبعده الله » وتجوز على غيره تبعا له ، وتكره استقلالا ، لأنه فى العرف صار شعارا لذكر الرسول ولذا يكره أن يقال محمد عز وجل ، وإن كان عزيزا جليلا (قاضى بيضاوى) .

عن أبى هريرة وعمار بن ياسر رضى الله عنهما عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى خلق ملكا أعطاه سمع الخلائق كلها وهو قائم على قبرى إلى يوم القيامة فما من أحد من أمتى يصلى على صلاة إلا سماه باسمه واسم أبيه ، وقال : يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك ، فقالوا يارسول الله أرأيت قول الله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبى) فقال عليه الصلاة والسلام : هذا من العلم المكنون ، ولولا أنكم سألتمونى ما أخبرتكم به ، قال النبى عليه الصلاة والسلام : إن الله تعالى وكل بى ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلى على ، إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك ، وتقول الملائكة جوابا لهما آمين ، ولا أذكر عند مسلم فلم يصل على ، إلا قال ذانك الملكان لايغفر الله لك ، وتقول الملائكة جوابا لهما آمين » (أبو السعود رحمه الله تعالى) عن أنس بن مالك عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « مامن دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب ، حتى يصلى على النبى عليه الصلاة والسلام ، فاذا صلى عليه يخرق ذلك الحجاب ، ويدخل الدعاء ، وإن لم يصل رجع دعاؤه » (حكى) أن واحدا من الصلحاء جلس للتشهد ، ونسى الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام ، فرأى رسول الله فى نومه ، فقال له النبى عليه الصلاة والسلام لم نسيت الصلاة على ؟ فقال يارسول الله : اشتغلت بثناء الله تعالى وعبادته فنسيت ، فقال

عليه الصلاة والسلام : أما سمعت قولى : الأعمال موقوفة والدعوات محبوسة حتى يصلى على ، وقال لو جاء عبد يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ، ولم تكن فيها صلاة على ردت ولم تقبل » (زبدة الواعظين) (ت) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » (حكى) أن زاهدا رأى النبي عليه الصلاة والسلام فى نومه ، فاستقبل الزاهد إليه ، فلم ينظر إليه ، فقال الزاهد يا رسول الله : أأنت على غضبان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لا ، فقال أما تعرفنى وأنا فلان الزاهد ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لم أعرفك ، فقال يا رسول أنا سمعت العلماء يقولون : إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف أمته كما يعرف الأبوان ولدهما ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : صدق العلماء ، إن النبي أعرف منهما بأمته » أى بالذى يصلى على نبيه بقدر صلاته (زهرة الرياض) حكى أن امرأة جاءت إلى الحسن البصرى ، فقالت يا أستاذ إن لى بنتا ماتت أريد أن أراها فى المنام ، فعلمنى شيئا من الخواص حتى أراها فعلمها الصلاة ، فرأت بنتها فى المنام وعليها لباس من قطران ، وفى عنقها غل ، وفى رجليها قيد من نار ، فاستيقظت وجاءت إلى الحسن البصرى باكية ، ووصفت ما رأته فبكى الحسن وأصحابه ، ثم مضى مدة ، فرأى الحسن البصرى فى المنام أنها فى الجنة على سرير وعلى رأسها تاج يضىء ما بين المشرق والمغرب ، فقالت يا أستاذ أتعرفنى ؟ فقال الحسن رحمه الله تعالى لا ، فقالت أنا بنت تلك المرأة التى علمتها الصلاة ، فقال الحسن رحمه الله تعالى : بأى سبب نلت هذا المنزل ؟ فقالت يا شيخ مر بمقبرتنا رجل ، فصلى على النبي عليه الصلاة والسلام مرة ، وجعل ثوابها لنا ، وكان فى مقبرتنا خمسمائة وخمسون إنساناً معذبين ، فنودى ارفعوا عنهم العذاب ببركة صلاة هذا الرجل على النبي عليه الصلاة والسلام (زبدة الواعظين) عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « جاءنى جبرائيل عليه السلام وقال : يا محمد لا يصلى عليك أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك ، ومن صلت عليه الملائكة كان من أهل الجنة » وروى عن الحسن البصرى أنه قال : رأيت أبا عصمة فى المنام ، فقلت له يا أبا عصمة : ما فعل الله بك ، فقال غفر لى ، فقلت بأى سبب ؟ قال ما ذكرت حديثا إلا صليت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (زبدة الواعظين) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أتانى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام فقال جبرائيل يا رسول الله من صلى عليك فى كل يوم عشر مرات أنا آخذ بيده وأمره على الصراط كالبرق الخاطف ، وقال ميكائيل عليه السلام : أنا أسقيه من حوضك ، وقال إسرافيل عليه السلام : أنا أسجد لله تعالى ما أرفع رأسى حتى يغفر الله تعالى له ، وقال عزرائيل أنا أقبض روحه كما أقبض

أرواح الأنبياء عليهم السلام » (حكى) عن عبدالله أنه قال : كان لنا خادم يخدم السلطان ، وهو موصوف بالفسق ، فرأيته ليلة فى منامى ويده فى يد النبى عليه الصلاة والسلام فقلت له يا نبى الله هذا العبد من الفاسقين ، فكيف وضع يده فى يدك ؟ فقال النبى عليه الصلاة والسلام : قد غفر له وأنا أشفع له إلى الله تعالى ، فقلت يانبى الله بأى سبب نال تلك المنزلة ؟ فقال بكثرة الصلاة على ، إنه كان فى كل ليلة حين يجىء إلى فراشه يصلى على ألف مرة (تحفة الملوك) وعن كعب رضى الله تعالى عنه أنه قال : إذا كان يوم القيامة يرى آدم عليه السلام واحدا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام يساق إلى النار ، فينادى يا محمد ، فيقول لبيك يا أبا البشر ، فيقول إن واحدا من أمتك يساق إلى النار ، فيعدو خلفه النبى عليه الصلاة والسلام حتى يدركه ، ويقول يا ملائكة ربى قفوا فيقولون يا محمد ألم تقرأ قوله تعالى فى حقنا (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فيسمعون نداء أطيعوا محمدا ، فيقول ردوه إلى الميزان ، فيوزن عمله ، فترجح سيئاته على حسناته فيخرج النبى عليه الصلاة والسلام رقعة من كمه فيها الصلاة التى صلاها عليه فى الدنيا ، فيضعها النبى على حسناته فتثقل ، فيفرح الرجل ويقول : بأبى وأمى من أنت ؟ فيقول أنا محمد ، فيقبل ذلك الرجل قدم النبى عليه الصلاة والسلام ويقول يا رسول الله ماتلك الرقعة ؟ فيقول النبى عليه الصلاة والسلام : هى صلاتك التى صليت على فى الدنيا وأنا حفظتها لك . فيقول العبد يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله » (كنز الأخبار) روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى خلق ملائكة بأيديهم أقلام من ذهب وقراطيس من فضة لا يكتبون شيئا إلا الصلاة على وعلى أهل بيتى » (حكى) « أن يهوديا كان يدعى بسرقة جمل على رجل مسلم ، فشهد عليه أربعة شهود من المنافقين زورا ، فحكم النبى عليه الصلاة والسلام بالجمل لليهودى وبقطع يد المسلم ، فتحير المسلم ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : إلهى ومولاى أنت تعلم بأنى لم أسرق هذا الجمل ثم قال يا رسول الله إن حكمك حق ، ولكن استخبر عنى هذا الجمل ، فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا جمل لمن أنت ؟ فقال الجمل بلسان فصيح : يا رسول الله أنا لهذا المسلم ، وإن هؤلاء الشهود لكاذبون ، فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : يا مسلم أخبرنى ما ذا تفعل حتى أنطق الله تعالى الجمل فى حقك ؟ فقال المسلم يا رسول الله أنا لا أنام الليل حتى أصلى عليك عشر صلوات ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام نجوت من القطع فى الدنيا ، وتنجو من عذاب الآخرة فى العقبى ببركة صلاتك على » (درة الواعظين) روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على عشراً إذا أصبح وعشرا إذا أمسى آمنه الله تعالى من الفزع الأكبر يوم القيامة ، وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين » (حكى) عن فضيل بن عياض

عن سفيان الثورى أنه قال : خرجت حاجا ، فرأيت رجلا فى الحرم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان فى الحرم ، وعند طواف البيت وعرفات ومنى ، فقلت أيها الرجل لكل مقام مقال ، فما بالك لا تشتغل بالدعاء ولا بالصلاة سوى أنك تصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن لى فيه قصة ، فقلت أخبرنى بها ، فقال : خرجت من خراسان حاجا إلى هذا البيت ، ومعى والدى فبلغت الكوفة ، فمرض والدى فتوفى ، فغطيت وجهه بإزار ، فلما كشفت عن وجهه رأيت صورته كصورة الحمار ، فحزنت حزنا شديدا ، وقلت كيف أظهر للناس هذه الحالة ، وأن والدى قد صار بهذه الصورة ، ثم نعست ساعة ، فرأيت فى المنام كأنه دخل علينا رجل صبيح وعليه نقاب وكشف عن وجهه وقال لى ما هذا الغم العظيم ؟ فقلت وكيف لا أغتم مع هذه المحنة ؟ فانطلق إلى أبى فمسح وجهه فبرئ مما ابتلى به ، فقربت منه وكشفت عن وجهه فنظرت إليه فإذا وجهه كالقمر الطالع يلوح ليلة البدر ، فقلت له من أنت ؟ فقال أنا المصطفى فأمسكت طرف ردائه فقلت بحق الله تعالى أخبرنى بالقصة . فقال كان والدك آكل الربا ، وأن من حكم الله تعالى أن من أكل الربا يجعل صورته كصورة الحمار ، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة وقد جعلها الله تعالى لوالدك فى الدنيا ، وكان والدك فى الدنيا يصلى على كل ليلة قبل أن يضطجع مائة مرة ، فلما عرضت له هذه الحالة ، جاء الملك الذى يعرض على أعمال أمتى فأخبرنى بحاله ، فسألت الله تعالى فشفعنى فيه (تمت القصة) . وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « البخيل من ذكرت عنده ، فلم يصل على » (مشارق) وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى على مرة لم تبق من ذنوبه ذرة » والقصص والأحاديث فيه كثيرة ، وقد اختصرناها كيلا تؤدى إلى أقوال طويلة . روى أحمد وابن أبى شيبة والنسائى وابن حبان فى صحيحه على ما نقله مجد اللغوى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من صلى على صلاة صلى الله تعالى عليه عشر صلوات ، وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات » (كذا فى المصابيح) قال الشيخ المظهر : وإن عادة الملوك والكرماء إعزاز من يعز أحبابهم ، وتشريف من يشرف أخلاءهم ، فإنه تعالى ملك الملوك وأكرم الكرماء ، فهو أحق بهذا الكرم ، فإن من يشرف حبيبه ونبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يصلى عليه ، يجد من الله الكريم الرحمة وحط الذنوب ورفع الدرجات انتهى كلامه . قال بعض الكبار : فى هذا الحديث إيماء إلى أن الفيض من الحضرة الأحدية إنما يحصل بواسطة الروح المحمدى ، لأنه قطب الأقطاب أزلا وأبدا ، فالواجب على الطالب تحصيل المناسبة إلى جنابه الأعز ، بدوام الصلاة عليه والتزام سنته ، فمن تقرب إليه بصلاة وصل إليه من الحضرة بواسطة متابعته عشر صلوات

ورفع بينه وبين الحق عشرة من الحجب ، ورفعت له عشر درجات من درجات القرب قال الله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) انتهى . ثم معنى قولنا صلى الله على محمد : أى عظمه فى الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار شريعته ، وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته . وقال الحليمى : المقصود بالصلاة التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره ، وقضاء حق النبى صلى الله عليه وسلم علينا ، وقال عبد السلام: ليست صلاتنا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعة منا له فان مثلنا لا يشفع لمثله ، ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا ، وأنعم علينا ، فان عجزنا عنها كافأناه بالدعاء ، فأرشدنا الله سبحانه لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، لتكون صلاتنا عليه مكافأة لإحسانه إلينا ، وإفضاله علينا انتهى . قال ابن الشيخ رحمه الله تعالى : والأحوط فى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن نعمل بما اختاره الجمهور ، وهو وجوبها كلما جرى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإن ذكر فى مجلس واحد ألف مرة انتهى لما ورد من الأحاديث ، فمنها قوله عليه الصلاة والسلام « من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله فلا يلو من إلا نفسه » رواه ابن خزيمة وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كذا فى الترغيب ، وفى هذا الباب أحاديث كثيرة ، فمن كان ذا عقل سليم يكفيه ما ذكره ، فعلى العاقل أن يكثر الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الليل والنهار ، سيما فى يوم الجمعة وليلتها انتهى .

المجلس السادس والأربعون : فى بيان خيانة أمانة الله

سورة الأحزاب — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة ، وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الاداء . والمعنى أنها لعظم شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام ، وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته ، لا جرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها بخير الدارين (إنه كان ظلوما) حيث لم يف بها ولم يراع حقها (جهولا) بكنه عاقبتها ، وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب ؛ وقيل المراد بالأمانة : الطاعة التى تعم الطبيعية والاختيارية ، وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار ، وإرادة صدوره من غيره ، وبحملها الخيانة فيها ، والامتناع عن أدائها ؛ وقيل إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما وقال لها : إنى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعنى ونارا لمن عصانى ، فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا ، لا نحمل فريضة ولا نبتغى ثواباً ولا عقابا ؛ ولما خلق آدم عليه السلام عرض

عليه مثل ذلك فحملها ، وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ، ولعل المراد بالأمانة العقل أو التكليف ، وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد ، وبحمل الإنسان قابليته ، واستعداده لها ، وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية . (قاضي بيضاوي) .

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام ، فاذا صلى أحد على من أمتي في اليوم مائة مرة ، قضى الله تعالى له مائة حاجة ، سبعين منها في الآخرة ، وثلاثين في الدنيا » قال بعضهم المراد من الأمانة التوحيد ، وهي كلمة الشهادة وكلمة الإيمان وكلمة النور وكلمة التقوى ، وعبر عنها بالأمانة تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله في المكلفين ، وائتمنهم عليها ، وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد ، وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها ، وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها (أبو السعود) وعن عبد الله بن عمر أنه قال : كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا ، والليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فاذا قال العبد هذه الكلمات بالإخلاص في ساعة خفيفة يقول الله تعالى : قد غفرت ذنوبك صغيرها وكبيرها خفيها وجهرها وعمدها وسهوها بحرمة هذه الكلمات (حياة القلوب) . قيل لما عرضت الأمانة على آدم عليه السلام قال يارب : إن السموات والأرض والجبال مع عظمها وسعتها لم يطقن حملها وأبين ، فكيف أحمل مع ضعفي ؟ فقال الله تعالى : الحمل منك والقدرة مني ، فحملها (تفسير حنفي) . قال الله تعالى لموسى عليه السلام (خذها ولا تخف) الآية ، أرى عصاه في عين فرعون ثعبانا عظيما حتى خافوا ، وأراها في عين موسى عليه السلام خشبا فلم يخف ، وكذا الأمانة أراها للسموات والأرض ثقيلة ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وأراها في عين الإنسان خفيفة فحملها (زهرة الرياض) . فان قيل : ما الحكمة في أنها لم تقبل الأمانة مع عظم شأنها وجرمها ، وحملها الإنسان مع ضعفه ؟ قلنا لأنها لم تكن ذاقت لذة الجنة ، والانسان كان قد ذاق لذتها ، فحملها ليبلغ إليها (تفسير حنفي) . قال بعضهم المراد من الأمانة الصلوات الخمس ، قال الله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) قال عليه الصلاة والسلام « الصلاة عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين » روى أن عليا كرم الله وجهه كان كلما دخل وقت الصلاة تغير لونه ، فقيل له في ذلك فقال قد جاء وقت الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، فحملتها مع ضعفي ، فلا أدري أؤديها أم لا ؟ (بهجة الأنوار) وقال بعضهم المراد من الأمانة

الأعضاء ؟ فالعين أمانة يلزم كفها عن الحرام ، كما قال الله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) والبطن أمانة يلزم كفها عن إدخال الحرام كما قال الله تعالى (ولا تأكلوا الربا) وقال (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) واللسان أمانة يلزم كفه عن الغيبة والفحش ، كما قال الله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) والأذن أمانة يلزم كفها عن استماع المنكرات والمناهى ، كقوله تعالى (ولاتقف ما ليس لك به علم) وكذا اليد والرجل والفرج أمانات يلزم كفها عن الحرام (بهجة الأنوار) . وقال بعضهم : المراد من الأمانة القرآن ، يلزم عليك أن تلازم لقراءته وتعلمه وتعليمه ، وفى الخبر « إن الله تعالى يقول يوم القيامة للوح المحفوظ يا لوح أين الأمانة التى أودعت عندك : يعنى القرآن ماصنعت بها ؟ فيقول اللوح يارب وكلت بها إسرافيل وسلمتها إليه ، فيقول الله تعالى : يا إسرافيل ما صنعت بأمانتى ؟ فيقول يارب سلمتها إلى ميكائيل وميكائيل إلى جبرائيل ، ثم يسأل جبرائيل فيقول : ما صنعت بأمانتى ؟ فيقول جبرائيل عليه الصلاة والسلام : يارب سلمتها إلى حبيبك محمد ، فيقول الله تعالى هاتوا حبيبى محمدا بالرفق ، فجاء جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال : يا محمد تدارك ، فيقول الله تعالى : يا حبيبى هل بلغك جبرائيل أمانتى ؟ فيقول نعم ، فيقول الله تعالى ماصنعت بها ؟ فيقول رب بلغت أمتى ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتى هاتوا أمة حبيبى محمد حتى أسألهم عن أمانتى ، فيقول النبى عليه الصلاة والسلام : يارب أمتى ضعفاء لايقدرون أن يجيئوا حضرتك ، ثم يقول : يارب ائذن لى حتى أذهب إلى آدم عليه الصلاة والسلام ، فيأذن الله تعالى ، فيذهب ويقول عليه الصلاة والسلام: يا آدم أنت أبو البشر وأنا نبيهم ، إن أصابتهم العلة يكون الحزن علينا ، فخذ نصف ذنوب أمتى وأنا نصفها حتى ينجوا من السؤال والحساب ، فيقول آدم عليه الصلاة والسلام : يا محمد أنا مشغول بنفسى فلا أقدر ، ثم يرجع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويجيء تحت العرش ، ويضع رأسه ساجدا ، ويبكى بكاء شديدا ، ويتضرع إلى الله تعالى ويقول : يارب لا أسألك نفسى ولا فاطمة بنتى ولا الحسن والحسين بل أريد أمتى فيقول الله تعالى بلطفه وكرمه : يا محمدا رفع رأسك وسل تعط ، واشفع تشفع ، أعطيت أمتك ماترضى وفوق ماترضى قال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (تفسير حنفى) .

أنا المطلوب فاطلبنى تجدنى وإن تطلب سواى فلم تجدنى

قال بعضهم المراد من الأمانة الصوم فهو ركن الإسلام فمن أقامه فقد أقام الدين ، ومن تركه فقد هدم الدين ، وقال الله تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال عليه الصلاة والسلام « فرض عليكم صوم

رمضان » عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (مطالع الأنوار) وقال بعضهم المراد من الأمانة الزكاة ، وهي تطهير البدن والمال قال الله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) الآية ، وقال الله تعالى (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام مر يوما على رجل يصلي مع خشوع وخضوع ، فقال يارب ما أحسن صلاة هذا ! قال الله تعالى : ياموسى لو صلى كل يوم وليلة ألف ركعة ، وأعتق ألف رقبة ، وحج ألف حجة ، وشيع ألف جنازة ، لاينفعه حتى يؤدي زكاة ماله » (تفسير قرطبي) . وقال بعضهم المراد من الأمانة الحج ، وهو من أركان الإسلام ، قال الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « من ملك زادا وراحلة ولم يحج ، فليمت على أي حال شاء يهوديا أو نصرانيا » (مجمع اللطائف) . وقال بعضهم : المراد من الأمانة سائر الأمانات ، قال الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وقال عليه الصلاة والسلام « لا إيمان لمن لا أمانة له » وروى عن مالك بن صفوان أنه قال : مات أخي فرأيته في المنام ، فقلت يا أخي ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ربي ، فرأيت به نقطة سوداء في وجهه ، فسألته عنها فقال : عندي ليهودي كذا وكذا دراهم بالأمانة ولم أؤدها إليه ، فهذه النقطة لأجلها ، فأسألك يا أخي أن تأخذ الأمانة من الموضع الفلاني وتردها إلى اليهودي ، فلما أصبحت فعلت ما قاله ، فرأيته ثانيا قد زالت عنه تلك النقطة ، فقال رحمك الله يا أخي كما خلصتني من العذاب (تفسير عيون) وقال بعضهم المراد من الأمانة الأهل والأولاد ، فيلزم عليك أن تأمرهم بالصلاة كما قال الله تعالى (وأمر أهلك بالصلاة) وقال عليه الصلاة والسلام « مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا » فيلزم عليك أن تحفظهم من المحارم واللعب لأنك مسئول عنهم كما قال النبي عليه الصلاة والسلام « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (تفسير عيون) . حكى أن عابدا عبد الله تعالى مدة ، فيوما من الأيام توضأ وصلى ركعتين ورفع رأسه ويده نحو السماء فقال : إلهي تقبل مني ، فنادى مناد من قبل الرحمن : لاتنطق ياملعون فإن طاعتك مردودة ، فقال العابد : لم ذلك يارب ؟ قال المنادي : إن امرأتك فعلت فعلا مخالفا لأمري وأنت راض عنها ، فجاء العابد وسألها عن حالها فقالت : ذهبت إلى مجلس الفساد وسمعت اللعب وتركت الصلاة ، فقال الزاهد أنت طالق مني ، فإني لا أقبلك أبدا فطلق امرأته وتوضأ وصلى ركعتين ، ثم رفع رأسه ويده ، وقال اللهم تقبل مني ، فنودي الآن قد قبلت طاعتك (عيون) . روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « آية المنافق » أي علامته

« ثلاث » أى ثلاث خصال « إذا حدث كذب » فعلى المؤمن الصادق فى إيمانه أن يحترز عن الكذب ، لأنه سبب لسواد الوجه يوم القيامة ، كما ورد فى حديث رواه البيهقى عن أبى بردة رضى الله تعالى عنه أنه كما فى الجامع الصغير قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الكذب يسود الوجه » الحديث : أى يوم القيامة ، لأن الإنسان إذا قال شيئا لم يكن كذبه الله تعالى ، وكذبه إيمانه من قلبه ، فيظهر أثره على وجهه (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) روى الترمذى وغيره عن ابن عمر رضى الله تعالى عنها قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جاء به » كذا فى الجامع الصغير « وإذا وعد أخلف » أى لم يوف بوعده « وإذا اؤتمن » أى إذا جعل أمينا ووضع عنده أمانة « خان » قيل هذا على سبيل إنذار للمسلم وتحذيره أن يعتاد هذه الخصال الذميمة ، فتفضى به إلى النفاق ، وهذه الخصال كما تكون بين العباد تكون بين العبد والرب تعالى ، لأن الله تعالى لما خاطب الأرواح فى عالم الأرواح بقوله (ألست بربكم قالوا بلى) أقروا بربوبيته ، فأخذ الله سبحانه عليهم العهد والميثاق ووعدوا الاستقامة على العهد ، فإذا أخل العبد بالإقرار فى هذا العالم يكون كاذبا ومخلفا الوعد ، وكذا الأمانة كما تكون بين العباد تكون بين العبد والرب تعالى ، لأن الله تعالى أعطى الإنسان أمانة ، وهى الأمر بالطاعات والعبادات ، فمن أداها ، فقد أدى الأمانة ، ومن تركها ، فقد خان الأمانة انتهى .

المجلس السابع والأربعون : فى فضيلة قراءة القرآن

سورة فاطر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن الذين يتلون كتاب الله) يداومون قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا ، والمراد بكتاب الله القرآن أو جنس كتب الله ، فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اختصاص حال المكذبين (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيف اتفق من غير قصد إليهما (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إن (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة ، وقوله (ليوفيهم أجورهم) علة لمدلوله أى ينتفى عنها الكساد ، وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم ، أو لمدلول ما عد من امتثالهم ، نحو فعلوا ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون (ويزيدهم من فضله) على ما يقابل أعمالهم (إنه غفور) لفرطاتهم (شكور) لطاعتهم أى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة أو هو خبر إن ويرجون حال من واو وأنفقوا (قاضى بيضاوى) .

« جاء رجل إلى النبى عليه الصلاة والسلام وقال : يا رسول الله إنى أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتى ؟ قال ما شئت ، قال الربع ؟ قال ما شئت ، وإن زدت فهو

خير لك ، قال النصف ؟ قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك ، قال الثلثين ؟ قال ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قال يارسول الله فأجعل صلاتى كلها لك ؟ قال إذن تكفى همك ويغفر ذنبك » (شفاء شريف) كان فى زمن خلافة سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه رجل موسر من حيث الدنيا ، وكان له سيرة سيئة ، وكان له شوق فى الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، لا يغفل عنها ولا يفتر ساعة واحدة ، فلما حضرته الوفاة تضايق واسود وجهه ، وصار من يراه يحصل له الرعب ، فلما دخل فى غمرات الموت نادى : يا أبا القاسم إنى أحبك ومكثر من الصلاة عليك ، فما تم كلامه حتى نزل طائر من السماء فمسح بجناحه وجه ذلك الرجل ، فابيض وجهه وفاح له ريح كريح المسك الأذفر ، ومات على الشهادة ، فلما قدموه إلى القبر ووضعوه فى اللحد سمعوا صوتا من جو السماء ، إن هذا العبد لم يوضع فى قبره إلا أكفانه ، وإن الصلاة التى كان يصليها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذته من قبره ووضعته فى الجنة ، فتعجب الحاضرون من ذلك وانصرفوا ، فلما كان الليل رؤى الرجل فى المنام وهو يمشى بين السماء والأرض يقرأ قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (موعظة) عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « من كان يرجو لقاء الله فيكرم أهل الله ، قيل يا رسول الله هل لله عز وجل أهل ؟ قال نعم ، قيل من هم يارسول الله ؟ قال أهل الله فى الدنيا الذين يقرءون القرآن ، ألا من أكرمهم فقد أكرمه الله وأعطاه الجنة ، ومن أهانهم فقد أهانه الله وأدخله النار ، يا أبا هريرة ما عند الله أحد أكرم من حامل القرآن ، ألا وإن حامل القرآن عند الله أكرم من كل أحد إلا الأنبياء » وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ذات يوم « ألا أعلمكم بأفضل أمتى يوم القيامة ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال الذين يقرءون القرآن إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل : يا جبرائيل ناد فى المحشر ألا من كان يقرأ القرآن فليقم فينادى ثانيا وثالثا فيقفون صفوفا بين يدى الرحمن لا يتكلم أحد منهم حتى يقوم نبى الله داود عليه الصلاة والسلام فيقول الله اقرءوا وارفعوا أصواتكم فيقرأ كل واحد منهم ما ألهمه الله تعالى من كلامه فكل من قرأ رفعت له الدرجات كل واحد على حسن صوته ونغمته وخشوعه وتدبره وتأمله ، ثم يقول الله تعالى : يا أهلى أتعرفون من أحسن إليكم فى دار الدنيا ؟ فيقولون نعم يا ربنا فيقول الله تعالى اذهبوا إلى المحشر فكل من عرفتموه يدخل معكم الجنة » وعن على كرم الله وجهه أنه قال « كنت جالسا مع النبي عليه الصلاة والسلام فى جماعة من الصحابة رضى الله عنهم إذ أتى رجل من البادية فقال عليك السلام يا رسول الله وعليكم يا جميع الجلوس ثم قال اعلموا أن الله تعالى قد فرض علينا خمس صلوات وقد ابتلينا بالدنيا ،

وأهوالها فوحقك يا رسول الله ما نصلي ركعة واحدة إلا وأشغالها داخلة فيها فكيف يتقبلها الله وهي مختلطة بأشغال الدنيا ؟ فقال علي كرم الله وجهه هذه صلاة لا يقبلها الله تعالى ولا ينظر إليها فقال عليه الصلاة والسلام وهل تقدر يا علي أن تصلي ركعتين خالصا لله تعالى من كل هم وشغل ووسوسة وأنا أعطيك بردتي الشامية فقال علي أنا أقدر على ذلك فقام علي من بين الصحابة وأسبغ الوضوء وقام للصلاة ونوى لله تعالى خالصا بقلبه وركع الركعة الأولى ثم دخل في الثانية ، فلما ركع قام منتصبا على قدميه وقال سمع الله لمن حمده وذكر في قلبه لوكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعطيني البردة القطوانية لكانت خيرا لي من تلك الشامية ثم سجد وتشهد وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال وحقك يا رسول الله إني صليت الركعة الأولى خاليا من كل هم ووسوسة ، ثم صليت الركعة الثانية ، فذكرت في نفسي وقلت : لو كنت تعطيني بردتك القطوانية لكانت خيرا لي من تلك الشامية ، وحقك يا رسول الله لا يقدر أحد أن يصلي ركعتين خالصا لله تعالى ، فقال عليه الصلاة والسلام : صلوا فرضكم ولا تتكلموا في صلاتكم ، فإن الله تعالى لا يقبل صلاة مشوبة بأشغال الدنيا ، ولكن صلوا واستغفروا ربكم بعد صلاتكم ، وأخبركم بأن الله تعالى خلق مائة رحمة ينشرها على أمتي يوم القيامة ، ما من عبد ولا أمة صلى الصلاة المفروضة إلا كان تحت ظل تلك الصلاة يوم القيامة » (موعظة) وقال عليه الصلاة والسلام « سمعت ليلة أسرى بي الحق يقول : يا محمد مر أمتك أن يكرموا ثلاثة : الوالد والعالم وحامل القرآن ، يا محمد حذرهم من أن يغضبوهم أو يهينوهم ، فإن غضبي يشتد على من يغضبهم ، يا محمد أهل القرآن هم أهلي جعلتهم عندكم في الدنيا إكراما لأهلها ، ولولا كون القرآن محفوظا في صدورهم لهلكت الدنيا ومن عليها ، يا محمد حملة القرآن لا يعذبون ولا يحاسبون يوم القيامة ، يا محمد حامل القرآن إذا مات تبكي عليه سماواتي وأرضي وملائكتي ، يا محمد إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة : أنت وصاحبيك : أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وحامل القرآن » (من الموعظة الحسنة) قال النبي عليه الصلاة والسلام « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » صدق من نطق رواه عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح . وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين » رواه مسلم وابن ماجه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « يقول الله تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكري ومسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على

سائر الكلام كفضل الله على خلقه » رواه الترمذى . وقال حديث حسن غريب . وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » وفى رواية « مثل الفاجر » بدل المنافق رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . وعن أنس رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح وطعمها طيب ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ، ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شىء أصابك ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك شىء من شرره أصابك من دخانه » رواه أبو داود . وعن أبى أمامة رضى الله عنه أنه قال : سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » الحديث رواه مسلم . وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كما فى مشكاة المصابيح أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نفس عن مؤمن كربة » أى أذهب عنه الحزن ، إذ الكربة بالضم الحزن وتنوينها للتحقير « من كرب الدنيا » بماله أو بمساعدته أو رأيه أو إشارته ، قيد بالمؤمن لأنه مظنة الكرب فى الدنيا « نفس الله عنه كربة » تنوينها للتعظيم « من كرب الآخرة ، ومن يسر » أى سهل « على معسر » أى فقير وهو يشمل المؤمن والكافر أى من كان له على فقير دين فسهل عليه بامهاله أو ترك بعضه « يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما » متلبسا بفعل قبيح بأن لا يفضحه أو ستر عريانا بأن ألبسه ثوبا « ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد » أى فى نصرته « ما كان » أى مادام « العبد » مشغولا « فى عون أخيه المسلم » وقضاء حاجته « ومن سلك » أى ذهب « طريقا يلتمس » أى يطلب حال أو صفة « فيه علما » نكره ليشمل كل نوع من أنواع علوم الدين قليله وكثيره ، وفيه استحباب الرحلة فى طلب العلم ، وقد ذهب موسى الكليم إلى الخضر عليهما السلام وقال (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنهما فى حديث واحد « سهل الله به » أى بسبب ذلك « طريقا إلى الجنة » يعنى جعل الله ذهابه فى طلب العلم سببا لوصوله إلى الجنة من غير تعب ، ويجازى عليه بتسهيل قطع العقبات الشاقة كالوقوف والجواز على الصراط وغير ذلك « وما اجتمع جماعة فى مسجد من مساجد الله »

احترز به عن مساجد اليهود والنصارى ، فانه يكره الدخول فيها « يتلون كتاب الله » أى يقرءون القرآن « ويتدارسونه بينهم » وهو قراءة بعض مع بعض تصحيحا لألفاظه أو كشفا لمعانيه « إلا نزلت عليهم السكينة » وفى مظهر المصابيح : السكينة الشىء الذى يحصل سكون الرجل إليه والمراد ههنا بها حصول الذوق والشوق للرجل من قراءة القرآن وصفاء قلبه بنوره ، وذهاب الظلمة النفسانية من القلب ، ونزول الضياء الرحمانى فيه ، وقيل اسم ملك ينزل قلب المؤمن ويأمره بالخير ، ويحرضه على الطاعة ويوقع فى قلبه الطمأنينة والسكون على الطاعة انتهى . « وغشيتهم الرحمة » أى أحاطت بهم : يعنى تنزل عليهم الرحمة والبركة من الله تعالى « وحفت بهم الملائكة » أى طافوا بهم وداروا حولهم يستمعون القرآن ودراسته ، ويحفظونهم من الآفات ، ويصافحونهم ويزورونهم « وذكرهم الله فيمن عنده » المراد من العندية الرتبة يعنى فى الملائكة المقربين ، ويقول انظروا إلى عبادى يذكرونى ويقرءون كتابى ، وأى شرف أعظم من ذكر الله تعالى عباده بين ملائكته « ومن بطأ به » بتشديد الطاء من التبطئة ضد التعجيل ، والباء للتعدية : أى أخره فى الآخرة « عمله » السىء أو تفريطه فى العمل الصالح « لم يسرع به نسبه » أى لم ينفعه شرف نسبه ولم تنجبر نقيصته به ، فان التقريب إلى الله تعالى لا يحصل بالنسب وكثرة العشائر والأقارب ، بل بالعمل الصالح (كذا فى شرح المصابيح) .

المجلس الثامن والأربعون : فى بيان عذاب الكفار فى الجحيم

سورة يس — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين ، وذلك حين يسار بهم إلى الجنة كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون — ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان) من جملة مايقال لهم تقريعا وإلزاما للحجة ، وعهده إليهم مانصب من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان ، لأنه الآمر بها والمزين لها (إنه لكم عدو مبين) تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (وأن اعبدونى) عطف على أن لا تعبدوا (هذا صراط مستقيم) إشارة إلى ماعهد إليهم أو إلى عبادته ، والجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه أو بشق الآخر ، والتنكير للمبالغة أو للتعظيم أو للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) رجوع إلى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح إضلاله لمن له أدنى عقل ورأى . والجبل : الخلق (هذه جهنم التى كنتم توعدون . اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا (قاضى بيضاوى) .

وعن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما : إذا دخلت المسجد فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم

فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيث كنتم ، فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » وفى حديث أوس رضى الله تعالى عنه « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة ، فان صلاتكم معروضة على » (شفاء شريف) . قوله (وامتازوا) يعنى اعتزلوا أيها الكفار عن المؤمنين ، فانهم قد تأذوا منكم فى الدنيا فاعتزلوهم حتى ينجوا منكم ، ويقال إن المنادى ينادى : أيها المجرمون امتازوا فان المؤمنين قد فازوا ، أيها المنافقون امتازوا فان المخلصين قد فازوا ، أيها الفاسقون امتازوا فان الصادقين قد فازوا ، أيها العاصون امتازوا فان المطيعين قد فازوا ، كما قال الله تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) يعيش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا (قاضى بيضاوى) كما قال الله تعالى فى آية أخرى (إن الشيطان لكم عدو) عداوة عامة قديمة (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم ، وكونوا على حذر منه فى مجامع أحوالكم (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) (قاضى بيضاوى) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « خرج النبى عليه الصلاة والسلام ذات يوم من المسجد فإذا هو بإبليس ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما الذى جاء بك إلى باب مسجدى ؟ فقال يا محمد جاء بى الله ، قال فلم ذا ؟ قال لتسألنى عما شئت ، فقال ابن عباس أول شىء سأله عنه الصلاة قال له يا إبليس : لم تمنع أمتى عن الصلاة بالجماعة ؟ قال يا محمد : إذا خرجت أمتك إلى الصلاة تأخذنى الحمى الحارة ، فلا يرتفع ذلك حتى يتفرقوا ، وقال عليه الصلاة والسلام : يا إبليس لم تمنع أمتى عن قراءة القرآن ؟ قال عند قراءتهم أذوب كالرصاص ، وقال عليه الصلاة والسلام : يا إبليس لم تمنع أمتى عن الجهاد ؟ قال إذا خرجوا إلى الجهاد قيدت بقيد على قدمى حتى يرجعوا ، وقال عليه الصلاة والسلام : لم تمنع أمتى عن الحج ؟ قال إذا خرجوا إلى الحج أسلسل وأغل ، وإذا هموا بالصدقة يوضع على رأسى المنشار ، فينشرنى كما ينشر الخشب » (زهرة الرياض) وفى الخبر « لما وقع أهل النار فى النار وضع لإبليس منبر من النار وألبس لباسا من النار وتوج بتاج من النار وقيد بقيد من النار ثم يقال لإبليس : يا إبليس اصعد المنبر اخطب لأهل النار ، فيصعد ويقول لأهل النار يا أهل النار ، فيسمع صوته جميع من فى النار ، فيتوجهون جميعا إليه ، فينظرون فيقول : يا معشر الكفار والمنافقين (إن الله وعدكم وعد الحق) بأنكم تموتون ثم تحشرون ثم تحاسبون ثم تفرقون فرقتين (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) إنكم ظننتم أن لا تزولوا من الدنيا وتبقوا فيها (وما كان لى عليكم من سلطان) إلا أنى أوسوس لكم ، فاستجبتم لى واتبعتمونى فالجرم عليكم (فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) فانكم أحق بالملامة منى ، كيف لاتعبدون الله تعالى وهو خالق كل شىء ؟ يقول ما أقدر على أن أنجيكم من عذاب الله

ولا أنتم تقدرون على أن تنجونى ، إنى تبرأت اليوم مما قلت لكم ، فأنى مطرود ومردود من حضور رب العالمين ، فاذا سمع أهل النار هـذا القول من إبليس لعنوه جميعا ثم تضربه الزبانية برمح من النار فتلقيه من فوق منبره فى النار إلى أسفل سافلين مؤبدا فيها مع من تبعه من أهل النار ، وتقول لهم الزبانية : لا موت لكم ولا راحة لكم خالدين فيها .
(زهرة الرياض) وحكى أن أبا زكريا الزاهد لما حضرته الوفاة أتاه صديق له فى سكرات الموت ولقنه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقلها ، فقال له ثانيا فأعرض عنه ، فقال له ثالثا فقال لا أقول ، فغشى عليه صديقه ، فلما كان بعد ساعة وجد أبو زكريا خفة ففتح عينيه فقال هل قلتم لى شيئا ؟ قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثا فأعرضت مرتين وقلت فى الثالثة لاأقول ، فقال أتانى إبليس ومعه قدح من ماء ، فوقف عن يمينى وحرك القدح وقال أتحتاج إلى الماء ؟ فقلت لا ، قال قل عيسى ابن الله ، فأعرضت عنه ، وأتانى من قبل رجلى وقال لى كذلك ، وفى الثالثة قال قل لاإله ، قلت لا أقول ، فألقى القدح إلى الأرض وولى هاربا وأنا أرد على إبليس لاعليكم فأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (زهرة الرياض) حكى أن إبليس عليه اللعنة : كان يرى فى الزمن الأول ، فقال له رجل يا أبا مرة : كيف أصنع حتى أكون مثلك ، قال ويحك لم يطلب أحد منى هـذا ، فكيف تطلبه أنت ؟ فقال الرجل إنى أحب ذلك ، فقال إبليس إن أردت أن تكون مثلى ، فتهاون بالصلاة ، ولاتبال من الحلف صادقا أو كاذبا ، فقال الرجل : لقد عاهدت الله أن لا أدع الصلاة ولا أحلف يمينا قط ، فقال إبليس : ما تعلم أحد نصحا منى بالاحتيال غيرك ، وقد عاهدت أن لا أنصح لآدمى (كنز الأخبار) قال الحكماء : من أراد أن يكون من العارفين وينجو من الشيطان ، فليرفع بينه وبين المعرفة أربعة أشياء : إبليس وماشاء إبليس ، والنفس وما شاءت النفس ، والهوى وما شاء الهوى ، والدنيا وما شاءت الدنيا . شاء إبليس زوال دينك لتكون معه فى النار مخلدا ، كما قال الله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) الآية ، وقال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر) الآية ، والنفس شاءت المعصية وترك الطاعة وهى معيوبة ، وقد بين الله تعالى عيبها على لسان يوسف عليه السلام بقوله (إن النفس لأمارة بالسوء) وأما الهوى فانه شاء الشهوات وترك الجد بالخدمة ، قال الله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) الآية ، والدنيا شاءت أن تختار عملها على عمل الآخرة ، وقد قال الله تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) فاذا رفعت هذه الأشياء الأربعة فقد وصل العارف إلى المعروف وهو الله تعالى ؛ ومن أطاع إبليس فيما شاء فهو ساع فى زوال دينه ، فيكون عذابه بالتأبيد

كعذاب إبليس ؛ ومن أطاع النفس فيما شاءت وهى المعصية يكون عذابه على الانقطاع ؛ ومن أطاع الهوى فيما شاء وهو الشهوات يكون عليه أشد الحساب ؛ ومن أطاع الدنيا فيما شاءت وهو اختيارها على الآخرة تذهب عنه الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى (خسر الدنيا والآخرة) ومن أجاب إبليس ذهب عنه المولى لقوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) ومن أجاب النفس ذهب عنه الورع ، ومن أجاب الهوى ذهب عنه العقل ، ومن أجاب الدنيا ذهبت عنه الآخرة ، لقوله تعالى (بئس للظالمين بدلا) (زهرة الرياض) روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا خلص المؤمنون من النار وأمنوا منها ، فما مجادلة أحدكم لصاحبه فى حق يكون له فى الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم فى إخوانهم الذين دخلوا النار ، يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا فأدخلتهم النار ، قال فيقول الله تعالى اذهبوا وأخرجوا من عرفتم منهم ، قال فيأتون ، فيعرفونهم بصورتهم ولا تأكل النار صورتهم ، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من أخذته النار إلى كتفيه فيخرجونهم ، فيقولون ربنا أمرتنا أن نخرج من عرفناه ، فيقول الله تعالى أخرجوا من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » يريد به الإيمان كله ، لأن الشىء قد يسمى باسم بعضه ، والدليل على ذلك قوله تعالى (ولحم الخنزير) وإنما أراد به الخنزير كله ، وقوله تعالى (فتحرير رقبة مؤمنة) أراد به الكل . قال أبو سعيد : فمن لم يصدق به فليقرأ هذه الآية (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) قال ويقولون ربنا أخرجناهم من النار ، فلم يبق فى النار أحد فيه خير ، ثم يقول الله تعالى شفعت الملائكة والأنبياء والمؤمنون وبقى أرحم الراحمين ، قال فيقبض قبضة من النار أو قبضتين ناسا لم يعلم الله فيهم خيرا قد احترقوا ، فيؤتى بهم إلى عين يقال لها عين الحياة فيغتسلون فيها ، قال فيخرجون منها أجسادهم مثل اللؤلؤ ، وفى أعناقهم خاتم مكتوب فيه : هؤلاء عتقاء الرحمن ، فيقال لهم ادخلوا الجنة فما تمنيتم فهو لكم ، فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين ، قال فيقول الله تعالى : إن لكم عندى أفضل منه ، قال فيقولون ربنا ما أفضل من ذلك ؟ فيقول رضائى فلا أسخط عليكم أبدا (زهرة الرياض) قال تعالى فى إهانة المجرمين جزاء جرمهم وعظم قبائحهم (ونسوق المجرمين) كما تساق البهائم (إلى جهنم وردا) جمع وارد ، فيساقون إليها رجالة عطاشا قد تقطعت أكبادهم من العطش ، وأصل الورد من الورود إلى الماء والوارد على الماء يكون عطشان كذا فى العيون (لا يملكون الشفاعة) أى المؤمنون والمجرمون كلهم ، نصب على الحال (إلا من اتخذ) فى الدنيا ، محله رفع بدل من واو يملكون ، كذا فى العيون (عند الرحمن عهدا) يعنى قال لا إله إلا الله : أى لا يشفع إلا مؤمن .

وقيل معناه لا يشفع الشافعون (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى إلا المؤمن كذا فى المعالم ، أو إلا من اتخذ إذنا فيها ، لقوله تعالى (لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) من قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا : أى أمره به (قاضى بيضاوى) أى لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة من أهل الإيمان (كذا فى العيون) أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من جاء بالصلوات الخمس يوم القيامة قد حافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها لم ينقص منها شيئا ، فله عند الله تعالى عهد أن لا يعذبه ، ومن جاء وقد انتقص منها شيئا فليس له عهد ، إن شاء رحمه وإن شاء عذبه » (كذا فى الدر من التفاسير) .

المجلس التاسع والأربعون : فى بيان ذبح إبراهيم ابنه عليهما السلام

سورة الصافات — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وقال إنى ذاهب إلى ربى) إلى حيث أمرنى ربى وهو الشأم (سيهدين) إلى ما فيه صلاح دينى (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة : يعنى الولد (فبشرناه بغلام حليم) بشرناه بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم (فلما بلغ معه السعى) أى فلما وجد وبلغ أن يسعى معه فى أعماله ، ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به ، لأن صلة المصدر لا تتقدمه ، ولا يبلغ ، فإن بلوغه لم يكن معه كأنه قال : فلما بلغ السعى ، فقيل مع من ؟ فقيل معه (قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) يحتمل أنه رأى ذلك ، وأنه رأى ما هو تعبيره (فانظر ماذا ترى) من الرأى ، وإنما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله ، فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه إن سلم ، وليوطن نفسه عليه فيهون ، ويكتسب له المثوبة بالانقياد له قبل نزوله (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى تؤمر به (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) على الذبح أو على قضاء الله (فلما أسلما) استسلما لأمر الله ، أو سلم الذبيح نفسه ، وإبراهيم عليه السلام ابنه (وتله للجبين) صرعه على شقه ، فوقع جبينه على الأرض وهو أحد جانبى الجبهة (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) بالعزم وإتيان المقدمات (إنا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لإفراج تلك الشدة عنهما بإحسانهما (قاضى بيضاوى) .

قيل سبب ذبح إبراهيم إسماعيل عليهما السلام أنه قرب ألف شاة وثلاثمائة بقرة ومائة بدنة فى سبيل الله ، فتعجب الناس والملائكة من ذلك ، فقال إبراهيم عليه السلام : كل ما تقرب به ليس بشىء عندى ، والله لو كان لى ابن لأذبحنه فى سبيل الله ، وأتقرب به إلى الله تعالى ، فلما قال إبراهيم عليه السلام هذا القول ، مضى عليه زمان فنسى هذا القول ، فلما جاء إلى الأرض المقدسة سأل ربه الولد فأجاب الله دعاءه وبشره

بالولد وولدته أمه (فلما بلغ معه السعى) أى لما صلح أن يمشى معه وهو ابن سبع سنين وقيل ابن ثلاث عشرة سنة ، ولفظ معه للبيان : يعنى لما بلغ الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل له فى نومه : أوف بنذرك ، قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لما كانت ليلة التروية ونام ، رأى فى المنام من يقول : يا إبراهيم أوف بنذرك ، فلما أصبح أخذ يتروى : أى يتفكر أهو من الله أم من الشيطان؟ فلذا سمى يوم التروية ، فلما أمسى رأى ثانيا فى المنام ، فلما أصبح عرف أنه من الله ، ولذا سمى ذلك اليوم يوم عرفة ، واسم ذلك المكان عرفات ، ثم رأى فى الليلة الثالثة مثله ، فهم بنحره ، ولذا سمى يوم النحر ، فلما أراد أن يذهب باسماعيل عليه السلام إلى النحر ، قال إبراهيم عليه السلام لهاجر وهى أم إسماعيل عليه السلام : ألبسى ولدك إسماعيل أحسن ثيابه ، فأنى ذاهب به إلى ضيافة فألبسته أمه ودهنته ورجلت شعر رأسه ، فحمل إبراهيم عليه السلام حبلا وسكينا وذهب معه إلى جانب منى ، ولم يكن إبليس عليه اللعنة من يوم خلقه الله أشغل ولا أكثر ترددا منه فى ذلك اليوم ، فكان إسماعيل عليه السلام يعدو أمام أبيه ، فجاء إبليس يقول لأبيه ألا ترى اعتدال قامته وحسن صورته ولطافة سيرته ؟ فقال إبراهيم نعم ولكن أمرت بذلك ، فلما أيس منه جاء إلى هاجر وقال : كيف تقعدين ذهب إبراهيم بابنك ليذبحه ، قالت لا تكذب على هل رأيت أبا يذبح ابنه ؟ فقال : لأجل ذلك أخذ الحبل والسكين ، قالت لأى شىء يذبحه ؟ قال يزعم أنه أمره ربه بذلك ، فقالت النبى لا يؤمر بالباطل وأنا أفدى لأمره روحى ، فكيف بولدى ، فلما أيس من جانبها جاء إلى اسماعيل عليه السلام فقال : إنك تمرح وتلعب ومع أبيك حبل وسكين يريد ذبحك ، فقال لا تكذب على لم يذبحنى أبى ؟ قال يزعم أنه أمره ربه بذلك ، قال سمعنا وأطعنا لأمر ربى ، فلما أراد إبليس أن يلقى كلاما آخر أخذ إسماعيل عليه السلام حجراً من الأرض فرماه به ففقأ عينه اليسرى ، فذهب إبليس خائبا وخاسرا ، فأوجب الله علينا رمى الحجارة فى ذلك الموضع طردا للشيطان واقتداء باسماعيل بن خليل الرحمن ، فلما بلغ منى قال إبراهيم عليه السلام لولده (يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) أى بين لى ما الذى ترى هل تصبر لأمر الله أو تسأل العفو قبل الفعل ، وهذا امتحان من إبراهيم لولده هل يجيبه بالسمع والطاعة أم لا (قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) على ما أمرت به من الذبح ، فلما سمع إبراهيم كلام ولده عرف أنه استجاب الله دعاءه حين دعا الله بقوله (رب هب لى من الصالحين) فحمد الله كثيرا ، ثم قال اسمعيل عليه السلام لأبيه يا أبت أوصيك بأشياء أن تربط يدى كيلا أضطرب فأوذيك ، وأن تجعل وجهى على الأرض كيلا تنظر إلى وجهى فترحمنى ، واكفف عنى ثيابك كيلا يتلطخ عليها شىء من دمى فينقص أجرى

وتراه أمى فتحزن ، وأشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلق ليكون أهون فان الموت شديد ، وأن تذهب بقميصى إلى أمى تذكرة لها منى ، وسلم عليها وقل لها اصبرى على أمر الله ، ولا تخبرها كيف ذبحتى وكيف ربطت يدى ، ولا تدخل الصبيان على أمى كيلا يتجدد حزنها على ، وإذا رأيت غلاما مثلى فلا تنظر إليه حتى لا تجزع ولا تحزن ، فقال إبراهيم عليه السلام : نعم العون أنت ياولدى على أمر الله تعالى (فلما أسلما) أى استسلما وانقادا لأمر الله تعالى (وتله للجبين) أى صرعه على شقه كالشاة للذبح ، وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله ، وكان ذلك عند الصخرة من منى ، وقيل فى الموضع المشرف عليه ، ووضع السكين على حلق ولده ، فعالجه بشدة وقوة فلم يقدر على قطعه ، وقد كشف الله الغطاء عن أعين ملائكة السماوات والأرض ، فلما رأوا أن ابراهيم يذبح ابنه إسماعيل خروا له سجدا ، فقال الله تعالى : انظروا إلى عبدى كيف يمر السكين على حلق ولده لأجل رضائى وأنتم قلتم حين قلت (إنى جاعل فى الأرض خليفة : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ثم قال إسماعيل عليه السلام : يا أبت حل يدى ورجلى حتى لا يرانى الله مكرها : أى فى طاعة أمره مكرها بل ضع السكين على عنقى ليعلم الملائكة أن ابن الخليل مطيع لله ولأمره بالاختيار فحل يديه ورجليه بلا وثاق وحول وجهه إلى الأرض ، فأمر السكين بجميع قوته فانقلب السكين ولم يقطع باذن الله تعالى ، فقال إسماعيل عليه السلام : يا أبت ضعفت قوتك بسبب محبتك لى فلا تقدر على ذبحى ، فضرب بالسكين الحجر فصار الحجر نصفين ، فقال إبراهيم عليه السلام تقطع الحجر ولم تقطع اللحم ، فتكلم السكين بقدرة الله تعالى فقال يا إبراهيم : أنت تقول اقطع ، وإله العالمين يقول لا تقطع ، فكيف أمتثل أمرك عاصيا لربك ، ثم قال الله تعالى (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) فيما رأيت من الرؤيا ، فظهر لعبادى أنك اخترت رضائى على حب ولدك ، وكنت فى ذلك من المحسنين (إنا كذلك نجزى المحسنين) أى المطيعين لأمرى (إن هـذا لهو البلاء المبين) أى الذبح هو الاختبار الظاهر أو الابتلاء البين الذى يتميز فيـه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة إذ لا شئ أصعب منها (وفديناه) أى خلصنا المـأمور بذبحه (بذبح عظيم) من الجنة وهو الكبش الذى قربه هابيل وقبل منه وكان فى الجنة حيا حتى فدى به إسماعيل عليـه الصلاة والسلام ، وكان عظيم الجسم ، وقد أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام مع الكبش حتى رأى إبراهيم عليـه الصلاة والسلام يعالج بالسكين حلق إسماعيل عليـه الصلاة والسلام ، فقـال جبرائيل تعظيما لله تعالى وتعجبا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : الله أكبر الله أكبر ، فقال إبراهيم عليـه الصلاة والسلام : لا إله إلا الله والله أكبر ، فقـال إسماعيل عليـه الصلاة والسلام : الله أكبر ولله الحمد ،

فحسن الله هذه الكلمات فأوجبها علينا فى أيام النحر اقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام . عن ابن عباس رضى الله عنهما لو تمت تلك الذبيحة لصار ذبح الناس أبناءهم سنة ، وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية ، فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة . روى أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام قال لأبيه أنت سخى أم أنا ؟ فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنا ، وقال إسماعيل عليه الصلاة والسلام بل أنا لأن لك ابنا آخر وليس لى إلا روح واحدة ، قال الله أنا أسخى منكما حيث أعطيت الفداء لكما وأنجيتكما من عذاب الذبح (مشكاة الأنوار) . روى أن الملائكة تعجبوا من كرامة إسماعيل عليه الصلاة والسلام عند رب العالمين ، حيث بعث كبشا من الجنة على عنق جبرائيل عليه الصلاة والسلام فداء له ، قال الله تعالى : فوعزتى وجلالى لو أن جميع الملائكة حملوا على أعناقهم فداء له لما كان مكافأة لقوله (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) قيل لما رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام الرؤيا أولا اختار مائة من الغنم من أسمنها فذبحها ، فجاءت النار فأكلتها ، فظن أنه قد وفى ، فلما رأى ثانيا عرف أنه من الله واختار مائة من الإبل من أسمنها فذبحها فجاءت النار فأكلتها فظن أنه قد وفى ، فلما رأى ثالثا كأن قائلا يقول : إن الله تعالى يأمرك أن تذبح ولدك إسماعيل ، فانتبه وضم ابنه إلى نفسه وبكى حتى أصبح (مجالس الأبرار) قيل لما اتخذ الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليلا ، قالت الملائكة يا رب إن له مالا وولدا وامرأة ، فكيف يكون خليلا لك مع هذه الشواغل ؟ فقال الله تعالى لا تنظروا إلى صورة عبدى ولا إلى ماله بل إلى قلبه وأعماله ، وليس فى قلب خليلى محبة إلى غيرى ولو شئتم اذهبوا إليه وجربوه ، فجاء جبرائيل عليه الصلاة والسلام فى صورة بنى آدم وكان لإبراهيم عليه الصلاة والسلام اثنا عشر ألف كلب للصيد وحفظ الغنم ، وقس عليها عدد أغنامه ، ولكل كلب طوق من ذهب وليعلم أن الدنيا نجسة والنجس لا يصلح إلا للنجس ، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام على تل مرتفع ينظر إلى الأغنام ، فسلم عليه جبرائيل عليه الصلاة والسلام ، فقال له : لمن هذا ؟ قال إبراهيم لله ولكن الآن فى يدى ثم قال تبرع بواحد منها ، فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام اذكر الله وخذ ثلثها ، فقال جبرائيل : سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ، ثم قال : اذكر ثانيا وخذ نصفها فقال : سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ، ، ثم قال اذكر ثالثا وخذها كلها برعاتها وكلابها فذكر ، ثم قال اذكره رابعا ، وأقر لك بالرق فذكره فقال الله تعالى يا جبرائيل كيف وجدت خليلى ؟ فقال نعم الخليل يا رب ، فنادى إبراهيم عليه الصلاة والسلام : يا رعاة الغنم سوقوا الغنم خلف صاحبها هذا إلى أين يريد ، فانكم صرتم له فأظهر نفسه جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا إبراهيم لا حاجة لى فى ذلك وأنا جئت لأجربك ، فقال أنا

خليل الله لا أسترد هبق منك ، فأوحى الله تعالى إليه أن يبيعها ويشترى بها الضياع والعقار ويجعلها وقفا يأكل منه الفقير والغنى إلى يوم القيامة (مشكاة الأنوار) قيل من ملك عشرين مثقالا من الذهب أو مائتى درهم من الفضة بعد الحوائج الأصلية فهو غنى ، فان ملك غير الدراهم والدنانير ، فانه ينظر إن ساوى مائتى درهم فهو غنى ، فعليه الأضحية وإلا فلا . وقيل صاحب الضياع جمع ضيعة وهى الأرض غنى لو ساوت مائتى درهم وصاحب الكرم إذا ساوى مائتى درهم فهو غنى بالاتفاق ، لأن الكرم للنزهة لا للحاجة ، لأن الإنسان قد يعيش بغير فاكهة (كذا فى زبدة الواعظين) .

المجلس الخمسون : فى بيان صبر أيوب عليه السلام

سورة ص — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واذكر عبدنا أيوب) هو ابن عيص بن إسحق عليه الصلاة والسلام (إذ نادى ربه) بدل من عبدنا ، وأيوب عطف بيان له (أنى مسنى) وقرأ حمزة باسكان الياء وإسقاطها فى الوصل (الشيطان بنصب) بتعب (وعذاب) ألم ، وهو حكاية لكلامه الذى ناداه له ، ولولا هى لقال إنه مسه ، والإسناد إلى الشيطان ، إما لأن الله تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته ، كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله ، أو استغاثة مظلوم فلم يغثه ، أو كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه ، أو لسؤاله امتحانا لصبره ، فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للأدب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لأن المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس به إليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع (قاضى بيضاوى) .

قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « من صلى على مرة صار لاذنب له ذرة وحبة » وفى الخبر « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة : أقبضتم ثمرة قلبه ؟ فيقولون نعم ، فيقول الله تعالى : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون حمدك وشكرك واسترجعك ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة ، وسموه بيت الحمد » (زبدة الواعظين) وعن وهب بن منبه قال : وجدت فى التوراة أربعة أسطر متواليات : أحدها : من قرأ كتاب الله تعالى فظن أن لن يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله . والثانى : من تواضع لغنى لغناه ، فقد ذهب ثلثا دينه . والثالث : من حزن على مافاته سخط قضاء ربه . والرابع : من شكا مصيبته إنما يشكو ربه . قال عليه الصلاة والسلام « إن أعظم الجزاء مع أعظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه ، وإذا صبر اجتباه ، وإذا رضى اصطفاه » كما حكى أن موسى

عليه الصلاة والسلام خرج ومعه يوشع بن نون ، فاذا بطير أبيض قد وقع على منكب موسى عليه الصلاة والسلام وقال : يانبي الله احفظني اليوم من القتل ، قال ممن ؟ قال من الصقر يريد أن يأكلني ، ودخل فى كمه فاذا الصقر قد أقبل ، فقال يانبي الله لاتمنع صيدي عني ، فقال أذبح لك شاة من غنمي قال لحم الغنم لايصلح لي ، قال فكل من لحم فخذي ، قال لا آكل إلا من حدقتيك ، فاستلقى موسى عليه الصلاة والسلام على ظهره ، فجاء الصقر ووقع على صدره وأراد أن يضرب بمنقاره عينيه ، فقال يوشع يانبي الله أتستخف بعينيك فى شأن هذا الطير ، فطار الطير من كمه ، فطار الصقر فى أثره ، ثم أقبلا ، فقال أحدهما أنا جبرائيل والآخر أنا ميكائيل ، أمرنا ربنا لنجربك فى قضاء ربك هل تصبر أولا (زبدة الواعظين) قال ابن المبارك : المصيبة واحدة ، فاذا جزع صاحبها تكون ثنتين : إحداهما المصيبة والثانية ذهاب أجر المصيبة ، وهى أعظم من المصيبة . وكذا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « الصبر ثلاثة : صبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة كتب له ثلثمائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب له ستمائة درجة مابين الدرجتين كما بين تخوم الأرض العليا إلى منتهى الأرضين السبع ، ومن صبر عن المعصية كتب له تسعمائة درجة مابين كل درجتين كما بين العرش إلى الثرى » (زبدة الواعظين) حكى أن أيوب بن عيص بن إسحق عليه الصلاة والسلام كان روميا ، وأمه بنت لوط عليه الصلاة والسلام ، وكان رجلا عاقلا نظيفا حليما حكيما ، وكان أبوه رجلا كثير المال ، يملك الماشية من الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير ، ولم يكن فى أرض الشام أحد مثله فى الغنى ، فلما مات انتقل جميع ذلك إلى أيوب عليه الصلاة والسلام ، فتزوج برحمة بنت أفرايم بن يوسف عليه الصلاة والسلام ورزقه الله منها اثنى عشر بطنا ، فى كل بطن ذكر وأنثى ، ثم بعثه الله تعالى إلى قومه ، وهم أهل حوران والتيه ، وأعطاه الله تعالى من حسن الخلق والرفق مالم يخالفه أحد بالتكذيب والإنكار لشرفه وشرف آبائه وأمهاته ، فشرع لهم الشرائع وبنى لهم المساجد ، وكانت له موائد يضعها للفقراء والمساكين والأضياف ، وكان لليتيم كالأب الرحيم ، وللأرامل كالزوج الشفيق ، وللضعفاء كالأخ الودود ، وكان يأمر وكلاءه وأمناءه أن لايمنعوا من زرعه وثماره ، وكانت مواشيه فى كل سنة تتم ، ولم يكن يفرح بشيء من ذلك ، ويقول : إلهى هذه عطاياك لعبادك فى سجن الدنيا ، فكيف عطاياك فى الجنة لأهل كرامتك فى دار ضيافتك ؟ ومع هذا كله لايغفل قلبه عن شكر نعمائه ولا لسانه عن ذكر مولاه ، فحسده إبليس وقال : إن أيوب قد ذهب بالدنيا والآخرة ، وأراد أن يفسد عليه إحدى الدارين أو كلتيهما ، وكان إبليس عليه اللعنة فى ذلك الزمان يصعد إلى السماء السابعة ،

ويقف فى أى مكان شاء ، فصعد يوما كما كان يصعد ، فقال له رب العزة : يالعين كيف رأيت عبدى أيوب ، وهل نلت منه شيئا ؟ قال : إلهى إن أيوب يعبدك لأنك أعطيته السعة فى الدنيا والعافية ، ولولا ذلك لم يعبدك ، فهو عبد العافية ، فقال له الله تعالى : كذبت فانى أعلم أنه يعبدنى ويشكرنى ، وإن لم يكن له سعة فى الدنيا ، قال يارب سلطنى عليه ، فأنظر كيف أنسيه ذكرك وأشغله عن عبادتك فسلطه على كل شىء منه إلا روحه ولسانه فرجع إبليس فانطلق إلى شط البحر ، فصرخ صرخة حتى لم يبق جنى ولا جنية إلا اجتمعوا عنده ، وقالوا ما أصابك ياسيدنا قال فانى قد وجدت فرصة ما وجدت مثلها منذ أخرجت آدم من الجنة فأعينونى على أيوب ، فانتشروا مسرعين ، وأحرقوا وأهلكوا كل مال لأيوب عليه الصلاة والسلام ، فانصرف إبليس إلى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو قائم يصلى فى المسجد ، قال أتعبد ربك فى ضرك ، وقد أرسل نارا من السماء على جميع أموالك حتى صارت رمادا ، فلم يكلمه حتى فرغ من الصلاة ، ثم قال : الحمد لله الذى أعطانى ثم أخذ منى ، ثم قام وشرع فى صلاته ، فانصرف إبليس خائبا ذليلا نادما لفعله ، وكان لأيوب عليه الصلاة والسلام أربعة عشر ولدا : ثمانية بنين وست بنات ، وكانوا يتغدون كل يوم فى منزل أخ لهم ، وكانوا يومئذ فى منزل أخيهم الأكبر واسمه هرمل ، فاجتمعت الشياطين وأحاطوا بالبيت وطرحوه على أولاد أيوب عليه الصلاة والسلام ، فماتوا كلهم على خوان واحد ، منهم من اللقمة فى فمه ، ومنهم من الكأس فى يده ، ثم انطلق إلى أيوب وهو قائم يصلى ، فقال أتعبد ربك وقد طرح على أولادك البيت ، فماتوا جميعا فلم يكلمه بشىء حتى فرغ من صلاته ثم قال : يالعين ، الحمد لله الذى أعطانى ثم أخذ منى ، فالأموال والأولاد فتنة للرجال والنساء ، فأخذها منى لأفرغ لعبادة ربى ، فانصرف إبليس خائبا خاسرا بغيضا ؟ ثم جاء وكان أيوب عليه الصلاة والسلام فى الصلاة ، فلما سجد نفخ فى أنفه وفمه ، فانتفخ بدن أيوب عليه الصلاة والسلام ، فعرق عرقا شديدا ، ووجد فى نفسه ثقلا عظيما ، قالت زوجته رحمة : هذا من حزن المال ومصيبة الأولاد ، وأنت بالليل قائم وبالنهار صائم لا تستريح ساعة ولا تجد راحة ، ثم ظهر على بدن أيوب عليه الصلاة والسلام جدرى وأحاط بما من رأسه إلى قدميه ، وسال منه الصديد ووقع فيه الدود ، وتفرق أقرباؤه وأصدقاؤه عنه ، وكان له ثلاث نسوة ، فطلبت ثنتان منهن طلاقا فطلقهما ، فبقيت رحمة تخدمه ، وتقوم عليه ليلا ونهارا ، حتى جاءت نسوة من جيرانه وقلن : يارحمة نحن نخشى أن يسرى بلاء أيوب إلى أولادنا أخرجيه من جوارنا وإلا أخرجناك كرها فخرجت رحمة وشدت عليها ثيابها ، ثم صاحت بأعلى صوتها : واغربتاه وافرقتاه أخرجونا من بلادنا وطردونا عن ديارنا ، فحملته على ظهرها ودموعها تسيل على وجهها ، فانطلقت باكية إلى خرابة يطرح فيها السرقين ، ووضعت أيوب على السرقين ، فخرج أهل

القرية فنظروا إلى حال أيوب ، فقالوا : احملى عنا زوجك وإلا أرسلنا عليه كلابنا حتى يأكلوه ، فحملته وهى باكية ، حتى أتت مفرق الطريق فوضعته ، وجاءت بفأس وحبل فاتخذت بيتا من خشب ، ثم جاءت برماد ففرشته تحته ، وجاءت بحجارة فوسدت بها أيوب ، ثم جاءت بقصعة كان يسقى الرعاة بها مواشيهم ، ثم انطلقت إلى القرية ، فنادى أيوب : ارجعى يارحمة حتى أوصيك إن كنت تريدين أن تذهبى عنى وتدعينى هنا ، فقالت رحمة لاتخف يا سيدى ، فانى لا أدعك ما دامت روحى فى جسدى ، فانطلقت إلى القرية وكانت تعمل كل يوم بكسرة خبز وتطعم أيوب ، حتى علم مافى تلك القرية أنها امرأة أيوب فلم يطعموها ، فقالوا تنحى عنا فانا نستقذر منك ، فبكت رحمة وقالت : يارب ترى حالى قد ضاقت بى الأرض ، والناس قد قذرونا فى الدنيا ولا تقذرنا أنت يا رب فى الآخرة وطردونا من دارنا ولا تطردنا من دارك يوم القيامة ، ثم انطلقت إلى امرأة خباز وقالت : إن حبيبى أيوب جائع فأقرضينى خبزا ، قالت للرأة تنحى عنى لئلا يراك زوجى ، ولكن أعطينى ذؤابة من شعرك وهى الضفيرة ، وكانت لها اثنتا عشرة ذؤابة واقعة بالأرض ، ولها شبه فى الحسن بجدها يوسف عليه الصلاة والسلام ، وكان أيوب يحب تلك الذؤابة حبا شديدا ، فجاءت بالمقراض وقطعتها وأعطتها إياها بأربعة أرغفة ، فقالت رحمة : يارب إن هذا فى طاعة زوجى وفى طعام نبيك أيوب بعت ذوائبى ؛ فلما رأى أيوب الخبز الصحيح اشتد عليه الأمر ، فظن أنها باعت نفسها ، فحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة ، وهى التى قال الله تعالى فى كفارتها (وخذ بيدك ضغثا) أى قبضة حشيش (فاضرب به ولا تحنث) فلما قصت عليه القصة بكى أيوب وقال : يارب ذهبت حيلتى حتى بلغ من أمرى أن زوجة نبيك باعت شعرها وأنفقته على نفسى ، وقالت رحمة : ياسيدى لاتجزع اليوم فان الشعر ينبت أحسن مما كان ، فقطعت الخبز وأطعمته أيوب وقعدت عنده ، وكان أيوب كلما سقطت دودة من بدنه وضعها على جسده ويقول : كلوا مما رزقكم الله تعالى ، فلم يبق لحمه على بدنه حتى بقيت عظامه وعروقه وأعصابه ، فاذا طلعت عليه الشمس نفذ شعاعها من قدامه إلى خلفه ، فلما بقى من جسده الشريف إلا قلبه ولسانه ، وكان لايخلو قلبه من شكر الله ولسانه من ذكر الله ، وبقى فى مرضه فى رواية ثمان عشرة سنة ، فقالت له رحمة يوما : أنت نبى كريم على ربك ، لو دعوت الله تعالى أن يشفيك ، فقال لها أيوب عليه السلام كم كانت مدة الرخاء ، قالت ثمانون سنة ، فقال إنى أستحيى من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى ؛ فلما لم يبق على بدنه لحم جعل الدود يأكل بعضه بعضا ، فبقيت دودتان ، فطافتا جميع بدنه يطلبان لحما ، فلم تجدا غير قلبه ولسانه ، فجاءت إحداها إلى قلبه فعضته ، والأخرى إلى لسانه فعضته ،

فعند ذلك نادى أيوب عليه السلام ربه فقال: (أنى مسنى الضر) أى شدة البلاء (وأنت أرحم الراحمين) وهذا ليس بشكاية منه ، فلم يخرج به عن زمرة الصابرين ، ولذا قال الله تعالى فى حقه (إنا وجدناه صابرا) لأنه لم يجزع لماله وأولاده بل إنما جزع خوفا من القطيعة كأنه يقول : يا رب أصبر على كل بلاء منك مادام قلبي مشغولا بحبك ولساني بذكرك ، وإذا ذهب هذان العضوان تحصل القطيعة ، وأنا لا أصبر على قطيعتك وأنت أرحم الراحمين ، فأوحى الله تعالى إليه : يا أيوب اللسان لى والقلب والدود لى والألم منى ، فالجزع لماذا ؟ وقيل أوحى الله تعالى إليه أن سبعين من الأنبياء طلبوا هذا منى وأنا اخترته لك زيادة فى كرامتك ، فهذا لك بلاء صورة وولاء حقيقة ، وإنما جزع أيوب من أن يؤكل قلبه ولسانه لأنه مشغول بفكره تعالى وذكره ، فاذا أكلا لايشتغل بفكر الله تعالى ولا بذكره ، ثم أسقط الله الدودتين منه فوقعت واحدة فى الماء فصارت علقا تستشفى به الأمراض ، والأخرى وقعت فى البر فصارت نحلا يخرج منه العسل فيه شفاء للناس ، ثم جاءه جبريل عليه السلام ومعه رمانتان من الجنة . فقال أيوب عليه السلام : يا جبرائيل هل ذكرنى ربى ؟ قال نعم سلم عليك وأمرك أن تأكلهما فتبرأ حتى لحمك وعظمك ، فلما أكلهما قال له جبرائيل عليه السلام : قم باذن الله فقام (وقال اركض برجلك) فضرب برجله اليمنى فخرج ماء حار فاغتسل منه ثم ركض برجله اليسرى فخرجت عين باردة فشرب منها ، فزال عنه كل ألم بظاهره وباطنه ، فاذا بدنه أحسن من الأول ، ووجهه أنور من القمر كما قال الله تعالى (فاستجبنا له) أى قبلنا دعاءه (فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال مقاتل : أحياهم ورزقه مثلهم . وقال الضحاك : أوحى الله تعالى إليه أتريد أن أبعثهم ؟ قال يارب دعهم فى الجنة ، فعلى هذا آتاه أهله فى الآخرة وأعطاه مثلهم فى الدنيا بأن ولد له أولاد كذلك (رحمة) أى نعمة (من عندنا) لأيوب (وذكرى) أى عظة (للعابدين) ليعلموا بذلك أن أشد بلائى على الأنبياء ثم على الأولياء ثم الأمثل فالأمثل ، فيصنعوا كما صنعوا ويصبروا كما صبروا ، فعلم من هذا أن الطريق إلى الله تعالى إلى جادة المحنة أقرب من جادة المنحة أى العطاء . وروى أن الشبلى رحمه الله حبس فى دار الشفاء ، فدخل عليه جماعة وقالوا : نحن أحباؤك جئنا زائرين لك ، فأخذ الشبلى يرميهم بالحجارة فيهربون ، فقال لو كنتم أحبائى لصبرتم على بلائى . قال عليه الصلاة والسلام « صبر ساعة على المصيبة خير من عبادة سنة » ولذا قيل الصابر أفضل من الشاكر ، لأن الشاكر مع المزيد كما قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) والصابر مع الله تعالى كما قال الله تعالى (إن الله مع الصابرين) وكذا روى عن محمد بن مسلمة عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « لاخير لعبد لايذهب ماله

ولا يسقم جسمه ، إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه ، وإذا ابتلاه صبر » (كذا فى زبدة الناصحين) وروى ابن أبى الدنيا فى الصبر وأبو الشيخ فى الثواب ، كما فى الجامع الصغير عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الصبر ثلاثة » أى أنواعه باعتبار متعلقه ثلاثة « فصبر على المصيبة » حتى لا يسخطها « وصبر على الطاعة » حتى يؤديها « وصبر عن المعصية » حتى لا يقع فيها « فمن صبر على المصيبة » أى على المهالك حتى يردها بحسن عزائها « كتب الله له » أى قدر أو أمر بالكتابة فى اللوح والصحف « ثلاثمائة درجة » أى منزلة عالية فى الجنة « مقدار مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة » أى على فعلها وتحمل مشاق التكليف « كتب الله له ستمائة درجة مابين الدرجتين كما بين تخوم الأرض العليا إلى منتهى الأرضين السبع » والتخوم جمع تخم كفلوس جمع فلس وهو حد الأرض « ومن صبر عن المعصية » أى على تركها « كتب الله له تسعمائة درجة مابين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش » وهو أعلى المخلوقات مرتين ؟ فالصبر عن المحرمات أعلى المراتب لصعوبة مخالفة النفس وحملها على غير طبعها ، ودونه الصبر على الأوامر لأن أكثرها محبوب النفوس الفاضلة ، ودونه الصبر على المكروه لأنه يأتى البر والفاجر اختيارا واضطرارا (كذا فى التيسير شرح الجامع الصغير) قيل الصبر أفضل من الشكر لأن الشاكرين مع الزيادة كما قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) والصابرين معهم الله تعالى كما قال تعالى (إن الله مع الصابرين) عن وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور : يارب أى منزل من منازل الجنة أحب إليك ؟ قال الله تعالى ياموسى حظيرة القدس ، قال يارب من يسكنها ؟ قال أصحاب المصائب ، قال يارب صفهم لى ، قال الله تعالى : ياموسى هم قوم إذا أصابتهم بلية صبروا ، وإذا أنعمت عليهم شكروا ، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، هؤلاء سكان حظيرة القدس (كذا فى الروضة) روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من أصيب بمصيبة فى ماله أو جسده فكتمها ولم يشكها إلى الناس كان على الله أن يغفر له » (كذا فى الجامع الصغير) فعلى العاقل أن يصبر على المصائب والبلايا والمحن والفقر كى ينال المغفرة من الله تعالى ومحو السيئات ورفع الدرجات . روى الإمام أبو الليث رحمه الله تعالى فى التنبيه عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : شكى نبى من الأنبياء إلى ربه وقال : يارب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلايا ، والعبد الكافر لا يطيعك ، ويجترئ على معاصيك تزوى عنه البلايا وتبسط له الدنيا ، فأوحى الله تعالى إليه : إن العباد لى ،

والبلاء لى وكل يسبح بحمدى ، فيكون للؤمن عليه الذنوب ، فأزوى عنه الدنيا ، وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقانى فأجزيه بحسناته ، ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له فى الرزق فأزوى عنه البلاء ، وأجزيه بحسناته فى الدنيا حتى يلقانى فأجزيه بسيئاته . وفى الخبر « إن مؤمنا وكافرا فى الزمن الأول انطلقا يصيدان السمك ، فأخذ الكافر يذكر آلهته فيطرح شبكته حتى أخذ سمكا كثيرا ، وجعل المؤمن يذكر الله تعالى ويطرح شبكته ولا يجىء شىء ، ثم أصاب سمكة عند الغروب فاضطربت فوقعت فى الماء من يده فرجع المؤمن وليس معه شىء ، ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته من السمك ، فأسف ملك المؤمن عليه ، فلما صعد إلى السماء أراه الله تعالى مسكن المؤمن فى الجنة ، فقال والله مايضره ماأصابه بعد أن يصير إلى هـذا ، وأراه مسكن الكافر فى النار ، فقال والله مايغنى عنه ماأصابه من الدنيا بعد أن يصير إليه » انتهى .

المجلس الحادى والخمسون : فى بيان النار

سورة الزمر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) أفواجا متفرقة بعضها فى إثر بعض على تفاوت أقدامهم فى الضلالة والشرارة ، وهى الجمع القليل جمع زمرة ، واشتقاقها من الزمر وهو الصوت ، إذ الجماعة لاتخلوا عنه ، أو من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ، ورجل زمر قليل المروءة (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة ، وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء (وقال لهم خزنتها) تقريعا وتوبيخا (ألم يأتكم رسل منكم) من جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وقتكم وهو وقت دخولهم النار ؛ وفيه دليل على أنه لاتكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) كلمة الله بالعذاب علينا ، وهو الحكم عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل النار ، ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة ؛ وقيل هو قوله « لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أبهم القائل لتهويل مايقال لهم (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف سبق ذكره ، ولاينافى إشعاره بأن مثواهم فى النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها ، لأن كلمة العذاب حقت عليهم ، فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليـه الصلاة والسلام « إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار » (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « من صلى على تعظيا جعل الله تعالى من تلك الكلمة ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ، ورجلاه تحت الأرض وعنقه ملتوية تحت العرش يقول الله تعالى له : صل على عبدى كما صلى على نبي فيصلى عليه إلى يوم القيامة » . روى أنه يساق أعداء الله تعالى إلى النار تسود وجوههم وتزرق أعينهم ويختم على أفواههم ، فاذا انتهوا إلى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالسلاسل والأغلال توضع فى فمهم وتخرج من دبرهم وتغل يدهم اليمنى إلى عنقهم وتدخل يدهم اليسرى فى صدورهم وتنزع من بين كتفيهم ويشد بالسلاسل ، ويقرن كل كافر مع قرينه الشيطان فى سلسلة ويسحب على وجهه وتضربه الملائكة بمقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كما قال الله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) (دقائق الأخبار) . وحكى أن أبا يزيد كان لا تنقطع دموع عينيه ولا يزال باكيا فسئل عن ذلك ، فقال إن الله تعالى لو أوعدنى إن أذنبت حبسنى فى الحمام أبدا لكان حقا على أن لا تنقطع دموع عينى ، فكيف وقد أوعدنى أن يحبسنى فى النار التى قد أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة (مشكاة) . وفى الخبر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال « أتانى جبرائيل عليه السلام ، فقلت ياجبرائيل صف لى جهنم . قال : إن الله خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء كالليل المظلم لا يسكن لهبها ولا يطفأ جمرها » روى أن الله تعالى أرسل جبرائيل إلى مالك بأن يأخذ جزءا من النار ، فيأتى آدم عليه الصلاة والسلام حتى يطبخ به طعاما ، فقال مالك ياجبرائيل كم تريد من النار ؟ فقال جبرائيل عليه السلام : أريد منها مقدار تمرة ، فقال مالك : لو أعطيتك مقدار تمرة لذابت السموات السبع والأرضون من حرها ، فقال جبرائيل عليه السلام . أعطنى نصفها ، فقال مالك : لو أعطيتك ماتريد لم تنزل من السماء قطرة ولم ينبت من الأرض نبات ، ثم نادى جبرائيل عليه السلام إلهى كم آخذ من النار ؟ قال الله تعالى خذ مقدار ذرة منها ، فأخذ جبرائيل عليه السلام مقدار ذرة وغسلها سبعين مرة فى سبعين نهرا ، ثم جاء إلى آدم عليه الصلاة والسلام فوضعها على جبل شاهق ، فذاب ذلك الجبل ورجعت النار إلى مكانها ، وبقى دخانها فى الأحجار والحديد إلى يومنا هذا . فهذه النار من دخان تلك الذرة ، فاعتبروا يا أولى الألباب . وقال محمد بن كعب : إن لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله فى أربع ، فاذا كانت الخامسة لم يتكلم بعدها أبدا يقولون (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) فيقول الله تعالى مجيبا لهم (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير) ثم يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) فيجيبهم الله تعالى

بقوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) ثم يقولون (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) فيجيبهم الله تعالى بقوله (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ؟ فذوقوا فما للظالمين من نصير) ثم يقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) فيجيبهم الله تعالى بقوله (اخسئوا فيها ولا تكلمون) فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا) قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « لو أن دلوا من ذلك الغساق ألقى على الدنيا لأحرق أهل الدنيا كلها » وقال (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) قال النبي عليه الصلاة والسلام « تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة وكلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ولا يموتون فيها كما قال الله تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) » (مشكاة الأنوار) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « يؤتى بجهنم يوم القيامة من تحت الأرض السابعة ، وحولها سبعون ألف صف من الملائكة ، وكل صف أكثر من الثقلين سبعين ألف مرة يجرونها بأزمتها ، ولجهنم أربع قوائم ما بين كل قائمتين مسيرة ألف ألف عام ، ولها ثلاثون ألف رأس وفى كل رأس ثلاثون ألف فم ، وفى كل فم ثلاثون ألف ضرس كل ضرس مثل أحد ثلاثين ألف مرة ، وفى كل فم شفتان كل شفة مثل طباق الدنيا ، وفى كل شفة سلسلة من حديد ، وفى كل سلسلة سبعون ألف حلقة ، وعند كل حلقة ملائكة كثيرة ، فيؤتى بها عن يسار العرش » (دقائق الأخبار) وفى الخبر « إذا كان يوم القيامة يقول الكفار (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) » وقال مقاتل : يوضع لإبليس منبر فى النار فيرقاه ، فيجتمع عليه الكفار ومن اتبعه فيقولون : ياملعون أنت أضللتنا عن طريق الحق (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) . وإنى لم آتكم ببرهان وكنتم لا ترونى (فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) (درة الواعظين) . ويقال إن أهل النار يجزعون ألف سنة ، ثم يقولون : كنا فى الدنيا إذا صبرنا كان لنا الفرج فيصبرون ألف سنة فلا يخفف عنهم العذاب فيقولون (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) فيدعون مالكا ويتضرعون ويصيحون يامالك قد حق بنا الوعيد قد أثقلنا العذاب قد نضجت منا الجلود إن أخرجتنا منها فإنا لا نعود ، فيقول لهم مالك والخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى) فيقال لهم (فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) فلا يجيبهم مقدار ما كان فى الدنيا مرتين ثم يرد عليهم بقوله (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) فإذا استيأسوا من الخروج منها يطلبون الغيث من الله تعالى

ألف سنة يقولون ربنا أرسل علينا غيثا فتظهر لهم سحابة حمراء فيظنون أنهم يمطرون ، فتمطر عليهم العقارب كالبغال ، إذا لدغ واحد منهم لايذهب عنه الوجع ألف سنة ، ثم يسألون الله ألف سنة ، أن يرزقهم الغيث فتظهر لهم سحابة سوداء فيقولون هذا سحاب المطر ، فتنزل عليهم الحيات كأعناق البخت كل من أخذته بفمها لايذهب عنه الوجع ألف سنة ، هذا معنى قوله تعالى (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) (مشكاة الأنوار) . (حكى) عن بعض أهل العلم أنه قال : دركات جهنم سبع : أولاها السعير ، قال الله تعالى (فسحقا لأصحاب السعير) ينزلها المكذبون نعوذ بالله منها ومن سائرها . والثانية دركة لظى لتارك الزكاة قال الله تعالى (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . والثالثة سقر ، قال الله تعالى (عن المجرمين ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) وأفضل الأمور فى الشريعة الصلاة . والرابعة الجحيم ، قال الله تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى) وهى خلقت لتابع الهوى . والخامسة جهنم ، قال الله تعالى (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) والسادسة الهاوية ، قال الله تعالى (فأمه هاوية . وما أدراك ماهيه . نار حامية) والسابعة الحطمة خلقت للنمامين ، قال الله تعالى (كلا لينبذن فى الحطمة) (أعرجية) قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه « كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فسمعنا صوتا مع الهيبة والشدة ، فقال عليه الصلاة والسلام : أتدرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما والآن انتهى إلى قعرها » وعن أبى الدرداء أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ألم الجوع مافيها من العذاب فيستغيثون بالطعام فيطعمون الزقوم » كما قال الله تعالى (إن شجرة الزقوم . طعام الأثيم . كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم) الآية ، وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما (كذا فى زبدة الواعظين) . وفى الخبر « يدفع كل واحد من الزبانية بالدفعة الواحدة أربعين ألفا من أهل النار إلى جهنم » وهم أى الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة والرأفة خلصنا الله تعالى من أيديهم آمين . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تجدد عذاب الكفار فى تفسير قوله تعالى (بدلناهم جلودا غيرها) يبدلون جلودا بيضاء كأمثال القراطيس. وقال ابن أبى حاتم وغيره عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قرىء عند عمر رضى الله تعالى عنه (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) فقال معاذ عندى تفسيرها : تبدل فى الساعة مائة مرة . فقال عمر رضى الله عنه : هكذا سمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وأخرج ابن أبى شيبة وغيره عن الحسن : قال بلغنى أنه يحرق أحدهم فى اليوم سبعين ألف مرة كلما نضجت وأكلت لحومهم ، قيل لهم عودوا فعادوا (كذا فى الدر المنثور) روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ضرس الكافر كجبل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام » (كذا فى اللباب) انتهى .

المجلس الثاني والخمسون : في بيان الجنة

سورة الزمر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة) إسراعا بهم إلى دار الكرامة ، وقيل سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين (زمرا) على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) حذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم مالا يحيط به الوصف وأن أبواب الجنة مفتوحة لهم قبل مجيئهم منتظرين (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) لا يعتريكم بعد مكروه (طبتم) طهرتم من دنس المعاصي (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود ، والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم ، وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لأنه تعالى يطهره (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الأرض) يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة ، وإرثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أي يتبوأ كل منا في أي مقام أراده من الجنة الواسعة مع أن في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (قاضي بيضاوي).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نسي الصلاة على نسي طريق الجنة » (شفاء شريف) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : للجنان ثمانية أبواب من الذهب المرصع بالجواهر مكتوب على الباب الأول : لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو باب الأنبياء والمرسلين والشهداء والأسخياء . والثاني باب المصلين الذين يكملون الصلاة والوضوء . والثالث باب المزكين أموالهم . والرابع باب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر . والخامس باب من قطع نفسه عن الشهوات . والسادس باب الحجاج والمعتمرين والسابع باب المجاهدين . والثامن باب الذين يغضون أبصارهم عن المحارم ويعملون الخيرات والحسنات من بر الوالدين وصلة الرحم ، وغير ذلك من الأعمال الحسنة (دقائق الأخبار) وأما الجنان فثمان : دار الجلال ، وهي من اللؤلؤ الأبيض . ودار السلام ، وهي من الياقوت الأحمر . وجنة المأوى ، وهي من الزبرجد الأخضر . وجنة الخلد ، وهي من المرجان الأصفر وجنة النعيم ، وهي من الفضة البيضاء . ودار القرار ، وهي من الذهب الأحمر . وجنة الفردوس ، وهي لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد وملاطها المسك . وجنة عدن ، وهي من درة بيضاء ومشرفة على الجنان كلها ولها بابان من ذهب وما بينهما كما بين السماء والأرض ، وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وترابها العنبر وملاطها المسك ، وفيها أنهار تجري في جميع الجنان ، وحصى الأنهار من اللؤلؤ وماؤها أبرد

من الثلج وأحلى من العسل ، وفيها نهر الكوثر ، وهو نهر محمد عليه الصلاة والسلام ، وفيها نهر الكافور ونهر التسنيم ونهر الرحيق المختوم ونهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل (دقائق الأخبار) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « ليلة أسري بي إلى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت أربعة أنهار : نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من خمر ونهر من عسل مصفى كما فى قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى) فقلت لجبرائيل عليه السلام من أين تجيء هذه الأنهار وإلى أين تذهب ؟ قال تذهب إلى حوض الكوثر ، ولكن لا أدري مجيئها ، فاسأل من الله حتى يعلمك ويريك ، فدعا عليه الصلاة والسلام ربه ، فجاء ملك فقال يا محمد غمض عينيك فغمضت عيني ، فقال افتح ففتحت فاذا أنا عند شجرة ، ورأيت عندها قبة من درة بيضاء ، ولها باب من ياقوت أخضر وقفل من ذهب أحمر لو جمعت الدنيا وما فيها ووضعت على تلك القبة لكانت مثل طائر جالس على جبل أو بيضة ألقيت عليه ، فرأيت تلك الأنهار الأربعة تجري من تحت تلك القبة ، فأردت أن أرجع ، فقال الملك لم لا تدخل فيها ؟ فقلت كيف أدخل وعلى بابها قفل ؟ قال لى مفتاحه فى يدك ، فقلت أين هو ؟ فقال : هو بسم الله الرحمن الرحيم ، فقلت بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل ، فرأيت تلك الأنهار تجرى من أربعة أركان القبة ، فلما أردت الخروج قال لى الملك : يا محمد هل رأيت فقلت رأيت ، فقال انظر ثانيا ، فنظرت فاذا على أركان القبة مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم ، فرأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ، ونهر اللبن من هاء الله ، ونهر الخمر من ميم الرحمن ، ونهر العسل من ميم الرحيم ، فعرفت أن مأخذ هذه الأنهار من البسملة ، فقال الله تعالى : يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء من أمتك ، فاني أسقيه من هذه الأنهار » (مشكاة الأنوار) وفى الخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن الله لما خلق جنة عدن دعا جبرائيل عليه السلام فقال له انطلق وانظر إلى ما خلقت لعبادي وأوليائي ، فذهب جبرائيل عليه السلام وطاف فى تلك الجنة ، فأشرفت عليه جارية من الحور العين من بعض القصور ، فتبسمت إلى جبرائيل عليه السلام فأضاءت جنة عدن من ضوء ثناياها ، فخر جبرائيل عليه السلام ساجدا يظن أنه من نور رب العزة ، فنادته الجارية يا أمين الله ارفع رأسك ، فرفع رأسه فنظر إليها ، فقال سبحان الذي خلقك ، فقالت الجارية يا أمين الله أتدري لمن خلقت ؟ فقال جبرائيل عليه السلام لمن خلقت ؟ فقالت خلقنى الله تعالى لمن آثر رضا الله تعالى على هوى نفسه » (مكاشفة القلوب) روى عن كعب أنه قال « سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن أشجار الجنة فقال عليه الصلاة والسلام : لا تيبس أغصانها ولا تتساقط أوراقها ولا تفنى أرطابها ، وإن

أكبر أشجار الجنة شجرة طوبى أصلها من درة ، ووسطها من ياقوت أحمر ، وأعلاها من الذهب ، وأغصانها من زبرجد ، وأوراقها من سندس ، وعليها سبعون ألف غصن ، وأقصى أغصانها ملحق بساق العرش ، وأدنى أغصانها فى سماء الدنيا ، ليس فى الجنة غرفة ولا قبة إلا وفيها غصن مظلل عليها ، وفيها من الثمار ما تشتهيه الأنفس ، لا نظير لها فى الدنيا إلا الشمس ، أصلها فى السماء وضوؤها فى كل مكان » (دقائق الأخبار) وفى الخبر « إن وراء الصراط صحارى فيها أشجار طيبة تحت كل شجرة عينان من ماء يتفجر من الجنة ، إحداهما عن اليمين والأخرى عن اليسار ، وللؤمنون حين يجاوزون الصراط يشربون من إحدى العينين ، فيزول عنهم الغل والخيانة والقذر والسم والبول ، فيطهر ظاهرهم وباطنهم ثم يجيئون إلى حوض آخر فيغتسلون فيه ، فتصير وجوههم كالقمر ليلة البدر ، وتلين نفوسهم كالحرير ، وتطيب أجسادهم كالمسك ، فينتهون إلى باب الجنة ، فتخرج الحور فتعانق كل واحدة زوجها وتدخل بيته ، وفى البيت سبعون سريرا ، وعلى كل سرير سبعون فراشا ، وعلى كل فراش زوجة عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من لطافة الحلل » يسرنا الله تعالى لذلك (دقائق الأخبار) روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى خلق وجوه الحور العين من أربعة ألوان : أبيض وأخضر وأصفر وأحمر ، وخلق أبدانها من الزعفران والمسك والكافور ، وشعرها من القرنفل ، ومن أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران الطيب ، ومن ركبتيها إلى ثدييها من العنبر ، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور ، ولو بزقت واحدة منهن فى الدنيا لصارت مسكا ، ومكتوب على صدرها اسم زوجها واسم من أسماء الله تعالى ، وفى يد كل منهن أسورة ، وفى أصابعها عشرة خواتم من الجواهر واللؤلؤ » (دقائق الأخبار) قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « رأيت ملائكة يبنون قصورا لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، فكفوا عن البناء ، فقلت لهم : لم كففتم عن البناء ؟ فقالوا قد تمت نفقتنا ، فقلت ما نفقتكم ؟ قالوا ذكر الله ، فان صاحب هذا القصر كان يذكر الله فلما كف عن ذكر الله تعالى كففنا عن البناء كما قال الله تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) » (زبدة الواعظين) عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على فى كل جمعة مائة مرة ، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » (زبدة الواعظين) (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة) حال كونهم (زمرا) جماعات متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل وعلو الطبقة ، وذلك قبل الحساب أو بعده يسيرا أو شديدا ، وهو الموافق لما قبل الآية من قوله (ووضع الكتاب) والسائقون هم الملائكة بأمر الله تعالى يسوقونهم مساق إعزاز وتشريف بلا تعب ولا نصب بل بروح وطرب للاسراع بهم إلى دار

الكرامة والمراد بهم المتقون عن الشرك ، فهؤلاء عوام أهل الجنة ، وفوق هؤلاء من قال الله تعالى فى حقهم (وأزلفت الجنة للمتقين) وفوقهم من قال الله تعالى فيهم (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) وفرق بين من يساق إلى الجنة وبين من قربت إليه الجنة ، وفى الحقيقة أهل السوق هم الظالمون لأنفسهم ، وأهل الزلفة المقتصدون ، وأهل الوفد السابقون . واعلم أنه إذا نفخ فى الصور نفخة الإعادة ، واستوى كل واحد من الناس على قبره يأتى كلا منهم عمله فيقول له : قم وانهض إلى المحشر ، فمن كان له عمل جيد يشخص له عمله بغلا ، ومنهم من يشخص له عمله حمارا ، ومنهم من يشخص له كبشا تارة يحمله وتارة يلقيه ، وبين يدى كل واحد منهم نور شعشانى كالمصباح وكالنجم وكالقمر وكالشمس بقدر قوة عملهم وصلاح حالهم ، وعن يمينه مثل ذلك النور ، وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة شديدة يقع فيها الكفار والمرتابون ، والمؤمن يحمد الله تعالى على ما أعطاه من النور ويهتدى به فى تلك الظلمة ، ومن الناس من يسعى على قدميه ، ومنهم من يسعى على طرف بنانه . قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « كيف يحشر الناس يارسول الله ؟ قال اثنان على بعير وخمسة على بعير وعشرة على بعير » وذلك إذا اشتركوا فى عمل يخلق الله سبحانه لهم من أعمالهم بعيرا يركبون عليه كما يبتاع جماعة مطية يتعاقبون عليها فى الطريق ، فاعمل هداك الله عملا يكون لك بعيرا خالصا من الشركة ، ومنه يعلم حال التشريك فى ثواب العمل ، فالأولى أن يهدى من المولى ، لكل واحد ثواب على حدة من غير تشريك الآخر فيه . روى « أن رجلا من بنى إسرائيل ورث من أبيه مالا كثيرا فابتاع بستانا ، فحبسه على المساكين وقال : هذا بستانى عند الله ، وفرق دراهم عديدة فى الضعفاء ، وقال : أشترى بها جوارى وعبيدا ، وأعتق رقابا كثيرة وقال هؤلاء خدمى عند الله ، والتفت يوما إلى أعمى يمشى تارة ويكبو أخرى ، فابتاع له مطية يسير عليها وقال : هذه مطيتى عند الله أركبها قال عليه الصلاة والسلام فى حقه والذى نفسى بيده لكأنى أنظر إليها وقد جىء بها إليه مسرجة ملجمة يركبها ويسير بها إلى الموقف » انتهى (من روح البيان) .

المجلس الثالث والخمسون : فى بيان استغفار الملائكة للمؤمنين

سورة غافر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين يحملون العرش ومن حوله) وهم الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا ، وحملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له ، وكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ أمره (يسبحون بحمد ربهم) يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والإكرام ، وجعل التسبيح أصلا والحمد حالا ، لأن الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح (ويؤمنون به) أخبر عنهم بالإيمان إظهارا لفضله ،

وتعظيما لأهله ، ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله (ويستغفرون للذين آمنوا) وإشعارا بأن حملة العرش وسكان العرش في معرفته سواء ردا على المجسمة ، واستغفارهم : شفاعتهم وحملهم على التوبة وإلهامهم بما يوجب المغفرة ، وفيه تنبيه على أن المشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة ، وإن تخالفت الأجناس لأنها أقوى المناسبات كما قال الله تعالى — إنما المؤمنون إخوة — (ربنا) أي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون أو حال (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمته وعلمه ، فأزيل عن أصله للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومها ، وتقديم الرحمة لأنها المقصود بالذات ههنا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم منه ، وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب (قاضي بيضاوي) .

قال الإمام محمد بن محمود السمرقندي في قوله تعالى (الذين يحملون العرش) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : إن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش ، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم . وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : إن الله تعالى نظر إلى جوهرة فصارت حمراء ، ثم نظر إليها ثانية فذابت وارتعدت من هيبة ربها ، ثم نظر إليها ثالثة فصارت ماء ، ثم نظر إليها رابعة فجمد نصفها ، فخلق من النصف العرش ومن النصف الماء ثم تركه على حاله ، فمن ثمة يرتعد إلى يوم القيامة . انتهى ما نقله السمرقندي . قال الإمام القرطبي : وأقاويل أهل التفاسير على أن العرش هو السرير ، وأنه جسم مجسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به ، كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف به والاستقبال إليه . وعن علي رضي الله عنه : أن الذين يحملون العرش أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة مسيرة خمسمائة عام ، انتهى من كلام القشيري . قال الإمام أبو الليث السمرقندي في سورة الأعراف في تفسير قوله تعالى (ثم استوى على العرش) قال بعضهم هذه من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله . وذكر عن يزيد بن مروان أنه سئل عن تأويله فقال : تأويله الإيمان به ، وذكر أن رجلا دخل على مالك بن أنس فسأله عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا ضالا فأخرجوه ، وذكر عن محمد بن جعفر نحو هذا . وعن أبي بن كعب أنه قال « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال : أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه ، فقال أبي بن كعب : يارسول الله إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ماشئت ، قال الربع ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك ،

قال الثلث ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قال النصف ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قال يارسول الله الثلثين ؟ قال عليه الصلاة والسلام ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك . قال يارسول الله فأجعل صلاتى كلها لك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إذن تكفى همك ويغفر ذنبك » (شفاء شريف) قوله (ويؤمنون به) أى يصدقون بأنه واحد لاشريك له ولانظير له . فإن قلت : الذين يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ولا يكون التسبيح إلا بعد الإيمان فما فائدة قوله ويؤمنون به ؟ قلت : فائدته التنبيه على شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه ، ولما كان الله تعالى عزوجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكمال صفاته وصفهم بالإيمان (تفسير الخازن) فإن قلت : ماالفائدة فى استغفارهم للمؤمنين وأنهم تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لايخلف الميعاد ؟ قلت : هذه بمنزلة الشفاعة ، وفائدته زيادة الكرامة والثواب (كشاف) قيل هذا الاستغفار لهم من الملائكة مقابل لقولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فلما صدر منهم ماصدر أولا تداركوا بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم ، فيجب على كل من تكلم فى حق واحد أن يستغفر له اعتذارا لقوله السابق (تفسير الخازن) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : لما خلق الله تعالى العرش أمر حملة العرش بحمله فثقل عليهم ، فقال الله تعالى : قولوا سبحان الله ، فقالت الملائكة سبحان الله فسهل الحمل عليهم ، فجعلوا يقولون طول الدهر : سبحان الله إلى أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام ، فلما خلق آدم عليه السلام وعطس وألهمه الله تعالى قول الحمد لله ، فقال الحمد لله ، وقال الله تعالى : يرحمك الله لهذا خلقتك يا آدم ، فقالت الملائكة : هذه كلمة جيدة لاينبغى لنا أن نغفل عنها فضموها لهذا ، فقالوا طول الدهر : سبحان الله والحمد لله وسهل عليهم حمل العرش فوق الأول وداموا عليه إلى أن بعث الله تعالى نوحا عليه السلام ، وكان أول من اتخذ الأصنام قوم نوح عليه السلام ، فأوحى الله تعالى إلى نوح ليأمر قومه أن يقولوا : لا إله إلا الله ورضى نوح عليه السلام عنهم ، فقالت الملائكة : هذه كلمة ثالثة جليلة فضموها إلى هاتين ، فجعلوا يقولون طول الدهر : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله إلى أن بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام ، فلما بعثه أمره بالقربان ، ثم فدى ابنه بالكبش ، فلما رأى الكبش قال : الله أكبر ، فرحا بذلك ، فقالت الملائكة : هذه كلمة رابعة شريفة فضموها إلى هذه الكلمات الثلاث ، فجعلوا يقولون طول الدهر : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فلما حدث جبرائيل عليه السلام هذا الحديث لرسول الله عليه السلام قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تعجبا : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فقال جبرائيل عليه

السلام تضم هذه الكلمة إلى هؤلاء الكلمات الأربع . (تنبيه الغافلين) قال الإمام القشيري : جاء في بعض الأخبار أن ملكا من الملائكة قال : يارب إني أريد أن أرى العرش ، فخلق الله له ثلاثين ألف جناح وطار بها ثلاثين ألف سنة ، فقال الله هل بلغت العرش ؟ فقال لم أقطع بعدعشر قامةالعرش ،فاستأذن من الله تعالى أن يعود إلى مكانه (هيئة الإسلام) قال الامام القرطبي : وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق الله تعالى بيتا في الأرض وأمر بني آدم بالطواف به تعظيما وتوقيرا (هيئة الاسلام) وقال شهربن حوشب : إن حملة العرش ثمانية ، فأربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ولك الحمد على حلمك وعلمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ؟ قال وكأنهم يرون ذنوب بني آدم فيستغفرون للذين آمنوا ويسألون الله تعالى لهم المغفرة (تفسير الخازن) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : لما خلق الله تعالى العرش العظيم فعرف أنه أعظم الخلق قال : لم يخلق الله خلقا أعظم مني ، فاهتز فخلق الله تعالى حية طوقت العرش ، ولنحية سبعون ألف جناح ، وفي كل جناح سبعون ألف ريشة ، وفي كل ريشة سبعون ألف وجه ، وفي كل وجه سبعون ألف فم ، وفي كل فم سبعون ألف لسان ، يخرج من أفواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطرالمطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصى وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين ، فالتوت الحية بالعرش فالعرش نصف الحية (هيئة الاسلام) . حكى عن بعض أهل العلم أنه كان قبل أن يخلق الله تعالى الأرض مكان العرش ماء ، والعرش مستقر على الماء ، فأمر الله تعالى العرش أن يصعد فوق الماء فارتفع ، فجعل يعلو فصار الماء الذي في موضعه كعبة وشيع العرش وصعد معه إلى ما شاء الله ، فأمر بالرجوع إلى موضعه فقال : لولا أن الله أمرني أن أرجع إلى مقرى لشيعتك إلى مكانك ، فأوحى الله تعالى إلى ذلك الماء إنك لما أكرمت العرش وشيعته لأجلي جعلت مكانك أفضل البقاع ، وجعلته قبلة للخلائق ومظنة لطلب الحوائج ؟ ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « من شيع ضيفا سبع خطوات أغلق الله عنه سبعة أبواب جهنم ، وإذا شيعه ثماني خطوات فتح الله عليه ثمانيه أبواب الجنة حتى يدخلها من أى باب شاء » (حقائق) وذكر أن أول شيء خلقه الله تعالى القلم ثم اللوح ،فأمر القلم بأن يكتب في اللوح ماهو كائن إلى يوم القيامة ، ثم خلق ما شاء على حسب المشيئة الأزلية ، ثم خلق العرش ، ثم خلق حملة العرش ، ثم السموات والأرض ، وإنما خلق العرش لأجل عباده ليعلموا إلى أين يتوجهون في دعائهم لكيلا يتحيروا في الدعاء ، كما خلق الكعبة ليعلموا إلى أين يتوجهون في العبادة ،انتهى ماقاله السمرقندي.

قال الثعلبي في قوله تعالى (ويحمل عرش ربك) عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أنه قال : إن الله تعـالى خلق العرش ولم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء ، الهواء والقلم والنون ، ثم خلق العرش من أنوار مختلفة ، من ذلك نور أخضر اخضرت منه الخضرة ، ونور أصفر اصفرت منه الصفرة ، ونور أحمر احمرت منه الحمرة ، ونور أبيض فنه نور الأنوار ومنه ضوء النهار ، ثم جعله سبعين ألف ألف طبق ، ليس من ذلك طبق إلا يسبح الله ويحمده ويقدسه بأصوات مختلفة لو أذن الله تعـالى للأشياء أن تسمع ذلك لتهدمت الجبال والقصور وانخسفت البحار ، وقال في قوله تعـالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) حدثنا جعفر بن محمـد عن أبيه عن جده أنه قال : في العرش تمثال ما خلق الله تعالى في البر والبحر وهو تأويل قوله تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) وفي الخبر « إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة » اهـ ما نقله الثعلبي قاله الإمام البغوى في تفسير قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : الكرسي موضوع أمام العرش ، ومعنى وسع : أي سعتـه مثل السموات والأرض . وقال علي ومقاتل : كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين وهو بين يدى العرش انتهى كلامه . قال العلامة السيوطي : أخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسـلام « يا أبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة » وأخرج أبو الشيخ عن حمـاد قال « خلق الله العرش من زمردة خضراء ، وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمـراء وخلق له ألف لسان ، وخلق في الأرض ألف أمة ، تسبح كل أمة بلسان من ألسن العرش » وأخرج أبو الشيخ عن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال « خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده آدم عليه السلام والعرش والقلم وجنة عدن ، وقال لسائر الخلق كن فـكان » وأخرج أبو الشيخ عن عثمان بن سعد الدارمي في الرد على الجهمية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سيد السموات العرش اهـ .

ولقد فصلنا الكلام في هذا المقام كيلا تخفى أوصاف العرش على الأنام .

المجلس الرابع والخمسون : في فضيلة الاستقامة

سورة فصلت — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن الذين قالوا ربنا الله) اعترافا بربوبيته وإقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) في العمل وثم لتراخيه عن الإقرار في الرتبـة من حيث إنه مبدأ الاستقامة أو لأنها عسيرة قلما تتبع الاقرار . وما روى عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان وإخلاص

العمل وأداء الفرائض ، فجزئياتها (تتنزل عليهم الملائكة) فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن أو عند الموت أو الخروج من القبر (ألا تخافوا) ماتقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ماخلفتم ، وأن مصدرية أومخففة مقدرة بالباء أو مفسرة (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا على لسان الرسل (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة (وفي الآخرة) بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) في الآخرة (ماتشتهي أنفسكم) من اللذائذ (ولكم فيها ماتدعون) ماتتمنون من الدعاء بمعنى الطلب ، وهو أعم من الأول (نزلا من غفور رحيم) حال مماتدعون للاشعار بأن ما يتمنون بالنسبة إلى مايعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف (قاضي بيضاوي) .

عن أبي طلحة رضى الله تعالى عنه أنه قال : « دخلت على النبي عليه الصلاة والسلام فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره قط ، فسألته فقال : وما يمنعني وقد خرج جبرائيل عليه السلام آنفا ، فأتاني ببشارة من ربي فقال : إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك إلا صلى الله تعالى عليه والملائكة بها عشرا » (شفاء شريف) قالوا في سبب النزول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : إنها نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، فان المشركين قالوا : ربنا الله والملائكة بنات الله ، واليهود قالوا ربنا الله وعزير ابن الله ومحمد ليس بنبي وأبو بكر قال ربنا الله وحده لاشريك له ومحمد عبده ورسوله فاستقام ، ومعنى الآية : إن الذين أقروا بوحدانية الله ونفوا عنه الأنداد والصاحبة والأولاد ثم أقاموا على طاعته وأداء فرائضه مخلصين له الدين إلى حين موتهم (تفسير) قال بعضهم : المراد من الاستقامة أخذ الميثاق في عالم الأرواح ويقال الاستقامة في الظاهر والباطن . فاستقامة العوام في الظاهر الامتثال بالأوامر والاجتناب عن المناهي ، وفي الباطن الإيمان والتصديق . واستقامة الخواص في الظاهر بالتجريد عن الدنيا وترك زينتها وشهواتها . وفي الباطن بالتفريد عن نعيم الجنان شوقا إلى لقاء الرحمن (شهاب الدين) سئل أبوبكر رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال : أن لا تشرك بالله شيئا . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب . وقال عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه : الاستقامة الإخلاص . وقال على رضى الله تعالى عنه : الاستقامة أداء الفرائض (معالم التنزيل) وقال بعض أهل الحق : الاستقامة على ثلاثة أضرب استقامة باللسان واستقامة بالجنان واستقامة بالنفس . فالاستقامة باللسان المداومة على كلمة الشهادة . والاستقامة بالجنان المداومة على صدق الإرادة . والاستقامة بالنفس المداومة على العبادات والطاعات . قال بعضهم : الاستقامة بأربعة أشياء الطاعة في مقابلة

الأمر ، والتقوى فى مقابلة النهى ، والشكر فى مقابلة النعمة ، والصبر فى مقابلة المحنة ، وتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى : فتمام الطاعة بالإخلاص ، وتمام التقوى بالتوبة ، وتمام الشكر بمعرفة العجز ، وتمام الصبر بالانقطاع (إمام نسفى) قال الفقيه أبو الليث : علامة الاستقامة أن يراعى عشرة أشياء فريضة على نفسه : الأول حفظ اللسان عن الغيبة لقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) والثانى الاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى (اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) ولقوله عليه الصلاة والسلام « إياكم وسوء الظن فإنه أكذب الحديث » والثالث الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) والرابع غض البصر عن المحارم لقوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) والخامس صدق اللسان لقوله تعالى (وإذا قلتم فاعدلوا) والسادس الإنفاق فى سبيل الله لقوله تعالى (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) والسابع أن لا يسرف لقوله تعالى (ولا تبذر تبذيرا) والثامن أن لا يطلب العلو والكبر لنفسه لقوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) والتاسع المحافظة على الصلوات الخمس لقوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) والعاشر الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (تنبيه الغافلين) عن أبى بكر الرازى أنه قال : الإيمان فى قلب المؤمن كشجرة لها سبعة أغصان : غصن ينتهى إلى قلبه وثمرته صحة الإرادة ، وغصن ينتهى إلى لسانه وثمرته صدق المقالة ، وغصن ينتهى إلى رجليه وثمرته المشى إلى الجماعة ، وغصن ينتهى إلى يديه وثمرته إعطاء الصدقة ، وغصن ينتهى إلى عينيه وثمرته النظر إلى العبرات ، وغصن ينتهى إلى جوفه وثمرته أكل الحلال وترك الشبهات ، وغصن ينتهى إلى نفسه وثمرته ترك الشهوات (رجبية) وفى الخبر « إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى الخلائق من قبورهم ، فتأتى الملائكة إلى رءوس المؤمنين ويمسحون رءوسهم من التراب ، فينتثر التراب منهم إلا من جباههم مواضع سجودهم فتمسح الملائكة تلك المواضع فلا يذهب التراب منها ، فينادى لهم : يا ملائكتى ليس ذلك التراب من قبورهم إنما هو تراب محاريبهم ، دعوه عليهم حتى يعبروا الصراط ويدخلوا الجنة ، حتى إن من نظر إليهم يعرف أنهم خواص عبادى » (زهرة الرياض) المبشرون ثلاثة : محمد عليه الصلاة والسلام فى الدنيا بقوله تعالى (وبشر الصابرين) وغير ذلك ، والملائكة فى وقت النزع بقوله تعالى (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) والله تعالى بقوله تعالى (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان) الآية (روضة العلماء) يقال البشارة عند الموت على خمسة أوجه : الأول لعامة المؤمنين يقال لهم : لا تخافوا بتأبيد العذاب : يعنى لا تبقون فى العذاب أبدا ، وتشفع

الأنبياء والصالحون ، ولا تحزنوا على فوت الثواب وأبشروا بالجنة : يعنى مرجعكم الجنة . والثانى للمخلصين يقال لهم : لاتخافوا على رد أعمالكم ، فان أعمالكم مقبولة ، ولا تحزنوا على فوت الثواب فان الثواب مضاعف لكم . والثالث للتائبين يقال لهم لاتخافوا على ذنوبكم فإن ذنوبكم مغفورة ولا تحزنوا على فوت الثواب على مافعلتم بعد التوبة يبدل الله سيئاتكم إلى الحسنات . والرابع للزهاد يقال لهم لاتخافوا الحشر والحساب ولا تحزنوا على نقصان الأضعاف وأبشروا بالجنة بلا حساب ولا عذاب . والخامس للعلماء الذين يعلمون الناس الخير وعملوا بالعلم يقال لهم : لاتخافوا من أهوال القيامة فانه يجزيكم بما عملتم ، وأبشروا بالجنة لكم ولمن اقتدى بكم ، وطوبى لمن كان ختم عمره بالبشارة ، وإنما تكون البشارة لمن كان مؤمنا محسنا فى عمله ، تنزل عليهم الملائكة فيقولون من أنتم ، فما رأينا أحسن وجوها ولا أطيب ريحا منكم ؟ فيقولون نحن أولياؤكم : يعنى حفظناكم ، وكنا نكتب أعمالكم فى الدنيا . فينبغى للعاقل أن ينتبه من الغفلة ، وعلامة الانتباه أربعة أشياء : الأول أن يدبر أمور الدنيا بالقناعة والتسويف : والثانى أن يدبر أمور الآخرة بالحرص والتعجيل . والثالث أن يدبر أمور الدين بالعلم والاجتهاد . والرابع أن يدبر أمور الخلق بالنصيحة والمودة والمداراة . ويقال أفضل الناس من فيه خمس خصال : الأولى أن يكون مقيما على عبادة ربه . والثانية أن يكون مخلصا ظاهرا وباطنا . والثالثة أن يكون الناس من شره آمنين . والرابعة أن يكون مما فى أيدى الناس آيسا . والخامسة أن يكون مستعدا للموت (تنبيه الغافلين) . وأما استعداد الموت وفائدته فما روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « أكثروا ذكر هاذم اللذات » وهو الموت ، وهذا الحديث من حسان المصابيح ، ومعناه أن الموت يكسر كل لذة فأكثروا ذكره حتى تستعدوا له ، فان قوله عليه الصلاة والسلام « أكثروا ذكر هاذم اللذات » كلام موجز مختصر لكن جمع فيه جميع المواعظ ، فان من ذكر الموت حقيقة ينغص عليه لذته الحاضرة ويمنعه من تمنيها فى المستقبل ، ويزهده فيما يؤملمنها ، لكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تكثير اللفظ وتطويل الوعظ ، وإلا فى قوله عليه الصلاة والسلام « أكثروا ذكر هاذم اللذات » مع قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) مايكفى السامع له والناظر فيه ، لأن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه فى كل لحظة إلى الدار الباقية ، إذ قد قال العلماء : الموت ليس بعدم محض ولافناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقته عنه وتبدل من حال إلى حال وانتقال من دار إلى دار ، كما قال عليه الصلاة والسلام « المؤمنون لايموتون بل ينقلبون » وهو من أعظم المصائب ، وقد سماه الله مصيبة حيث قال (فأصابتكم مصيبة الموت) فالموت هو المصيبة العظمى وأعظم منه الغفلة عنه وعدم ذكره وقلة التفكر فيه مع أن فيه وحده عبرة

لمن اعتبر . وقد قال القرطبي في تذكرته : إن الأمة قد اجتمعت على أن للموت ليس له سن معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم ، وإنما كان كذلك ليكون المرء على أهبة منه مستعد الله ، لكن من غلب عليه حب الدنيا والانهماك في لذاتها لا محالة يغفل عن ذكره ولا يذكره بل إن ذكر عنده يكرهه وينفر منه طبعه لأن غلبة حب الدنيا في قلبه ورسوخ علاقتها فيه عنه عن التفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها ولا يحب ذكره ، وإن ذكره ، يذكره للتأسف على الدنيا ويشتغل بذمه ويزيده ذكره بعداً من الله . ولقد أطلنا الكلام في حق الموت (مجالس الرومى) قال يحيى بن معاذ قدس سره : للمستقيم علامات : السعى في طاعة الله تعالى من غير علاقة ، والنصح للعامة من غير طمع ، والتعبد للحق مع قلب وجل ، والاعتبار بما يرى في الدنيا من غير شهوة ، والتفكر في المعاد من غير غفلة (كذا في الخالصة) فمن كان حاله هكذا بشر عند الموت بالكرامة والسعادة والزلفى . روى أنه لما حضرت وفاة الشيخ أبي على الروذبارى رحمه الله تعالى فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول : يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تسألها وأعطيناك درجة الأكابر وإن لم ترجها . (حكى) أنه لما مات سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى أكب الناس على جنازته ، وكان في البلد شيخ يهودى عمره قد أناف عن السبعين سنة فسمع الصيحة فخرج لينظر ما هو ، فلما نظر إلى الجنازة قال أترون ما أرى قالوا وما ترى ؟ قال : أرى قوما ينزلون من السماء ويتبركون بهذه الجنازة ثم أسلم وحسن إسلامه (كذا في روض الرياحين) . .

المجلس الخامس والخمسون : في فضيلة التوبة

سورة الشورى — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه ، والقبول يتعدى إلى مفعول ثان بعن وعن لتضمنه معنى الأخذ والإبانة ، وقد عرفت حقيقة التوبة . وعن على رضى الله عنه : هى اسم يقع على ستة معان : على الماضى من الذنوب بالندامة ، ولتضييع الفرائض بالإعادة ، ورد المظالم ، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفوا عن السيئات) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم ما يفعلون) فيجازى ويتجاوز عن إتقان وحكمة . وقرأ حمزة والكسائى وحفص « ويعلم ما تفعلون » بالتاء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يستجيب الله لهم ، فحذف اللام كما حذف في « وإذا كالوهم » والمراد إجابة الدعاء والإثابة على الطاعة ، فإنها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « أفضل الدعاء الحمد لله » أو يستجيبون لله بالطاعة إذا دعاهم إليها

(ويزيدهم من فضله) على ما سألوه واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل (قاضي بيضاوى) .

روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا يرى وجهى ثلاثة : عاق الوالدين ، وتارك سنتى ، ومن ذكرت عنده فلم يصل على » صدق من نطق . لما نزلت هذه الآية (ورحمتى وسعت كل شىء) تطاول إبليس عليه اللعنة فقال : أنا شىء من الأشياء يكون لى نصيب من رحمة الله وتطاول اليهود والنصارى ، فلما نزل قوله تعالى (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) يعنى سأجعلها للذين يتقون الشرك ويؤتون الزكاة (والذين هم بآياتنا يؤمنون) يعنى يصدقون بآياتنا يئس إبليس من رحمة الله تعالى ، وقالت اليهود والنصارى : نحن نتقى الشرك ونؤتى الزكاة ونؤمن بآيات الله تعالى حتى نزل قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) يعنى يصدقون بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيئس اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة . وهذه الآية فى سورة الأعراف (تنبيه الغافلين) قيل العجلة من الشيطان ، لكن العجلة سنة فى خمسة مواضع : فى دفن الميت ، وفى تزويج البنات ، وفى أداء الديون ، وفى التوبة بعد المعصية ، وفى إحضار الطعام للمسافر (تفسير كبير) عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « إن لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار » وقال عليه الصلاة والسلام « أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة » وقال عليه الصلاة والسلام « من لم يستغفر الله فى كل يوم مرتين فقد ظلم نفسه » وعن شداد بن أوس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » الحديث . (حكاية) كان فى بنى إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ، ثم نظر يوما فى مرآة ، فرأى فى لحيته شعرا أبيض ، فحزن لذلك فقال : إلهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة ، فإن رجعت إليك أتقبلنى ؟ فسمع قائلا يقول : أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك ، فإن رجعت إلينا قبلناك (حياة القلوب) . حكى عن الشيخ الإمام أبى نصر السمرقندى أنه قال : كان الحسن البصرى فى أول حاله شابا مليحا يلبس أحسن الثياب ويطوف فى دور البصرة ويتفرج فيها ، فبينما هو يمشى يوما من الأيام إذ رأى امرأة ذات جمال وحسن قامة ، فمشى خلفها فالتفتت إليه وقالت : أما تستحى ؟ فقال الحسن ممن ؟ فقالت ممن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، قال فوقع فى قلبه شىء ولكن لم يصبر ولم يتمالك نفسه ولم يرجع

من خلفها ، فقالت لماذا تجيء ؟ فقال لها إنى فتنت بعينيك ، فقالت له اقعد حتى أبعث لك بمرادك ، فحسب الحسن أنه قد شغفها كما شغفته ، فقعد فإذا بجارية معها طبق مغطى بمنديل ، فكشف عن الطبق فإذا عيناها على الطبق ، فقالت الجارية له : إن سيدتى تقول : لا أريد عينا يفتتن بسببها أحد ، فلما رأى وسمع ذلك منها اقشعر جلده ، وأمسك لحيته بيده وقال لنفسه : أف لك من لحية تكون أقل من امرأة ، وتدم وتاب فى تلك الساعة ورجع إلى بيته وبات باكيا ، فلما أصبح جاء إلى دار تلك المرأة لأن يستحل منها ، فإذا هو قد رأى باب دارها قد سد والنائحات ينحن ، فسأل عن ذلك ؟ فقيل قد توفيت صاحبة هذه الدار ، فانصرف وبكى إلى آخر ثلاثة أيام ، فرآها فى الليلة الثالثة وهى فى الجنة جالسة ، فقال لها اجعليني فى حل ، قالت جعلتك فيه لأنى قد نلت من الله خيرا كثيرا بسببك ، فقال لها عظيني ، قالت : إذا خلوت فاذكر الله تعالى ، وإذا أصبحت وأمسيت فاستغفر الله وتب إلى الله ، فقبل قولها وكان مشهورا بين الناس بالزهد والطاعة ، وأصاب من الدرجة ما أصاب عند الله ، وكان من أولياء الله تعالى (جواهر البخارى)

وذكر أن آدم عليه الصلاة والسلام قال : إن الله تعالى أعطى أمة محمد عليه الصلاة والسلام أربع كرامات ما أعطانيها : الأولى أن قبول توبتى كان بمكة وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يتوبون فى كل مكان فيتقبل الله تعالى توبتهم . والثانية أنى كنت لابسا فلما عصيت جعلنى عريانا وأمة محمد يعصون عرايا فيلبسهم الله تعالى . والثالثة أنى لما عصيت فرق بينى وبين امرأتى وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يعصون الله ولا يفرق بينهم وبين أزواجهم . والرابعة أنى عصيت فى الجنة فأخرجنى منها وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يعصون الله خارج الجنة فيدخلونها إذا تابوا (تنبيه الغافلين) . وحكى أنه كان فى بنى إسرائيل امرأة بغى وكانت فاتنة للناس بجمالها ، وكان باب دارها مفتوحا وهى قاعدة فى دارها على السرير حذاء الباب فكل من نظر إليها افتتن بها ، فطلب رجل أن يأتى إليها بعشرة دنانير أو أكثر حتى يؤذن له فى الدخول عليها ، فمر على بابها ذات يوم عابد من العباد ، فوقع بصره عليها فى الدار فافتتن بها وجعل يجاهد نفسه ويدعو الله أن يزول ذلك عن قلبه ، فلم يزل ولم يملك نفسه حتى باع أقمشته وما كان له ، وجمع من الدنانير ما يحتاج إليه ، فجاء إلى دارها فأمرته بأن يسلم ذلك إلى جار لها وكيل عنها ووعدته وقتا لمجيئه ، فجاء إليها فى ذلك الوقت وقد تزينت بنفسها وجلست على السرير فى بيتها ، فدخل عليها العابد وجلس معها على السرير ، فلما مد يده إليها تداركه الله برحمته وببركة عبادته وتوبته المتقدمة ، فوقع فى قلبه أن الله يراه فى هذه الحالة وقد حبط عمله كله ، فوقعت الهيبة فى قلبه وارتعدت فرائصه وتغير لونه ، فنظرت المرأة إليه فرأته متغير اللون ، فقالت له :

ما الذي أصابك ؟ قال إني أخاف الله فأذني لي في الخروج ، فقالت ويحك إن كثيرا ليتمنون الذي وجدته ، فأي شيء هـذا الذي أنت فيه ؟ فقال لها إني أخاف الله ، وإن المال الذي دفعته هو لك حلال فأذني لي في الخروج ، فقالت له : ألم تعمل هذا العمل قط ؟ قال لا ، فقالت له من أين أنت وما اسمك ؟ فأخبرها أنه من قرية كذا واسمه كذا فأذنت له في الخروج من عندها وهو يدعو بالويل والثبور ويبكي على نفسه ، فوقعت الهيبة في قلب المرأة ببركة ذلك العابد ، فقالت في نفسها إن هذا أول ذنب شرع فيه هذا الرجل وقد دخل عليه من الخوف ما دخل ، وإني قد أذنبت منذ كذا وكذا سنة ، وإن ربه الذي هو يخاف منه هو ربي ، وخوفي منه ينبغي أن يكون أشد ، فتابت إلى الله وأغلقت بابها عن الناس ، ولبست ثيابا خلقة وأقبلت على الله ، فكانت في عبادتها ما شاء الله ، فقالت في نفسها إني لو انتهيت إلى ذلك الرجل فلعله يتزوجني ، فأكون عنده وأتعلم منه أمر ديني ويكون عونا لي على عبادة الله ، فتجهزت وحملت من الأموال والخدام ما شاءت ، فانتهت إلى تلك القرية وسألت عنه ، وأخبر العابد أن امرأة قدمت تسأل عنه فخرج العابد إليها ، فلما رأته المرأة كشفت عن وجهها لكي يعرفها ، فلما رآها عرفها العابد وتذكر الذي كان بينه وبينها ، فصاح صيحة فخرجت روحه فبقيت المرأة حزينة وقالت : إني خرجت لأجله وقد مات ، فهل له أهل من أقربائه يحتاج إلى امرأة ؟ فقالوا إن له أخا صالحا ولكنه معسر ليس له مال ، فقالت لا بأس فان لي من المال ما فيه غناء ، فجاء أخوه ، فتزوج بها فولد بينهما سبعة من البنين كلهم صاروا أنبياء في بني إسرائيل (١) ببركة التوبة والحمد لله (كذا نقل عن البخاري عليه رحمة الباري) قال الإمام الزندوسي رحمه الله تعالى سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن الفضل يقول : قالت الحكماء من رزق أربعا لم يحرم أربعا : من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى (إنه كان غفارا) ومن رزق الشكر لم يحرم المزيد لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات) (كذا في روضة العلماء) عن أبي هاشم الصوفي رحمه الله تعالى قال : أردت البصرة فجئت إلى سفينة أركبها ، وفيها رجل معه جارية ، فقال لي الرجل ليس ههنا موضع ، فسألته الجارية أن يحملني ففعل ، فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع ، فقالت ادع ذلك المسكين ليتغدى معنا ، فجئت على أني

---

(١) هذه الحكاية وأمثالها فيها من البشاعة وتشويه الدين ما لا يمكن تصوره لما هو معلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصلابهم طاهرة من السفاح كما تشهد بذلك الأحاديث الصحيحة اهـ .

مسكين ، فلما تغدينا قال يا جارية هاتى شرابك فشرب وأمرها أن تسقينى ، فقالت يرحمك الله إن للضيف حقا فتركنى ، فلما دب فيه الشراب قال يا جارية هاتى عودك وهاتى ما عندك ، فأخذت العود وغنت ، ثم التفت الرجل إلى فقال أتحسن مثل هذا ؟ قلت عندى ما هو أحسن وخير منه ، فقال قل ، فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأت (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت) فجعل الرجل يبكى ، فلما انتهيت إلى قوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال يا جارية اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى ، وألقى ما معه من الشراب وكسر العود ، ثم دعانى فاعتنقنى وقال : يا أخى أترى أن الله يقبل توبتى ؟ فقلت : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وواخيته واصطحبنا بعد ذلك أربعين سنة حتى مات فرأيته فى المنام فقلت له إلام صرت ؟ فقال إلى الجنة ، قلت بماذا ؟ قال بقراءتك على (وإذا الصحف نشرت) انتهى (من الموعظة) .

المجلس السادس والخمسون : فى فضيلة شهر شعبان المعظم

سورة الشورى — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الله لطيف بعباده) يريهم بصنوف من البر لاتبلغها الأفهام (يرزق من يشاء) أى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته (وهو القوى) الباهر القدرة (العزيز) المنيع الذى لايغلب (من كان يريد حرث الآخرة) ثوابها شبهه بالزرع من حيث إنه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل : الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الأصل إلقاء البذر فى الأرض ويقال للزرع الحاصل منه (نزد له فى حرثه) فنعطيه بالواحدة عشرا إلى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) شيئا منها على ما قسمناه له (وما له فى الآخرة من نصيب) إذ الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى (قاضى بيضاوى) .

عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى خلق بحرا من نور تحت العرش ثم خلق ملكا له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الأرض السابعة ، فإذا صلى العبد على فى شهر شعبان أمر الله تعالى ذلك الملك أن يغمس فى ماء الحياة ، فيغمس ذلك الملك ثم يخرج منه فينفض جناحيه فيقطر من كل ريشة قطرات ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة » (زبدة الواعظين) قيل الله لطيف بهم بالأرزاق ، من الطيبات ولم تدفع إليهم جملة . وقيل الله لطيف بعباده : يعنى يرحم من لا يرحم نفسه بالعناية والرحمة ، وبالشوق إلى طاعته وطاعة رسوله بعد الرجوع عن صفة الناقين ، وقيل الله لطيف بعباده : يعنى يرحم التائبين والمستغفرين . قال عليه الصلاة والسلام : « ما من صوت أحب إلى الله تعالى من صوت عبد

مذنب تاب إلى الله تعالى فيقول لبيك ياعبدى سل ماتريد » وقيل الله لطيف أى رفيق ، وقيل الله لطيف بالبر والاحسان بحيث لم يهلكهم بمعاصيهم ويرزق من يعصيه . وقيل الله لطيف : أى الذى يستقل الكثير من عطائه ويستكثر القليل من الطاعة من عباده ، حيث قال فى كلامه القديم (قل متاع الدنيا قليل) (زهرة الرياض) وقال بعضهم : الله لطيف بعباده فى العرض والمحاسبة كما جاء فى الخبر « يؤتى بعبد يوم القيامة وتعرض سيئاته فيقول الله تعالى : أما استحييت منى إذ عصيتنى ؟ فيرفع العبد صوته ببكاء شديد ، فيقول الله احفظ صوتك حتى لايسمع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف أنى سترتها فى الدنيا وأنا أغفرها اليوم ، فيبكى أشد منه من فرحه ، فيسمع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول إلهى أنت أرحم الراحمين هبه لى ، فيقول الله تعالى : وهبته لك ولا تحزن يا حبيبى » (زهرة الرياض) عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « فضل شعبان على سائر الشهور كفضلى على سائر الأنبياء ، وفضل رمضان على سائر الشهور كفضل الله تعالى على عباده » كما قال الله تعالى (ويختار ما كان لهم الخيرة) لأن النبى عليه الصلاة والسلام كان يصوم شعبان كله ويقول : « يرفع الله أعمال العباد كلها فى هذا الشهر » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « أتدرون لم سمى شعبان ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ؟ قال لأنه يتشعب فيه خير كثير » (روضة العلماء) أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن يصيبه الضرر » وفى رواية لمسلم « وأخر تسعة وتسعين يرحم الله تعالى بها عباده يوم القيامة » (طريقة محمدية) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « أتانى جبريل ليلة النصف من شعبان وقال : يا محمد هذه ليلة تفتح فيها أبواب السماء وأبواب الرحمة ، فقم وصل وارفع رأسك ويديك إلى السماء ، فقلت ياجبرائيل : ما هذه الليلة ؟ فقال هذه ليلة يفتح فيها ثلثمائة باب من الرحمة ، فيغفر الله تعالى لجميع من لا يشرك بالله شيئا إلا من كان ساحرا أو كاهنا أو مشاحنا أو مدمن خمر أو مصرا على الزنا أو آكل الربا أو عاق الوالدين أو النمام أو قاطع الرحم ، فان هؤلاء لايغفر لهم حتى يتوبوا ويتركوا ، فخرج النبى عليه الصلاة والسلام فصلى وبكى فى سجوده وهو يقول : اللهم إنى أعوذ بك من عقابك وسخطك ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد حتى ترضى » (زبدة الواعظين) وعن يحيى بن معاذ أنه قال : إن فى شعبان خمسة أحرف يعطى بكل حرف عطية للمؤمنين : بالشين الشرف والشفاعة ، وبالعين العزة والكرامة ، وبالباء البر ، وبالألف الألفة ، وبالنون النور ، ولذا قيل : رجب لتطهير البدن وشعبان لتطهير القلب ورمضان لتطهير الروح ،

فان من يطهر البدن فى رجب يطهر القلب فى شعبان ، ومن يطهر القلب فى شعبان يطهر الروح فى رمضان ، فان لم يطهر البدن فى رجب والقلب فى شعبان ، فمتى يطهر الروح فى رمضان ؟ ولذا قال بعض الحكماء ، إن رجب للاستغفار من الذنوب ، وشعبان لإصلاح القلب من العيوب ، ورمضان لتنوير القلوب ، وليلة القدر للتقرب إلى الله تعالى (زبدة الواعظين) روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من صام ثلاثة أيام من أول شعبان وثلاثة من أوسطه وثلاثة من آخره كتب الله له ثواب سبعين نبيا ، وكان كمن عبد الله تعالى سبعين عاما ، وإن مات فى تلك السنة مات شهيدا » وقال عليه الصلاة والسلام « من عظم شعبان واتقى الله تعالى وعمل بطاعته وأمسك نفسه عن المعصية غفر الله تعالى ذنوبه ، وآمنه من كل مايكون فى تلك السنة من البلايا والأمراض كلها » (زبدة الواعظين) .

حكى عن محمد بن عبد الله الزاهدى أنه قال : مات صديقى أبو حفص الكبير فصليت على جنازته ولم أزر قبره ثمانية أشهر ، ثم قصدت زيارته ، ونمت الليل فرأيته متغير اللون مصفر الوجه ، فسلمت عليه فلم يرد السلام على ، فقلت سبحان الله لم لم ترد على السلام ؟ فقال رد السلام عبادة ونحن مقطوعون عن العبادة ، فقلت مالى أراك متغير الوجه وقد كنت حسن الوجه ؟ فقال لما وضعت فى قبرى جاء ملك فقام على رأسى وقال ياشيخ السوء ، وعد ذنوبى وسوء أفعالى وضربنى بعمود فاشتعل جسدى نارا ، ثم تكلم معى قبرى فقال : أما استحييت من ربى ، ثم ضغطنى ضغطة حتى اختلفت أضلاعى وانقطعت مفاصلى وبقيت فى العذاب إلى الليلة التى أهل فيها هلال شعبان ، فاذا أنا بمناد ينادى من فوقى أيها الملك ارفع عنه ، فانه أحيا ليلة من شعبان فى عمره وصام يوما من أيامه ، فرفع الله تعالى العذاب عنى بحرمة قيامى ليلة من شعبان وصيام يوم منه ، ثم بشرنى بالجنة والرحمة . ولذا قال النبى عليه الصلاة والسلام « من أحيا ليلة العيدين وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه حين تموت القلوب » (زهرة الرياض) روى عن عطاء بن يسار رضى الله عنه أنه قال : مامن ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة نصف شعبان . وقد ورد فى فضلها أحاديث أخر متعددة . وكان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم رحمهم الله يعظمونها ويجتهدون بالعبادة فيها . فلما اشتهر ذلك عنهم فى البلدان اختلف الناس فى ذلك ، فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمها لكن أكثر العلماء من أهل الحجاز أنكروا ذلك ، وقالوا ذلك كله بدعة ، والحق أن المؤمن إذا اشتغل فى تلك الليلة الخاصة بأنواع العبادات من الصلاة والتلاوة والذكر والدعاء يجوز ولايكره . وأما الاجتماع فيها فى المساجد والجوامع لصلاة النافلة بالجماعة الكثيرة كما هو المعتاد فى زماننا فيكره ، وهذا قول الأوزاعى إمام أهل الشام وعالمهم وفقيههم ، وهكذا إسراج السرج الكثيرة فى المساجد وإيقاد القناديل الكثيرة

فى الجوامع فى تلك الليلة لايجوز ، لما ذكر فى القنية أن إسراج السرج الكثيرة ليلة البراءة فى السكك والأسواق بدعة وكذا فى المساجد ، ويضمن القيم بل لو ذكره الواقف وشرطه لايعتبر ذلك شرعا ، وإن لم يكن من مال الوقف بل تبرع به يكون ذلك تبذيرا ، وإضاعة للمال والتبذير حرام بنص القرآن ، وقد نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن إضاعة المال ، واعتقادأن ذلك قربة من أعظم البدع وأقبح السيئات وكذا التنفل فى تلك الليلة بالجماعة الكثيرة بدعة قبيحة يجب الاجتناب عنها ، لأن الفقهاء قد اتفقوا على كراهة الجماعة فى النوافل ، ماعدا التراويح والاستسقاء والكسوف إذا كان سوى الإمام أربعة ، والصلاة التى تصلى فى تلك الليلة بالجماعة الكثيرة وتسمى صلاة البراءة بدعة أيضا لعدم وقوعها فى عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والتابعين رحمهم الله تعالى ، بل إنما ظهرت بعد المائة الرابعة من الهجرة فانها حدثت فى المسجد الأقصى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة . وأصلها على ماذكره الإمام الطرطوسى : أن رجلا قدم بيت المقدس فقام يصلى ليلة النصف من شعبان فى المسجد الأقصى فأحرم خلفه واحد ثم ثان ثم ثالث ثم رابع فما أتمها إلا وهم جمع كثير ثم جاء فى العام الآتى فصلى معه خلق كثير ثم شاعت فى المساجد وانتشرت فى البلاد واستقرت سنة بين العباد ، وقد ذمها العلماء من أعيان المتأخرين وصرحوا بأنها بدعة قبيحة مشتملة على منكرات ؛ فعلى هذا ينبغى للعاجز عن تغيير تلك المنكرات أن لايحضر الجماعة فى تلك الليلة بل يصلى فى بيته إن لم يجد مسجدا سالما من هذه البدعة ، لأن الصلاة فى المسجد بالجماعة سنة ، وتكثير سواد أهل البدع منهى عنه ، وترك المنهى عنه واجب ، وفعل الواجب متعين ، لاسيما لما كان مشهورا بين الناس بالعلم والزهد ، فان الواجب عليه أن لايحضر فى مسجد شاهد فيه هذه المنكرات ، لأن حضوره مع عدم الإنكار يوهم العامة أن هذه الأفعال مباحة أو مندوب إليها ، فيكون حضوره شبهة عظيمة فى ظن العوام أن تلك الأفعال مستحسنة شرعا ، فاذا ترك عادته ولم يجئ المسجد فى تلك الليلة وأنكر بقلبه لعجزه عن تغييره بيده ولسانه يسلم من الإثم ولا يقتدى به غيره ، بل يستشعر بعض الناس من عدم حضوره أن هذه الأفعال غير مرضية عند الله ، بل هى بدعة لايسوغها الشرع ولايرضاها أهل الدين ، فربما يمتنع بعض الناس عن ذلك ، فيحصل له الثواب بفعل مايقدر عليه من الإنكار بالقلب والامتناع عن الحضور .

والحاصل أن تلك الليلة وإن ورد فى فضلها أحاديث متعددة ، لكن ليس لأحد أن يعظمها بما ذمه الشارع ونهى عنه ، مع أن بعض العلماء قالوا : لم يثبت فى قيامها شىء عن النبى عليه الصلاة والسلام ولا عن أصحابه ، فعلى هذا يجب على كل مسلم فى هذا الزمان أن يحذر من الاغترار والميل إلى شىء من البدع والمحدثات ، ويصون دينه

من البدع التى استأنس بها وتربى عليها ، فانها سم قاتل قل من سلم من آفاتها وظهر له الحق معها ، لأن البدعة لها حلاوة فى قلوب أهلها تستحسنها طباعهم فلا يتركونها (هذا من مجالس الرومى)

المجلس السابع والخمسون : فى بيان الحب فى الله والبغض فى الله

سورة الزخرف — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الأخلاء) الأحباء (يومئذ بعضهم لبعض عدو) أى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق بظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب (إلا المتقين) فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة أبد الآبدين (ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للمنادى (وكانوا مسلمين) حال من الواو : أى الذين آمنوا مخلصين ، غير أن هذه العبارة آكد (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم ، أو تزينون من الحبر وهو حسن الوجه والهيئة ، أو تكرمون إكراما يبالغ فيه ، والحبرة : المبالغة فيما وصف بالجميل (قاضى بيضاوى) .

روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « زينوا مجالسكم بالصلاة على فان صلاتكم على نور يوم القيامة » (رواه صاحب الفردوس) وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن لله تعالى عبادا يوضع لهم يوم القيامة المنابر يقعدون عليها ، هم قوم لباسهم نور ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ؛ يغبطهم الأنبياء والشهداء ، فقالوا من هم يارسول الله ؟ قال المتحابون فى الله والمتزاورون فى الله والمتجالسون فى الله » (رواه الطبرانى فى الأوسط) وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام قال : ياموسى هل عملت لى عملا قط ؟ قال إلهى صليت لك وصمت لك وتصدقت لك وذكرت لك ، فقال الله : ياموسى إن الصلاة لك برهان والصوم لك جنة والصدقة لك ظل والذكر لك نور ؛ فأى عمل عملت لى ؟ فقال دلنى على عمل هو لك ، قال : ياموسى هل واليت لى وليا قط وهل عاديت لى عدوا ؟ » فعلم أن أحب الأعمال إلى الله الحب فى الله والبغض فى الله . عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون فى ، فوعزتى وجلالى اليوم أظلهم بظلى يوم لاظل إلا ظلى » رواه الطبرانى ، وفى الخبر « أنه يؤتى برجل مؤمن فى القيامة فتوزن أعماله فترجح سيئاته على حسناته فيؤمر به إلى النار ، فيقول يارب أمهلنى ساعة أستوهب من أى حسنة ، فيمهله فيأتى إليها فيقول يا أماه بالذى ربيتنى فى الدنيا وبلغتنى إلى كل

إحسان هي لي حسنة من حسناتك كي أنجو من النار ، فتقول يابني إني عاجزة في شأني، ومتحيرة في أمري فكيف يمكنني أن أخلصك اليوم ؟ فييأس منها ، وهكذا يأتي إلى جميع أقربائه فييأس منهم جميعا ، فيأمر الله تعالى به إلى النار ، فيراه خليله يساق إلى النار ، فيقول له الخليل وهبت لك جميع حسناتي لينجو أحدنا من النار ، وذلك أهون من أن يكون كلانا في النار فيؤمر به إلى الجنة ، فيسرع إليها فينادي في الطريق ليس من الفتوة أن تنسى خليلك في النار فتدخل الجنة ، فيخر ساجدا ويشفع له ، فيأمر الله تعالى بهما إلى الجنة » (موعظة) وروى عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زار أخاه المسلم فله بكل خطوة حتى يرجع عتق رقبة ويحط عنه بها ألف سيئة ، ويكتب له ألف حسنة ويرفع له نور كنوز العرش ، عند ربه » رواه الحارث بن أبي أسامة . روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ، « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة قلنا بلى يارسول الله ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : النبي في الجنة والصديق في الجنة والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه المسلم في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة » رواه أبو نعيم الحافظ ، وروى عن بريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله للمتحابين والمتزاورين والمتباذلين فيه » رواه الطبراني. وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « المتحابون والمتزاورون في الله على عمود من ياقوتة حمراء ، في رأس العمود سبعون ألف غرفة تضيء على أهل الجنة كما تضيء الشمس على أهل الدنيا ، فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله ، فاذا أشرفوا عليهم أضاءت وجوههم كما تضيء الشمس على أهل الدنيا ، عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله والمتزاورون » وروى عن علي بن الحسين أنه قال « إذا اجتمع الأولون والآخرون نادى مناد : أين جيران الله في أرضه » أي في الدنيا « فتقوم طائفة من الناس يريدون الجنة ، فتقول لهم الملائكة أين تريدون ؟ فيقولون الجنة ، فتقول الملائكة أقبل الحساب ؟ فيقولون نعم ، فتقول الملائكة من أنتم ؟ فيقولون نحن جيران الله ، فتقول لهم وما جيرتكم ؟ فيقولون كنا متحابين في الله ، فتقول الملائكة ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين » وفي الخبر « إذا كان يوم القيامة يأمر الله تعالى أن يحضر بين يديه رجلان مؤمنان أحدهما عاص والآخر مطيع وقد ماتا على الإيمان ، فيأمر رضوان أن يذهب بالرجل الذي كان مطيعا إلى الجنة ويكرمه ، فيقول أنا كنت عنه راضيا ، ويأمر الزبانية أن يذهبوا بالذي كان عاصيا إلى النار ، ويعذبونه عذابا شديدا فيقول إنه كان شارب الخمر ، فيذهب المطيع ضاحكا مسرورا نحو الجنة ، فاذا قرب من الجنة يسمع نداءه من ورائه يقول :

بالله ياصاحبي ويا حبيبي ارحمني واشفع لي ، فإذا سمع المطيع ذلك النداء يقف في موضعه ولا يدخل الجنة . فيقول له رضوان ادخل الجنة واشكر الله تعالى على ما نجوت من النار ، فيقول لا أدخل الجنة اذهب بي إلى النار ، فيقول رضوان كيف أذهب بك إلى النار وقد أمرني الله أن أدخلك الجنة وأخدمك ؟ فيقول الرجل أنا لا أريد خدمتك ولا الجنة ، فينادي مناد يارضوان أنا أعلم بما في سر عبدي ولكن سله أنت تعلم ما في ضميره ، فيقول له رضوان لم لا تدخل الجنة وترضى بالنار ؟ فيقول لأن العاصي الذي ذهب إلى النار كان يعرفني في الدنيا فنادى واعتذر إلى وطلب مني الشفاعة وأنا لا أقدر أن أخرجه من النار وأدخله الجنة ، فلم يبق لي إلا أن أذهب إلى النار فأكون معه في العذاب ، فينادي مناد من قبل الرحمن : ياعبدي أنت بضعفك لم ترض أن يذهب ذلك إلى النار لأنه رآك في الدنيا رؤية قليلة وكان يعرفك وصاحبك أياما قليلة ، فكيف أرضى أنا بدخول عبدي النار وقد كان يعرفني في جميع عمره واتخذني إلها سبعين سنة ؟ فاذهب إلى الجنة فقد عفوت عنه ووهبته لك » (موعظة) . وروى أن أخوين في الله التقيا ، فقال أحدهما للآخر من أين أقبلت ؟ قال : حججت بيت الله الحرام وزرت قبر النبي عليه الصلاة والسلام فأنت من أين أقبلت ؟ قال من زيارة أخ أحبه في الله ، فقال فهل تهب لي فضل زيارتك حتى أهب لك فضل حجي ؟ فأطرق الآخر رأسه مليا فإذا بهاتف يقول : زيارة أخ في الله أفضل عند الله من مائة حجة نافلة . (موعظة) وحكي عن بعض العلماء في قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) أي كذبا ومعهم ذئب أخذوه قهرا ، فقالوا لأبيهم هذا الذئب أكل ابنك يوسف ، فخلا يعقوب عليه السلام بالذئب فصلى ركعتين ثم قال : أيها الذئب أأكلت ولدي وقرة عيني ؟ فأنطق الله تعالى الذئب ، فقال معاذ الله يانبي الله فإن لحوم الأنبياء لا تأكلها الأرض ولا النار ولا السباع ، ولكن أخذوني قهرا فجاءوا بي إليك ، فقال له يعقوب عليه السلام : أيها الذئب كيف وقعت في أيديهم ؟ من أين أقبلت وأين قصدت ؟ قال أقبلت من أرض جرجان وقصدت كنعان لأزور أخا لي في الله ، فقال يعقوب عليه السلام : لم تزوره ؟ فقال الذئب : لأن أبي حدث عن جدي وجدي عن جدك إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال : من زار أخا في الله كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة وأنجاه من عذاب يوم القيامة بزيارة أخيه ، وجمع بينه وبين أخيه في الجنة كالسبابة مع الوسطى ، وكنت أريد زيارة ذئب هو رضيعي فسمعت موته فضمني ذلك ، قال يعقوب عليه السلام : اكتبوا هذا الحديث عن هذا الذئب . يا إخواني إن الذئب يزور أخاه في الله لطلب الثواب من الله والنجاة من عذابه والجمع بينه وبين أخيه في الجنة ، فكيف لا تطلبون الثواب من الله بزيارة إخوانكم

والنجاة من عذابه والجمع بينكم وبين إخوانكم فى الجنة ؟ انتهى (موعظة) وأما ثواب المتزاورين فى الله ، فروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « ما من عبد يزور أخا له فى الله إلا قال الله تعالى فى ملكوت عرشه : عبدى زارنى وعلى قراه : أى ضيافته ، لا أرضى لعبدى قرى دون الجنة » رواه صاحب الفردوس بغير إسناد . وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « خرج رجل يزور أخا له فى الله فأرصد الله على مدرجته ملكا ، قال أين تريد ؟ قال أريد فلانا ، قال ألقرابته ؟ قال لا ، قال ألنعمة له عندك تربها ؟ قال لا ، قال فبم تزوره ؟ قال إنى أحبه فى الله ، قال إنى رسول الله وإنه يحبك وإياه » رواه صاحب الفردوس . وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال « أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله » هذا من حسان المصابيح رواه أبو هريرة ، وفيه إشارة إلى أن للمؤمن لابد أن يكون له أصدقاء يحبهم فى الله تعالى ، ولابد أن يكون له من يبغضه فى الله عند كونه عاصيا لله تعالى ، لأن من يكون محبوبا لسبب فبالضرورة يكون مبغوضا لضده ، وهو مطرد فى الحب والبغض ، لكن كل واحد منهما دفين فى القلب ، وإنما يترشح عند الغلبة ؟ إذ عند غلبة الحب يظهر أفعال المحبين من المقاربة والموافقة ، وتسمى موالاة ؟ وعند غلبة البغض يظهر أفعال المبغضين من المباعدة والمخالفة ، وتسمى معاداة . فان قيل بأى طريق يمكن إظهار البغض ؟ فالجواب أن إظهاره لا يخلو إما أن يكون فى القول أو فى الفعل . أما فى القول فيكون تارة بكف اللسان عن مكالمته ومحادثته وتارة بتغليظ القول عليه ، وأما فى الفعل فيكون تارة بقطع السعى فى إعانته وتارة بالسعى فى إساءته وإفساد مآربه فيما يفسد عليه فى طريق المعصية لا فيما لا يؤثر فيه ، وهذا إذا صدرت عنه المعصية على طريق القصد كبيرة كانت أو صغيرة . وأما ما جرى مجرى الهفوة التى يعلم بأنه نادم عليها غير مصر عليها فالأولى فيه الإغماض والستر لا سيما إذا كانت معصية بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك ، فالإعراض عنه حسن ، لأن العفو عمن ظلمك وأساء إليك من أخلاق الصديقين . وأما من ظلم غيرك وعصى الله تعالى فعدم الإعراض عنه إحسان إليه فلا يحسن الإحسان إليه ، لأن الإحسان إليه إساءة إلى المظلوم وللمظلوم أولى بالمراعاة ، وتقوية قلب المظلوم بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله تعالى من تقوية قلب الظالم (هذا من مجالس الروى) .

ولقد أمددنا الكلام بعناية الملك القوى ، السميع الجهر والخفى ، له الحمد فى الأولى والأخرى .

المجلس الثامن والخمسون : فى بيان معاداة الشيطان

سورة النور — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) فإشاعة الفاحشة ، وقرأ نافع والبزى

وأبو بكروأبو عمرو وحمزة بسكونها (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) بيان لعلة النهى عن اتباعه . والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما زكى) ما طهر من دنسها (منكم من أحد أبدا) إلى آخر الدهر (ولكن الله يزكى من يشاء) بحمله على التوبة وقبولها (والله سميع) بمقالهم (عليم) بأفعالهم ونياتهم (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أكثركم على صلاة أكثركم أزواجا فى الجنة » صدق من نطق . وعن ابن هشام أنه قال : بلغنا أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال « أكثروا من الصلاة على فى الليلة الزهراء واليوم الأزهر فانهما يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجسام الأنبياء ، وما من مسلم يصلى على إلا حملها ملك حتى يؤديها إلى ويسميه حتى إنه يقول : إن فلانا يقول كذا وكذا » (شفاء شريف) والمراد بخطوات الشيطان سيرة الشيطان وطريقته . والمعنى لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره ووسواسه بإشاعة الفاحشة والإصغاء إلى الإفك والقول به (شيخ زاده) قوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بالتوبة لما طهر منكم أحد إلى آخر الدهر من دنس الإثم ، ولكن الله تعالى يطهر التوابين بقبول توبتهم بلطفه وكرمه (كشاف) . عن شقيق البلخى أنه قال : كان إبراهيم بن أدهم يمشى فى أسواق البصرة ، فاجتمع الناس إليه فقالوا : يا أبا إسحق إن الله تعالى قال فى كتابه (ادعونى أستجب لكم) ونحن منذ دهر ندعو فلا يستجيب لنا ؟ قال يا أهل البصرة ماتت قلوبكم فى عشرة أشياء ، فكيف يستجاب دعاؤكم ؟ : الأول عرفتم الله تعالى ولم تؤدوا حقه . والثانى قرأتم القرآن ولم تعملوا به . والثالث ادعيتم حب رسول الله وتركتم سنته . والرابع ادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه ووافقتموه . والخامس ادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها . والسادس ادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها أنفسكم . والسابع قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له . والثامن اشتغلتم بعيوب إخوانكم فلا ترون عيوب أنفسكم . والتاسع أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروا له . والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم (حياة القلوب) . وفى الخبر « إذا حضر وقت الصلاة أمر إبليس عليه اللعنة جنوده بأن يتفرقوا ويأتوا الناس ويشغلوهم عن الصلاة ، فيجىء الشيطان إلى من أراد الصلاة ، فيشغله حتى يؤخرها عن وقتها ، فان لم يقدر على ذلك يأمره بأن لا يتم ركوعها وسجودها وقراءتها وتسبيحها ، فان لم يقدر على ذلك يشغل قلبه بأشغال الدنيا ، فان لم يقدر على شىء من ذلك ذهب خاسرا ذليلا ، فيأمر إبليس عليه اللعنة بأن يوثق ذلك الشيطان ويرمى فى البحر ، وإن كان يقدر على شىء من ذلك يكرمه ويعظمه » (تنبيه الغافلين) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد الشر وتكذيب

الحق ، وأما لمة الملك فإيعاد الخير وتصديق الحق ، فمن وجد هذا فليعلم أنه من الله فليحمد الله تعالى ، ومن وجد الآخر فليتعوذ من الشيطان الرجيم » (مصابيح) فاللمة من الإلمام وهو القرب ، فإن كل واحد من الملك والشيطان يقرب من الإنسان لهذين الأمرين ، وهما الإيعاد بالخير والشر ؟ والمراد بهما الإلهامان اللذان يقعان في القلب ، أحدهما بواسطة الملك والآخر بواسطة الشيطان ، وما وقع بواسطة الملك يسمى إلهاما وما وقع بواسطة الشيطان يسمى وسوسة ، والقلب متجاذب بينهما ، لأنه بأصل فطرته يصلح لقبول آثار الملك وآثار الشيطان صلاحا متساويا لا يترجح أحدهما على الآخر إلا باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو بمخالفة الهوى والإعراض عن الشهوات (سنانية) وقال أبو الليث : اعلم أن لك أربعة من الأعداء تحتاج إلى أن تجاهد كل واحد منهم : الأول الدنيا قال الله تعالى (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) والثاني نفسك وهي شر الأعداء ، لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » قال الله تعالى (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) والثالث شيطان الجن فاستعذ بالله تعالى منه كما قال الله تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) والرابع شيطان الانس فاحذر منه ، فانه أشد عليك من شيطان الجن ، لأن شيطان الجن يكون إغواؤه بالوسوسة فقط ، وأما شيطان الانس فبالمعاينة والمواجهة والاعانة (تنبيه الغافلين) .

وذكر عن وهب بن منبه أنه قال : أمر الله تعالى إبليس أن يأتي محمدا عليه الصلاة والسلام ويجيبه عن كل ما يسأله ، فجاءه على صورة شيخ صبيح وبيده عكازة ، فقال عليه الصلاة والسلام من أنت ؟ قال أنا إبليس ، قال لماذا جئت ؟ قال إن الله أمرني أن آتيك وأجيبك عن كل ما سألتني ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا إبليس كم أعداؤك من أمتي ؟ قال خمسة عشر : الأول أنت يا محمد . والثاني إمام عادل . والثالث غني متواضع . والرابع تاجر صادق . والخامس عالم مصل يتخشع . والسادس مؤمن ناصح . والسابع مؤمن رحيم . والثامن تائب ثابت على توبته . والتاسع متورع عن الحرام . والعاشر مؤمن يداوم على الطهارة . والحادي عشر مؤمن كثير الصدقة . والثاني عشر مؤمن حسن الخلق . والثالث عشر مؤمن ينفع الناس . والرابع عشر حامل القرآن يديم قراءته . والخامس عشر قائم بالليل والناس نيام ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لإبليس كم رفقاؤك من أمتي ؟ قال عشرة : الأول حاكم جائر . والثاني غني متكبر . والثالث تاجر خائن . والرابع شارب الخمر . والخامس القتات . والسادس صاحب الرياء . والسابع آكل مال اليتيم . والثامن المتهاون بالصلاة . والتاسع مانع الزكاة . والعاشر من يطيل الأمل ، فهؤلاء إخواني وأصحابي (نقل من تنبيه الغافلين) وذكر في الخبر « أنه كان في بني إسرائيل رجل متعبد في صومعته

فقال له برصيصا العابد وكان مستجاب الدعوات ، وكان الناس يأتونه بمرضاهم ويبرئ المريض بدعائه ، فدعا إبليس عليه اللعنة الشياطين فقال : من يفتن هذا ويضله ؟ فقال عفريت من الشياطين أنا أفتنه ، فإن لم أفتنه فلست منكم ، فقال إبليس أنت له ، فانطلق حتى أتى ملكا من ملوك بني إسرائيل وله بنت من أحسن الناس وهي جالسة مع أبيها وأمها وأخواتها فصرعها ، ففزعوا لذلك فزعا شديدا ، فصارت البنت مجنونة وكانت على ذلك أياما ، ثم أتاهم على صورة إنسان ، فقال لهم إن أردتم أن تبرأ فاذهبوا بها إلى فلان الراهب وهو يبرئها ويدعو لها ، فذهبوا بها إليه فبرئت من علتها ، فلما رجعوا بها عاد ذلك ، فقال لهم الشيطان : إن أردتم أن تبرأ بالكلية فاجعلوها عنده أياما ، فانطلقوا بها إليه وتركوها عنده ، فأبى الراهب فألحوا عليه وتركوها عنده ، فكان الراهب مقبلا الصلاة مديما للصيام ، فأجلسها الراهب عنده فأطعمها حتى طال عليها الوقت ، فنظر إليها يوما فرأى وجهها وجسدها لم ير مثلهما في الحسن ، فمال قلبه إليها بوسوسة الشيطان ولم يصبر ، ثم قربها فحملت منه ، ثم أتاه الشيطان فقال له : إنك أحبلتها وليس لك نجاة من الملك مما صنعت بها إلا أن تقتلها وتدفنها عند صومعتك ، فإذا سألوك عنها فقل إنها ماتت فإنهم يصدقونك ، فذبحها ودفنها ، فجاءوا وسألوا عنها فقال ماتت بأمر الله تعالى فصدقوه ورجعوا فانطلق الشيطان فقال لهم : إن الراهب قد وقع عليها ، فلما خشي أن يطلع عليها أحد ذبحها ودفنها ، فركب الملك مع الناس مقبلا إلى نحو الراهب وحفروا قبرها فوجدوها مذبوحة ، فأخذوا الراهب وصلبوه ، وجاء الشيطان وهو على مصلبه فقال له أنا أنجيك منها إن سجدت لي سجدة من دون الله تعالى ، فقال كيف أسجد لك وأنا في هذه الحالة ، فقال أرضى منك أن تومئ برأسك ، فسجد له إيماء برأسه ، فقال الشيطان أنا برئ منك إني أخاف الله رب العالمين ، وهو قوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) هكذا روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . فإذا علمت حال برصيصا الذي صار في النار مخلدا ، فاعلم أن الانسان إذا اتبع مقتضى الشهوات والغضب يظهر تسلط الشيطان على قلبه بواسطة الهوى ، ويصير قلبه عش الشيطان ومقره لكون الهوى مرعى الشيطان ومرتعه ، وإذا جاهد نفسه ولم يتبع مقتضى الشهوات والغضب يكون قلبه مستقر للملائكة ومهبطهم ، لكن لما لم يكن قلب من القلوب خاليا عن الشهوات والغضب والحرص والطمع وغير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى لم يتصور أن يوجد قلب خال من أن يكون فيه للشيطان جولان بالوسوسة ، ولا تزول وسوسته إلا بذكر شيء سوى ما يوسوس فيه إذ عند حصول ذكر شيء فيه ينعدم ما كان فيه من قبل

إلا أن كل شيء سوى ذكر الله تعالى وما يتعلق به يجوز أن يكون مجالا للشيطان ؟ فأما ذكر الله تعالى فهو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس مجالا للشيطان . خذ ماهديتك واعمل بالإيمان سهل عليك الله للملك المستعان ؟ فمثل القلب كمثل حصن له أبواب كثيرة والشيطان يريد أن يدخل فيه من كل باب ويملكه ويستولى عليه ، فلا بد للعبد من حفظه ، ولا يقدر على حفظه إلا بحراسة أبوابه وسد مداخله وأبوابه ، ومداخله الصفات المذمومة ، فليس للآدمى صفة من الصفات المذمومة إلا وهى قوة من قوى الشيطان وسلاح من أسلحته وباب من أبوابه ومدخل من مداخله (من مجالس الرومى) وشروط التوبة ثلاثة : الأول الرجوع عن المعاصى ، والثانى الندم عليها ، والثالث العزم على أن لايعود إليها أبدا . وروى عن جابر رضى الله تعالى عنه أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال : اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك وكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله تعالى عنه : يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج إلى التوبة ، فقال يا أمير المؤمنين : وما توبة الصادقين ؟ قال هى اسم يقع على ستة معان : الندامة على الماضى من الذنوب ، والإعادة لما ضيع من الفرائض ، ورد المظالم ، وإذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية ، وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل ضحك ضحكته . كذا ذكره أبوالسعود. قال نجم الدين قدس الله سره : إذا أراد الله أن يتوب على عبد من عباده ليرجع من أسفل سافلين البعد إلى أعلى عليين القرب يخلصه من عبودية ماسواه بتصرف جذبات العناية ، ثم يوفقه للرجوع إلى الحضرة ويقبل منه الرجوع بالتقرب إليه كما قال تعالى « من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا » الحديث انتهى . معناه من تقرب إلى بالتوبة والطاعة تقربت إليه بالرحمة والتوفيق والإعانة ، وإن زاد زدت .

المجلس التاسع والخمسون : فى بيان الهجرة لطاعة الله

سورة العنكبوت — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون) أى إذا لم تسهل لكم العبادة فى بلدة ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك . وعنه عليه الصلاة والسلام « من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة ، وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام » والفاء جواب شرط محذوف ؟ إذ المعنى إن أرضى واسعة ، إن لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها (كل نفس ذائقة الموت) تناله لا محالة (ثم إلينا ترجعون) للجزاء ، ومن هذا عاقبته ينبغى أن يجتهد فى الاستعداد له (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا)

علاى . وقرأ حمزة والكسائى لنثوينهم : أى لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف للوقت بالمبهم (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) وقرىء فنعم ، والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله (قاضى بيضاوى) .

روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « للمصلى على نور على الصراط ، ومن كان على الصراط من أهل النور لم يكن من أهل النار » صدق رسول الله . قال مقاتل والكلبى : نزلت هذه الآية فى ضعفاء مسلمى مكة يقول : إن كنتم فى ضيق بمكة من إظهار الايمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة ، إن أرضى : يعنى المدينة واسعة أمينة . قال مجاهد هو أن أرضى واسعة فهاجروا فيها . وقال سعيد بن جبير : إذا عمل فى أرض بالمعاصى فاخرجوا فان أرضى واسعة . وقال عطاء : إذا أمرتم بالمعاصى فاهربوا فان أرضى واسعة ، ولذلك يجب على كل من كان فى بلدة يعمل فيها بالمعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث تهيأ له العبادة ، وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة ، وقالوا نخشى إن هاجرنا نموت من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج . وقال مطرف بن عبد الله إن أرضى واسعة أى رزقى بكم واسع فاخرجوا (معالم التنزيل) روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا مات المؤمن حام روحه حول داره شهرا ، فينظر إلى من خلف من عياله كيف يقسم ماله وكيف يؤدى ديونه ، فاذا أتم شهرا رد إلى حفرته ، فيحوم حول قبره سنة وينظر من يأتيه ويدعو له ومن يحزن عليه ، فاذا أتم سنة رفع روحه إلى حيث يجتمع فيه الأرواح إلى يوم ينفخ فى الصور » (بهجة الأنوار) . سئل أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه : أى ذنب أخوف بسلب الايمان ؟ قال ترك الشكر لله على الايمان ، وترك خوف سوء الخاتمة وظلم العباد (كنز الأخبار) ويرسل الله تعالى إليه بعد موته عند حمل الجنازة أربعة ملائكة ، فاذا أتوا على رأس قبره نادى أحدهم انقضت الآجال وانقطعت الآمال ، ونادى الثانى ذهبت الأموال وبقيت الأعمال ، ونادى الثالث زالت الأشغال وبقى الوبال ، ونادى الرابع طوبى لك إن كان مطعمك من الحلال وكنت مشغولا بخدمة ذى الجلال (بهجة الأنوار) . وحكى أن سليمان عليه الصلاة والسلام لما وسع عليه فى دنياه وحكم الانس والجن والوحوش والطيور وحكم الرياح عزت نفسه فاستأذن ربه فقال : يارب ائذن لى حتى أعطى رزق كل مرزوق سنة كاملة ، فأوحى الله تعالى إليه إنك لا تستطيع ، فقال إلهى ائذن لى يوما ، فأذن له الله يوما ، فأمر سليمان عليه الصلاة والسلام الانس والجن أن يأتوا بجميع من فى الأرض ،

وأمر أن يطبخ مايطبخ وأن يحضر مايحضر ، فطبخ وحضر أربعين يوما ، ثم أمر الصبا أن لاتهب على المأكولات حتى لاتفسد الطعام ، وأمر أن يصف الطعام فى صحراء واسعة ، فكان طول السماط مسيرة شهر وقس عليه عرضه ، ثم أوحى الله تعالى إلى سليمان عليه الصلاة والسلام : بمن تبتدىء من المخلوقات ؟ قال بسكان البر والبحر ، فأمر الله تعالى من سكان البحر المحيط حوتا بأن يأتى دعوة سليمان ، فرفع الحوت رأسه وتقدم نحو السماط وقال : ياسليمان قد جعل الله رزقى فى هذا اليوم عليك ، فقال سليمان عليه الصلاة والسلام : دونك الطعام ، فابتدأ فما تم لحظة حتى ابتلع ذلك الزاد كله ، ثم نادى ياسليمان أشبعنى فانى جائع ، فقال أما شبعت ؟ قال إلى الآن ماشبعت ، فعند ذلك خر ساجدا وقال : سبحان من تكفل برزق كل مرزوق من حيث لايشعر (بديع الأسرار) وروى أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل نملة فقال : كم رزقك فى السنة ؟ فقالت حبة من حنطة ، فجعل سليمان عليه الصلاة والسلام النملة فى قارورة ووضع معها حبة من حنطة وسد رأسها ، فلما تمت السنة فتح فم القارورة فاذا النملة أكلت نصف الحبة ، فقال سليمان عليه الصلاة والسلام : لماذا لم تأكلى نصفها الآخر ؟ قالت لأن توكلى كان على الله ، فآكل الحبة لأنه لاينسانى ، فلما صار توكلى عليك فى القارورة تركت نصفها وقلت إن نسيتى فى هذه السنة أكلت النصف الآخر فى السنة الآتية (رجبية) وفى الخبر : إذا أخذ العبد فى النزع ينادى ملك الموت دعه حتى يستريح ، وإذا بلغ الروح الصدر قال دعه حتى يستريح ، وإذا بلغ الحلقوم جاءه نداء دعه حتى يودع الأعضاء بعضها بعضا ، فتودع العين العين فتقول السلام عليكم إلى يوم القيامة ، وكذلك الأذنان واليدان والرجلان ، ويودع الروح النفس ، فنعوذ بالله تعالى من وداع الإيمان اللسان المعرفة والجنان ؛ فتبقى اليدان بلا حركة والرجلان لاحركة لهما والعينان لاتنظر لهما والأذنان لاسمع لهما والبدن لاروح له ولو بقى القلب بلا معرفة فكيف حال العبد فى اللحد ، لايرى أحدا ولاأبا ولا أما ولا أولادا ولا أصحابا ولا فراشا ولا إخوانا ولا حجابا ، فلولم ير ربا كريما فقد خسر خسرانا عظيما (زهرة الرياض) وفى الخبر أيضا « إن ملك الموت إذا أراد قبض الروح يقول العبد لأعطيك مالم تؤمر به ، فيقول ملك الموت أمرنى ربى بذلك ، ويطلب الروح منه العلامة والبرهان ، فتقول الروح : إن ربى خلقنى وأدخلنى فى جسدى ولم تكن عند ذلك معى ، فالآن تريد أن تأخذنى فيرجع ملك الموت إلى الله تعالى ويقول : إن عبدك فلانا يقول كذا وكذا ويطلب البرهان ، فيقول الله تعالى صدق روح عبدى ، ياملك الموت اذهب إلى الجنة فخذ تفاحة عليها علامتى وأرها روحه ، فيذهب ملك الموت ويأخذها وعليها مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم فيريه إياها ، فاذا رآها روح العبد يخرج مع النشاط (زهرة الرياض)

روى أنه عليه الصلاة والسلام قال « لايخرج روح المؤمن حتى يرى مكانه فى الجنة ، فلا ينظر إلى أبويه ولا إلى أولاده عند ذلك من عشق ذلك المكان ، ولا يخرج روح المنافق حتى يرى مكانه فى النار ، فلاينظر إلى أولاده ولا أبويه من فزع ذلك المكان ؟ قيل يارسول الله كيف يرى المؤمن مكانه فى الجنة والمنافق مكانه فى النار ؟ قال إن الله تعالى خلق جبرائيل عليه الصلاة والسلام فى أحسن صورة وله مائة ألف وأربعة وعشرون ألف جناح وبين تلك الأجنحة جناحان أخضران مثل جناح الطاوس إذا نشر جناحا من تلك الأجنحة يملأ مابين السماء والأرض وعلى جناحه الأيمن مكتوب صورة الجنة ومافيها من الحور والقصور والدرجات والخدام ، وعلى جناحه الأيسر مكتوب صورة النار وما فيها من الحيات والعقارب والدركات والزبانية ، وإذا جاء أجل واحد يدخل فوج من الملائكة فى عروقه ويعصرون روحه من قدميه إلى ركبتيه ، ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الثانى فيعصرون روحه من ركبتيه إلى بطنه ، ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الثالث ، فيعصرون روحه من بطنه إلى صدره ، ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الرابع ، فيعصرون روحه من صدره إلى الحلقوم ، وعند ذلك يكون وقت النزع ، فاذا كان مؤمنا ينشر جبرائيل عليه الصلاة والسلام جناحه الأيمن فيرى مكانه فى الجنة فيعشقه ، ولا ينظر إلى أبويه ولا إلى أولاده من عشق ذلك المكان فينصب بصره إليه ، وإن كان منافقا ينشر جناحه الأيسر فيرى مكانه فى النار ، ولاينظر إلى أبويه ولا إلى أولاده من فزع ذلك المكان فينصب بصره إليه ، فطوبى لمن كان قبره روضة من رياض الجنان وويل لمن كان قبره حفرة من حفر النيران » (زهرة الرياض فى ذكر نداء الروح بعد الخروج من البدن) وفى الخبر « أنه إذا فارق الروح البدن نودى من السماء بثلاث صيحات : ياابن آدم أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك ؟ أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ؟ أقتلت الدنيا أم الدنيا قتلتك ؟ وإذا وضع على المغتسل نودى بثلاث صيحات : ياابن آدم أين بدنك القوى ماأضعفك وأين لسانك الفصيح ماأسكتك وأين أذنك السامعة ماأصمك ، وأين أحباؤك الخلص ماأوحشك ؟ وإذا وضع فى الكفن نودى من السماء بثلاث صيحات : ياابن آدم طوبى لك إن صحبك رضوان الله والويل لك إن صحبك سخط الله ، ياابن آدم طوبى لك إن كان مأواك الجنان والويل لك إن كان مأواك النيران ، ياابن آدم تذهب إلى سفر بعيد بغير زاد وتخرج من منزلك فلاترجع إليه أبد الآباد ، وتصير إلى بيت الأهوال وإذا حمل على الجنازة نودى من السماء بثلاث صيحات : ياابن آدم طوبى لك إن كان عملك خيرا ، وطوبى لك إن كنت تائبا ، وطوبى لك إن كنت مطيعا لله ؛ وإذا وضع للصلاة نودى من السماء بثلاث صيحات : ياابن آدم كل عمل عملته تراه الساعة ، فان كان عملك خيرا تراه خيرا ، وإن كان عملك شرا تراه شرا ؛ وإذا

وضعت الجنازة على شفير القبر نودى بثلاث صيحات : يا ابن آدم ما تزودت من العمران لهذا الخراب ؟ وما حملت من الغنى لهذا الفقر وما حملت من النور لهذه الظلمة ؟ وإذا وضع فى اللحد نودى بثلاث صيحات : يا ابن آدم كنت على ظهرى ضاحكا فصرت فى بطنى باكيا ، وكنت على ظهرى فرحا فصرت فى بطنى حزينا ، وكنت على ظهرى ناطقا فصرت فى بطنى ساكتا ؟ وإذا أدبر الناس عنه يقول الله تعالى : يا عبدى بقيت فريدا وحيدا وتركوك فى ظلمة القبر وقد عصيتنى لأجلهم وأنا أرحمك اليوم رحمة يتعجب منها الناس وأنا أشفق عليك من الوالدة بولدها » كذا فى دقائق الأخبار . عليك بمضمونه بعون الملك الغفار تكن فى دار السلام رفيق الأبرار (كل نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارة الموت ، ومتجرعة غصص المفارقة كما يجد الذائق ذوق المذوق ، وهذا مبنى على أن الذوق يصلح للقليل والكثير كما ذهب إليه الراغب . وقال بعضهم : أصل الذوق بالفم فيما يقل تناوله ، فالمعنى إذن أن النفوس تزهق بملابسة جزء من الموت . واعلم أن للانسان روحا وجسدا وبخارا لطيفا بينهما هو الروح الحيوانى ، فما دام هذا البخار باقيا على الوجه الذى يصلح أن يكون علاقة بينهما فالحياة قائمة ، وعند انطفائه وخروجه عن الصلاحية تزول الحياة ويفارق الروح البدن ، مفارقة اضطرارية وهو الموت الصورى ، ولا يعرف كيفية ظهور الروح فى البدن ومفارقته له وقت الموت إلا أهل الانسلاخ التام (ثم إلينا) أى إلى حكمنا وجزائنا (ترجعون) من الرجع وهو الرد : أى تردون ؛ فمن كانت هذه عاقبته ينبغى أن يجتهد فى التزود والاستعداد لها ويرى مهاجرة الوطن سهلة واحتمال الغربة هينا ، هذا إذا كان الوطن دار الشرك وكذا إذا كان أرض المعاصى والبدع وهو لا يقدر على تغييرها والمنع منها فيهاجر إلى أرض المطيعين من أرض الله الواسعة (من روح البيان) .

المجلس الستون : فى بيان فضيلة ليلة البراءة

سورة الدخان — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم والكتاب المبين) أى القرآن ، والواو للعطف إن كان حم مقسما به وإلا فللقسم والجواب قوله (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) فى ليلة القدر أو البراءة ابتدئ فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ، ثم أنزل على الرسول نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية ، أو لما فيها من نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسمة النعمة وفصل الأقضية (إنا كنا منذرين) استئناف يبين المقتضى للانزال وكذلك قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) فان كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعى أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها (قاضى بيضاوى) .

قال النبى عليه الصلاة والسلام « من نسى الصلاة فقد أخطأ طريق الجنة » ، وإنما أراد

بالنسيان الترك ، وإذا كان التارك مخطىء طريق الجنة كان المصلى عليه سالكا إلى الجنة الحديث.
وقال قتادة إن حم اسم من أسماء القرآن ، ويقال اسم من أسماء الله تعالى ، ويقال قسم أقسم الله
تعالى به ، ويقال معناه قضى ماهو كائن إلى يوم القيامة ، ويقال الحاء ، مفتاح كل اسم أوله حاء
كالحكيم والحليم ، والميم ما فى أوله ميم من الأسماء كالمتين والملك والمهيمن . وفى تفسير أبى الليث
(حم) يامحمد بحق الحى القيوم (والكتاب المبين) بحق القرآن الفارق بين الحق والباطل
انتهى (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) أى فى ليلة القدر أو البراءة .قال صاحب الكشاف (فى ليلة
مباركة) ليلة القدر . وقيل ليلة النصف من شعبان (إنا كنا منذرين) مع مابعده تفسير لجواب
القسم : أى أنزلنا إنذارنا وتحذيرنا للكافرين من العذاب والعقاب (فيها يفرق) أى فى ليلة
القدر أو البراءة يفصل ويكتب (كل أمر حكيم) أى محكوم بوقوعه من خير وشر ورزق وأجل
وكل ماهو كائن من هذه الليلة إلى الليلة الأخرى من السنة القابلة (شيخ زاده) قوله : إن كان
حم مقسما به فيكون حم مجرور المحل بإضمار حرف القسم ولا يجوز أن يكون منصوبا بحذف الجار
وإيصال الفعل إليه لأنهم قالوا فى الفرق بين حذف الجار وإضماره إن المضمر لايكون مذكورا
لفظا ، ولكن يكون أثره باقيا فى الكلام والمحذوف هو المتروك أصلا لابقاء له لابحسب لفظه
ولا بحسب أثره ، وههنا أثر الجار قائم فى حم بشهادة المعطوف عليه وهو الكتاب (شيخ زاده)
قوله : وإلا فالمقسم أى وإن لم يكن حم مقسما بها سواء جعلت تعديدا للحروف أواسما للسورة
مرفوع المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف (شيخ زاده) وإنما سميت براءة لأن الله تعالى يعطى
فى هذه الليلة للأعداء والأشقياء براءة من الجنة كما قال الله تعالى (براءة من الله ورسوله)
ويعطى للأصفياء والأتقياء براءة من النار ، وفيها يرفع عمل الأرض من السنة إلى السنة ،وفيها
تفرق الأرزاق كما قال الله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) وعن على كرم الله وجهه عن النبى
عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن
الله تعالى ينزل فى تلك الساعة إلى سماء الدنيا عند غروب الشمس فيقول : هل من سائل
فأعطيه سؤله وهل من مستغفر فأغفر له وهل من مسترزق فأرزقه ؟ حتى يطلع الفجر »
(مجالس رومى) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال
« من صلى مائة ركعة فى ليلة النصف من شعبان يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب والإخلاص
خمس مرات أنزل الله تعالى عليه خمسمائة ألف ملك مع كل ملك دفتر من نور يكتبون ثوابه
إلى يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام « والذى بعثنى بالحق نبيا من صلى على فى هذه الليلة
يعطى من ثواب النبيين والمرسلين والملائكة والناس أجمعين » (مشكاة الأنوار) روى عن
أبى نصر بن سعيد عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما كانت الليلة الثالثة عشرة من

شعبان أتاني جبرائيل ، فقال يامحمد قم فقد جاء وقت التهجد لتسأل مرادك فى أمتك ، ففعل عليه الصلاة والسلام ، فأتاه عند انفجار الصبح فقال : يامحمد إن الله تعالى قد وهب لك ثلث أمتك ، فبكى عليه الصلاة والسلام ، وقال ياجبرائيل أخبرنى عن الثلثين الباقيين ، فقال لا أدرى ، فأتاه الليلة الثانية وقال : يامحمد قم فتهجد ففعل عليه الصلاة والسلام ، فأتاه عند الفجر وقال : يامحمد قد وهب الله لك ثلثى أمتك ؟ فبكى النبى عليه الصلاة والسلام وقال ياجبرائيل أخبرنى عن الثلث الباق ، فقال لاأدرى ، ثم أتاه ليلة البراءة فقال : يامحمد البشارة لك ، فان الله تعالى قد وهب لك جميع أمتك ممن لايشرك بالله شيئا ، ثم قال جبرائيل عليه السلام : يامحمد ارفع رأسك إلى السماء فانظر ماذا ترى ، فنظر النبى عليه الصلاة والسلام فاذا أبواب السموات مفتوحة والملائكة من سماء الدنيا إلى العرش فى السجود يستغفرون لأمة محمد عليه الصلاة السلام ، وعلى كل باب سماء ملك ، فعلى باب الأولى ملك ينادى طوبى لمن ركع فى هذه الليلة ، وعلى باب الثانية ملك ينادى طوبى لمن يسجد فى هذه الليلة ، وعلى باب الثالثة ملك ينادى طوبى للذاكرين فى هذه الليلة ، وعلى الرابعة ملك ينادى طوبى لمن دعا ربه فى هذه الليلة ، وعلى باب الخامسة ملك ينادى طوبى لمن بكى من خشية الله تعالى فى هذه الليلة ، وعلى باب السادسة ملك ينادى طوبى لمن عمل خيرا فى هذه الليلة ، وعلى باب السابعة ملك ينادى طوبى لمن قرأ القرآن فى هذه الليلة ، ثم ينادى ذلك الملك ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ وهل من داع فيستجاب له دعاؤه ؟ وهل من تائب فيتاب عليه ؟ وهل من مستغفر فيغفر له ؟ » وقال النبى عليه الصلاة والسلام « أبواب الرحمة مفتوحة على أمتى من أول الليل إلى طلوع الفجر ، فان الله تعالى يعتق من النار فى هذه الليلة أكثر من عدد شعر غنم لقبيلة بنى كلب » (زبدة الواعظين) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت « كنت نائمة مع النبى عليه الصلاة والسلام فانتبهت فما وجدت النبى عليه الصلاة والسلام ، وصرت متحيرة فظننت أنه رجع إلى بعض نسائه فى نوبتى ، فطلبته فى بيوتهن فلم أجده ، ثم جئت منزل فاطمة رضى الله عنها فقرعت الباب ، فنودى من على الباب ؟ فقلت أنا عائشة جئت هنا فى هذا الوقت لطلب النبى عليه الصلاة والسلام ، فخرج على والحسن والحسين وفاطمة رضى الله عنهم أجمعين ، فقلت أين نطلب النبى عليه الصلاة والسلام ؟ قالوا : نطلبه فى المساجد فطلبناه فما وجدناه ، فقال على : ماذهب النبى عليه الصلاة والسلام إلا إلى بقيع الغرقد ، فجئنا إلى الأثم فاذا نور يسطع فى المقبرة ، فقال على رضى الله تعالى عنه : ماذاك إلا نور النبى عليه الصلاة والسلام ، فجئنا فرأيناه ساجدا وهو يبكى ولا يشعر به أحد قط ويتضرع ويقول فى سجوده : إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ، فلما رأته فاطمة وقفت على رأسه ورفعت وجهه من الأرض فقالت

يا أبي ماذا أصابك أعدو حضر أم وحي نزل ؟ قال : يا فاطمة ما حضر العدو وما نزل الوحي ولكن هذه الليلة ليلة البراءة أطلب من الله تعالى ، وقال يا عائشة : لو قامت القيامة فأنا أكون ساجدا وأطلب من ربي وأشفع ، ثم قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : إن أردتم رضاي فاسجدوا وأعينوني بالدعاء والتضرع وقال يا علي : اسجد أنت واطلب الرجال ويا فاطمة ويا عائشة اسجدا أنتما واطلبا الصبيان والنساء ، فسجدوا وبكوا إلى انفجار الصبح » . يا أهل المجلس أنتم أولى بالتضرع لأن ذنوبكم أكثر فإنهم يبكون لأجلكم فأولى أن تبكوا على أنفسكم (روضة العلماء) . هذا دعاء البراءة : اللهم إن كنت كتبت اسمي شقيا في ديوان الأشقياء فامحه واكتبني في ديوان السعداء ، وإن كنت كتبت اسمي سعيدا في ديوان السعداء فأثبته فإنك قلت في كتابك الكريم (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (كذا في علي القاري عليه رحمة الباري) وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم لقبيلة بني كلب » وإنما خصها لأنها أكثر شعرا وغنما من سائر القبائل . والمعنى أنه تعالى يحول في تلك الليلة صفة الجلال المقتضية لقهر العدو والانتقام من العصاة إلى صفة الجمال المقتضية للرحمة والمغفرة ، وإنما حمل لفظ الحديث على هذا المعنى ، لأن النزول والصعود والحركة والسكون لما كانت من صفات الأجسام المتحيزة ، وقد ثبت بالأدلة العقلية والنقلية أن الله تعالى منزه عن الجسم والتحيز امتنع النزول والصعود من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه ، فيكون المعنى على ما ذكره أهل الحق هو نزول رحمته تعالى على عباده وإجابة دعوتهم وقبول توبتهم (شرح) وعن عبد الله بن عمر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « خمسة أوقات لا يرد فيهن الدعاء : ليلة الجمعة وليلة العشر من المحرم وليلة النصف من شعبان وليلتا العيدين » (زبدة الواعظين) . حكي أن عيسى عليه السلام كان سائحا فنظر إلى جبل عال فقصده ، فإذا هو بصخرة في ذروة الجبل أشد بياضا من اللبن فطاف حولها وتعجب من حسنها ؟ فأوحى الله إليه : يا عيسى أتحب أن أبين لك أعجب من هذا ؟ قال عيسى عليه السلام نعم ، فانفلقت الصخرة فإذا هو بشيخ فيها عليه مدرعة من الشعر وبين يديه عكازة وبيده عنب وهو قائم يصلي ، فتعجب عيسى عليه السلام ، فقال يا شيخ ما هذا الذي أرى ؟ قال : رزقي في كل يوم ، فقال له منذ كم سنة تعبد في هذه الصخرة ؟ فقال منذ أربعمائة سنة ، فقال عيسى عليه السلام : يا إلهي أخلقت خلقا أفضل من هذا ؟ فأوحى الله تعالى إليه : لو أن رجلا من أمة محمد أدرك شهر شعبان فصلى ليلة النصف صلاة البراءة لهي أفضل عندي من عبادة عبدي هذا أربعمائة سنة ، فقال عيسى عليه السلام : ليتني كنت من أمة محمد (زهرة الرياض) ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي

عليه الصلاة والسلام أنه قال « أتانى جبرائيل عليه السلام ليلة النصف من شعبان وقال : يا محمد هذه الليلة تفتح فيها أبواب السماء وأبواب الرحمة فقم فصل وارفع رأسك ويديك إلى السماء ، فقلت يا جبرائيل ماهذه الليلة ؟ فقال هذه ليلة يفتح فيها ثلثمائة باب من الرحمة وللمغفرة فيغفر الله تعالى لجميع من لايشرك به إلا من كان ساحرا أو كاهنا أومشاحنا أو مدمن خمر أو مصرا على الزنا أو على الربا أو عاقا لوالديه أو نماما أو قاطع رحم ، فان هؤلاء لا يغفرلهم حتى يتوبوا أو يتركوا ، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام فصلى وبكى فى سجوده وهو يقول أعوذ بك من عقابك وسخطك ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى » (زبدة المجالس) . وقيل فضل الله الشهور والأيام والأوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والأمم بعضها على بعض ، لتبادر النفوس وتسارع القلوب إلى احترامها وتتشوق الأرواح إلى إحيائها بالتعبد فيها ، ويرغب الخلق فى فضائلها . وأما تضاعف الحسنات فى بعضها ، فمن المواهب اللدنية والاختصاصات الربانية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) قال القاشانى فى شرح التائية : كما أن شرف الأزمنة وفضيلتها بحسب شرف الأحوال الواقعة فيها من حضور المحبوب ومشاهدته ، فكذلك شرف الأعمال يكون بحسب شرف النيات والمقاصد الباعثة ، وشرف النية فى العمل أن يؤدى للمحبوب ويكون خالصا لوجهه غير مشوب بغرض آخر . قال عمر بن الفارض قدس سره :

وعندى عيدى كل يوم أرى به ... جمال محياها بعين قريرة
وكل الليالى ليلة القدر إن دنت ... كما كل أيام اللقا يوم جمعة

(من روح البيان)

المجلس الحادى والستون : فى بيان يوم القيامة وحسابها

سورة الجاثية — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وترى كل أمة جاثية) مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة أو باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية : أى جالسة على أطراف الأصابع لاستيفازهم (كل أمة تدعى إلى كتابها) صحيفة أعمالها ، وقرأ يعقوب كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أو مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) محمول على القول (هذا كتابنا) أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه ، لأنه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان (إنا كنا نستنسخ) نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) أعمالكم (قاضى بيضاوى) .

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « إن الله تعالى وعدنى إذا مت أن يسمعنى صلاة من صلى على وأنا فى المدينة

وأمتى فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقال : يا أبا أمامة إن الله تعالى يجعل الدنيا كلها فى قبرى ، وجميع ما خلق الله أسمعه وأنظر إليه ، فكل من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا . ومن صلى على عشرا صلى الله عليه مائة » (قوله جاثية) أى مجتمعة أو باركة مستوفزة على الركب ، يقال استوفز فى قعدته إذا قعد قعودا متصاغيرا مطمئن (شيخ زاده) وقيل الجثو جلوس على الركب جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ، وذلك لأنها خائفة فلا تطمئن فى جلستها (شيخ زاده) وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال ، « إذا كان يوم القيامة ، وجمع الخلائق فى صعيد واحد جنهم وإنسهم والأمم جثيا صفوفا ، فينادى مناد ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقم الحامدون الله على كل حال ، فيقومون فيسرحون إلى الجنة . ثم ينادى ثانيا ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فيقومون فيسرحون إلى الجنة . ثم ينادى ثالثا ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فيقومون فيسرحون إلى الجنة ، فاذا أخذ هؤلاء الثلاث منازلهم وذهبوا إلى الجنة ، خرج عنق من النار فأشرف على الخلائق وله عينان بصيرتان ولسان فصيح فيقول : إنى وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد فيلتقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فيخنس بهم فى جهنم ، ثم يخرج ثانية فيقول : إنى وكلت بمن آذى الله ورسوله ، فيلتقطهم من الصفوف فيخنس بهم فى جهنم ، ثم يخرج ثالثة . قال أبو المنهاج : حسبت أنه قال وكلت بأصحاب التصاوير فيلتقطهم من الصفوف فيخنس بهم فى جهنم ، فاذا أخذ من هؤلاء الثلاث نشرت الصحف ونصب الميزان ودعيت الخلائق إلى الحساب » (تنبيه الغافلين) وذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ يستنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بنى آدم ، فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه . قالوا : والاستنساخ لا يكون إلا من أصل وهو أن يستنسخ كتاب من كتاب (وسيط) ويقال الشهداء على الناس سبعة : الأول الملائكة لقول الله تعالى (والملائكة يشهدون) والثانى الأرض لقوله تعالى (وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها) والثالث الزمان كما قال فى الخبر « ينادى كل يوم أنا يوم جديد وأنا على ما تعمل شهيد » والرابع اللسان لقوله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) الآية . والخامس الأركان لقوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) والسادس الملكان الكاتبان لقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) والسابع الديوان لقوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) فكيف يكون حالك يا عاصى بعد ما شهد عليك هؤلاء الشهداء . وعن عمرو بن العاص رضى

الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل ؟ قال فيقوم أناس وهم يسيرون سراعا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعا إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون نحن أهل الفضل ، فيقولون ما كان فضلكم ؟ فيقولون إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا ، فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ، ثم ينادى المنادى أين أهل الصبر ؟ فيقوم أناس منهم يسيرون سراعا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعا إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون نحن أهل الصبر ، فيقولون ما كان صبركم ؟ فيقولون كنا نصبر على معصية الله ، فيقال لهم ادخلوا الجنة ثم ينادى أين المتحابون فى الله ، فيقوم أناس منهم يسيرون سراعا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعا إلى الجنة ، فمن أنتم ؟ فيقولون نحن المتحابون فى الله ، فيقولون ما كان تحابكم ؟ فيقولون كنا نتحاب فى الله ونتباذل فى الله ، فيقال لهم ادخلوا الجنة » وقال عليه الصلاة والسلام « وضع الميزان للحساب بعد دخول هؤلاء الجنة » .

واعلم أن كيفية الحساب مختلفة وأحواله متباينة ، فمنه اليسر ومنه العسر ومنه السر ومنه الجهر ومنه التكريم ومنه التوبيخ ومنه الفضل ومنه العدل ويكون للمؤمن والكافر والإنس والجن إلا من ورد الحديث باستثنائهم ، وقال اللقانى : لم أقف فى حساب الأطفال والمجانين وأهل الفترة على نص صريح . ومراتب الموقف البعث ثم الحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض : أى تميز كل نبى بأمته ثم تطاير الصحف ثم أخذها بالأيمان والشمائل ثم السؤال والحساب ثم الميزان ، وإذا جمع الله الخلائق فى العرصات وأراد أن يحاسبهم تطايرت عليهم كتبهم كتطاير الثلج ، وينادى المنادى من قبل الرحمن : يا فلان خذ كتابك بيمينك ويا فلان خذ كتابك بشمالك ، ويا فلان خذ كتابك من وراء ظهرك ، فلا يقدر أحد أن يأخذ كتابه بيمينه إلا الأتقياء يعطون كتابهم بيمينهم والأشقياء بشمالهم والكفار من وراء ظهورهم . وكذلك الناس فى المحاسبة على ثلاث طبقات : طبقة يحاسبون حسابا يسيرا ، وهم الأتقياء . وطبقة يحاسبون حسابا شديدا ثم يهلكون ، وهم الكفار . وطبقة يحاسبون ويناقشون ثم ينجون ، وهم العصاة . وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال « لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله تعالى حتى يسأل عن أربعة أشياء : عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، ويسأل عما فى كتابه ، فاذا بلغ آخر الكتاب يقول الله تعالى : يا عبدى أعملت هذا كله أم ملائكتى زادوا عليك فى كتابك ؟ فيقول لا يا رب ولكن عملت ذلك كله ، فيقول الله تعالى : أنا الذى سترتها فى الدنيا عليك وأنا أغفرها لك اليوم ، اذهب فانى قد غفرتها لك » هذا حال من يناقش فى الحساب ثم ينجو بفضله تعالى .

ومما يجب اعتقاده أن لله تعالى ملائكة يكتبون أفعال العابدين خير وشر هزلا وجدا خطأ ونسيانا في الصحة والمرض حتى أنينه وأنفاسه فيه والعبد مؤمنا كان أو كافرا . روى عن على رضى الله عنه أنه قال : كنت جالسا مع النبي عليه الصلاة والسلام وهو يحدثنا عن أخبار بنى إسرائيل والأمم الماضية ، ثم قال في آخر حديثه : ياعلى إن جبرائيل أرسله الله تعالى يخبرنى عن أحوال أمتى ، فقال يامحمد إن في أمتك رجالا يقفون في الحساب بين يدى الله تعالى ثم يتكلمون معه كما يتكلم الخصم مع خصمه ، فقلت ياأخى ياجبرائيل فهل يقدر أحد على ذلك ؟ فقال نعم يارسول الله ، فقلت أعلمنى بهم ياأخى ياجبرائيل ، فقال هؤلاء يطول شرحهم حتى أستأذن ربى وآتى إليك ، فغاب عنى ساعة ثم أقبل وهو يضحك ، فقلت : ماأضحكك ياأخى ياجبرائيل ؟ فقال يامحمد فقد وقع لى فى هذه الساعة حكايات عجيبة ، فقلت ماهى ؟ فقال الحكاية الأولى التى وعدتك بها يارسول الله ، فاعلم يامحمد إذا كان يوم القيامة يعطى الله كل أحد كتابه ، فيأخذ ذلك العبد كتابه فينظر إليه ويقرؤه ويعرف مافيه من خير وشر ، ثم يقول الله تعالى ياعبدى أقرأت كتابك فيقول نعم ، ولكن هذا الذى فى كتابى ماعملته قط ، فيقول الله تعالى : ياعبدى أغيرك عمله ؟ فيقول يارب لاأدرى ، فيقول إن كراما كاتبين أحصوه عليك وأنت متغافل ، فيقول يارب إن الملائكة الكاتبين هم عبيدك يقولون ماشاءوا ولا يتركونك معى فان كان ولابد فأنت الحكم العدل لاتأخذ إلا بالبينة ، فيقول الله تعالى ياعبدى ومن يشهد عليك وكلهم عبيدى وأنت اختصمت الملائكة الكرام وكتابهم ؟ فيقول نعم يارب لاأقبل شهودا على إلا منى ، فيقول الله تعالى وإذا أتيت بالبينة منك أتقبل وتعترف ؟ فيقول العبد نعم يارب ، فيقول الله تعالى للسان : بقدرتى انطق ولاتقل إلا حقا ، فان هذا يوم يموت فيه الباطل ، فينطق اللسان بكل ماعمل فى دار الدنيا من القبيح والحسن ، فيقول العبد : إلهى وسيدى ومولاى أنت تعلم أنى لاحكم لى على اللسان وهو من طبعه أنه لايزال ناطقا ولا أقبل شهادة ذلك فانه كان عدوى فى الدنيا ، وجميع ماوقع لى من الآثام وقع بسببه ، وقد قال رسولك مخبرا عنه : اللسان عدو للإنسان ، وأنت تحكم بالعدل لاتقبل شهادة العدو على عدوه . فيقول الله لى عليك غيره منك فما تقول ؟ فيقول ذلك العبد لاأتكلم بعد ذلك يارب ، فيقول الله ليديه : انطقا بما فعل عبدى ، فتنطقان بكل مافعل بهما وتشهدان ، فيقول ذلك العبد : إلهى وسيدى ومولاى إنك أرسلت إلينا رسولا فشرع فينا شرعا فاتبعناه باذنك حتى قلت : من يطع الرسول فقد أطاع الله ، فيقول الله تعالى : ياعبدى وماشرع رسولى ؟ فيقول : قد قال الشاهد الواحد فى البينة لايكفى واليدان شاهد واحد فلا يكفى وبقى الشاهد الثانى ، فيقول الله وإذا شهد عليك الشاهد الثانى أتقر وتعترف ؟ فيقول ذلك العبد نعم ، فيقول الله للأرجل : ماتقولين

انطق بما فعل ذلك العبد واشهدى بالحق ، فتنطق بقدرة الله وتقول : إنه مشى وعمل من حسن وقبيح وتشهد بكل مافعل ، فيلتفت ذلك العبد وهو متحير إلى أعضائه ويعاتبهم ويقول : ياأعضائى ماأنا غيركم بل أنا أنتم وأنتم أنا ، وإنما أنازع ربى لأجلكم فما رأيت أجهل منكم أدافع عنكم وأنتم تطعمون أنفسكم إلى النار ؟ فيقولون : أنت نسبتنا إلى الجهل والتقصير وما رأينا أجهل منك ، إنما نحن مأمورون أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء ، ثم يصير ذلك العبد حائراباهتا خجلا ، فيأمر الله تعالى الزبانية أن يسحبوا ذلك العبد ، فيقول يارب أين رحمتك وأنت أرحم الراحمين ؟ فيقول الله تعالى هى لمسلم ، فلو وقع الاعتراف منك حصل الاتصاف ، فيقول يارب إنى مقصر ومعترف ولكن خوف النار ألجأنى إلى ذلك ، فيقول الله تعالى : ياملائكتى امضوا بعبدى إلى الجنة ، فإنى قد غفرت له وعفوت عنه ، فيمضون به إلى الجنة وتقول تلك الملائكة (وكان الإنسان أكثر شىء جدلا) ياعبد الله دخلت فى رحمته (ادخلوها بسلام آمنين) » هذه مكلمة جبرائيل مع النبى عليه الصلاة والسلام . وقيل (نستنسخ) أى نأخذ نسخته ، وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان ، فيثبت الله سبحانه وتعالى منه ما كان له فيه ثواب أو عليه فيه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب . كذا فى معالم التنزيل (سنانية) .

المجلس الثانى والستون : فى ذم عاق الوالدين وفضيلة برهما

سورة الأحقاف — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) أى إيصاء حسنا (حملته أمه كرها ووضعته كرها) ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفصاله ، والفصال الفطام . والمراد به الرضاع التام المنتهى به ، ولذلك عبر به كما يعبر بالأمد عن المدة (ثلاثون شهرا) كل ذلك بيان لما تكابد الأم فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها (حتى إذا بلغ أشده) إذا اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يبعث نبى إلا بعد أربعين (قال رب أوزعنى) ألهمنى وأصله أولعنى من أوزعته بكذا (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) يعنى نعمة الدين أو مايعمها وغيرها (وأن أعمل صالحا ترضاه) نكره للتعظيم أولأنه أراد نوعا من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل (وأصلح لى فى ذريتى) واجعل لى الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم (إنى تبت إليك) عما لاترضاه أو يشغل عنك (وإنى من المسلمين) المخلصين لك (قاضى بيضاوى) .

عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا كانت ليلة الجمعة يأتى قبرى ألف ملك لزيارتى ، فإذا فرغوا من الزيارة يسيحون فى مشارق الأرض ومغاربها ، فكل من سمعوه يصلى على ذهبوا بصلاته حتى يضعوها تحت العرش ،

فيقولون ياربنا هذه صلاة فلان ابن فلان ، فيقول الله تعالى إنى صليت عليه أمثالها ، اذهبوا بها إلى جبرائيل يضعها عنده حتى تأتى صاحبها يوم القيامة ، وسأحطها فى ميزان ذلك المصلى وتأتى له تلك الصلاة فيرجح بها الميزان ويمضى صاحبها إلى الجنة » (موعظة) قيل نزلت هذه الآية فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، ودعاهم وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنه (من المدارك) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول «أنا برىء ممن لم يؤد حق والديه، فقلت يارسول الله فان لم يكن معه شىء ، قال إذا سمع قولهما فليقل سمعا وطاعة ، ولا يقل لهما أف ولا ينهرهما وليقل لهما قولا كريما » أو كما قال . روى : أنه جاء رجل إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقال : يارسول الله أوصنى بوصية أنتفع بها فى الدنيا والآخرة، فقال عليه الصلاة والسلام :«هل لك والد ووالدة ؟ فقال نعم ، قال إذا أديت حقهما وأطعتهما لك بكل لقمة قصر فى الجنة » صدق رسول الله . وجاء رجل أيضا فقال : يارسول الله إن لى والدة أنفق عليها وهى تؤذينى بلسانها فكيف أصنع ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :« أد حقها فو الله لو قطعت لحمك ما أديت ربع حقها، أما علمت أن الجنة تحت أقدام الأمهات ؟» فسكت الرجل وقال والله لا أقول لها شيئا ، ثم أتى الرجل والدته وقبل قدميها وقال يا والدتى بذلك أمرنى رسول الله . وذكر النبى عليه الصلاة والسلام حديثا طويلا وقال فى آخره « والذى بعثنى بالحق نبيا ما من عبد رزقه الله مالا ثم بر والديه إلا كان معى فى الجنة ، فقال رجل يارسول الله فان لم يكن له والدان فى الدنيا فما يفعل ؟ قال يتصدق عنهما باطعام الطعام وقراءة القرآن أو بالدعاء فان تركها فقد عقهما ومن عقهما فقد عصى، وقال ما من عبد صلى الفريضة ، ودعا لوالديه بالمغفرة إلا استجاب الله تعالى له دعاءه وغفر له ببركة دعائه لهما ولو كانا فاسقين » (موعظة) وعن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « من مشى لزيارة والديه كتب الله تعالى له بكل خطوة مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة ، فاذا جلس بين يديهما وتكلم معهما بطيب الكلام أعطاه الله تعالى يوم القيامة نورا يسعى بين يديه فاذا خرج من عندهما خرج مغفورا له » وروى أنه كان فى زمن عمر رضى الله عنه رجل تاجر فأتت إليه والدته يوما تطلب منه شيئا تنفقه على نفسها فقالت امرأته إن والدتك تريد أن تتركنا فقراء إذا كان كل يوم تطلب هكذا فبكت أمه ومضت ولم يعطها ، فبينا هو يمشى فى بعض أسفاره مع التجارة إذ خرج عليه قطاع الطريق ونهبوا ما كان معه ثم أخذوا الرجل وقطعوا يده وعلقوها فى عنقه وتركوه

مطروحا مجندلا فى دمه على الطريق فمر عليه قوم فحملوه إلى منزله فلما دخل عليه أقاربه قال لم هذا جزائى فلو كنت أعطيت أمى بيدى درهما ماقطعت يدى وما سلب مالى ، فأتت إليه والدته فقالت له : يابنى إنى متحسرة عليك بما فعل العدو معاك ، فقال الرجل يا أمى هذا كله بذنبى إليك فأسألك الرضى ، فقالت يابنى إنى رضيت عنك ، فلما كان الليل أصبح الرجل وقد عادت يده كما كانت بقدرته تعالى (موعظة) . حكى أن شيخا كان مشهورا بالفضل فيوما قصد مكة وله أم لم ترض أن يسافر إلى مكة ، فلم يقتدر الشيخ على إرضائها ومشى إلى مكة فجاءت أمه من خلفه وقالت يارب ان ابنى أحرقنى بنار الفرقة سلط عليه عقابا وتضرعت وناجت ، فلما بلغ الشيخ مدينة من المدائن دخل مسجدا فى الليل للعبادة ، فدخل لص فى بيت من البيوت ، فعلم صاحب البيت أن فى البيت لصا ، ففر اللص إلى جانب المسجد ، فتعقبوه فلما جاءوا إلى باب المسجد غاب اللص فقالوا بل فى المسجد ، فدخلوا فرأوا الشيخ قائما يصلى ففى الحال أخذوه فأتوا به ملك المدينة ، فأمر الملك بقطع يديه ورجليه وإخراج عينيه فقطعوا يديه ورجليه وأخرجوا عينيه ونادوا فى السوق هذا جزاء السارق ، فقال الشيخ لاتقولوا ذلك بل قولوا هذا جزاء من قصد طواف مكة بلا إذن أمه فلما رأوا أنه الشيخ وعلموا بهذه الحالة بكوا وجزعوا فأعادوا الشيخ إلى أمه ووضعوه على باب الصومعة وفيها تنادى أمه وتقول يارب إن ابتليت ابنى ببلاء أعده إلى حتى أراه فنادى الشيخ أنا مسافر جائع فأطعمينى فقالت إئت إلى الباب ، فقال مالى من رجلين أمشى إليك ، فقالت أمه امدد يديك ، فقال مالى من يدين ، فقالت أمه إن أطعمتك تحصل بينى وبينك حرمة ، فقال الشيخ لاتخافى مالى من عينين ، فأخذت أمه رغيفا واحدا وماء باردا بكوز فقدمت إليه ، فلما رأى الشيخ أمه وضع وجهه على قدميها وقال : أنا ابنك العاصى ، فعلمت أمه أنه ابنها وبكت فقالت : يارب إذا كانت الحالة كذلك فاقبض روحى وروحه حتى لايرى الناس سواد وجهنا ، فلم تتم المناجاة إلا وقد قبض روحهما (من تفسير إنا عرضنا الأمانة) وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « كنت جالسا مع النبى عليه الصلاة والسلام وجماعة من الصحابة إذ أتى رجل فقال السلام عليكم ، فقلنا وعليك السلام ، فقال يا رسول الله إن عبد الله بن سلام يدعوك ليودعك فانه مريض وعلى خروج من الدنيا ، فلما سمع ذلك قام ثم قال : قوموا بنا نزور أخانا عبد الله ، ثم مضى عليه الصلاة والسلام عند رأسه قال : يا عبد الله قل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، فقالها فى أذنه ثلاثا فلم يقلها ، فقال عليه الصلاة والسلام : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وقال عليه الصلاة والسلام لبلال : يابلال امض إلى امرأته واسألها ما كان يعمل زوجها فى الدنيا وما كان شغلها ، فمضى بلال رضى الله عنه وسألها

عن عمل زوجها فقالت لبلال : وحق رسول الله ما أعرف من يوم تزوجنى أنه ترك الصلاة خلف رسول الله ، ولا مضى عليه يوم إلا وتصدق فيه بشىء إلا أن والدته غير راضية عنه ، فقال عليه الصلاة والسلام : ائتونى بها ، فمضى بلال إليها وقال أجيبى النبى عليه الصلاة والسلام ، فقالت وما ذاك ؟ فقال ليصلح بينك وبين ولدك عبد الله ، وأنه على خروج من الدنيا ، فقالت وحق رسول الله لا أمضى ولا أجعله فى حل مما آذانى لادنياه ولا أخراه ، ثم امتنعت فأتى بلال إلى النبى عليه الصلاة والسلام فأعلمه ، فقال عليه الصلاة والسلام : ياعمر وياعلى اذهبا فائتيانى بها ، فذهبا إليها فلما دخلا عليها قالا : أيتها العجوز إنه عليه الصلاة والسلام يدعوك ، قالت وما يريد منى ومالى من حاجة ؟ فقالا لها لابد أن تمشى معنا ، فمشت معهما حتى أتت إليه ، فقال عليه الصلاة والسلام : أيتها العجوز انظرى إلى ولدك وما هو عليه ، فلما نظرت إليه قالت : يا ولدى والله لا أجعلك فى حل من حقى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فقال عليه الصلاة والسلام أيتها العجوز خف الله عز وجل واجعليه فى حل ، فقالت كيف أجعله فى حل وهو ضربنى وطردنى من بيته لأجل امرأته فهو آذانى وعصانى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : إن حقك على إن جعلتيه فى حل ، فقالت اشهد يا رسول الله أنت ومن معك أنى جعلته فى حل ، فقال عليه الصلاة والسلام يا عبد الله : قل أشهد أن لا إله إلا الله ، فرفع صوته بالشهادة ثم مات بعد ذلك فلما صلينا عليه ودفناه قال عليه الصلاة والسلام : يا معشر المسلمين ألا من كانت له والدة لم يرضها خرج من الدنيا على غير الشهادة » (موعظة) وعن أنس رضى الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام : « مامن رجل مات ووالداه عنه غير راضيين عنه إلا أخرج الله روحه على غير الشهادة ، ولا يخرج من قبره إلا وعلى وجهه مكتوب هذا جزاء من عق والديه » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : إن رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « ما من عبد آتاه الله تعالى مالا ثم لم يؤد حق والديه إلا أحبط الله عز وجل عمله وأذاقه العذاب الأليم » الحديث ، روى الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « رضا الرب فى رضا الوالدين ، وسخط الرب فى سخط الوالدين » كذا فى الجامع الصغير ، لأنه تعالى أمر أن يطاع الأب ويكرم فمن أطاعه فقد أطاع الله تعالى ، ومن أغضبه فقد أغضبه ، وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة وعلم منه بالأولى أن الأم كذلك ، كذا فى التيسير لأن حقها أكثر . فعلى العاقل أن يحترز عن أن يكون عاقا لوالديه انتهى . قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى : لو لم يذكر الله سبحانه وتعالى فى كتابه حرمة الوالدين ولم يوص بهما ، لكان يعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة ، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتهما ويقضى حقهما ويسعى فى تحصيل

رضاها ، فكيف وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى فى جميع كتبه فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وقد أمر بطاعتهما فى جميع كتبه ، وأوحى إلى جميع الرسل وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما ، وجعل رضاه فى رضا الوالدين ، وسخطه فى سخطهما انتهى .
(كذا فى تنبيه الغافلين)

المجلس الثالث والستون : فى بيان ذم سوء الظن والغيبة

سورة الحجرات — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) كونوا منه على جانب وإبهام الكثير ليحتاط فى كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أى القبيل ، فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ، وما يحرم كالظن فى الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع ، وظن السوء بالمؤمنين ، وما يباح كالظن فى الأمور المعاشية (إن بعض الظن إثم) تعليل مستأنف للأمر ، والإثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كأنه يثم الأعمال : أى يكثرها (ولا تجسسوا) ولا تبحثوا عن عورات المسلمين . وفى الحديث « ولا تتبعوا عورات المسلمين ، فان من تتبع عوراتهم تتبع الله تعالى عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته » (ولا يغتب بعضكم بعضا) ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر ، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله (فكرهتموه) تقريرا وتحقيقا لذلك . والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه (واتقوا الله إن الله تواب رحيم) لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه ، والمبالغة فى التواب لأنه بليغ فى قبول التوبة إذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب (قاضى بيضاوى) .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « زينوا مجالسكم بالصلاة على ، فان صلاتكم على نور لكم يوم القيامة » رواه صاحب الفردوس . وقال عليه الصلاة والسلام « لا يرى وجهى ثلاثة : عاق الوالدين وتارك سنتى ومن ذكرت عنده فلم يصل على » صدق من نطق . قيل سبب نزول هذه الآية أنها نزلت فى رجلين من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام ، وذلك أن النبى عليه الصلاة والسلام ضم إلى رجلين غنيين فى السفر رجلا من فقراء الصحابة ليصيب معهما من طعامهما ويتقدمهما فى المنزل ويهيء لهما المنزل والطعام ، فضم سلمان الفارسى إلى الرجلين المذكورين ، فنزل ذات يوم منزلا ولم يهيء لهما شيئا ، فقالا له اذهب إلى رسول الله

فسله لنا فضل إدام ، فانطلق فقال أحدهما لصاحبه وقد غاب عنهما : إنه لو انتهى إلى بئر سميحة وهى المشهورة بكثرة الماء لغارماؤها ، فلما انتهى إلى رسول الله وبلغه الرسالة قال عليه الصلاة والسلام له : قل لهما إنكما قد أكلتما الإدام ، فرجع إليهما . وأخبرهما بما قال رسول الله ، فأتيا النبي عليه الصلاة والسلام وقالا : ما أكلنا من إدام يارسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنى لأرى حمرة اللحم فى أفواهكما لاغتيابكما صاحبكما فنزلت هذه الآية . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » الحديث . روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « أربعة من الجفاء : الأول أن يبول الرجل وهو قائم ، والثانى أن يمسح جبهته قبل أن يفرغ من الصلاة ، والثالث أن يسمع النداء فلا يتشهد مثل ما يتشهد المؤذن ، والرابع إن ذكرت عنده لا يصلى على » (سيد على زاده) وقال عليه الصلاة والسلام « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على » (قاضى بيضاوى) وعن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « الغيبة أشد من الزنا ، قالوا كيف يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : الرجل يزنى ثم يتوب فيتوب الله عليه ، وأما صاحب الغيبة فلا يغفر له حتى يغفر صاحبه » فعلم من هذا الحديث أن الغيبة من الكبائر . روى أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من دخل الجنة ، ومن مات مصرا عليها فهو أول من دخل النار (زبدة الواعظين) « سئل النبى عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال : أن تذكر أخاك بما يكرهه ، فان كان ذلك الشىء فيه فقد اغتبته ، وإن لم يكن ذلك الشىء فيه فقد بهته » (قاضى بيضاوى) كما روى عن عكرمة « أن امرأة طويلة دخلت على النبى عليه الصلاة والسلام ، فلما خرجت قالت عائشة : هذه طويلة القامة ، فقال عليه الصلاة والسلام : الفظى الغيبة ، فلفظت مضغة من لحم ، فقالت عائشة ما قلت إلا ما فيها ، فقال عليه الصلاة والسلام : ذكرت قبح ما فيها » لأن الغيبة أن تذكر أخاك بما فيه ، وأما ما ليس فيه فهو البهتان ، وهو أشد من الغيبة ؛ لأنه يحتاج إلى التوبة فى ثلاثة مواضع : الأول أن يرجع إلى القوم الذين تكلم بالبهتان عندهم ويقول : قد ذكرت عندكم فلانا بكذا ، فاعلموا أنى قد كذبت فيه . والثانى أن يذهب إلى من قال عليه البهتان ويطلب منه الاستحلال . والثالث أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه ، ولذا قيل الغيبة سواء ذكرت نقصانا فى نفسه أو عقله أو ثوبه أو قوله أو نسبه أو دابته أو شىء مما يتعلق به حتى قولك إنه واسع الكم أو طويل الذيل أو القامة كما فى قصة عائشة (زبدة الواعظين) عن علاء بن الحارث أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال « الهمازون واللمازون والمشاءون

بالنميمة الباغون للبرآء العيب يحشرهم الله يوم القيامة فى وجوه الكلاب » (طريقة محمدية) عن أبى هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من مشى بالنميمة بين اثنين سلط الله عليه فى قبره نارا تحرقه إلى يوم القيامة » (موعظة) روى عن وهب بن منبه أنه قال: لما ركب نوح عليه السلام السفينة أدخل معه من كل نوع زوجين حتى الكلب والهرة ومنع الكل عن المجامعة لئلا يتوالدوا فتضيق السفينة عليهم، فلم يصبر الكلب فجامع، فرأته الهرة، فجاءت إلى نوح وأخبرته عليه السلام، فدعا نوح عليه السلام الكلب ولامه فخلى سبيله، ففعل ذلك مرة أخرى، فجاءت الهرة وأخبرته، فدعا نوح عليه السلام الكلب ولامه وأنكر الكلب، فقالت الهرة: يا نبى الله رأيته قد فعل فلو دعوت الله يظهر لك علامته وتبصره بعينك، فدعا نوح عليه السلام ربه، ثم إن الكلب جامع فاشتد ذلك عليه بحيث لا يمكنه الانفصال حتى جاءت الهرة وأخبرته، فجاء نوح عليه السلام فرآهما كذلك فخجل الكلب من ذلك، فدعا ربه فقال: يارب اجعل لها فضيحة على رءوس الخلائق وقت الجماع كما فضحتنا، فاستجاب الله تعالى دعاءه حتى إن الهرة إذا جومعت تصيح حتى يعلم الخلائق بصيحتها عقوبة لما كشفت ستر الكلب، كذلك ابن آدم إذا كشف ستر المؤمنين يكشف الله ستره يوم القيامة (زبدة الواعظين). عن كعب الأحبار أنه قال: أصاب بنى إسرائيل قحط، فخرج موسى عليه السلام إلى الاستسقاء ثلاثة أيام فلم يسقوا، فقال موسى عليه السلام: إلهى إن عبادك قد خرجوا ثلاثة أيام فلم تستجب دعاءهم، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إنى لا أستجيب دعاء قوم فيهم رجل نمام قد أصر على النميمة، فقال موسى عليه السلام: يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا، فقال الله تعالى: يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما، فتابوا بأجمعهم فسقوا (زبدة الواعظين) عن أبى هريرة عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اغتاب فى عمره مرة يعاقبه الله بعشر عقوبات: الأولى يصير بعيدا من رحمة الله. والثانية يقطع الملائكة عنه الصحبة. والثالثة يكون نزع روحه عند موته شديدا. والرابعة يصير قريبا إلى النار. والخامسة يصير بعيدا من الجنة. والسادسة يشتد عليه عذاب القبر. والسابعة يحبط عمله. والثامنة يتأذى منه روح النبي عليه الصلاة والسلام. والتاسعة يسخط الله عليه. والعاشرة يصير مفلسا يوم القيامة عند الميزان » (زبدة الواعظين). عن أبى أمامة الباهلى أنه قال « إن العبد يعطى كتابه يوم القيامة فيرى حسنات لم يكن عملها فيقول يا رب من أين هذا لى؟ فيقول الله تعالى هذا عمل من اغتابك من الناس وأنت لا تشعر » ولذا روى أن الحسن البصرى قال له رجل فلان قد اغتابك، فبعث إليه طبقا من الطرف وقال: بلغنى أنك أهديت إلى حسناتك وأنا أهديت إليك هذا. عن أنس

ابن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اغتاب أخاه المسلم حول الله قبله إلى دبره يوم القيامة » وعن على كرم الله وجهه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إياكم والغيبة لأن فيها ثلاث آفات : الأولى لا يستجاب له الدعاء . والثانية لاتقبل له الحسنات . والثالثة تزداد عليه السيئات » (زبدة) روى عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنه قال : « كنا مع النبي عليه الصلاة والسلام فارتفع ريح جيفة منتنة ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أتدرون ما هذا الريح ؟ فقالوا الله ورسوله أعلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : هذا ريح الذين يغتابون الناس من المؤمنين » فان قيل ما الحكمة فى أن ريح الغيبة ونتنها كان يظهر فى أول الأمة ولا يظهر فى زماننا . قلنا الغيبة كثرت فى زماننا وامتلأت منها الأنوف فلا تظهر رائحة النتن كرجل دخل فى دار الدباغين فلا يقف لشدة النتن ساعة وأهلها يأكلون الطعام ولاتتبين لهم الرائحة لامتلاء أنوفهم منها (زبدة الواعظين) . قيل الغيبة على أربعة أوجه : مباح ومعصية ونفاق وكفر ، أما المباح فهو غيبة المجاهرين بالفسق وغيبة صاحب البدعة لما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال « اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس » وأما المعصية فهو ذكر إنسان بما فيه من العيب باسمه عند جماعة ويعلم أنها معصية فهو عاص وعليه التوبة . وأما النفاق فهو ذكر إنسان بما فيه من العيب من غير ذكر اسمه عند من يعرف أنه يريد به فلاناً ويرى من نفسه أنه متورع هذا هو النفاق . وأما الكفر فهو ذكر إنسان بما ليس فيه من العيب عند جماعة باسمه ، فاذا قيل له لا تغتب ، يقول هذا ليس بغيبة وأنا صادق فيما قلت فيه ، وهذا كفر لأنه يستحل ما حرم الله تعالى (زبدة الواعظين . خ م) عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « لا يدخل الجنة قتات » وفى رواية « نمام » (طريقة محمدية) وروى عن حماد بن سلمة أنه قال : باع رجل غلاما ، فقال الرجل للمشترى ليس فيه عيب إلا أنه نمام ، فاستحقره المشترى فاشتراه على ذلك العيب ، فمكث الغلام عنده أياما ثم قال لزوجة مولاه : إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك ، أفتريدين أن يعطف عليك ؟ قالت نعم ، قال لها خذى موسى واحلقى شعرات من باطن لحيته إذا نام ، ثم جاء الغلام إلى الزوج فقال : إن امرأتك تخادنت عليك : يعنى اتخذت خدنا وتريد أن تقتلك ، أتريد أن يتبين لك ذلك ؟ قال نعم ، قال فتناوم لها ففعل ، فجاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات ، فظن الزوج أنها تريد قتله ، فأخذ منها الموسى فقتلها ، فجاء أولياؤها فقتلوه ، فجاء أولياء الرجل فوقع القتال بين الفريقين (موعظة) .

(حكى) أن أبا الليث البخارى خرج حاجا ، فجعل فى جيبه درهمين وحلف وقال : إن اغتبت فى طريق مكة ذاهبا أو جائيا فلله على أن أصرف الدرهمين ، فرجع إلى منزله

والدرهمان فى جيبه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : لأن أزنى مائة مرة أحب إلى من أن أغتاب مرة واحدة ، ثم قال : من اغتاب رجلا فقيها جاء يوم القيامة مكتوبا على جبهته آيس من رحمة الله ، ومن اغتاب نبيا كان كمن قتل نفسا بغير حق ، ومن اغتيب فبلغه فصبر عليها غفر له نصف ذنوبه . فينبغى لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعالى ويتوب قبل القيام من المجلس عسى أن يغفر الله له ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام « إذا ذكر أحدكم أخاه المسلم بالسوء فليستعذ بالله تعالى فانه كفارة » واعلم أن الغيبة إنما رخص فيها فى خمسة مواضع : الأول أن المظلوم يذكر ظلم الظالم عند السلطان ليدفع ظلمه ، وأما عند غير السلطان فلا . والثانى عند المستفتى إذا افتقر إلى ذكر السوء ، وقد قالت هذا القول امرأة أبى سفيان حين جاءت النبى عليه الصلاة والسلام مستفتية « إن أبا سفيان رجل لا يعطينى ما يكفينى » الثالث تحذير المسلم من شر الغير إذا علم . الرابع أن يكون معروفا باسم فيه كالأعمش والأعرج والعدول إلى اسم آخر أولى . الخامس أن يكون مجاهرا بذلك العيب لا يكرهه كالمخنث ، قالوا من ألقى جلباب الحياء عنه فلا غيبة له (كذا فى زبدة الواعظين) .

المجلس الرابع والستون : فى بيان معجزات النبى عليه الصلاة والسلام

سورة القمر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة وانشق القمر) روى أن الكفار سألوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر ، وقيل معناه سينشق القمر يوم القيامة ، ويؤيد الأول أنه قرىء « وقد انشق القمر » أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر (وإن يروا آية يعرضوا) عن تأملها والإيمان بها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد ، وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك ، أو محكم من المرة يقال أمررته فاستمر إذا أحكمته فاستحكم ، أو مستبشع من استمر الشىء إذا اشتدت مرارته أو مار ذاهب لا يبقى (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضى للإشعار بأنهما من عادتهم القديمة (وكل أمر مستقر) منته إلى غاية من خذلان أو نصر فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة ، فإن الشىء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقر ، وقرىء بالفتح أى ذو مستقر بمعنى استقرار ، وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل معطوف على الساعة (قاضى بيضاوى) .

وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنه قال « ما من مجلس يصلى فيه على محمد عليه الصلاة والسلام إلا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء ، فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على محمد عليه الصلاة والسلام » (دلائل الخيرات)

روى أن حبيب بن مالك كان ملكا من ملوك الجاهلية فى الشام وكانت العرب يسمونه ريحانة قريش ، فلما جاء مكتوب أبى جهل إليه لكذا وكذا كما مر ركب حبيب بن مالك ومعه اثنا عشر ألف فارس ، ونزل بالأبطح وهو موضع قريب من مكة ، وخرج أبو جهل إليه وعظماء مكة بالهدايا من العبيد والحلل ، فأقعده عن يمينه وسأله عن محمد ، فقالوا أيها السيد فصل بنى هاشم ، فقال لهم : ماتقولون فى محمد ؟ قالوا نعرفه من صغره بالأمانة والصدق فى القول ، فلما بلغ عمره أربعين سنة ، جعل يسب آلهتنا ويظهر دينا غير دين آبائنا . فقال حبيب أحضر وا محمدا طوعا ولو أبى فكرها ، فبعثوا إليه رجلا ، فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر رضى الله عنه وخديجة يبكيان يقولان : نخاف عليك من سطوة هذا الكافر : أى من قهره وغلبته وغضبه . قال عليه الصلاة والسلام لاتخافا على وفوضا أمرى إلى الله ، فأقبل أبو بكر الصديق بحلة حمراء وعمامة سوداء ، فلبسهما رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وخرج حتى وقف بين يدى حبيب وأبو بكر عن يمينه وخديجة من خلفه ، فلما رأى النبى عليه الصلاة والسلام قام إكراما للنبى عليه الصلاة والسلام ونصب له كرسيا من ذهب وخديجة تدعو وتقول: اللهم انصر محمدا وأوضح حجته ، فلما جلس بين يديه والنور يتلألأ من وجهه سكت وتطاولت الأعناق ووقعت الهيبة على الناس ، فرفع حبيب رأسه وقال : يا محمد أنت تعلم أن للأنبياء كلهم معجزات ألك معجزة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ماذا تريد ؟ فقال حبيب أريد أن تغيب الشمس ويخرج القمر وينزل إلى الأرض ، وينشق نصفين ويدخل تحت إزارك ، ويخرج نصفه من كم يمينك ونصفه من كم شمالك ، ثم يجتمعان فوق رأسك ويشهد لك بالرسالة ، ثم يعود إلى السماء قمرا منيرا ثم يغيب ، وتخرج الشمس بعده وتسير إلى منزلها كأول مرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فعلت ذلك كله أتؤمن بى ؟ قال نعم بشرط أن تخبرنى بما فى قلبى ، فوثب : أى قام أبو جهل إليه وقال : أحسنت يا أيها السيد لقد قلت وأبلغت ، فخرج عليه الصلاة والسلام وصعد إلى جبل أبى قبيس وصلى ركعتين وبسط يده يدعو ربه ، فنزل جبرائيل عليه السلام ومعه اثنا عشر ألفا من الملائكة وبأيديهم رماح ، فقال السلام عليك يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويقول : حبيبى لاتخف ولا تحزن وأنا معك حيثما كنت ، قد ثبت فى علمى وجرى قضائى فى الأزل ماسأل حبيب عنه اليوم ، فاذهب إليهم وبلغ الحجة وأوضح شأنك وبين رسالتك ، واعلم أن الله تعالى قد سخر لك الشمس والقمر والليل والنهار وأن لحبيب بن مالك بنتا سطيحة ، يعنى ساقطة على قفاها مالها يدان ولا رجلان ولا عينان فأخبره أن الله تعالى رد عليها يديها ورجليها وعينيها ، فنزل عليه الصلاة والسلام وقد ازداد نورا وسرورا وجبرائيل عليه السلام فى الهواء وصفت الملائكة صفوفا حتى وقف رسول الله عليه الصلاة

والسلام عند مقام إبراهيم ، وكان ذلك وقت غروب الشمس ، فجعلت الشمس تركض ركضا أى تسرع حتى غابت واشتد الظلام ثم طلع القمر بدرا منيرا ، فلما ارتفع أشار إليه بأصبعيه فجعل القمر يركض ركضا حتى نزل إلى الأرض ووقف بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام وهو يرتعد كالسحاب ، ثم انشق نصفين ثم دخل تحت ثيابه وخرج نصفه من كمه الأيمن ؟ ونصفه من كمه الأيسر ثم عاد قمرا منيرا ، ونادى رافعا صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، قد أفلح من صدقك وقد خاب من خالفك ، ثم عاد إلى السماء قمرا منيرا وغاب ، ثم عادت الشمس كما كانت أول مرة . ثم قال حبيب بقى لى الشرط ، فقال إن لك بنتا سطيحة وإن الله قد رد عليها جوارحها ، فنهض حبيب قائما وقال يا أهل مكة لا كفر بعد الإيمان ولا شك بعد الإيقان ، اعلموا أنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأسلم معه أصحابه ، فقال أبو جهل أيها السيد أتؤمن بهذا الساحر إذ رأيت سحره ؟ ثم خرج حبيب إلى الشام مسلما ودخل قصره فاستقبلته بنته قائلة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فقال لها يا بنتى من أين تعلمت هذه الكلمات ، قالت أتى إلى فى المنام رجل فقال لى إن أباك قد أسلم ، فإن كنت مسلمة فقد رددنا عليك أعضاءك سالمة ، فأسلمت فى منامى وأصبحت كما ترانى ، فوقع حبيب ساجدا لله شكرا لنعمة الإيمان وازداد يقينا ثم حمل حبيب بن مالك على خمسة جمال ذهبا وفضة وقماشا وأرسلها مع عبيده إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فلما قربوا من مكة ، فإذا أبو جهل يصطاد فقال لمن أنتم ؟ قالوا نحن لحبيب ابن مالك نريد رسول الله عليه الصلاة والسلام فحمل عليهم أبو جهل ليأخذها من أيديهم فأبوا حتى تضاربوا وقامت الحرب بينهم ، فاجتمع أهل مكة وأعمام النبى عليه الصلاة والسلام والعبيد يقولون : أهدى حبيب هذا المال إلى محمد عليه الصلاة والسلام وأبو جهل يقول أهداه إلى ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام يا أهل مكة أترضون بقولى ؟ قالوا نعم ؟ فقال نحكم الجمال فلمن تكلمت يكون له المال ، فقال أبو جهل : تؤخرها إلى الغد ، فرضى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأتى أبو جهل إلى بيت الأصنام فبات تلك الليلة عندها فقرب لها قربانا ودعا الأصنام وتضرع إلى الصباح ، فلما أسفر الصباح أقبل أهل مكة بأجمعهم وأقبل رسول الله عليه الصلاة والسلام وأعمامه ، فأقبل أبو جهل ودار حول الجمال يقول : انطق باللات والعزى ومنات فلم يزل على هذا حتى هجرت الشمس : أى ارتفعت فلم يسمع منهن شىء حتى قال أهل مكة حسبك يا أبا جهل فتقدم أنت يا محمد ، فأقبل إليهن ، فقال : أيتها المخلوقة بخلق الله انطقى بقدرة الله تعالى ، فقام واحد منها وقال رافعا صوته : يا قوم نحن هدية من حبيب بن مالك إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، فأخذ عليه الصلاة والسلام زمامها إلى جبل أبى قبيس ، فأخرج الذهب

والفضة وجعلها تلاً ثم قال كوني ترابا ، فصارت كذلك إلى اليوم . قال الشيخ أبو حفص عمر بن حسن في القصة لما ظهر شأن النبي عليه الصلاة والسلام أخذ أبو جهل في تدبير هلاكه فجمع رعاياه على أن يحفر بئرا فحفر وستر رأسه بالحشيش والتراب الضعيف ، وأمر عبيده أن ينظروا فاذا جاء محمد ووقع في البئر أن يحثوا عليه التراب ، فلما انتهى خبر مرضه إلى النبي عليه الصلاة والسلام قام من حسن خلقه ليعوده ، فلما بلغ قريبا من باب داره جاء جبرائيل عليه السلام فأخبره بذلك ومنعه عن الدخول ، فرجع النبي عليه الصلاة والسلام ، فأخبر أبو جهل بذلك فقام من فراشه مسرعا وعدا خلف النبي عليه الصلاة والسلام ليقول له لم رجعت ونسي البئر ووقع فيه ، فأدلوا إليه حبلا فلم يبلغ إليه ، فجمعوا الحبال والاطناب وكلما ازدادوا حبلا ازداد سفلا ، فنادى أبو جهل من البئر أن امضوا إلى محمد وائتوني به فانه لا يخلصني أحد دونه ، فسألوه الحضور عنده فحضر إلى رأس البئر وقال له إن أخرجتك من هذا البئر أتؤمن بالله ورسوله ، قال نعم ؛ فمد يده عليه الصلاة والسلام وأمسك بيد أبي جهل فأخرجه من البئر ، فلما صعد قال : ما أسحرك يا محمد ، وهذه من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « من حفر بئرا لأخيه المسلم وقع فيه » (موعظة) وروى في بعض الأخبار « أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في حال صغره يلعب مع الصبيان ، فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل عليه السلام اذهب إلى الجنة وخذ منها طستا وإبريقا من ذهب واملأه من ماء الكوثر ، واذهب إلى محمد عليه الصلاة والسلام وشق صدره ثم استخرج منه قلبه ثم اغسله في الطست بذلك الماء الذي في الإبريق ثم املأه بالإيمان والحكمة ثم ارجع إلى مكانك ، فجاء جبرائيل عليه السلام كأنه طير في الهواء ورفع النبي عليه الصلاة والسلام من بين الصبيان وذهب إلى الصحراء ثم وضعه تحت الشجرة فضرب جناحيه على صدره وشقه وأخرج قلبه ، ثم شقه وغسله بالماء الذي في الإبريق في ذلك الطست وأخرج منه كل ما كان فيه وقال هذا حظ الشيطان ثم أعاده إلى مكانه وقال : هذا قلب طهره الله من العيوب وذهب إلى السماء وتركه في ذلك المكان ، وذهب الصبيان إلى حليمة وقالوا : إن محمدا رفعه طير وذهب به في الهواء ، فبكت حليمة وكشفت عن رأسها ونتفت شعرها وصاحت وقالت وامحمداه ، فاجتمع عندها الناس وأعمام محمد وأقاربه وأخبرتهم ، فركبوا الأفراس وذهبوا من كل وجه ، فوجدوا محمدا في ظل تلك الشجرة مستلقيا على قفاه مستغرقا في عرقه ، فسألوه عن حاله فأخبرهم بالقصة ، فتعجبوا من ذلك الأمر وقالوا إن هذا لشيء عجيب (موعظة) قال الشيخ أبو حفص : إن أبا جهل وأشراف قريش جاءوا إلى أبي طالب عم النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا : إن ابن أخيك هذا أظهر دينا بخلاف ما كنا عليه ، وهو يسب آلهتنا ونحن نعفو عنه شرفا لك ، فان ترك ما جرى

عليه من الخلاف وعاد إلى الوفاق وإلا لم يبق بيننا إلا السيف ، فقال لهم أبو طالب : اقعدوا حتى أستدعيه وأستخبره وأبصر ما يجيبني ، فدعاه فحضر وكان أبو طالب جالساً على سرير متكئاً عليه ، فجاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى هؤلاء الرؤساء من قريش حتى بلغ السرير ، فقعد واستند بجنب أبي طالب فقالوا لأبي طالب : أما رأيته كيف ترك حرمتك وخطى أعناقنا وقعد بجنبك على سريرك ؟ فقال إن كان فيما يقول ويدعيه صادقاً فاليوم قعد على سرير وغداً يقعد على أعناقكم ، فقالوا إن كان صادقاً في دعواه ، فقل له جيء بحجة قدامك حتى نقره ونصدقه ، فقال أبو طالب يا ابن أخي ما تقول فيما قالوا ؟ قال عليه الصلاة والسلام عنوا ما شئتم ، وكان في صحن الدار صخرة ، فاجتمعت آراؤهم على أن يخرج من هذه الصخرة شجرة تنشق رأسها نصفين يبلغ أحدها للشرق والآخر للغرب ، فاشتغل النبي عليه الصلاة والسلام بالدعاء فنزل جبرائيل عليه السلام وقال : إن الله تعالى يقول : منذ خلقت هذه الصخرة علمت أنهم يطلبونك بهذه المعجزة وقد خلقت تلك الشجرة في جوفها ، فأشار عليه الصلاة والسلام فانشقت تلك الصخرة نصفين وخرجت منها تلك الشجرة وارتفعت حتى بلغت عنان السماء على حسب ما طلبوا منه ، فقالوا ما أحسن ما جئت به ولكن لا نؤمن بك حتى ترد الشجرة إلى الصخرة كما كانت ، فتفكر النبي عليه الصلاة والسلام فنزل جبرائيل عليه السلام وقال : إن الله يقرئك السلام ويقول : الدعاء منك والإجابة مني ، فدعا عليه الصلاة والسلام فرجعت الشجرة إلى حالها فقاموا من الموضع فقالوا ما أسحرك يا محمد ما رأينا قط مثلك (معجزات) .

المجلس الخامس والستون : في بيان البكاء

سورة الحشر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ليوم القيامة سماه به لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم ، وأما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك (واتقوا الله) تكريره للتأكيد ، أو الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل ، والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله (إن الله خبير بما تعملون) وهو كالوعيد على المعاصي (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) نسوا حقه (فأنساهم أنفسهم) فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الهول ما أنساهم أنفسهم (أولئك هم الفاسقون) أي الكاملون في الفسق (قاضي بيضاوي) .

عن أبي كاهل عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يا أبا كاهل من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبا لي وشوقا إلي كان حقا على الله أن يغفر

له ذنوب ذلك اليوم وذنوب تلك الليلة » (زبدة الواعظين) قيل كان لعمر رضي الله عنه صحيفة سيكتب ما فعله من الأسبوع إلى الأسبوع من الخير والشر ، فإذا كان يوم الجمعة يعرض أعمال الأسبوع على نفسه ، فكلما بلغ شيئا في غير رضا الله تعالى جعل يضرب بالدرة نفسه ويقول : أفعلت هذا ؟ فلما مات أرادوا غسله ، فإذا في ظهره وجنبيه سواد من كثرة الضرب ، وكان إذا سمع آية العذاب من القرآن خر مغشيا عليه ، ويكون مريضا ويجيء أصحابه للعيادة وعلى وجهه خطان من كثرة سيلان دموع عينيه ويقول : ليتني لم تلدني أمي ، فيوما كان يمشي فسمع قارئا يقرأ القرآن (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) فسقط عن دابته مغشيا عليه ، فحملوه إلى بيته فلم يخرج من بيته شهرا (مجالس الأبرار) عن كعب الأحبار أنه قال : لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموع عيني أحب إلي من أن أتصدق بوزن نفسي ذهبا ، لأنه ما من باك يبكي من خشية الله تعالى حتى تسيل قطرة من دموع عينيه على الأرض إلا لم تمسه النار (مجالس الأبرار) روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : ما زهد الزاهدون في شيء مثل الزهد في الدنيا ، وما تقرب المتقربون إلى بشيء مثل الورع عما حرمت عليهم ، وما تعبد المتعبدون إلي بمثل من بكى من خشيتي ، فقال موسى عليه السلام : يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين فما تثيبهم على ذلك ؟ قال الله تعالى : أما الزاهدون فأبيح لهم الجنة يتبوءون منها حيث يشاءون ، وأما المتورعون عما حرمت عليهم فأدخلهم الجنة بغير حساب ، وأما الباكون من خشيتي فهم مع الرفيق الأعلى في الجنة (موعظة) وفي الخبر « إذا كان يوم القيامة يوقف العبد بين يدي الله تعالى ، فيؤتى كتابه ويجد فيه سيئات كثيرة فيقول : إلهي ما فعلت هذه السيئات ؟ فيقول الله تعالى إن لي شهودا ثقات ، فيلتفت إلى يمينه وشماله ولم ير أحدا من الشهود ، فيقول يا رب أين الشاهد ؟ فيأمر الله جوارحه بأن تشهد عليه ، فتشهد فتقول الأذنان : إنا سمعنا وعلمنا أنه قد عمل والعينان إنا قد نظرنا واللسان أنا قد قلت وكذا اليدان والرجلان إنا فعلنا والفرج أنا زنيت ، فيبقى العبد متحيرا فيأمر الله تعالى به إلى النار ، فيظهر من عينه اليمنى شعرة واحدة تستأذن من الله تعالى أن تتكلم ، فيأذن الله تعالى لها فتقول : يارب ألست قلت : أي عبد أغرق شعرة واحدة من أجفانه بدموع عينيه من خشيتي إلا أنجيته من النار ؟ فيقول الله تعالى بلى ، فتقول أنا أشهد أن هذا العبد المذنب قد أغرقني بالدموع من خشيتك ، فيأمر الله تعالى به إلى الجنة ، فينادي المنادي ألا إن فلان ابن فلان قد نجا من النار بشعرة واحدة من أجفان عينيه » (حياة القلوب) روى عن عطاء أنه قال : دخلت أنا وابن عمر وعبيد بن عمرو على عائشة رضي الله تعالى عنها فقال ابن عمر : يا عائشة حدثينا بأعجب شيء عن النبي عليه الصلاة والسلام فبكت

وقالت « أتاني رسول الله عليه الصلاة والسلام ليلة هي ليلتي ، فالتزق جلده بجلدي ثم قال : يا عائشة ائذني لي أن أعبد ربي ، فقلت إني لا أحب هواي بل أحب قربك إلى الله تعالى ، فقام إلى قربة في البيت وهو يبكي فتوضأ وأكثر من صب الماء ، ثم افتتح القرآن فبكى حتى جرت دموعه على الأرض ، فجاء بلال وهو يبكي ، فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ وما يمنعني عن البكاء وقد أنزل الله تعالى على البارحة (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) يا بلال لا يطفئها إلا ماء العين ، ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها » (مجالس الأبرار) وروى عن ابن عباس وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما أنهما قالا : قال عليه الصلاة والسلام « إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى سقطت عنه ذنوبه كما تحات عن الشجرة اليابسة أوراقها » (حياة القلوب) قيل « إذا كان يوم القيامة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال ، فتقصد أمة محمد عليه الصلاة والسلام فيجتهد النبي عليه الصلاة والسلام في دفعها فلا يقدر ، فينادي يا جبرائيل يا جبرائيل الحق الحق النار قد قصدت أمتي لتحرقهم ، فيأتي جبرائيل عليه السلام بقدح من الماء فيناوله الرسول فيقول : يا رسول الله خذ هذا الماء ورشه عليها ، فإذا رشه عليها تطفأ في الحال ، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام : يا جبرائيل ما هذا الماء لم أر مثله في إطفاء النار ، فيقول جبرائيل عليه السلام : ما هذا إلا دموع أمتك الذين يبكون من خشية الله تعالى في الخلوة ، فأمرني ربي أن آخذه وأحفظه إلى وقت احتياجك إليه لتطفئ به النار التي قصدت أمتك » (موعظة) يقال إن آدم عليه السلام بكى حين هبط من الجنة ثلثمائة عام وما رفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى وسجد سجدة على جبل الهند مائة عام يبكي حتى جرت دموع عينيه في وادي سرنديب ، فأنبت الله في ذلك الوادي من دموع عينيه الدار صيني والقرنفل وشربت الطيور من دموع عين آدم عليه السلام ، فقالوا لم نشرب شرابا أعظم من هذا فظن آدم عليه السلام أنهم يسخرون منه لعصيانه ، فأوحى الله تعالى إليه يا آدم إني لم أخلق شرابا ألذ وأعظم من ماء عيون العصاة » (زهرة الرياض) .

(حكي) أن رباحا العبسي اشترى غلاما أسود بأربعة دنانير ، فكان لا ينام ولا يدع مولاه ينام ، فإذا جن الليل قال رباح : يا غلام لم لا تنام ولا تدعنا ننام ؟ فقال : يا مولاي إذا جن ظلام الليل ذكرت ظلمة القبر وظلمة جهنم فيطير نومي ، فإذا ذكرت الوقوف بين يدي ربي عظم غم قلبي ، وإذا ذكرت الجنة ونعيمها تضاعف شوقي ، فكيف لي

بالنوم يا مولاى ؟ فلما سمع رباح ذلك خر مغشيا عليه ، فلما أفاق قال : يا غلام مثلى لايصلح أن يملك مثلك ، اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (مجالس الرومى) روى أن رجلا له ابن صغير يبيت معه فى الفراش ، ففى ليلة اضطرب ولم ينم ، فقال له يا ولدى أبك وجع ؟ قال لا ياأبى ، ولكن غدا يوم الخميس يوم أعرض ما كسبت من العلم ويسمع معلمى منى فى الأسبوع ، فأخاف أن يجد الأستاذ خطأ فيضربنى ويغضب على ، فصاح الرجل صيحة وأهال التراب على رأسه وبكى ، فقال : أنا أحق بهذا الخوف ليوم العرض على الرحمن بما كسبت فى الدنيا من العصيان كما قال الله تعالى (وعرضوا على ربك صفا) (موعظة) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه وعن جسمه فيم أبلاه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه » (طريقة) قال أهل المعرفة : اغسلوا أربعا بأربع : وجوهكم بماء أعينكم ، وألسنتكم بذكر خالقكم ، وقلوبكم بخشية ربكم ، وذنوبكم بالتوبة إلى مولاكم . قال الفقيه : الذنب على وجهين : ذنب فيما بينك وبين الله وذنب فيما بينك وبين العباد ؛ فأما الذنب الذى بينك وبين الله فتوبته الاستغفار باللسان والندم بالقلب والإضمار أن لا يعود إليه أبدا ، فان فعل ذلك فانه لا تنفعه التوبة ما لم يقض ما فاته ثم يندم ويستغفر الله ؛ وأما الذنب الذى بينك وبين العباد فما لم ترضهم لا تنفعك التوبة حتى يحالوك (موعظة) فأما العبد المذكور فى الحديث الشريف فهو وإن كان عاما لكونه نكرة فى سياق النفى لكنه مخصوص بقوله عليه الصلاة والسلام « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب » فعلى هذا يكون السؤال المذكور فيه لغير هؤلاء السبعين ألفا ، فلابد لكل من يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يعلم أنه يسأل يوم القيامة ويناقش فى الحساب ويطالب بمثاقيل الذر من الأعمال والأفعال ، ويتحقق أنه لا ينجيه من هذه الأخطار إلا لزوم محاسبة النفس فى تجارتها لآخرتها ومطالبتها فى أنفاسها وساعاتها وحركاتها وسكناتها ، فان من حاسب نفسه قبل أن يحاسب يخفف عليه يوم القيامة حسابه ويحضره عند السؤال جوابه ويحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسبها تدوم حسراته وتطول فى عرصات القيامة وقفاته ويقوده إلى الخزى والمقت سيئاته ، فإذن لابد للمؤمن من أن لا يغفل فى تجارته لآخرته عن مراقبة نفسه فى حركاتها وسكناتها ولحظاتها وخطراتها ، لأن هذه التجارة يربح بها الفردوس الأعلى والبلوغ إلى سدرة المنتهى مع النبيين والصديقين والشهداء (من مجالس الرومى) .

قال الراغب : النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما لغفلة حتى ينحذف عن القلب ذكره ، وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به ، فهو ما كان أصله

عن تعمد ، وما عذر فيه نحو ماروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان » فهو مالم يكن سببه منه ، فقوله تعالى (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هـذا) هو ما كان سببه عن تعمد منهم وترك على طريق الإهانة ، وإذا نسب ذلك إلى الله تعـالى فهو تركه إياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه كما قال في اللباب : قد يطلق النسيان على الترك ومنه قوله تعالى (نسوا الله فنسيهم) أي تركوا طاعـة الله ترك الناسي فتركهم الله . وقال بعض المفسرين: إن قيل إن النسيان يكون بعد الذكر وهو ضـد الذكر لأنه السهو الحاصل بعد حصول العلم ، فهل كان الكفار يذكرون حق الله سبحانه وتعالى ويعترفون بربوبيته حتى ينسوا بعـد ؟ أجيب بأنهم اعترفوا وقالوا بلى يوم الميثاق ثم نسوا ذلك بعـد ما خلقوا ، والمؤمنون اعترفوا بعد الخلق كما اعترفوا قبله بهداية الله تعالى وراعوا حقها قل أو كثر جل أو صغر . سـئل ذوالنون المصري عن سر ميثاق مقام (ألست بربكم) هل تذكره ، فقال كأنه الآن في أذني (روح البيان) .

المجلس السادس والستون : في بيان فضيلة الجمعة

سورة الجمعة ـــ (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة) أي أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لإذا وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة ، وكانت العرب تسميه العروبة ، وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه . وأول جمعة جمعها النبي عليه الصلاة والسلام أنه لما قدم للمدينة نزل قباء وأقام بها إلى الجمعة ، ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار بني سالم بن عوف (فاسعوا إلى ذكر الله) أي فامضوا إليه مسرعين قصدا ، فإن السعي دون العدو ، والذكر الخطبة ، وقيل الصلاة . والأمر بالسعي إليها يدل على الوجوب (وذروا البيع) أي واتركوا المعاملة (ذلكم خير لكم) أي السعي إلى ذكر الله خير لكم من المعاملة ، فإن نفع الآخرة خير وأبقى (إن كنتم تعلمون) أي الخير والشر الحقيقيين ، أو إن كنتم من أهل العلم (قاضي بيضاوي) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسـلام أنه قال « من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة » وكذلك روى عن أبي الدرداء أنه قال عليه الصلاة والسلام « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود يشهده الملائكة ، وإن أحد يصلي على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » الحديث . وسبب نزول هـذه الآية وهي (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة) « أن النبي عليه الصـلاة والسـلام كان يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ أقبـل دحية الكلبي من تجارة الشأم وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه ، فخرج الناس إليـه ولم

يبق فى المسجد إلا اثنا عشر رجلا ، فنزلت هذه الآية (وإذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) فقال عليه الصلاة والسلام : والذى نفسى بيده لولم يبق هؤلاء الاثنا عشر رجلا منكم لسال الوادى نارا » وهوقوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) الآية (سبعيات) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : الجمعة واجبة على من بينه وبين الجمعة مسافة يمكن الرجوع بعد أدائها إلى وطنه . قال عليه الصلاة والسلام « من ترك جمعة بلا عذر فليتصدق بدينار فان لم يجد فبنصف دينار ومن ترك ثلاث جمع متواليات لاتقبل شهادته » (مصابيح) عن أبى بكر رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه ، وإذا مشى إلى الجمعة كتب الله تعالى له بكل خطوة عبادة عشرين سنة ، فإذا صلى الجمعة أجر بعمل مائتى سنة » ، وعن سعيد بن المسيب أنه قال : لأن أصلى صلاة الجمعة أحب إلى من حجة تطوعا ، وكذا روى عن ميسرة أنه قال : مررت بمقابر المسلمين فقلت : السلام عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع ، فرحم الله تعالى إيانا وإياكم وغفر لنا ولكم ، فسمعت نداء من قبر يقول : طوبى لكم يا أهل الدنيا تحجون فى كل شهر أربع مرات ، فقلت أين نحج كذلك ؟ قال : هى الجمعة ، أما تعلمون أنها حجة مبرورة ؟ فياليتنا ندور على أبواب مساجدكم حتى ننظر أعمالكم ونسمع أذكاركم ، ولكن قدرضينا عنكم يا أهل الدنيا بقولكم لنا رحم الله فلانا المتوفى (زبدة الواعظين) روى عن أبى عمرو عن أبيه عن جده عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن من وراء جبل قاف أرضا بيضاء ليس فيها شىء من النباتات كأنها مثل الفضة وسعتها مثل الدنيا سبع مرات مملوءة من الملائكة لوسقطت إبرة لسقطت عليهم ، وفى يد كل منهم لواء طوله أربعون فرسخا ، وعلى كل لواء مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يجتمعون كل ليلة جمعة حول جبل قاف ، فيتضرعون إلى الله تعالى ويدعون بالسلامة لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فاذا انفجر الصبح يقولون : اللهم اغفر لمن اغتسل وحضر الجمعة ، فيرفعون أصواتهم بالبكاء فيقول الله تعالى : ياملائكتى ماذا تريدون ؟ فيقولون نريد أن تغفر لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فيقول الله تعالى : قد غفرت لهم » (مشكاة الأنوار) روى فى الخبر « أن الله تعالى خلق منارة من فضة بيضاء فى جانب البيت المعمور وطول المنارة خمسمائة عام ، فاذا كان يوم الجمعة يصعد جبرائيل عليه الصلاة والسلام على تلك المنارة فيؤذن ، ويصعد إسرافيل عليه الصلاة والسلام على المنبر فيخطب ، فيؤم ميكائيل عليه الصلاة والسلام بالملائكة ، فإذا فرغوا من الصلاة يقول ياجبرائيل عليه الصلاة والسلام : ما حصل لى من الثواب لأجل الأذان وهبته لجميع مؤذنى المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى وجه الأرض ، ويقول إسرافيل عليه

الصلاة والسلام : ماحصل لى من الثواب لأجل الخطبة وهبته لجميع الخطباء فى وجه الأرض من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويقول ميكائيل عليه الصلاه والسلام : ماحصل لى من الثواب لأجل الإمامة وهبته لجميع من يؤم يوم الجمعة فى وجه الأرض ، وتقول الملائكة كلهم : ماحصل لنا من الثواب لأجل الجماعة وهبناه لجميع من صلى الجمعة خلف الإمام ، فيقول الله تعالى : ياملائكتى هل تظهرون عندى سخاوة ؟ وعزتى وجلالى قد غفرت اليوم لمن صلى من عبادى صلاة الجمعة امتثالا لأمرى واقتداء بحبيبى محمد (زبدة الواعظين) . (حكى) أن رجلا حمل حنطة على حمار وذهب إلى الرحى قال فلما أخذت الحنطة عن الحمار هرب منى ولى جار فى الأرض جاء فقال النوبة لك اليوم فى الماء فاسق أرضك وإلا تلفت نوبتك ، وكان اليوم يوم جمعة ، فقلت لنفسى صلاة الجمعة أحب إلى من غيرها وتركت الكل وصليت الجمعة ، ثم رجعت إلى البيت فاذا الحنطة قد طحنت والخبز قد طبخ والأرض قدسقيت والحمار قدرجع إلى البيت ، فقلت لامرأتى كيف هذه الحالة ؟ فقالت ذهب جارنا إلى الرحى فطحن جوالقنا وهو يظنه جوالقه ، فلما حمله إلى منزله عرفت أنه جوالقنا فأخذته إلى بيتنا ، وأما الأرض فجاء الماء من أرض الجار فامتلأت ، فلما رأيت ذلك تركت أمور الدنيا كلها وداومت على العبادات والطاعات (مطالع الأنوار) روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى خلق ملكا قائما تحت العرش وله أربعون ألف قرن من القرن إلى القرن مسيرة ألف عام ، وعلى كل قرن أربعون ألف صف من الملائكة ، وفى وجهه شمس وعلى قفاه قمر وعلى صدره كواكب ، فاذا كان يوم الجمعة يسجد لله تعالى ويقول فى سجوده : اللهم اغفر لمن صلى صلاة الجمعة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويقول الله تعالى ياملائكتى اشهدوا أنى قد غفرت لمن صلى صلاة الجمعة » (كنز الأخبار) عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وإذا مشى إلى الجمعة كتب الله تعالى له بكل خطوة عبادة عشرين سنة ، فاذا صلى الجمعة أجر بعمل مائتى سنة » الحديث . (حكاية) كان فى زمن مالك بن دينار أخوان مجوسيان عبد أحدهما النار ثلاثا وسبعين سنة والآخر خمسا وثلاثين سنة ، ثم قال الأصغر للأكبر يا أخى نعبد النار منذ كذا وكذا تعال نختبرها إن أحرقتنا كسائر الناس لم نعبدها قط وإلا نعبدها إلى الموت ، فأوقدوا نارا ، فقال الأخ الأصغر للأكبر : أنت تضع يدك فى النار أولا أم أنا أضعها ؟ فقال بل أنت تضع يدك تبدأ بها فوضع الأصغر يده فيها فأحرقت يده ، فقال ويحك ونزع يده وقال لها : يانار أعبدك منذ كذا وكذا تؤذينى يا ظالمة ، ثم قال لأخيه الأكبر : يا أخى تعال نتركها ، فقال لا أترك وترك الأصغر وجاء مع عياله إلى باب مالك بن دينار وهو جالس واعظا وقص عليه القصة وعرض عليه الإسلام

وعلى أهل بيته ، فبكى الناس كلهم فرحا ، ثم قال له مالك بن دينار : اجلس فينا مع أصحابى أجمع لك من أصحابى شيئا من أموال الدنيا ، قال لا أريد أن أبيع الدين بالدنيا ، ثم انصرف فوجد من خربات البلد خربة ، فدخل فيها مع عياله فعبدوا الله تعالى ، فلما أصبح قالت امرأته اذهب إلى السوق واطلب عملا واشتر به طعاما ، فذهب إلى السوق فلم يستأجره أحد ، فقال فى نفسه أعمل لله تعالى ، فدخل المسجد وصلى إلى الليل ثم رجع إلى منزله صفر اليدين ، فقالت له امرأته ألم تجد شيئا ؟ قال عملت اليوم لواحد وقال أعطيك أجرتك غدا ، فباتوا جياعا ، فلما أصبح ذهب إلى السوق فلم يجد عملا ، فعمل لله كذلك ، ثم رجع إلى منزله صفر اليدين ، وسألته امرأته فأجاب كما أجاب أولا فباتوا جياعا ، فلما أصبح وكان اليوم يوم جمعة فلم يجد فيه عملا ، فذهب إلى المسجد وصلى ركعتى الجمعة ورفع يديه إلى السماء وقال : يارب بحرمة هذا الدين وبحرمة هذا اليوم ارفع حزن نفقة عيالى عن قلبى ، وإنى أستحى من عيالى وأخاف عليهم أن يرجعوا إلى دين أخى الأكبر لغلبة الجوع عليهم ، فلما دخل وقت الظهر جاء شخص على باب تلك الخربة وقرع الباب ، فخرجت امرأته فاذا هو شاب حسن الوجه بيده طبق من ذهب مغطى بمنديل ، فقال لها خذى هذا وقولى لزوجك : هذا أجرة عملك لله تعالى يوم الجمعة فان العمل القليل فى هذا اليوم كثير عند الله أجره ، فأخذت الطبق فكشفت غطاءه فاذا فيه ألف دينار ، فأخذت دينارا واحدا وذهبت إلى الصراف فوزنه الصراف فزاد وزنه على ذهب الدنيا مثلين ، فنظر الصراف إلى نقشه فعلم أنه ليس من دنانير الدنيا ، فقال لها من أين وجدت هذا فقصت عليه القصة ، فقال لها اعرضى على الإسلام فعرضته عليه فأسلم فدفع إليها ألفا من ذهب الدنيا ، فلما صلى الشاب الجمعة جاء إلى منزله صفر اليدين ، فوضع فى منديله شيئا من التراب وقال فى نفسه لو سألتنى امرأتى قلت ما فعلت أقول فعلت بالدقيق ، فلما دخل إلى بيته وجد فيه ريح الطعام ، فوضع المنديل عند الباب لئلا تشعر هى ، ثم سألها عما رأى فى البيت ، فقصت عليه القصة ، فسجد لله تعالى شكرا لما جاء من عند الله تعالى ، ثم قالت امرأته ما جئت به فى المنديل ؟ فقال لا تسألى ، ففتحت المنديل فاذا التراب صار دقيقا باذن الله تعالى بحرمة صلاة الجمعة ، فسجد الشاب لله تعالى .

(هذه حكاية مختصرة من حديث الأربعين) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام ذهب إلى جبل بيت المقدس ، فرأى قوما يعبدون الله تعالى بالجد والسعى ، فسألهم فقالوا نحن من أمتك نعبد الله تعالى هنا منذ سبعين سنة بالجد والسعى لباسنا لباس الصبر وطعامنا نبات الأرض وشرابنا ماء المطر ، ففرح موسى عليه الصلاة والسلام بذلك ، فأوحى الله تعالى إليه : ياموسى لأمة محمد يوم فيه ركعتان خير من هذا كله ، فقال يارب أى يوم

هو ؟ قال يوم الجمعة ، فتمنى موسى عليه الصلاة والسلام ذلك اليوم ، فقال الله تعالى ياموسى يوم السبت لك ويوم الأحد لعيسى والاثنين للخليل إبراهيم والثلاثاء لزكريا والأربعاء ليحيي والخميس لآدم والجمعة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأمته ، فتعجب موسى عليه الصلاة والسلام من فضل هذه الأمة (زبدة) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أتاني جبرائيل عليه الصلاة والسلام وفي كفه مرآة بيضاء ، وقال هـــذه يوم الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك بعدك ، وفي وسط المرآة نقطة ، فقلت ماهذه النقطة ؟ قال هي ساعة من أربع وعشرين ساعة ، فمن دعا الله تعالى في تلك الساعة استجاب الله دعاءه وهو سيد الأيام » (زبدة الواعظين) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا كان يوم الجمعة يبعث الله تعالى للملائكة على وجه الأرض وفي أيديهم أقلام من ذهب وقراطيس من فضة ، يقفون على أبواب المساجد ويكتبون اسم من دخل المسجد وصلى الجمعة ، فاذا فرغوا من الصـــلاة يرجعون إلى السماء فيقولون ياربنا كتبنا اسم من دخل المسجد وصلى الجمعة ، فيقول الله تعالى ياملائكتي وعزتي وجلالي إني قد غفرت لهم وما عليهم شيء من ذنوبهم » (رونق المجالس) قال عليه الصلاة والسلام « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة ، فاذا خرج الإمام إلى المنبر طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الخطبة ، فمن جاء بعد ذلك فكأنما جاء لحق الصلاة » ويقال إن الناس يكونون في قربهم عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ، ولذا قيل : أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة ، ولذا جاء في الأثر : إن الملائكة يتفقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة ويقولون : اللهم إن كان ماأخره فقرا فأغنه ، وإن كان مريضا فاشفه ، وإن كان شغلا ففرغه لعبادتك ، وإن كان لهوا فأمل قلبه إلى طاعتك ، وكانت الطرق في القرن الأول بعـــد الفجر مملوءة من الناس يمشون بالسرج ويزدحمون فيها إلى الجامع كأيام العيد حتى انقطع ذلك (زبدة الواعظين) .

المجلس السابع والستون : في بيان الجحيم والزبانية

سورة التحريم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهليكم) بالنصح والتأديب ، وقرىء أهلوكم عطفا على قوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين (نارا وقودها الناس والحجارة) نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب (عليها ملائكة) تلي

أمرها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الأقوال شداد الأفعال ، أو غلاظ الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة (لا يعصون الله ما أمرهم) فيامضى (ويفعلون ما يؤمرون) فيما يستقبل ، أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « ليردن على حوضى يوم القيامة أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم على » (شفاء شريف) وفي الخبر « إن العبد إذا بكى من خشية الله حتى خرج من عينيه دموع خلق الله من تلك الدموع شجرة يقال لها شجرة السعادة ، فاذا هبت عليها ريح الخوف والحزن خرج منها صوت يقول : وا محمداه ، فيرد الله ذلك النداء إلى رسوله عليه الصلاة والسلام في قبره ، فيبكى لأمته فيخلق الله من دموع عينيه شجرة يقال لها شجرة الشفاعة ، فاذا هبت عليها ريح النبوة والرسالة يخرج منها صوت يقول : وا أمتاه ، فيرد الله ذلك الصوت على السموات ، فتسمع الملائكة ، فيسجدون لله ويبكون ويتضرعون ويقولون : وا أمة محمداه ، فيسمع الله بكاءهم وتضرعهم ويقول يا ملائكتى ما يبكيكم ؟ فيقولون ربنا أنت أعلم بكائنا وتضرعنا لأمة محمد ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتى اشهدوا أنى قد غفرت لمن بكى من خشيتى من أمة محمد » (حياة القلوب) قيل المراد من الناس هم الكفار ، والحجارة : الجهال الذين لا يقبلون النصيحة ، والحجارة جمع حجر على غير القياس والقياس فيه الأحجار كالأشجار جمع شجر (تفسير النسفى) وقيل المراد من الحجارة هى الأصنام التى عبدوها من الشجر والحجر كقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) وإنما جعل التعذيب بها ليتحقق عند أهل الأصنام أنها ليست بلائقة للعبادة وليروا ذلها ومهانتها بعد اعتقادهم عزتها وعظمتها وإدخال الأصنام فيها لا لتعذيبها بل لتعذيب الكفار بها وما به العذاب لا يكون له العذاب كما قال الله تعالى (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم) الآية . أدخلت الأموال فى جهنم ليعذب بها مانع الزكاة والعذاب لأهل المال لا للمال (من تفسير النسفى) . (حكى) أن زكرياء عليه السلام كان إذا جلس للعظة يلتفت يمينا وشمالا ، فاذا لم ير ابنه يحيى عليه السلام ذكر آيات العذاب وإذا رآه لم يذكر شيئا من آيات العذاب شفقة لابنه لعدم تحمله استماع النار ، فجلس يوما للعظة ، فنظر القوم ولم ير ابنه لكثرة الناس ، وكان يحيى قد لف رأسه فى مدرعته فى وسط الناس ، فذكر زكرياء عليه السلام آيات النار وهو يبكى ، فقال حدثنى جبرائيل عليه السلام أن فى جهنم جبلا يقال له سكران ، وفى أصله واد يقال له غضبان ، خلق من غضب الرحمن ، وفى ذلك الوادى جباب من النار عمق كل جب مسيرة مائتى عام ، وفى تلك الجباب توابيت من النار وفى تلك التوابيت سلاسل وأغلال ، فلما سمع يحيى عليه السلام قام مسرعا وخرج وهو

ينادى : آمن السكران آمن الغضبان ، فوثب زكرياء عليه السلام وامرأته وخرجا فى أثره فلم يجداه فرأيا راعيا فقالا هل رأيت شابا كذا وكذا ؟ فقال لعلكما تطلبان يحيى ؟ قالا نعم ، قال تركته فى عقبة وهو يقول : لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أعلم أمنزلى فى الجنة أم فى النار ؟ فرأياه وهو ينادى فقالت أمه : يا بنى بحق ما حملتك فى بطنى كذا وأرضعتك من ثديى كذا أقبل علينا واذهب معنا إلى المنزل ، فأقبل وانطلق إلى المنزل ، وقال له أبوه : إن لى إليك حاجة تنزع هذه المدرعة وتلبس هذه الجبة ففعل ذلك ، فطبخت له أمه مرقة من عدس فأكل ، فأخذه النوم فنام ، فنودى فى نومه : يا يحيى وجدت دارا خيرا من دارى وجوارا خيرا من جوارى ، فقام فزعا باكيا ، فقال ردوا على مدرعتى وخذوا جبتكم علمت أنكم تريدون هلاكى ، فقال زكرياء عليه السلام : دعوا ابنى يعمل لنفسه لعله ينجو من النار ، فلما اشتدت عبادته أوحى الله تعالى إلى زكرياء عليه السلام : أنى قد حرمت عليكم النار ، ثم اطمأنت قلوبهم وازدادوا فى عبادة الله كما قال الله تعالى فى حقهم (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) (ذخرة العابدين) وروى فى الخبر « أن الله تعالى أرسل جبرائيل عليه السلام إلى مالك خازن جهنم بأن يأخذ من النار ، فيأتى بها إلى آدم عليه السلام حتى يطبخ بها طعامه ، فقال مالك يا جبرائيل كم تريد من النار ؟ قال جبرائيل عليه السلام : قدر تمرة ، فقال مالك : لو أعطيتك ما تريد لذاب السبع السموات والسبع الأرضين من حرها ، فقال جبرائيل عليه السلام : نصفها ، فقال مالك : لو أعطيتك ما تريد لم ينزل من السماء قطرة ولم ينبت من الأرض نبات ، ثم نادى جبرائيل عليه السلام : إلهى كم آخذ من النار ؟ فقال الله تعالى خذ مقدار ذرة منها ، فأخذ مقدار ذرة وغسلها فى سبعين نهرا من أنهار الجنة سبعين مرة ، ثم جاء بها إلى آدم عليه السلام ، فوضعها على جبل شاهق من الجبال فذاب ذلك الجبل ورجعت النار إلى مكانها وبقى دخانها فى الأحجار إلى يومنا هذا ، فهذه النار من دخان تلك الذرة » فاعتبروا يا أيها الإخوان (دقائق الأخبار) قال النبى عليه الصلاة والسلام « إن أهون أهل النار عذابا أن يعذب الرجل وله نعلان من النار يغلى منهما دماغه كأنه مرجل على جمرة يشتعل منه لهب النار ويخرج جشاء بطنه من قدميه ، وإنه ليرى أنه من أشد أهل النار عذابا وهو من أهون أهل النار » (دقائق الأخبار) .

(حكى) عن منصور بن عمار أنه قال : كنت أطوف فى سكة من سكك الكوفة فى ليلة مظلمة ، فسمعت صوتا فى منزل من منازلها يقول : إلهى بعزتك وجلالك لا تنظر إلى معصيتى واغفر ذنبى واقبل عذرى ، فان لم تقبل عذرى فكيف يكون حالى ، فلما سمعت هذا قرأت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) الآية . فسمعت صوتا

وحركة شديدة ثم سكنت الحركة فلم أسمع بعدها أثر الحياة فمضيت ، فلما أصبحت رجعت من الطريق الذى جئت منه فرأيت القوم فى ذلك المكان يبكون وعجوزا تبكى وهى أم الميت تقول : لا يجازى الله قاتل ابنى خيرا وهو من تلا آية العذاب وهو قائم يصلى فى المحراب ، فلما سمعها لم يتحمل قلبه حتى صاح وخر ميتا ؟ فلما سمعت هذا وكنت مغتما رأيتـه تلك الليلة فى المقام العالى فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال فعل بى ما فعل بشهداء أحد وبدر . قلت فكيف هـذا ؟ قال لأنهم قتلوا بسيف الكفار ، وأنا قتلت بسيف الملك الغفار (مشكاة الأنوار) وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى عليه والصلاة والسلام أنه قال « إن فى النار حيات وعقارب مثل أعناق الإبل ، فتلسع أحدكم لسعة يجد حرارتها أربعين خريفا » (دقائق الأخبار) . (حكى) أن شيخا كان يمشى على شط نهر فرأى صبيا يتوضأ وهو يبكى ، فقال الشيخ : يا صبى ما يبكيك ؟ فقال الصبى قرأت القرآن حتى جاءت هـذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) الآية . فخفت أن يلقينى الله فى النار ، قال الشيخ ياصبى أنت معصوم فلا تخف إنك لا تستحق النار ، فقال الصبى يا شيخ أنت عاقل ؟ ألا ترى أن الناس إذا أوقدوا نارا لحاجتهم وضعوا أولا صغار الحطب ثم وضعوا الكبير ، فبكى الشيخ بكاء شديدا وقال : إن الصبى أخوف منا من النار فكيف يكون حالنا . فاعتبروا يا أولى الألباب ، لم لا تبكى على نفسك المرهونة بالنار والموت راكب على عنقك والقبر منزلك والقيامة موقفك والخصماء أقوياء والقاضى الجبار والمنادى جبرائيل والسجن جهنم والسجان الزبانية وأنت لا تصبر على حر الشمس ، فكيف تصبر على لسع الحيات والعقارب ؟ (جامع الجوامع) . روى أنه عليـه الصلاة والسلام قال « سمعت ليلة المعراج دويا ، فقلت لجبرائيل : يا جبرائيل ما هـذا الدوى ؟ قال حجر ألقى فى السعير منذ سبعين خريفا والآن انتهى إلى قعرها » كما قال أبو هريرة رضى الله عنه « كنا مع رسول الله عليـه الصلاة والسلام ، فسمعنا صوتا مع الهيبة والشدة ، قال رسول الله عليـه الصلاة والسلام : أتدرون ما هـذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما والآن انتهى إلى قعرها » (زبدة الواعظين) . (وحكى) أن عابدا عبد الله تعالى مدة ثم توضأ يوما من الأيام وصلى ركعتين ورفع رأسه ويده فقال : إلهى تقبل منى ، فنادى مناد من قبل الرحمن : لا تنطق يا ملعون فان طاعتك مردودة ، فقال العابد لم ذلك يا رب ؟ قال المنادى إن امرأتك فعلت فعلا مخالفا لأمرى وأنت راض عنها ، فجاء العابد وسأل عن حالها ؟ فقالت ذهبت إلى مجلس الفساد وسمعت اللعب وتركت الصلاة ، فقال العابد أنت طالق منى فانى لا أقبلك أبدا ، فطلق امرأته وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع رأسه ويده وقال : اللهم تقبل منى ، فنودى الآن قد قبلت طاعتك (عيون) .

روى عن على كرم الله وجهه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « تعوذوا بالله من جب الحزن ، قيل يا رسول الله وما جب الحزن ؟ قال واد فى جهنم تتعوذ جهنم منه كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين » (زبدة الواعظين) قال منصور بن عمار : بلغنى أن لمالك خازن النار أيديا بعدد أهل النار مع كل رجل يد تقيمه وتقعده وتغله بسلسلة ، فاذا نظر إلى النار أكل بعضها بعضا من خوف مالك . وحروف البسملة تسعة عشر ، وعدد الزبانية كذلك ، سموا بذلك لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم ، فيأخذ الواحد منهم عشرة آلاف من الكفار بيد واحدة وعشرة آلاف باحدى رجليه وعشرة آلاف بيده الأخرى ويأخذ بالرجل الأخرى كذلك ، فيعذب أربعين ألف كافر مرة واحدة بما فيه من قوة وشدة ، أحدهم مالك خازن النار ، وثمانية عشر مثله وهم رؤساء الملائكة تحت كل ملك منهم من الحزنة ما لا يحصى عددهم إلا الله ، أعينهم كالبرق الخاطف ، وأسنانهم كصياص قرن البقر ، وشفاههم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ، ما بين كتفى كل واحد منهم مسيرة سنة واحدة ، لم يخلق الله فى قلوبهم من الرحمة والرأفة مقدار ذرة ، يهوى أحدهم فى بحار النار مقدار أربعين سنة فلا تضره النار لأن النور أشد من حر النار ، نعوذ بالله من النار ، فيقول مالك للزبانية: ألقوهم فى النار ، فاذا ألقوهم فى النار نادوا بأجمعهم لا إله إلا الله ، فترجع عنهم النار ، فيقول مالك يا نار خذيهم ، فتقول النار كيف آخذهم وهم يقولون لا إله إلا الله ، فيقول مالك نعم بذلك أمر رب العرش العظيم فتأخذهم ، فمنهم من يؤخذ إلى قدميه ، ومنهم من يؤخذ إلى ركبتيه ، ومنهم من يؤخذ إلى سرته ، ومنهم من يؤخذ إلى حلقه ، فاذا هوت النار إلى الوجوه يقول مالك لا تحرق وجوههم فطالما سجدوا للرحمن ولا تحرق قلوبهم فطالما عطشوا من شدة رمضان (دقائق الأخبار) .

المجلس الثامن والستون : فى بيان التوبة

سورة التحريم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة ، وصفت به على الإسناد المجازى مبالغة ، أو فى النصاحة وهى الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) ذكر بصيغة الإطماع جريا على عادة الملوك وإشعارا بأنه تفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغى أن يكون بين الخوف والرجاء (يوم لا يخزى الله النبى) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبى إحمادا لهم وتعريضا لمن ناوأهم ، وقيل مبتدأ خبره (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) أى على الصراط (يقولون) إذا طفىء نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير) وقيل تتفاوت أنوارهم

بحسب أعمالهم ، فيسألون إتمامه تفضلا (قاضى بيضاوى) .

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » (زبدة الواعظين) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « التوبة على الذنب كالصابون على الثوب » قبل تمام التوبة يحصل بثمانية أشياء : الندم على ماسلف من الذنب ، وقضاء الفرائض ، ورد المظالم ، واستحلال الخصوم ، وأن تعزم على أن لاتعود ، وأن تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية ، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصى ، وإصلاح المأكول والمشروب (موعظة) . روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون من التائب ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال عليه الصلاة والسلام : من تاب ولم يتعلم العلم فليس بتائب ، ومن تاب ولم يزد فى العبادة فليس بتائب ، ومن تاب ولم يرض الخصماء فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير لباسه وزينته فليس بتائب ، ومن تاب ولم يبدل أصحابه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير خلقه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يطو فراشه وبساطه فليس بتائب ومن تاب ولم يتصدق » أى ولم يتصدق « بفضل ما فى يده فليس بتائب ، فاذا استبان من العبد هذه الخصال فهو تائب حقا » وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا قال العبد إنى أخاف من النار ولم يكف عن الذنوب فهو كذاب عند الله غير تائب ، وإذا قال العبد إنى أشتاق إلى الجنة ولم يعمل لها فهو كذاب غير تائب ، وإذا قال العبد إنى أحب النبي عليه الصلاة والسلام من غير اتباع السنة فهو كذاب غير تائب ، وإذا قال العبد إنى أشتاق إلى معانقة الحور ولم يقدم لها مهرا فهو كذاب غير تائب ، فان التائب حبيب الله وحبيب رسول الله كما قال الله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) » (زبدة الواعظين) عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : التوبة النصوح الندم على ما مضى والإقلاع فى الحال عنه والعزم على أن لايعود أبدا . وقال الله تعالى (إنما التوبة) أى الرجوع عن المناهى (على الله) على ليس للايجاب كما قال المعتزلة لأنه لا وجوب على الله فى شىء بل بمعنى عند (للذين يعملون السوء) أى المعصية (بجهالة ثم يتوبون من قريب) أى بزمان قريب قبل حضور سكرات الموت (فأولئك يتوب الله عليهم) أى يقبل توبتهم ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (وكان الله عليما حكيما) عالما بأهل التوبة حاكما بقبولها ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله يقبل التوبة من العبد مالم يغرغر قبل توبته » (مصابيح) والغرغرة : تردد الروح فى الحلق ، فقرب الموت لايمنع قبول التوبة مالم يعاين أحوال الآخرة ، وفيها لا تقبل توبة المسوفين والمنافقين كما لا يقبل إيمان

الكافرين حال اليأس كإيمان فرعون كما قال الله تعالى (وليست التوبة) أى لا يقبل الله التوبة (للذين يعملون السيئات) أى الذنوب غير الشرك مصرين عليها (حتى إذا حضر أحدهم الموت) أى وقع فى سكرات الموت سوى علامات الموت ، فإن التوبة تقبل بالعلامات لأن فيها لايعاين أحوال الآخرة (قال إنى تبت الآن) من ذنوبى يعنى لاتقبل التوبة ثمة لأنه حالة اليأس دون الاختيار (ولا الذين) أى لايقبل إيمان الذين (يموتون وهم كفار) كما لايقبل إيمانهم بعد البعث أو فى القبر (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) قال صاحب الكشاف : سوت هذه الآية بين الذين سوفوا توبتهم إلى أن حضر الموت وبين الذين ماتوا على الكفر فى أنهم لاتوبة لهم ، قال عليه الصلاة والسلام « هلك المسوفون » والمسوف هو الذى يقول سوف أتوب . وكذا قال الله تعالى (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) يعنى ذنوبه ويؤخر توبته ، قال عليه الصلاة والسلام « إذا تاب المؤمن كتب الله تعالى له بكل يوم مر عليه فى فسقه عبادة سنة وأعطاه ثواب شهيد ، ويتوج يوم القيامة بألف تاج ، وفتح له فى قبره باب إلى الجنة ، ويقوم يوم القيامة ملك عن يمينه وملك عن شماله وملك من بين يديه وملك من خلفه يبشرونه بالجنة » قال عليه الصلاة والسلام « إذا مات شاب تائب يرفع الله العذاب عن مقابر المسلمين أربعين عاما لكرامته على الله » (خالصة) حكى « أنه دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على النبى عليه الصلاة والسلام وهو يبكى فقال له ما يبكيك ياعمر ؟ فقال يارسول الله إن فى الباب شابا وقد أحرق فؤادى بكاؤه ، فقال عليه الصلاة السلام أدخله على ، فأدخله عمر وهو يبكى ، فسأله النبى عليه الصلاة والسلام عن بكائه فقال يارسول الله أبكانى ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان على ، فقال عليه الصلاة والسلام أأشركت بالله شيئا ، قال لا : قال عليه الصلاة والسلام : أقتلت نفسا بغير حق ؟ قال لا ، قال عليه الصلاة السلام : إن الله يغفر ذنوبك ولو كانت ملء السموات السبع والأرضين السبع ، فقال يارسول الله ذنبى أعظم من السموات السبع والجبال الرواسى ، قال عليه الصلاة والسلام أذنبك أعظم أم الكرسى ؟ قال ذنبى أعظم ، قال عليه الصلاة والسلام : أذنبك أعظم أم العرش ؟ قال ذنبى أعظم ، قال عليه الصلاة والسلام : أذنبك أعظم أم الله ؟ يعنى غفران الله ورحمته قال بل الله أعظم وأجل ، قال عليه الصلاة والسلام أخبرنى عن ذنبك ، قال أستحى منك يارسول الله ، قال عليه الصلاة والسلام لا تستحى منى أخبرنى عن ذنبك ، قال يا رسول الله إنى كنت رجلا نباشا منذ سبع سنين حتى ماتت بنت من بنات الأنصار ، فنبشت قبرها وأخرجتها من كفنها وغلبنى الشيطان فرجعت إليها وجامعتها ، فقالت لى البنت : أما تستحى من ديوان الله يوم يضع كرسيه للقضاء ويأخذ حق للظلوم من الظالم وقد تركتنى عريانة فى عسكر الموتى

وأوقفتنى جنبا بين يدى الله ، فوثب رسول الله : أى قام بسرعة فقال له يا فاسق اخرج عنى ماجزاؤك إلا النار ، فخرج الشاب باكيا نائيا نحو الصحراء لم يأكل شيئا ولم يشرب ولم ينم سبعة أيام ، حتى ذهبت طاقته وسقط فى موضع ووضع وجهه على التراب ساجدا يقول : إلهى أنا عبدك المذنب المخطىء جئت إلى باب رسولك ليشفع لى عندك ، فلما سمع عظيم خطيئتى طردنى عن بابه وأخرجنى من عنده ، فجئت اليوم إلى بابك لتكون لى شفيعا عند حبيبك فانك رحمن إلى عبيدك ولم يبق رجائى إلا بك وإلا فأرسل نارا من عندك وأحرقنى بها فى دنياك قبل أن تحرقنى فى آخرتك ، ثم جاء جبرائيل إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقال يارسول الله : إن الله يقرئك السلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : هو السلام ومنه السلام وإليه يرجع السلام ، قال جبرائيل عليه السلام : يقول الله تعالى لك أأنت خلقت عبيدى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام بل هو خلقنى وخلقهم ، فقال جبرائيل عليه السلام : يقول الله تعالى أأنت ترزقهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بل هو الذى رزقهم ورزقنى ، وقال جبرائيل عليه السلام : يقول أأنت تقبل توبتهم ؟ قال بل هو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ، وقال جبرائيل يقول الله تعالى لك بعثت إليك عبدا من عبادى وأظهر من ذنوبه ذنبا فأعرضت عنه أشد الإعراض بسبب ذنب واحد ، فكيف يكون حال المذنبين غدا إذا جاءوا بذنوب كالجبال العظام أنت رسولى أرسلتك رحمة للعالمين ، فكن للمؤمنين رحيما وللمذنبين شفيعا واعف عن زلة عبدى فانى قد غفرت له حوبته ، ثم بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام رجالا من أصحابه فوجدوه وبشروه بالعفو والغفران ، وجاءوا به إلى رسول الله فوجدوه فى صلاة المغرب فاقتدوا به ، فلما قرأ سورة الفاتحة وضم إليها ألهاكم التكاثر إلى أن قال حتى زرتم المقابر صاح الشاب صيحة وسقط ، فلما أتموا الصلاة وجدوا الشاب قد مات وفارق الدنيا رحمه الله تعالى » (مشكاة الأنوار) روى عن النبى عليه الصلاة والسلام عن الخليل عليه السلام « أنه قال ذات يوم : يا كريم العفو ، فقال جبرائيل عليه السلام أتدرى ما كرم عفوه ؟ قال لا ، قال إذا عفا عن عبد لم يرض بذلك حتى يبدل سيئاته حسنات كقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) » (نكتة) .

حكى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر وقتا من الأوقات فى سكك المدينة ، فاستقبله شاب وهو حامل تحت ثيابه شيئا ، فقال له عمر : أيها الشاب ما الذى تحمل تحت ثيابك ؟ وكان خمرا ، فاستحيا الشاب أن يقول خمرا وقال فى سره : إلهى إن لم تخجلنى عند عمر ولم تفضحنى وسترتنى عنده فلا أشرب الخمر أبدا ، فقال يا أمير المؤمنين الذى أحمله خل ، فقال عمر أرنى حتى أراه ، فكشفها بين يديه فرآها عمر وقد صارت خلا نقيا .

فاعتبروا أيها الإخوان حيث إن مخلوقا تاب من خوف عمر وهو أيضا مخلوق ، فبدل الله تعالى خمره بالخل ، فلو تاب العاصي المفلس المذنب عن الأعمال الفاسدة خوفا من الله تعالى لبدل الله تعالى خمر سيئاته بخل الطاعات لايكون عجبا من لطفه وكرمه ، لقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) (من أساس الدين) وفى الحديث « جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : أخطأت يارسول الله فما الحيلة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : التوبة فان التوبة تغسل الحوبة » (كذا فى خالصة الحقائق) .

المجلس التاسع والستون : فى علامة السعادة والشقاوة

سورة المدثر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله ، مصدر كالشتيمة أطلقت على المفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين (إلا أصحاب اليمين) فانهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم ، وقيل هم الملائكة أوالأطفال (فى جنات) لايكتنه وصفها ، وهى حال من أصحاب اليمين أو ضميرهم فى قوله (يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل بعضهم بعضا ، أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك توعدناه : أى وعدناه وقوله (ماسلككم فى سقر) بجوابه حكاية لما جرى بين السائلين والمجرمين أجابوا بها (قالوا لم نك من المصلين) الصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) ما يجب إعطاؤه ، وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع (وكنا نخوض مع الخائضين) نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) أخره لتعظيمه : أى كنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة (حتى أتانا اليقين) الموت ومقدماته (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعا (قاضى بيضاوى) .

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لاإله إلا الله مخلصا من قلبه » روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة ، قيل يارسول الله وما إخلاصها ؟ قال تحجزه عن محارم الله تعالى » (تذكرة القرطبى) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إذا جمع الله تعالى الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد عليه الصلاة والسلام فى السجود ، فيسجدون فيسبحون فيه طويلا ، ثم يقال ارفعوا رءوسكم فقد جعلنا أعداءكم فداءكم من النار » عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذه الأمة مرهونة عذابها بأيديها ، فاذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل رجل من المسلمين رجلا من المشركين ، فيقال هذا فداؤك من النار » (رواه مسلم) .

وعن أبي بردة أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار » وفي رواية أخرى « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهوديا أو نصرانيا » الحديث (تذكرة القرطبي) قال عليه الصلاة والسلام « الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد ، والرغبة فيها تتعب القلب والبدن » (طريقة محمدية) قال أبو يزيد البسطامي : ماغلبني أحد إلا واحد من أهل بلخ قدم علينا فقال لي : ياأبا يزيد ماحد الزهد عندكم ؟ قال إذا وجدنا أكلنا ، وإذا فقدنا صبرنا ، فقال تفعل هذا كلاب بلخ ؟ قلت فما حد الزهد عندكم ؟ فقال إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا آثرنا (مكاشفة القلوب) قال عليه الصلاة والسلام « من بات في طلب الحلال أصبح مغفورا له » وقال عليه الصلاة والسلام « لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت » أي من الحرام « والنار أولى به » (مكاشفة القلوب) . اعلم أن علامة السعادة إحدى عشرة خصلة : إحداها أن يكون زاهدا في الدنيا وراغبا في الآخرة : والثانية أن تكون همته في العبادة وتلاوة القرآن . والثالثة أن يكون قليل القول فيما لا يحتاج إليه . والرابعة أن يكون محافظا على الصلوات الخمس . والخامسة أن يكون ورعا فيما قل أو كثر من الحرام والشبهات . والسادسة أن تكون صحبته مع الصالحين . والسابعة أن يكون متواضعا غير متكبر . والثامنة أن يكون سخيا كريما . والتاسعة أن يكون رحيما بما خلق الله تعالى . والعاشرة أن يكون نافعا للخلق . والحادية عشرة أن يكون ذاكرا للموت كثيرا (تنبيه الغافلين) وعلامة الشقاوة أيضا إحدى عشرة : أولاها أن يكون حريصا على جمع المال . والثانية أن تكون همته في الشهوات ولذات الدنيا . والثالثة أن يكون فاحشا في القول ومكثارا الغيبة . والرابعة أن يكون متهاونا بالصلوات الخمس . والخامسة أن تكون صحبته مع الفجار . والسادسة أن يكون سيء الخلق . والسابعة أن يكون مختالا فخورا . والثامنة أن يكون مانعا لمنفعة الناس . والتاسعة أن يكون قليل الرحمة للمؤمنين . والعاشرة أن يكون بخيلا . والحادية عشرة أن يكون ناسيا للموت . يعني أن الرجل إذا كان ذاكرا للموت فانه لا يمتنع عن إطعام الطعام ورحم المسلمين والمسلمات (تنبيه الغافلين) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « علامة الشقاوة أربعة : نسيان الذنوب الماضية وهي عند الله محفوظة ، وذكر الحسنات الماضية ولا يدري أقبلت أم ردت ، والنظر إلى من فوقه في الدنيا ، والنظر إلى من دونه في الدين يقول الله سبحانه وتعالى : أردتك فلم تردني فتركتك » (منهاج المتعلم) روى عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري ، كساه الله من خضرة لباس الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما ، سقاه الله تعالى من رحيق مختوم »

(مصابيح) . حكى أنه كان في بني إسرائيل عابد وهو يعبد الله تعالى في الليل ويبيع متاعه للخلائق في النهار ويقول : يا نفسي اتقي الله تعالى ، وكان يوما قد خرج من داره ليبيع متاعه ، وجاء إلى باب الأمير ونادى باسم متاعه ، فرأت زوجة الأمير على بابها رجلا تاجرا حسن الوجه ما رأت مثله ومالت نفسها إليه ، فدعت ذلك التاجر إلى دارها فقالت : يا تاجر إني عاشقة لك ولي مال كثير ولباس حرير فاترك متاعك القليل وانزع لباسك والبس لباس الحرير وخذ المال الكثير ، فمالت نفسه إلى هذا الكلام فقال : يا نفسي اتقي الله ثم قال إني أخاف الله رب العالمين ، فقالت والله لا أفتح الباب حتى تسلم نفسك إلي ، فقال التاجر يا نفسي اتقي الله ثم تفكر ساعة في النجاة منها ، ثم قال يا زوجة الأمير أمهليني إلى أن أتوضأ وأصلي ركعتين ، فتوضأ وارتفع فوق الدار ثم صلى ركعتين فوقها ونظر إلى الأرض فرأى الأرض بعيدة مقدار عشرين ذراعا ، ثم نصب عينيه إلى السماء وناجى ربه باكيا فقال : إني عبدتك منذ سبعين سنة خلصني من شرها وإلا آتيك معها ثم قال يا نفسي اتقي الله يا نفسي اتقي الله ، فرمى نفسه من فوقها في الحال ، فقال الله تعالى لجبرائيل خذ يد عبدي فقد رمى نفسه من خوف عقابي قبل نزوله إلى الأرض ، فنزل بسرعة فأخذه قبل نزوله إلى الأرض كأخذ الأم الابن وأقعد على الأرض كالطير ، ثم ذهب إلى داره خالصا من شرها وفرحا من خلاصه وأتى أهله جائعا جوعا شديدا وباكيا حزينا وقعد عندها فجاء رجل من جيرانه يستقرض منه خبزا ، فقال العابد والله لا خبز لنا منذ أ[illegible]ا. وإن شئت فانظر إلى التنور ، فنظر المستقرض إليه فرأى فيه خبزا مطبوخا فأخبر العابد [illegible] هو منه ، فتعجب أهله وقالت له هذه الكرامة منك لا مني فما سرها ؟ فكشف العابد سره وشكرت أهله إلى الله شكرا كثيرا كما قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (زبدة الواعظين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا قامت القيامة وقام الناس والجن والملك صفوفا يجيء أطفال المسلمين فيكونون صفا ، وحينئذ يقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام : اذهب وأدخل أطفال المسلمين في الجنة ، فيجيئون إلى بابها ويقفون فيه ويقولون : أين آباؤنا وأمهاتنا ؟ وإن دخول الجنة بغير آبائنا وأمهاتنا وليس بمناسب لنا ، فتقول الملائكة : إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم لأنهم عصوا ربهم واتبعوا أنفسهم وشياطينهم واستوجبوا النار ، فاذا سمع الأطفال هذا المقال صاحوا صيحة عظيمة وبكوا بكاء كثيرا ، وحينئذ يقول الله تعالى العليم العلام يا جبرائيل ما هذه الصيحة ؟ فيقول جبرائيل عليه السلام هي صيحة أطفال المسلمين يقولون لا حاجة لنا إلى الجنة ولا يكون لنا لذات الجنان بغير آبائنا وأمهاتنا ، ونرجو من الله تعالى أن يعفو عنهم ويهب ذنوبهم لنا ويدخلهم معنا الجنة وإلا فليدخلنا معهم النار ،

وحينئذ يقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام : اذهب واجلب آباءهم وأمهاتهم من أى مكان كانوا فسلمهم إلى أطفالهم لأنى قد غفرت ذنوبهم بشفاعتهم وأدخلهم معهم الجنة ، فإذا سمعوا هذا الكلام من الله تعالى فرحوا وسروا ووجدوا آباءهم وأمهاتهم وأخذوا بأيديهم ودخلوا الجنة معهم » هذا فحوى الحديث . ذكر ابن المبارك رحمه الله عن أبى صالح الكلبى رحمه الله أنه قال فى قوله تعالى (الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) قال الله لأهل النار وهم فى النار : اخرجوا فيفتح لهم أبواب النيران ، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك ، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم فذلك قوله تعالى (الله يستهزئ بهم) ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم وذلك قوله تعالى (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) قال ابن المبارك رحمه الله أخبرنا محمد بن بشار عن قتادة فى قوله تعالى (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) قال ذكر لنا أن كعبا يقول : إن بين الجنة والنار كوى ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان فى الدنيا اطلع عليه من بعض الكوى كما قال الله تعالى فى آية أخرى (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم) قال ذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم تغلى (تذكرة القرطبى) روى عن أبى الدرداء عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يسلط على أهل النار الجوع ، وعذاب الجوع يكون عليهم أشد من سائر العذاب فيبكون ويطلبون الطعام ، فتطعمهم الزبانية ضريعا وهو حشيش فى البرية إذا أكله الجمل يقف فى حلقومه فيموت ، فإذا أكل أهل النار ذلك الضريع يقف فى حلقومهم فيطلبون ماء ، فيؤتون بشربة من ماء حميم إذا قربوا الشربة إلى أفواههم تقع لحوم وجوههم على الشربة من شدة حرارة ذلك الماء ، فإذا شربوا قطعت أمعاؤهم فى بطونهم ، فينظرون ويتضرعون إلى الزبانية ، فتقول الزبانية لهم ألم يأتكم نذير فى الدنيا ؟ فيقولون بلى ولكن لم نسمع كلام الرسل ولم نصدقهم ، فتقول الزبانية الآن لا يفيدكم الجزع والتضرع ، ثم يتضرعون إلى مالك فلا يجيبهم إلى ألف سنة ، فإذا تم الألف يقول مالك لهم (إنكم ماكثون) فيها ، ثم يتضرعون إلى الله تعالى ويقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا) التى كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) عن الهدى (ربنا أخرجنا منها) من النار (فإن عدنا) فعلنا معصية مما تكره (فإنا ظالمون) أى كنا من الظالمين : يعنى إن فعلنا معصية بعد ذلك فأدخلنا النار وعذبنا بنوع من عذاب جهنم ، ثم يأتى الخطاب من الله تعالى بعد ألف سنة (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) أى اسكتوا فيها ولا تكلمونى فى رفع العذاب فإنى لا أرفعه عنكم ؛ لأنها ليست مقام سؤال ، فعند ذلك ييأسون ويذلون ويعمون ، وبعد ذلك لا يقدرون على التكلم وتكون أصواتهم كصوت الكلب ويكونون محرومين عن جميع الخيرات » (تفسير يس) .

المجلس السبعون : فى بيان أحوال النفس

سورة القيامة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله ، أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده ، أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر خلفه أو بأول عمل وآخره (بل الإنسان على نفسه بصيرة) حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها ، ووصفها بالبصارة على المجاز أو عين بصيرة بها فلا يحتاج إلى الإنباء (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة على غير قياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر ، وذلك أولى وفيه نظر (قاضى بيضاوى) .

روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من عسرت عليه حاجته فليكثر من الصلاة على فانها تكشف الهموم والغموم والكروب وتكثر الأرزاق وتقضى الحوائج » . وعن بعض الصالحين أنه قال : كان لى جار نساخ فمات فرأيته فى المنام فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال غفرلى ، قلت بم ؟ فقال كنت إذا كتبت اسم محمد عليه الصلاة والسلام فى كتاب صليت عليه ، فأعطانى ربى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (من دلائل الخيرات) قوله : ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ؟ أى من عمله لا يحتاج إلى أن ينبئه غيره لأنه على نفسه حجة (تفسير) قال ابن عباس رضى الله عنهما : للميزان كفتان إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب (تبصرة) وقال عليه الصلاة والسلام « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » (بخارى) وقال عليه الصلاة والسلام « من سن سنة حسنة » يعنى فى الإسلام فهو مقتدى به فى هذه السنة « فله أجرها وأجر من عمل بها » يعنى كل من أتى بعده بهذه السنة يكتب له أجرها « ومن سن سنة سيئة » فهو مقتدى به فى هذه السنة السيئة « فعليه وزرها ووزر من عمل بها » يعنى من أتى بعده بهذه السنة السيئة يكتب عليه وزره (بخارى) وعن معاذ بن جبل قال « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن علمه فيم عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه » (تنبيه الغافلين) قال الله تعالى فى سورة فصلت (حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) قال داود عليه السلام : يا رب إنى أريد أن أشاهد الصراط والميزان فى دار الدنيا ، فقال الله تعالى : يا داود اذهب إلى وادى كذا ، فأذهب الله الحجاب عنه حتى رأى الصراط والميزان على الصفة التى جاءت فى الأخبار ، فبكى داود عليه السلام بكاء شديدا وقال : إلهى من يقدر من عبادك أن يملأ كفة الميزان بالحسنات

فقال الله تعالى : فوعزتى وجلالى من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة بالاعتقاد عبر على الصراط كالبرق الخاطف ، ومن تصدق بمثل تمرة لأجلى علا للميزان ، والميزان أعظم من جبل قاف (مشارق الأنوار) قال الله تعالى فى سورة يس (إنا نحن نحيي الموتى) أى الأموات عند البعث (ونكتب ما قدموا) من الأعمال من خير وشر (وآثارهم) أى ماسنوا من سنة حسنة أو سيئة ، قال عليه الصلاة والسلام « علامة الشقاوة أربعة : نسيان الذنوب الماضية وهى عند الله محفوظة ، وذكر الحسنات الماضية ولا يدرى أقبلت أم ردت ، والنظر إلى من فوقه فى الدنيا وإلى من دونه فى الدين ، يقول الله تعالى أردته فلم يردنى فتركته » (منهاج المتعلم) قال عليه الصلاة والسلام « لأن يتصدق المرء فى حياته بدرهم خير له من أن يتصدق بمائة درهم عند موته » (مصابيح) قوله (ونكتب ماقدموا وآثارهم) أى خطاهم إلى المسجد ، روى عن أبى سعيد الخدرى قال : شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى (ونكتب ما قدموا وآثارهم) عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال « أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال : يا بنى سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا » عن أبى موسى الأشعرى أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم ممشى والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذى يصلى ثم ينام » (وكل شىء أحصيناه) أى حفظناه وعددناه وبيناه (فى إمام مبين) وهو اللوح المحفوظ (تفسير معالم) قال الفقيه أبو الليث : يوم القيامة يؤتى بأربعة أقوام ويعتذر كل واحد منهم ولم يقبل عذرهم : أولهم الغنى يعتذر بأنى غنى ومشغول بحقوق أموالى فلم أعبدك ، فيقول الله تعالى : إن سليمان ملك مابين المشرق والمغرب ولم يعص ربه ، فعذرك غير مقبول فيساقون إلى النار . والثانى الفقير يعتذر بفقره ، فيلزمه بعيسى عليه السلام أيضا . والثالث العبد يعتذر بخدمة مولاه ، فيلزمه بيوسف عليه السلام . والرابع المريض يعتذر بمرضه ، فيلزمه بأيوب عليه السلام (تنبيه الغافلين) ويقال إن الله تعالى يحتج بأربعة أشخاص على أربعة أجناس يوم القيامة : يحتج على الأغنياء بسليمان بن داود عليهما السلام ، فيقول الغنى يا رب كنت غنيا فالغنى شغلنى عن عبادتك . فيقول الله تعالى لم تكن أغنى من سليمان ، فلم يمنعه غناه عن عبادتى . ويحتج على العبيد بيوسف عليه السلام ، فيقول العبد يا رب كنت عبدا والرق منعنى عن عبادتك ، فيقول الله تعالى له إن يوسف لم يمنعه رقه عن عبادتى . ويحتج على الفقراء بعيسى عليه السلام ، فيقول الفقير يا رب إن حاجتى منعتنى عن عبادتك ، فيقول الله تعالى له أأنت أحوج أم عيسى ؟ لم يمنعه فقره عن عبادتى . ويحتج على المرضى بأيوب عليه السلام ، فيقول المريض يارب المرض منعنى عن عبادتك ،

فيقول الله تعالى له أمر ضناك أشد أم مرض أيوب ؟ ولم يمنعه ذلك عن عبادتى، فلا يكون لأحد عند الله عذر يوم القيامة (تنبيه الغافلين) قيل ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ، فالإنسان متنفس فى كل ساعة مائة وثمانين نفسا ، فنى الليل والنهار يتنفس أربعة آلاف وثلثمائة وعشرين نفسا ، وفى كل نفس يسأل بسؤالين وقت الخروج ووقت الدخول : يعنى أى عمل عملت فى خروج النفس ودخوله (روضة العابدين) فاذا علمت هذا ينبغى للعالم الزاهد أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، كما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية وفيها ثمانية عشر ألف يد عامل أعمالهم أعمال الأنبياء ، قالوا يارسول الله كيف ذلك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لم يكونوا يغضبون لله تعالى ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » فكل من شاهد منكرا من أحد ولم ينهه فهو شريك له فيه كالمستمع للغيبة فهو شريك مع المغتاب ، وكذا كل للعاصى ، مثلا من جلس فى مجلس الشرب فهو فاسق وإن لم يشرب . عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « قلنا يا رسول الله ألا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ، وألا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله ؟ قال بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله » فلفاعل المنكر النهى عن المنكر حتى لا يجتمع إثمان ، كما يقال خذوا أقوال العالم السوء ولا تأخذوا فعله ، لأن قوله من الحق وفعله من الشيطان .

(حكى) أن رجلا قال لأبى القاسم الحكيم : ما بال علماء زماننا لا يتعظ الناس بمواعظهم كما كان يتعظ السلف ؟ فقال إن علماء السلف كانوا أيقاظا وكان الناس نياما ، فينبه الأيقاظ النيام ، وعلماء زماننا نيام والناس موتى ، فكيف يحيى النيام الموتى ؟ كما يقال : مكتوب فى التوراة : من يزرع الخير يحصد السلامة . وفى الإنجيل : من يزرع الشر يحصد الندامة . وفى الفرقان (من يعمل سوءا يجز به) . (حكى) عن عكرمة أن رجلا مر على شجرة تعبد من دون الله فغضب عليها ، فأخذ فاسا وركب حماره وتوجه إلى الشجرة ليقطعها ، فلقيه إبليس فى صورة إنسان ، فقال له أين تذهب ؟ فقال إلى شجرة تعبد من دون الله وعهدت الله عهدا أن أقطعها ، فقال له إبليس عليه اللعنة : مالك ولها دع قطعها فلم يدع ، فتخاصما فصرع إبليس ثلاث مرات ، فلما عجز إبليس عنه قال له ارجع وأنا أعطيك كل يوم أربعة دراهم فقال الرجل أتفعل ذلك ؟ فقال نعم ، فرجع إلى منزله فلما رجع إلى سجادته صار يجد تحتها كل يوم أربعة دراهم إلى ثلاثة أيام ، فلما أصبح بعد ذلك لم يجد شيئا ، فأخذ الفأس وركب حماره وتوجه نحو الشجرة ، فقام إبليس على تلك الصورة فقال له أين تريد ؟ قال أريد قطع تلك الشجرة ، فقال إبليس لاتطيق ذلك ، فتخاصما فصرعه إبليس لعنه الله ثلاث مرات ، فتعجب الرجل فقال

بأى سبب أنت غالب على وكنت غالبا عليك قبل ؟ فقال إبليس عليه اللعنة نعم كان خروجك أول مرة لله تعالى ، فلو اجتمع أعوانى كلهم عليك لا يقاومونك ، وأما الآن فإنما خرجت حيث لم تجد الدراهم تحت سجادتك فلا جرم كنت غالبا عليك ، فارجع وإلا أضرب عنقك ، فرجع الرجل وترك قطع الشجرة (زبدة الواعظين) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن علمه ماعمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه » هذا الحديث من حسان المصابيح ، والعبد المذكور فيه وإن كان عاما لكونه نكرة فى سياق النفى لكنه مخصوص بقوله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب » فعلى هذا يكون السؤال المذكور فيه لغير هؤلاء السبعين ألفا ، فلابد لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعلم أنه يسأل يوم القيامة ويناقش فى الحساب ويطالب بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات ، وأنه تعالى لاينجيه من هذه الأخطار إلا بلزومه محاسبة النفس فى تجارتها لآخرتها ومطالبتها فى أنفاسها وساعاتها وحركاتها وسكناتها ، فإن من حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف عليه يوم القيامة حسابه ، ويحضره عند السؤال جوابه ، ويحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسبها تدوم حسراته وتطول فى عرصات القيامة وقفاته ، وتقوده إلى الخزى والمقت سيئاته ، فإذن لابد للمؤمن أن لا يغفل فى تجارته لآخرته عن مراقبة نفسه فى حركاتها وسكناتها ولحظاتها وخطراتها ، لأن بهذه التجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدره المنتهى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (مجالس الرومى) .

المجلس الحادى والسبعون : فى بيان عيد الفطر

سورة الأعلى — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح من تزكى) تطهر من الكفر والمعصية ، أو تكثر من التقوى من الزكاء ، أو تطهر للصلاة ، أو أدى الزكاة (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) كقوله تعالى (أقم الصلاة لذكرى) ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم ، وقيل من تزكى تصدق للفطر (وذكر اسم ربه) كبر يوم العيد فصلى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون مايسعدكم فى الآخرة ، والخطاب للأشقى على الالتفات أو على إضمار قل أو للكل فان السعى للدنيا أكثر فى الجملة (والآخرة خير وأبقى) فان نعيمها متلذذ بالذات خالص عن الغوائل لاانقطاع له (إن هذا لفى الصحف الأولى) الإشارة إلى ماسبق من قد أفلح فانه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة (صحف إبراهيم وموسى) بدل من الصحف الأولى ، قال النبى عليه الصلاة والسلام « من

قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام » . (قاضي بيضاوي) .

عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال « إن رسول الله عليه الصلاة والسلام صعد المنبر فقال آمين ، ثم صعد الدرجة الثانية فقال آمين ، ثم صعد الدرجة الثالثة فقال آمين ، ثم استوى فجلس ، فقال له معاذ بن جبل : صعدت فأمنت ثلاث مرات فما حكمته يارسول الله ؟ قال أتاني جبرائيل قال : يامحمد من أدرك شهر رمضان ولم يصم إلى آخره ولم يغفر له دخل النار فأبعده الله منها فقلت آمين ، وقال من أدرك أبويه أو أحدهما ولم يبرهما فمات دخل النار فأبعده الله منها قلت آمين ، وقال من ذكر عنده اسمك ولم يصل عليك دخل النار فأبعده الله منها فقلت آمين »(زبدة) قيل (قد أفلح من تزكى) يعني بر الوالدين كقوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعني من ترك الميل إلى الظلمة كقوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعني من ترك الغيبة كقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعني من ترك محبة الدنيا كقوله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعني من ذكر الله كثيرا كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعني من صبر على مصيبة الله كقوله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعني من تطهر ظاهره وباطنه كقوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعني بتلاوة القرآن كقوله تعالى (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعني بإخلاص عمله كقوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعني نهى النفس عن الهوى كقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) (شيخ زاده) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تعالى : ياملائكتي كل عامل يطلب أجره وعبادي الذين صاموا شهرهم وخرجوا إلى عيدهم يطلبون أجورهم اشهدوا أني قد غفرت لهم ، فينادي مناد ياأمة محمد ارجعوا إلى منازلكم قد بدلت سيئاتكم بالحسنات ، فيقول الله تعالى : ياعبادي صمتم لي وأفطرتم لي فقوموا مغفورا لكم » (زبدة الواعظين) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « رمضان أوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره عتق من النيران » وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله يعتق

فى كل ساعة من رمضان من الليل والنهار ستمائة ألف عتيق من النار ممن استوجب العذاب إلى ليلة القدر ، وفى ليلة القدر يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر ، وفى يوم الفطر يعتق بعدد من أعتق فى الشهر وليلة القدر » (تنبيه الغافلين) عن أنس بن مالك عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « صوم العبد معلق بين السماء والأرض حتى يؤدى صدقة الفطر ، وإذا أدى صدقة الفطر جعل الله له جناحين أخضرين يطير بهما إلى السماء السابعة ، ثم يأمر الله تعالى أن يجعل فى قنديل من قناديل العرش حتى يأتى صاحبه » (زبدة) قال أنس بن مالك : للمؤمن خمسة أعياد : الأول كل يوم يمر على المؤمن ولا يكتب عليه ذنب فهو يوم عيد . والثانى اليوم الذى يخرج فيه من الدنيا بالإيمان والشهادة والعصمة من كيد الشيطان فهو يوم عيد . والثالث اليوم الذى يجاوز فيه الصراط ويأمن من أهوال القيامة ويخلص من أيدى الخصوم والزبانية فهو يوم عيد . والرابع اليوم الذى يدخل فيه الجنة ويأمن من الجحيم فهو يوم عيد . والخامس اليوم الذى ينظر فيه إلى ربه فهو يوم عيد (أبو الليث) . وعن وهب بن منبه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إن إبليس عليه اللعنة يصيح فى كل يوم عيد فيجتمع أهله عنده فيقولون ياسيدنا من أغضبك إنا نكسره ، فيقول لاشىء ولكن الله تعالى قد غفر لهذه الأمة فى هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللذات والشهوات وشرب الخمر حتى يبغضهم الله ، فعلى العاقل أن يمنع نفسه فى يوم العيد عن الشهوات والمناهى ويداوم على الطاعات ، ولذا قال النبى عليه الصلاة والسلام « اجتهدوا يوم الفطر فى الصدقة وأعمال الخير والبر من الصلاة والزكاة والتسبيح والتهليل ، فإنه اليوم الذى يغفر الله تعالى فيه ذنوبكم ويستجيب دعاءكم وينظر إليكم بالرحمة » (درة الواعظين) .

(حكى) أن صالح بن عبد الله كان إذا كان يوم الفطر ذهب إلى المصلى ، فرجع بعد أداء الصلاة إلى داره وجمع أهله وعياله عنده وجعل على عنقه سلسلة من حديد وهال الرماد على رأسه وجسده وبكى بكاء شديدا ، فقالوا ياصالح هذا يوم العيد ويوم السرور فما حالك هذا ، فقال عرفت ذلك ولكن أنا عبد أمرنى ربى أن أعمل عملا له فعملت ، فلا أدرى أقبله أم لا ، وكان يجلس فى طرف المصلى فقيل له لم لاتجلس فى وسط المصلى ؟ قال جئت سائلا للرحمة وهذا مجلس السائلين (زبدة الواعظين) قال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم الفطر يبعث الله الملائكة فيهبطون إلى الأرض فى كل البلاد ، فيقولون ياأمة محمد اخرجوا إلى رب كريم ، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله اشهدوا ياملائكتى أنى قد جعلت ثوابهم على صيامهم رضاى ومغفرتى » ويقال إن الحكمة فى عيد الدنيا تذكرة عيد الآخرة ، فإذا رأيت الناس بعضهم يذهب مشاة وبعضهم ركبانا وبعضهم لابسا وبعضهم عريانا وبعضهم يلبس أطلسا

وبعضهم بلاسا وبعضهم لاعبا ضاحكا وبعضهم باكيا ، فاذكر سير القيامة فانه كذلك كما قال الله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) وقال الله تعالى (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) وقال الله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ولذا قيل إن الأعياد مصيبة للأيتام ولبعض أصحاب الأموات .

حكى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام « أنه خرج لصلاة العيد والصبيان يلعبون وفيهم صبي جالس فى مقابلتهم وعليه ثياب بذلة وهو يبكى ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام له : أيها الصبي مالك تبكى فلا تلعب معهم ؟ فلم يعرفه الصبي ، فقال له أيها الرجل مات أبى بين يدى رسول الله فى غزوة كذا وتزوجت أمى وأكلت أموالى وأخرجنى زوجها من بيتى ، وليس لى طعام ولا شراب ولا ثياب ولا بيت ، فلما نظرت اليوم إلى الصبيان ذوى الآباء أخذتنى مصيبة أبى فلذلك أبكى ، فأخذه رسول الله بيده فقال له ياصبي هل ترضانى أن أكون أبا وعائشة أما وعليا عما والحسن والحسين أخوين وفاطمة أختا لك ؟ فعرف الصبي أنه رسول الله ، فقال لم لا أرضى يارسول الله ؟ فحمله النبي عليه الصلاة والسلام إلى منزله وألبسه أحسن الثياب وأشبعه وزينه وطيبه فخرج الصبي ضاحكا مستبشرا ، فلما رآه الصبيان قالوا له كنت قبل هذا الآن تبكى فما بالك صرت الآن مسرورا ؟ فقال كنت جائعا فشبعت وكنت عاريا فلبست وكنت يتيما فكان رسول الله أبى وعائشة أمى والحسن والحسين أخوى وعلى عمى وفاطمة أختى أفلا أفرح ؟ فقال الصبيان ياليت آباءنا قتلوا فى سبيل الله فى تلك الغزوة فنكون كذلك ، فلما توفى النبي عليه الصلاة والسلام خرج الصبي وهو يحثو التراب على رأسه ، فاستغاث وقال الآن صرت غريبا ويتيما ، فضمه أبو بكر الصديق إلى نفسه رضى الله عنه » (زبدة) . صدقة الفطر واجبة عملا لا اعتقادا على الحر المسلم المالك لنصاب فاضل عن الحوائج الأصلية وإن لم يكن ناميا وبه تحرم الصدقة ، وتجب الأضحية عن نفسه وولده الصغير الفقير وعبده للخدمة ولو كان كافرا وكذا مدبره وأم ولده لا عن زوجته وولده الكبير وطفله الغنى بل من مال الطفل والمجنون كالطفل ولا عن مكاتبه ولا عن عبيده للتجارة ، ووقت أداء صدقة الفطر قبل صلاة العيد . روى « أن عثمان بن عفان رضى الله عنه نسى زكاة الفطر قبل صلاة العيد فجعل كفارته عتق رقبة ، ثم جاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال يارسول الله نسيت زكاة الفطر قبل صلاة العيد فجعلت كفارته عتق رقبة ، فقال عليه الصلاة والسلام : لو أعتقت ياعثمان مائة رقبة لم تبلغ ثواب زكاة الفطر قبل صلاة العيد » (زبدة الواعظين) قيل لأى شىء الركوع واحد والسجدة ثنتان مع أن كلا منها فرض ؟ فقيل لأن الركوع أدعى للعبودية والسجدتان شاهدان ، فكما لم يقبل الركوع إلا بالسجود فكذلك

لا يقبل الصوم إلا بصدقة الفطر فإنها شاهدة عليه (زبدة الواعظين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من أعطى صدقة الفطر كان له عشرة أشياء : الأول يطهر جسده من الذنوب . والثاني يعتق من النار . والثالث يصير صومه مقبولا » كما قال الحسن البصري : إن صدقة الفطر للصوم كسجدة السهو للصلاة ، فكما تجبر سجدة السهو كل واقع في الصلاة فكذا الصوم يجبر بصدقة الفطر كل واقع فيه وبالتراويح لأن الحسنات يذهبن السيئات . « والرابع يستوجب الجنة . والخامس يخرج من قبره آمنا . والسادس يقبل ما عمل من الخيرات في تلك السنة . والسابع تجب له شفاعتي يوم القيامة . والثامن يمر على الصراط كالبرق الخاطف . والتاسع يرجح ميزانه من الحسنات . والعاشر يمحو الله تعالى اسمه من ديوان الأشقياء » (شيخ زاده) وندب إخراجها قبل صلاة العيد ، ولا تسقط بالتأخير ، وهي نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاع من تمر أو شعير والزبيب كالبر وعندهما كالشعير ؛ والصاع ثمانية أرطال ، ودفع قيمة ذلك أفضل وعليه الفتوى لأنه أدفع لحاجة الفقير (ملتقى الأبحر) وقال عليه الصلاة والسلام « من أعطى صدقة الفطر كان له بكل حبة يعطيها سبعون ألف قصر طول كل قصر ما بين المشرق والمغرب » (مشكاة الأنوار) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله » وفي رواية أخرى « أعطاه الله تعالى ثواب ستة أنبياء : أولهم آدم عليه السلام ، والثاني يوسف عليه السلام ، والثالث يعقوب عليه السلام ، والرابع موسى عليه السلام ، والخامس عيسى عليه السلام ، والسادس محمد عليه الصلاة والسلام » والله أعلم بالصواب (زبدة الواعظين) يجب إخراج صدقة الفطر على الكبير والصغير سواء كان صحيحا أو مجنونا عندهما ؛ وعند محمد وزفر لا يجب على الصغير والمجنون ، ولو كان له داران دار يسكنها والدار الأخرى لا يسكنها ويؤجرها يعتبر قيمتها مائتي درهم ويجب عليه صدقة الفطر ، وكذلك لو كان له دار واحدة يسكنها وفضل عن سكناه بها شيء يعتبر قيمة الفضل وكذلك في الثياب والأثاث (محيط البرهان) .

المجلس الثاني والسبعون : في فضيلة عشر ذي الحجة

سورة والفجر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) أقسم بالصبح أو فلقه كقوله تعالى « والصبح إذا تنفس » أو بصلاته (وليال عشر) عشر ذي الحجة ، ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الأخير وتنكيرها للتعظيم ، وقرئ (وليال عشر) بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام (والشفع والوتر) والأشياء كلها شفعها ووترها أو الخلق كقوله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين » والخالق هو الله لأنه فرد ، ومن فسرها بالعناصر الأربعة والأفلاك أو البروج والسيارات أو شفع

الصلوات وترها ويومى النحر وعرفة ؟ وقد روى مرفوعا أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع الدلول ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلا فى الدين أو مناسبة لما قبلها أو أكثر منفعة موجبة للشكر (والليل إذا يسر) إذا يمضى كقوله تعالى « والليل إذ أدبر » والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة ، أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام ، وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا (هل فى ذلك) القسم والمقسم به (قسم) حلف أو محلوف به (لذى حجر) يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه . والحجر : العقل سمى به لأنه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الإحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله (ألم تر كيف) الآية (قاضى بيضاوى) .

وعن الحسن بن على أنه قال : إذا دخلت المسجد فسلم على النبى عليه الصلاة والسلام ، فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال « لا تتخذوا بيتى عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا ، وصلوا على حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغنى » وفى حديث أوس رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة على » وعن سلمان بن سحيم رحمة الله عليه أنه قال : رأيت النبى عليه الصلاة والسلام فى النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام نعم وأرد عليهم (شفاء شريف) قال بعض العلماء : من صام هذه الأيام أكرمه الله بعشرة أشياء : البركة فى عمره ، والزيادة فى ماله ، والحفظ فى عياله ، والتكفير لسيئاته ، والتضعيف لحسناته ، والتسهيل لسكرات موته ، والضياء لظلمات قبره والتثقيل لميزانه ، والنجاة من دركاته ، والصعود على درجاته . وكذا روى : إن الله اختار من السنة ثلاث عشرات : العشر الأخير من رمضان لما فيه من بركات ليلة القدر ، وعشر الأضحى لما فيه من يوم التروية ويوم عرفة والأضاحى والتلبية والحج وأنواع المناسك ، كما جاء فى الخبر « إن الله تعالى يباهى ملائكته فيقول : انظروا إلى عبادى حيث جاءوا من كل فج عميق شعثا غبرا ليشهدوا منافع لهم اشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم » وعشر المحرم لما فيه من بركات يوم عاشوراء ولورود هذه الآثار وأمثالها . قال الفقهاء رحمهم الله : لو قال رجل لله على أن أصوم أفضل الأيام فى سنتى هذه بعد رمضان يجب عليه العشر الأول من ذى الحجة ، لأن الأيام الفاضلة من السنة هذه الأيام . وفى الخبر « من صام يوم عرفة من ذى الحجة كتب الله تعالى له صيام ستين سنة وكتبه الله من القانتين » (زبدة الواعظين) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام : يعنى أيام عشر ذى الحجة ، قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل

خرج بنفسه وماله فلم يرجع بذلك » وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « ما من أيام أحب إلى الله أن يعبد فيها من عشر ذى الحجة يعدل صوم كل يوم منها صيام سنة وقيام كل ليلة منها قيام ليلة القدر » وفى الخبر أن موسى عليه السلام قال : يارب دعوت فلم تجب دعوتى فعلمنى شيئا أدعوك به . فأوحى الله تعالى إليه ياموسى إذا دخل أيام العشر من ذى الحجة قل لا إله إلا الله أقض حاجتك ، قال يا رب كل عبادك يقولها ، قال يا موسى من قال لا إله إلا الله فى هذه الأيام مرة لو وضعت السموات السبع والأرضون السبع فى كفة الميزان ولا إله إلا الله فى الكفة الأخرى لثقلت ورجحت هذه المقالة عليهن جميعا . وروى عن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « اليوم الذى غفر الله فيه لآدم عليه السلام أول يوم من ذى الحجة ، من صام ذلك اليوم غفر الله له كل ذنب . واليوم الثانى استجاب الله دعاء يونس عليه السلام فأخرجه من بطن الحوت ، من صام ذلك اليوم كان كمن عبد الله تعالى سنة لم يعص الله فى عبادته طرفة عين . واليوم الثالث الذى استجاب الله فيه دعاء زكريا عليه السلام ، من صام ذلك اليوم استجاب الله دعاءه . واليوم الرابع اليوم الذى ولد فيه عيسى عليه السلام من صام ذلك اليوم نفى الله عنه البأس والفقر ، فكان يوم القيامة مع السفرة البررة الكرام . واليوم الخامس اليوم الذى ولد فيه موسى عليه السلام ، من صام ذلك اليوم برئ من النفاق أو من عذاب القبر . واليوم السادس اليوم الذى فتح الله تعالى لنبيه فيه الخير ، من صامه ينظر الله إليه بالرحمة فلا يعذب بعده أبدا . واليوم السابع اليوم الذى يغلق فيه أبواب جهنم ولا تفتح حتى تمضى أيام العشر ، من صامه أغلق الله عنه ثلاثين بابا من العسر وفتح له ثلاثين بابا من اليسر . واليوم الثامن اليوم الذى يسمى يوم التروية ، من صامه أعطى من الأجر ما لا يعلمه إلا الله تعالى . واليوم التاسع اليوم الذى هو يوم عرفة ، من صامه كان كفارة لسنة ماضية وسنة مستقبلة وهو اليوم الذى أنزل فيه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) . واليوم العاشر هو يوم الأضحى من قرب قربانا فيه فبأول قطرة قطرت من دمه غفر الله له ذنوبه وذنوب عياله ، ومن أطعم فيه مؤمنا أو تصدق فيه بصدقة بعثه الله تعالى يوم القيامة آمنا ويكون ميزانه أثقل من جبل أحد » (مجالس) .

(حكى) عن سفيان الثورى أنه قال : كنت أطوف بمقابر المسلمين فى البصرة من ليالى ذى الحجة ، فإذا نور فى قبر رجل فوقفت متفكرا فإذا صوت عال يقول : يا سفيان عليك بصيام عشر ذى الحجة يعط لك نور مثل هذا (زبدة الواعظين) وقال النبي عليه الصلاة والسلام « من صام اليوم الأخير من ذى الحجة واليوم الأول من المحرم فقد ختم السنة الماضية وفتح السنة القابلة بالصوم وجعل الله له كفارة خمسين سنة » وعن عائشة

رضى الله عنها أنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من يوم يعتق الله تعالى فيه من النار أكثر مما يعتق فى يوم عرفة » (كذا فى زبدة الواعظين) خذما آتيتك ولا تكن من الجاحدين . قال عليه الصلاة والسلام « أفضل ماقلت أنا وما قال الأنبياء قبلى فى هذه الأيام العشرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وقال عليه الصلاة والسلام « ما من أيام العمل فيها أفضل من عشر ذى الحجة ، فقيل يا رسول الله ولا رمضان ؟ فقال بل العمل فى رمضان أفضل ، ولكن هذه الأيام حرمتهن أعظم » (موعظة) قوله (والشفع والوتر) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الشفع يوم التروية ويوم عرفة والوتر يوم العيد . وعن قتادة ومجاهد أنهما قالا : الشفع هو الخلق كلهم والوتر هو الله تعالى وقد قال الله تعالى « ومن كل شىء خلقنا زوجين » معناه ليعلموا أن الله تعالى واحد . وعن الحسن أنه قال : الشفع هو أربع صلوات : الفجر والظهر والعصر والعشاء ، والوتر هو صلاة المغرب ، أقسم الله تعالى بالصلوات الخمس التى يصليها أهل الإسلام. وقال بعضهم الشفع يوم الخميس ويوم الاثنين والوتر يوم الجمعة ، أقسم الله بهذه الأيام الثلاثة لفضلها وشرفها على سائر الأيام .وقال بعضهم : الشفع رجب وشعبان والوتر رمضان ، أقسم الله تعالى بهذه الشهور لشرفها وفضلها على سائر الشهور . وقال بعضهم : الشفع آدم عليه السلام وحواء رضى الله عنها والوتر محمد عليه الصلاة والسلام ، أقسم الله تعالى بهم لكثرة فضلهم وشرفهم (والليل إذا يسر) قال بعض العلماء : هى ليلة المزدلفة ، أقسم الله تعالى بها لفضلها وشرفها بسير الحجاج فيها . وقال الشيخ أبو سعيد هى ليلة المعراج يدل عليه قوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » الآية (تفسير حنفى) . (والفجر) أى الأول على أن يكون الفجر اسما بمعنى الصبح أول وقت ظهور ضوء الشمس فى جانب المشرق . والثانى أن يكون مصدرا بمعنى خروج الصبح بفلقه الظلام أى بشقه ، يقال فلقت الشىء فلقا شققته ، أقسم الله به لما يحصل من انقضاء الليل لظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش فى طلب الأرزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل (شيخ زاده) . (وليال عشر) أى عشر ذى الحجة ، أقسم به لأنه أيام الاشتغال بنسك الحج وأعماله والحج المبرور من أفضل الأعمال لكفارته ذنوب العمر . وفى الخبر « ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل من أيام هذا العشر » ولما فسر الليالى العشر بعشر ذى الحجة ، قيل المراد بالفجر فجر يوم معين وهو فجر يوم عرفة أو فجر يوم النحر ، أقسم بفجر يوم عرفة لأنه يوم شريف يتوجه فيه الحجاج إلى جبل عرفات للوقفة ، أو أقسم بفجر يوم النحر لأنه يوم عظيم يأتى فيه الإنسان بالقربان (شيخ زاده) . (والشفع والوتر) والأشياء كلها شفعها ووترها ، على أن يكون الشفع والوتر معا كناية

عن جميع الأشياء من حيث إن شيئا ما من أجناس الأشياء وأنواعها وأصنافها وأشخاصها جواهرها وأعراضها لايتصور كونه خاليا عنهما ، فالقسم بهما قسم بجميع الأشياء بهذا الطريق وكذا إذا جعل الشفع كناية عن جميع المخلوقات ، لأنه تعالى خلق من كل شيء منها زوجين ذكرا وأنثى ناطقا وصامتا عالما وجاهلا قادرا وعاجزا حارا وباردا رطبا ويابسا فلكيا وعنصريا إلى غير ذلك ، وجعل الوتر كناية عن الخالق لأنه فرد لاتعدد فيه ، وقال بعض المتكلمين : لايجوز أن يقال الوتر هو الله تعالى إذ لايذكر مع شيء من المخلوقات على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز عن غيره . روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سمع من يقول : الله ورسوله فنهاه عنه ، فقال « قل الله ثم رسوله » (شيخ زاده)

المجلس الثالث والسبعون : في بيان فضيلة ليلة القدر

سورة القدر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أنزلناه في ليلة القدر) الضمير للقرآن ، فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بأن أسند إنزاله إليه ، وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله (وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) وإنزاله فيها بأن ابتدئ بإنزاله فيها أو أنزله جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا على السفرة ، ثم كان جبرائيل عليه السلام ينزل به على النبي عليه الصلاة والسلام نجوما في ثلاث وعشرين سنة ، وقيل معنى إنزاله أنزلناه في فضلها وهي في أوتار العشر الأخير من رمضان ولعلها السابعة منها ، والداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها ليالي كثيرة ، وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) وذكر الألف إما للتكثير أو لما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه ذكر إسرائيليا لبس السلاح وغزا في سبيل الله ألف شهر ، فتعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم ، فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي (تنزل الملائكة والروح فيها) أي في ليلة القدر (بإذن ربهم) بيان لما له فضلت على ألف شهر وتنزلهم إلى الأرض أو إلى سماء الدنيا أو تقربهم إلى المؤمنين (من كل أمر) أي من أجل كل أمر من الخير والبركة قدر في تلك السنة إلى القابل ، وقرئ « من كل امرئ » أي من أجل كل إنسان (سلام) خبر مقدم (هي) أي ليلة القدر مبتدأ مؤخر : أي ماهي إلا السلامة : أي لايقدر الله فيها إلا السلامة ، ويقضي في غيرها السلامة والبلاء ، أو ماهي إلا سلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) أي وقت مطلعه : أي طلوعه ، وقرئ بالكسر على أنه كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق (قاضي بيضاوي) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة » روى عن أبي عبدالله بن أبي حفص الكبير قال : مات وراق بالكوفة فرآه عالم في المنام ، فقال له مافعل الله بك ياوراق ؟ قال غفرلي ربي ، فقال بماذا ؟ فقال بإلحاق الصلوات عقيب اسم النبي عليه الصلاة والسلام ، فمن يكتب صلواته بالقرطاس يجد الغفران ، فكيف لايغفر الله لقائلها لساناً وقلبا (كذا في زبدة الواعظين) قيل عظم الله تعالى القرآن بثلاثة أوجه : الأول بأن أسند إنزاله إليه وجعله مختصابه دون غيره . والثاني جاء بالضمير دون الاسم الظاهر شهادة له بالنباهة في رفعة القدر لكمال الشرف . والثالث رفع مقدار الوقت الذي أنزل فيه (كشاف) وإنما سميت ليلة القدر قدرا لأن فيها تقدير الأمور والأحكام والأرزاق والآجال وما يكون في تلك السنة إلى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله تعالى ذلك في بلاده وعباده . ومعنى هذا أن الله تعالى يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ماهو من وظيفتهم بأن يكتب لهم ماقدره في تلك السنة ويعرفهم إياه وليس المراد منه أن يحدثه في تلك الليلة ، لأن الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل . قيل للحسين بن الفضل أليس أنه قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال نعم ، قيل له فما معنى ليلة القدر ؟ قال سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر (تفسير لباب) وإنما سميت ليلة القدر ، لأنها يقدر فيها الأمور والأحكام كلها من تلك السنة إلى السنة القابلة ، ثم تسلم للمدبرات دفتر الرحمة والعذاب إلى جبرائيل عليه السلام ، ودفتر النباتات والأرزاق إلى ميكائل عليه السلام ، ودفتر الأمطار والرياح إلى إسرافيل عليه السلام ، ودفتر قبض الروح وانقضاء الآجال إلى عزرائيل عليه السلام لقوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) أو القدر بمعنى الضيق ، لأن الأرض تضيق تلك الليلة لكثرة نزول الملائكة عليهم السلام (مشكاة الأنوار) قيل سبب نزول الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر أنهم لما قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم مالا تعلمون) أظهر أن الأمر خلاف ما قالوا وبين حال المؤمنين فنزلوا يسلمون عليهم ويعتذرون مما قالوا ويدعون ويستغفرون لهم (بخاري) وسبب نزول هذه السورة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « ذكر جبرائيل عليه السلام عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبدا يقال له شمعون الغازي ، وهو غزا الكفار ألف شهر ، وكان سلاحه لحي جمل وليس له غيرها من آلة حرب ، وكلما ضرب الكفار بهذا اللحي قتل مالا يحصى عددهم ، فإذا عطش يخرج من موضع الأسنان ماء عذب فيشربه ، وإذاجاع ينبت منه لحم فيأكله ، فكان على هذا كل يوم حتى مضى من عمره ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، فعجز الكفار عن رده ، فقالوا لامرأته وهي كافرة إنا نعطيك أموالا كثيرة إن قتلت زوجك ،

قالت أنا لا أقدر على قتله ، قالوا نعطيك حبلا شديدا فشدى به يديه ورجليه فى نومه ونحن نقتله ، فشدته المرأة فى نومه فاستيقظ فقال من شدنى ؟ فقالت أنا شددت لأجربك ، فجذب يده فقطع الحبل ثم جاء الكفار بسلسلة فشدته المرأة بها فاستيقظ ، فقال من شدنى ؟ قالت أنا شددت لأجربك فجذب يده فقطع السلسلة ، ثم قالت كالأولى ، فقال يا امرأتى أنا ولى من أولياء الله تعالى لا يغلب على شىء من أمر الدنيا إلا شعرى هذا ، وكان له شعر طويل ، فسمعت امرأته فلما نام قطعت ذوائبه فى حال نومه ، وكانت ثمانى قطع من شعر رأسه وكلها تجر على الأرض ، فشدت بأربع ذوائب منها يديه وبالأربع الأخرى رجليه فى نومه ، فاستيقظ فقال من شدنى ؟ قالت أنا شددت لأجربك ، فلم يقدر على قطعها ، فأخبرت امرأته الكفار ، فجاءوا وذهبوا به إلى مذبحهم وكان فيه عمود فأوثقوه على ذلك العمود ، فقطعوا أذنيه وعينيه وشفتيه ولسانه ويديه ورجليه وكلهم يجتمعون فى ذلك البيت ، فأوحى الله تعالى إليه : أى شىء تريد بهم أصنعه ؟ فقال أن تعطينى من القوة حتى أحرك عمود هذا البيت فينهدم عليهم ، فقواه الله وحرك نفسه فوقع السقف عليهم وأهلكوا جميعا وامرأته معهم ، فأنجاه الله تعالى منهم ورد الله عليه أعضاءه ، فعبد ذلك عبد الله ألف شهر مع قيام ليلها وصيام نهارها ، فضرب بالسيف فى سبيل الله فبكى أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام اشتياقا لذلك ، فقالوا يا رسول الله هل تدرى ثوابه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لا أدرى ، فأنزل الله جبرائيل عليه السلام بهذه السورة وقال يا محمد أعطيتك ولأمتك ليلة القدر العبادة فيها أفضل من عبادة سبعين ألف شهر » وقال بعضهم : قال الله تعالى : يا محمد ركعتان فى ليلة القدر خير لك ولأمتك من ضرب السيف ألف شهر فى زمان بنى إسرائيل (حنانية) وقيل سبب نزولها أنه لما دنا وفاة النبى عليه الصلاة والسلام وقرب فراقه عن أمته بكى رسول الله وحزن وقال : إذا خرجت من الدنيا فمن يبلغ سلام الله على أمتى ، واغتم قلبه عليه الصلاة والسلام ، ففرح الله قلبه لقوله (تنزل الملائكة والروح) حتى يبلغوا سلامى ولا أمنع عنهم فلا تحزن يا حبيبى (موعظة) قال الإمام الرازى : فإذا طلع الفجر فى ليلة القدر نادى جبرائيل عليه السلام : يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل ، فيقولون يا جبرائيل ما صنع الله بالمسلمين فى هذه الليلة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فيقول لهم : إن الله تعالى نظر إليهم بالرحمة وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة نفر . قالوا من هؤلاء الأربعة ؟ قال مدمن الخمر وعاق الوالدين وقاطع الرحم والشاحن : يعنى الصارم وهو الذى لا يكلم أخاه فوق ثلاثة أيام (زبدة الواعظين)

عن ابن عباس عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى فى ليلة القدر ركعتين يقرأ فى ركعة بفاتحة الكتاب مرة والإخلاص سبع مرات فإذا سلم يقول أستغفر الله وأتوب إليه سبعين مرة ، فلا يقوم من مقامه حتى يغفر الله له ولأبويه ، ويبعث الله تعالى

ملائكة إلى الجنان يغرسون له الأشجار ويبنون القصور ويجرون الأنهار ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى ذلك كله » (تفسير الحنفى) قال النبى عليه الصلاة والسلام « إن الله ينزل فى كل ليلة القدر رحمة واحدة تصيب جميع المؤمنين من شرق الأرض إلى غربها ويبقى منها بقية ، فيقول جبرائيل عليه السلام : يارب بلغت رحمتك جميع المؤمنين وبقيت فضلة ، فيقول الله تعالى اصرفها إلى المواليد الذين ولدوا فى هذه الليلة ، فيصرف جبرائيل تلك الرحمة إلى مواليد الإسلام والكفار ، وصارت تلك الرحمة لأولاد الكفار خاصة ، وهى تجرهم إلى دار السلام فيموتون بها مؤمنين » كما قال موسى عليه السلام فى مناجاته : إلهى أريد قربك ، فقال الله تعالى قربى لمن استيقظ ليلة القدر ، وقال إلهى أريد رحمتك ، فقال الله تعالى رحمتى لمن رحم المساكين ليلة القدر ، وقال إلهى أريد الجواز على الصراط كالبرق ، فقال الله تعالى ذلك لمن تصدق ليلة القدر ، وقال إلهى أريد أن أقعد تحت ظل أشجار الجنة وآكل من ثمارها ، فقال الله تعالى ذلك لمن سبح تسبيحة ليلة القدر ، وقال إلهى أريد النجاة من النار ، فقال الله تعالى ذلك لمن استغفر الله تعالى ليلة القدر إلى الصبح ، وقال إلهى أريد رضاك ، فقال الله تعالى رضاى لمن صلى ركعتين ليلة القدر (زبدة الواعظين) روى أنه عليه الصلاة والسلام قال « أبواب السموات مفتوحة فى ليلة القدر ما من عبد يصلى فيها إلا جعل الله تعالى له بكل تكبيرة غرس شجرة فى الجنة لو سار الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها ، وبكل ركعة بيتا فى الجنة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، وبكل آية من قراءته فى الصلاة تاجا فى الجنة وبكل جلسة درجة من درجات الجنة ، وبكل تسليمة حلة من حلل الجنة » (زبدة الواعظين) روى فى الخبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال « ينزل فى ليلة القدر أربعة ألوية : لواء الحمد ولواء الرحمة ولواء المغفرة ولواء الكرامة ، ومع كل لواء سبعون ألف ملك ، وعلى كل لواء مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ، قال عليه الصلاة والسلام : من قال فى تلك الليلة ثلاث مرات لا إله إلا الله محمد رسول الله غفر له بواحدة وأنجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة ، فينصب لواء الحمد بين السماء والأرض ، ولواء المغفرة على قبر النبى عليه الصلاة والسلام ، ولواء الرحمة فوق الكعبة ولواء الكرامة فوق الصخرة فى بيت المقدس ، وكل واحد منهم يجىء فى تلك الليلة فى باب المسلمين سبعين مرة يسلم عليهم » (بستانية) وعن وهب ابن منبه أنه قال : كان عابد فى بنى إسرائيل عبد الله تعالى ثلثمائة سنة ورجا أن يوحى إليه ، وقد أنبت الله تعالى له نخلة تثمر كل ليلة مايكفيه وكان قلبه مطمئنا إليه ، فلم يوح إليه ، فنودى إنى لا أوحى إلى رجل قلبه مطمئن بغيرى ، قال يارب مايطمئن به قلبى ؟ فقيل بالشجرة التى تأكل منها فقطع تلك الشجرة وشرع فى العبادة ، فقال له ربه : إن لعبادى ليلة هى ليلة القدر خير

من عبادتك كلها . وقال بعض العلماء : هنا نكتة شريفة : وذلك أن نوحا عليه الصلاة والسلام دعا الخلق ألف سنة إلا خمسين عاما وأنت يا محمد دعوت الخلق ثلاثا وعشرين سنة ، وأنت خير من نوح عليه الصلاة والسلام ، ومدتك القليلة خير من مدة نوح عليه الصلاة والسلام ، وتوابعك لى أكثر من توابع نوح عليه الصلاة والسلام ، فكذا الضارب بالسيف ألف شهر والقائم ألف شهر وإن كان كثيرا ، فصلاة الركعتين من أمتك وإن كانت قليلة فى تلك الليلة أفضل من ذلك كله ، ليعلم الخلائق أن فضلى ورحمتى على محمد وأمته أفضل من رحمتى على جميع الخلائق (تفسير الحنفى) .
واختلفوا فى وقتها : فقال بعضهم إنها كانت فى عهد رسول الله ثم رفعت . وذهب عامة المشايخ إلى أنها باقية إلى يوم القيامة . واختلفوا فى تلك الليلة : فقال بعضهم أول ليلة من رمضان . وقال بعضهم ليلة سبعة عشر . وقال الأكثر فى العشر الأخير من رمضان . واتفق عامة الصحابة والعلماء على أنها ليلة سبع وعشرين من رمضان . (حكى) أن أبا يزيد البسطامى قال : رأيت ليلة القدر فى جميع عمرى مرتين ، وهى واقعة فى موقع السابع والعشرين . وذكر فى حقائق الحنفى أنه قال : إن حروف ليلة القدر تسعة أحرف ، وقد ذكر الله تعالى لفظ ليلة القدر فى ثلاثة مواضع ، فتكون سبعا وعشرين ، والسر فى إخفائها على الأمة أن يجتهدوا فى العبادات جميع ليالى رمضان طمعا فى إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة ، والصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس ، والاسم الأعظم فى الأسماء ، ورضاه فى الطاعة ليرغبوا ويجتهدوا فى جميعها (مشكاة الأنوار) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من قام ساعة فى ليلة القدر قدر ما يحلب الراعى شاة أحب إلى الله من صيام الدهر كله ؟ والذى بعثنى بالحق نبيا لقراءة آية من القرآن ليلة القدر أحب إلى الله من أن يختم فى غيرها من الليالى » وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت قلت : يارسول الله لو وافقت ليلة القدر فما أقول ؟ قال « قولى: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى » (موعظة) .
واختلف المفسرون فى معنى الروح : قال بعضهم هو جبرائيل عليه الصلاة والسلام . وعن كعب الأحبار أن سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ينزلون مع جبرائيل عليه الصلاة والسلام فى ليلة القدر ومقام جبرائيل فى أوسطها يدعون للمؤمنين والمؤمنات بخير ولا يترك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أحدا من الناس إلا صافحه . وعلامة ذلك أن من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فهو من مصافحة جبرائيل عليه الصلاة والسلام . وقال بعضهم : المراد من الروح هو ملك عظيم لو التقم السموات والأرض لكانت لقمة له لا تراه الملائكة إلا فى ليلة القدر ينزل لخدمة المؤمنين مع الملائكة ليطلع على أمة محمد عليه الصلاة والسلام . وقيل طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا فى ليلة القدر . وقيل خلق لله تعالى يأكلون

ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الإنس ولعلهم خدام أهل الجنة . وقيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام ، إذ الروح اسمه ينزل موافقة للملائكة ليطلع على أمة محمد عليه الصلاة والسلام. وقيل هو ملك رجلاه تحت الأرض السابعة ورأسه تحت العرش الأعلى ، وله ألف رأس أعظم من الدنيا ، وفى كل رأس ألف وجه ، وفى كل وجه ألف فم ، وفى كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ، فينزل تلك الليلة ويستغفر لأمة محمد عليه الصلاة والسلام (تفسير التيسير)

وقال بعضهم : المراد من الروح الرحمة يبعث الله تعالى جبرائيل عليه الصلاة والسلام مع الرحمة على عباده الأحياء فتفضل منهم ، فيقول الله ياجبرائيل اقسم الباقى على الأموات فيفضل ، فيقول جبرائيل يارب قد فضلت رحمتك عنهم ماذا تأمر ؟ فيقول الله تعالى : يا جبرائيل خزائن رحمتى مملوءة فاقسم الباقى على الكفار فى دار الحرب فيقسم جبرائيل على من علم أنه يموت مسلما (شيخ زاده) .

المجلس الرابع والسبعون : فى فضيلة الأضحية وبيان تكبيراتها

سورة الكوثر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أعطيناك الكوثر) أى الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين . وروى عنه عليه الصلاة والسلام « أنه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد ، حافتاه الزبرجد وأوانيه من الفضة لا يظمأ من شرب منه » وقيل حوض فيها . وقيل أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن العظيم (فصل لربك) فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرائى فيها ، شكرا لإنعامه ، فان الصلاة جامعة لأقسام الشكر (وانحر) البدن التى هى خيار أموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون ؟ فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة ، وقد فسر الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية (إن شانئك) إن من أبغضك لبغضه لك (هو الأبتر) الذى لا عقب له إذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر ؛ وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة ، ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف ، عن النبى عليه الصلاة والسلام: « من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر فى الجنة ، ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر » (قاضى بيضاوى) .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « من صلى على تعظيما لى جعل الله تعالى من تلك الكلمة ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت العرش يقول له الله تعالى صل على عبدى كما صلى على نبيى ، فيصلى عليه إلى يوم القيامة » (زبدة الواعظين) روى مسلم عن أنس

رضى الله عنه أنه قال « نام عليه الصلاة السلام نومة خفيفة ، ثم قام ورفع رأسه متبسما ، فقيل له ما أضحكك يارسول الله ؟ قال نزلت على آنفا : أى قريبا سورة فقرأ علينا (إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر) » سبب نزولها ما روى عن أبى صالح عن ابن عباس أنه قال : إن العاص بن وائل بن هشام رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام يخرج من المسجد وهو داخل ، فالتقيا عند الباب وتحدثا وجماعة قريش فى المسجد ، فلما دخل العاص عليهم قالوا من ذا الذى تحدثه ؟ قال ذلك الأبتر ، وإنما قال هذا لأن قريشا سموا محمدا أبتر عند موت ابنه إبراهيم ، وكان فى الجاهلية إذا لم يكن للرجل ولد ذكر يسمونه أبتر ، فسمع النبى عليه الصلاة والسلام ما قاله العاص فحزن قلبه ، فأنزل الله تعالى تسلية لقلبه وجوابا لعدوه ، لو عاش ابنك فلا يخلو إما أن يكون نبيا أولا ، فان لم يكن نبيا فلا يكن لك فيه شرف ، وإن كان نبيا فلا تكون أنت خاتم النبيين وقرنت اسمى باسمك فى التوحيد والأذان والصلاة وكثير من الأشياء وأنت صاحب الكوثر فكيف تكون أنت أبتر ؟ (روضة العلماء) وهو أى إبراهيم مات فى حال الرضاع ، وروى أنه كان طفلا ابن سبعين يوما أو زيادة . وأبناء الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة : قاسم وهو ولد قبل نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وصار إلى العقبى قبل نبوته فى مدة سبعة عشر يوما على القول الأصح ، وإبراهيم مرت أقواله آنفا . وعبد الله ، قالوا اسمه طيب وطاهر وهو ولد بعد نبوة محمد عليه الصلاة والسلام فى مكة ومات فى حال صغره ، وقال بعضهم إن طيبا وطاهرا غير عبد الله . وأما بناته فأربع : فاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهن ، ولدن كلهن من بطن خديجة سوى إبراهيم فانه ولد من جارية قبطية اسمها مارية : وأولاده عليه الصلاة والسلام كلهم ماتوا قبله غير فاطمة الزهراء وهى ماتت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بستة أشهر ، وهى أفضل بناته (كذا فى شرح البركوى للقنوى) روى أن الكوثر نهر فى الجنة ، وقيل حوض فيها ، وقيل فى الموقف ، وقيل فضائل كثيرة ، وقيل المقام المحمود ، وقيل خلق حسن ، وقيل رفعة ذكره ، وقيل هذه السورة ، وقيل أولاده وأتباعه ، وقيل علماء أمته ، وقيل القرآن العظيم ، وقيل علماء أولاده ، وقيل ما أوحى إليه مطلقا ، وقيل النبوة ، وقيل أصحابه العظام ، وقيل تفسير القرآن ، وقيل تحقيق الشرائع ، وقيل كثرة أمته ، وقيل الكرامات الواقعة ، وقيل الشفاعة الكبرى (شهاب الدين) وجه المقابلة أن الله تعالى وصف المنافقين فى السورة المتقدمة بأربعة أمور : الأول البخل ، وهو المراد من قوله تعالى (الذى يدع اليتيم ولا يحض) الآية . والثانى ترك الصلاة ، وهو المراد من قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) . والثالث الرياء فى الصلاة وهو المراد من

قوله (الذين هم يراءون) . والرابع منع الزكاة ، وهو المراد من قوله (ويمنعون الماعون) فذكر في مقابلة (عن صلاتهم ساهون) قوله فصل ، وفي مقابلة (الذين هم يراءون) قوله (لربك) ، وفي مقابلة (الذي يدع اليتيم — ويمنعون الماعون) قوله (وانحر) لأن بذل خيار الأموال يقابل البخل ، وصرفها إلى المحاويج يقابل منع الماعون (شيخ زاده) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من كان له سعة فلم يضح ، فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » وفي رواية « من كان له سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا » وعن علي رضي الله عنه « من خرج من بيته إلى شراء الأضحية كان له بكل خطوة عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ، وإذا تكلم في شرائها كان كلامه تسبيحا ، وإذا نقد ثمنها كان له بكل درهم سبعمائة حسنة ، وإذا طرحها على الأرض يريد ذبحها استغفر له كل خلق من موضعها إلى الأرض السابعة ، وإذا أهرق دمها خلق الله بكل قطرة من دمها عشرة من الملائكة يستغفرون له إلى يوم القيامة ، وإذا قسم لحمها كان له بكل لقمة مثل عتق رقبة من ولد إسمعيل عليه الصلاة والسلام » (جواهر زاده) عن النبي عليه الصلا والسلام أنه قال لعائشة « ياعائشة قدمي أضحيتك واشهديها فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها على الأرض أن يغفر لك الله تعالى ماسلف من ذنوبك فقالت يارسول الله ألنا خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بل لنا وللمؤمنين عامة » وعن وهب بن منبه أنه قال : إن داود عليه الصلاة والسلام قال : إلهي ماثواب من ضحى من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ؟ قال ثوابه أن أعطيه بكل شعرة على جسده عشر حسنات وأمحو عنه عشر سيئات وأرفع له عشر دجات ، وله بكل شعرة قصر في الجنة وجارية من الحور العين ومركب من ذوات الأجنحة خطوها مد البصر يركبها أهل الجنة فيطير بها حيث يشاء . أماعلمت ياداود أن الضحايا هي المطايا وترفع البلايا يوم القيامة ؟ (زهرة الرياض) حكي عن أحمد بن إسحق أنه قال : كان لي أخ فقير ، وكان مع فقره يضحي كل سنة بشاة ، فلما توفي صليت ركعتين فقلت : اللهم أرني أخي في نومي فأسأله عن حاله ، فنمت على الوضوء فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت وحشر الناس من قبورهم ، فاذا أخي راكب على فرس أشهب وبين يديه نجائب ، فقلت يا أخي مافعل الله بك ؟ فقال غفرلي ، فقلت بم ؟ فقال بسبب درهم تصدقت به على امرأة عجوز فقيرة في سبيل الله ، فقلت ماهذه النجائب ؟ قال ضحاياي في الدنيا والتي أركبها أول أضحيتي ، فقلت إلى أين قصدت ؟ قال إلى الجنة فغاب عن بصري (سنانية) وأما إذا لم يكن للمؤمنين مركب من الأضحية فيكون عمله الصالح مركبا له يخلق الله تعالى من أعماله الصالحة بعيرا يركب عليه إذا خرج من قبره ، فيتقدم إلى ربه تعالى (سنانية) عن أنس وعن علي رضي الله عنهما أنهما قالا : قال النبي عليه الصلاة والسلام « إذا حشر المؤمنون من قبورهم يقول الله تعالى ياملائكتي لا تمشوا عبادي راجلين بل أركبوهم على

نجائبهم ، فانهم اعتادوا الركوب فى الدنيا ، كان فى الابتداء صلب أبيهم مركبهم ثم بطن أمهم مركبهم ، حين ولدتهم أمهم حجر أمهم مركبهم إلى أن يتم الرضاع ، ثم عنق أبيهم مركبهم ، ثم الفرس والبغال مراكبهم فى البرارى والسفن والزوارق فى البحار ، وحين ماتوا فأعناق إخوانهم ، وحين قاموا من قبورهم لا تمشوهم راجلين فانهم اعتادوا الركوب وقدموا نجائبهم » وهى الأضحية لقوله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أى ركبانا ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « عظموا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم » (رجبية) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرب قربانا إذا قام من قبره رآه قائما على رأس قبره ، فاذا له شعر من الذهب وعيناه من يواقيت الجنة وقرناه من الذهب ، فيقول من أنت وأى شىء أنت وما رأيت أحسن منك ؟ فيقول أنا قربانك الذى قربتنى فى الدنيا ثم يقول اركب على ظهرى ، فيركب عليه ويذهب به ما بين السماء والأرض إلى ظل العرش » (رجبية) وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فهو منا ، ومن لم يصل صلاتنا ولم يضح فليس منا إن كان غنيا » وقال عليه الصلاة والسلام « خيار أمتى يضحون وشرار أمتى لا يضحون » وقال عليه الصلاة والسلام « ألا إن الأضحية من الأعمال المنجية ، تنجى صاحبها من شر الدنيا والآخرة » (زبدة الواعظين) . الأضحية واجبة على كل مسلم مقيم موسر وهو أن يملك نصابا وهو مائتا درهم أو قيمتها فاضلا عن حوائجه الأصلية لا يعتبر فيه وصف النماء ولا يعتبر الحولان كالزكاة ، فان الزكاة يعتبر فيها الحولان ، ومن كان فقيرا فوجد المال فى أيام الأضحية تجب عليه الأضحية ، ومن كان غنيا فتلف ماله فى أيام الأضحيـة سقطت عنه الأضحية (كذا فى كتب الفقه) وإنما تجوز الأضحية من أربعة أصناف من الحيوان : الإبل والبقر والغنم والمعز ، ذكورها وإناثها ، ومن البقر ما تمت له سنتان وطعن فى الثالثة ، ومن الإبل والبقر يكفى الواحد عن واحد إلى سبعة كلهم يريد القربة ، فلو أراد أحدهم بنصيبه اللحم أو كان كافرا لا يجوز عن واحد منهم ولم ينقص نصيب أحد منهم ، ويجوز الجذع كالجماء والخصى والثولاء . الجذع : شاة لها ستة أشهر . والجماء : هى التى لا قرن لها . والثولاء : هى المجنونة ؛ ولا يجوز العمياء التى ليس لها عينان ، ولا العرجاء التى تمشى بثلاث قوائم ، ولا العوراء التى لها عين واحدة ، ولا العجفاء التى لا مخ فى عظمها ، ولا ما ذهب أكثر من ثلث أذنها أو عينها أو أليتها (كذا فى كتب الفقه) وأول وقتها بعد الصلاة فى المصر ، ولا يذبح قبلها بخلاف القرى ، وآخره قبل غروب اليوم الثالث ، والأفضل أن يذبح بنفسه إن قدر وإلا يأمر غيره . ويستحب أن يحضر بنفسه عند الذبح ، ويكره ترك التوجه إلى القبلة ويقول بعد التوجه قبل الذبح : إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين،

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد بسم الله الله أكبر ، فيذبح ثم يصلى ركعتين على طريق الاستحباب لقوله عليه الصلاة والسلام « ألقوا ما فى أيديكم من السكين ثم اركعوا ركعتين ، فانه ما ركعهما أحد وسأل الله شيئا إلا أعطاه » ويقول بعد السلام : اللهم إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (ضياء الدين) ووقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس قدر رمح أو رمحين إلى زوالها . وبيان صلاتها أنه إذا دخل وقت الصلاة بارتفاع الشمس وخروج وقت الكراهة يصلى الإمام بالناس ركعتين بلا أذان ولا إقامة يكبر تكبيرة الإحرام ، ثم يضع يديه تحت سرته ويثنى ثم يكبر ثلاث تكبيرات ، يفصل بين كل تكبيرتين بسكتة قدر ثلاث تسبيحات ، ويرفع يديه عند كل تكبيرة ويرسلهما فى أثنائهن ، ثم يضعهما بعد الثالثة ويتعوذ ويسمى ويقرأ الفاتحة والسورة ثم يكبر ويركع ، فاذا قام إلى الواجب وهو تكبيرات الزوائد : يعنى إلى الركعة الثانية يبدأ بالقراءة ويفعل هكذا بعد قراءة الفاتحة والسورة ، ثم يركع ويسجد ؛ وتكبيرة هذا الركوع واجبة لمقارنتها إلى الزوائد الثلاث ، والتكبيرات التسع واحدة منها فرض وهى تكبيرة الافتتاح ، وواحدة منها سنة وهى تكبيرة الركوع الأول ، وسبعة منها واجبة وهى الزوائد مع تكبير الركوع الثانى .
(كذا فى كتب الفقه) .

(مسئلة) رجل له مائتا درهم فاشترى بعشرين أضحية يوم الثلاثاء مثلا فهلكت الأضحية يوم الأربعاء ، وجاء الأضحى يوم الخميس لا يجب عليه أن يضحى ، لأن الأضحية إنما تجب فى يوم الأضحى وهو فقير فيه (كذا فى فتاوى الواقعات) .

المجلس الخامس والسبعون

فى فضيلة قراءة سورة الإخلاص مع البسملة

سورة الإخلاص — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق ، وارتفاعه بالابتدائية وخبره الجملة التى بعده ولا حاجة إلى العائد لأنها هى هو أو لما سئل عنه : أى الذى سألتمونى عنه هو الله ؛ إذ روى أن قريشا قالوا : يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا إليه فنزلت هذه الآية (الله الصمد) السيد المصمود إليه فى الحوائج من صمد إليه إذا قصده وهو الموصوف به على الإطلاق ، فانه مستغن عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج إليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظ الله للاشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية ، وإخلاء الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها (لم يلد) لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة

والفناء عليه ، ولعل الاقتصار على الماضى لوروده ردا على من قال : الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله أو ليطابق قوله (ولم يولد) وذلك لأنه لا يفتقر إلى شىء ولا يسبقه عدم (ولم يكن له كفوا أحد) أى ولم يكن أحد يكافئه : أى يماثله من صاحبة وغيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة كفوا ، لكن لما كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته قدم تقديما للأهم ، ويجوز أن يكون حالا من المستكن فى كفوا ، أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد ، ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لأن المراد منها نفى أقسام الأمثال ، فهى كجملة واحدة منبه عليها بالجمل الثلاث (قاضى بيضاوى) .

كان سبب نزول هـذه السورة كما قال أبى بن كعب وجابر بن عبد الله وأبو العالية والشعبى وعكرمة رضى الله تعالى عنهم أجمعين : أنه اجتمع كفار مكة وهم عامر بن الطفيل وزيد بن قيس وغيرهما وقالوا : يا محمد صف لنا ربك من أى شىء هو ؟ أهو من ذهب أم من فضة أم من حديد أم من نحاس ؟ فان آلهتنا من هـذه الأشياء ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام من تلقاء نفسه « هو لا يشبه شيئا » فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال (قل) يا محمد (هو لله أحد . الله الصمد) قال ابن عباس : الصمد الذى لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب ، فلو كان مجوفا لاحتاج إلى شىء وهو لا يحتاج إلى شىء بل كل الخلائق محتاجون إليه ، ولو كان محتاجا إلى شىء لكان لا يليق بالربوبية (من حديث الأربعين) روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة « لا تنامى حتى تعملى أربعة أشياء : حتى تختمى القرآن ، وحتى تجعلى الأنبياء لك شفعاء يوم القيامة ، وحتى تجعلى المسلمين راضين عنك ، وحتى تفعلى حجة وعمرة » فدخل عليه الصلاة والسلام فبقيت على الفراش حتى أتم الصلاة فلما أتمها قالت يا رسول الله : فداك أبى وأمى أمرتنى بأربعة أشياء لا أقدر فى هذه الساعة أن أفعلها ، فتبسم رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال « إذا قرأت (قل هو الله أحد) فكأنك ختمت القرآن ، وإذا صليت على وعلى الأنبياء من قبلى فقد صرنا لك شفعاء يوم القيامة ، وإذا استغفرت للمؤمنين فكلهم راضون عنك ، وإذا قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقد حججت واعتمرت » (تفسير حنفى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الغد عشر مرات لم يصل إليه ذنب وإن جهده الشيطان » وهى سورة مكية ، وهى أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا . وعن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ سورة قل هو الله أحد مرة واحدة أعطاه الله تعالى من الأجر كمثل أجر مائة شهيد » (من حديث الأربعين) وعن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن فى الجنة شجرة تسمى حولب ، وعليها أثمار أكبر من التفاح وأصغر من الرمان وأحلى من

العسل وأشد بياضا من اللبن وألين من الزبد » قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : من يأكلها يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام « من سمع اسمى فصلى على فهو يأكلها » (زهرة الرياض) وإنما سميت سورة الإخلاص لأنها تخلص قارئها من شدائد الدنيا والآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر وأهوال القيامة .

(حكى) أن رجلا مات فرآه أبوه فى المنام تلك الليلة كأنه فى الجحيم والأغلال ، ثم رآه فى ليلة ثانية فى الجنة ، فقال رأيت فى البارحة كذا فما هذا ؟ فقال مر علينا رجل فقرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات ووهب أجره لنا ، فقسم علينا فهذا الذى تراه نصيبى منه (تفسير خازن) عن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ سورة الإخلاص مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثى القرآن ، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله ، ومن قرأها عشر مرات بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمراء » وفى الخبر « من قرأ سورة الإخلاص فى الفرائض غفر الله له ولوالديه ومحا اسمه من ديوان الأشقياء وكتبه فى ديوان السعداء » (مجالس) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « كنت أخشى العذاب على أمتى بالليل والنهار حتى جاء جبرائيل عليه السلام بسورة قل هو الله أحد ، فعلمت أن الله تعالى لا يعذب أمتى بعد نزولها لأنها نسبة الله ، ومن تعهد قراءتها تناثر البر من عنان السماء على رأسه ونزلت عليه السكينة وتغشته الرحمة ، فينظر الله تعالى إلى قارئها فيغفر له مغفرة لا يعذب بعدها أبدا ، ولا يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه » (تفسير حنفى) . أخرج البيهقى عن أبى أمامة الباهلى أنه قال : « أتى جبرائيل عليه السلام النبى عليه الصلاة والسلام وهو بتبوك فى سبعين ألفا من الملائكة ، فقال جبرائيل عليه السلام : يا رسول الله اشهد جنازة معاوية (١) فخرج النبى عليه الصلاة والسلام ووضع جبرائيل عليه السلام جناحه على الأرض ، فتواضعت حتى نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة وصلى على معاوية مع جبرائيل عليه السلام والملائكة ، ثم قال النبى عليه الصلاة والسلام : يا جبرائيل بم بلغ معاوية هذه المرتبة ؟ فقال بقراءته قل هو الله أحد قائما وقاعدا وراكبا وماشيا » . « روى أن النبى عليه الصلاة والسلام لما خرج مهاجرا إلى المدينة اجتمع كفار مكة على باب دار الندوة ، وهى فى سكة أبى جهل عليه اللعنة ، وقالوا من يرد محمدا إلينا أو رأسه نعطيه مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة ومائة جارية رومية ومائة فرس عربية ، فقام رجل يقال له سراقة بن مالك وقال : أنا أرده إليكم ، فضمنوا له هذه الأموال ، فخرج خلفه وأدرك النبى عليه الصلاة والسلام فسل سيفه ليقتله ، فنزل جبرائيل عليه

---

(١) معاوية هذا غير معاوية بن أبى سفيان الصحابى الجليل الشهير اهـ .

السلام فقال : يارسول الله إن الله سخر الأرض لأمرك ، فقال رسول الله يا أرض خذيه ، فتسفل فرسه فى الأرض إلى الركبة ، فقال يارسول الله لا أفعل ، الأمان الأمان ، فدعا رسول الله فأنجاه الله بدعائه عليه الصلاة والسلام ، فسار ساعة ثم سل سيفه وأراد قتله ، فتسفل فرسه فى الأرض حتى أخذته الأرض إلى سرته ، فقال الأمان الأمان يارسول الله لا أفعل بعدها شيئا ، فدعا رسول الله عليه الصلاة والسلام فأنجاه الله تعالى ، فنزل عن فرسه وجثا بين يدى ناقة رسول الله وقال : يارسول الله أخبرنى عن إلهك حيث كانت له قدرة عظيمة مثل هذه أمن الذهب أم من الفضة ؟ فنكس رسول الله عليه الصلاة والسلام رأسه ساكتا فنزل جبرائيل عليه السلام وقال يامحمد (قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد) و (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) و (فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) فقال سراقة يارسول الله اعرض على الإسلام ، فعرض عليه الإسلام ، فأسلم وحسن إسلامه » (من حديث الأربعين) وقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يقرأ سورة الإخلاص مع المعوذتين وينفث على يديه ويمسح بهما على جسده عند النوم إذا كان وجعا ويأمر بذلك . قال بعض العلماء : ومن واظب على قراءتها نال كل خير وأمن من كل شر فى الدنيا والآخرة، ومن قرأها وهو جائع شبع أو عطشان روى . عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال « كنا مع النبى عليه الصلاة والسلام بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع نورها لم ير مثله فيما مضى ، وكان بينه وبين المدينة مسيرة شهر ، فطلعت الشمس يوما مغبرة ، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ياجبرائيل مالى أرى الشمس مغبرة ؟ فقال جبرائيل عليه الصلاة والسلام لكثرة أجنحة الملائكة ، فقال عليه الصلاة والسلام : ولم ذلك ؟ قال جبرائيل عليه السلام : لأن معاوية مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه ، قيل لم ذلك ؟ قال لكثرة قراءته قل هو الله أحد بالليل والنهار فى مشيه وقيامه وقعوده وذاهبا وجائيا وعلى كل حال ، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال : يارسول الله هل لك أن أقبض الأرض فتصلى عليه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام نعم ، فضرب بجناحيه على الأرض فضاقت ، ورفع له سريره حتى نظر إليه وخلفه صفوف من الملائكة كل صف سبعون ألف ملك ، فصلى عليه الصلاة والسلام عليه ثم رجع إلى تبوك » روى مسلم عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن الله تعالى جزأ القرآن وهو بتشديد الزاى المعجمة بمعنى قسمة ثلاثة أجزاء . فجعل

قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن ، وجه كونه جزءا يجوز أن يكون باعتبار الثواب يعنى أن الله تعالى يعطى قارئ هذه السورة ثواب قراءة ثلث القرآن من غير تضعيف أجر (كذا قاله النووى) وقيل إن القرآن على ثلاثة أنحاء : قصص وأحكام وصفات الله ، وقل هو الله أحد ، أحد هذه الثلاثة ، وهو صفات الله تعالى (ابن ملك على المشارق) .

(حكى) أن النبى عليه الصلاة والسلام كان جالسا على باب المدينة إذ مرت جنازة رجل . فقال عليه الصلاة والسلام : هل عليه دين ؟ فقالوا عليه دين أربعة دراهم ومات ولم يؤدها ، فقال عليه الصلاة والسلام : صلوا فإنى لا أصلى على من كان عليه دين ومات ولم يؤده ، فنزل جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال : يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول : بعثت جبرائيل بصورته وأدى دينه ، قم فصل فإنه مغفور له ، ومن صلى على جنازته غفر الله له ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ياجبرائيل من أين له هذه الكرامة ؟ فقال : بقراءته كل يوم مائة مرة سورة قل هو الله أحد ، لأن فيها بيان صفات الله والثناء عليه ، وقال النبى عليه الصلاة والسلام « من قرأها فى عمره مرة لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه فى الجنة خصوصا من قرأها فى الصلوات الخمس فى كل يوم مرة يشفع يوم القيامة لجميع أقربائه وعشيرته ممن قد استوجب النار » (حديث الأربعين) . وفى الحديث « من قرأ قل هو الله أحد مع التسمية غفر الله له ذنوب خمسين سنة » (تفسير حنفى) .

(حكى) عن بعض الصالحين أنه رأى فى المنام مائة حمامة من حمام مكة بلا رءوس ، فلما انتبه قص رؤياه على المعبر ، فقال له لعلك قرأت سورة الإخلاص مائة مرة بلا تسمية ، فقال صدقت (تفسير حنفى) عن ابن عباس عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لما أسرى بى إلى السماء رأيت العرش على ثلاثمائة وستين ألف ركن ، من الركن إلى الركن مسيرة ثلاثمائة ألف سنة ، وتحت كل ركن اثنا عشر ألف صحراء ، كل صحراء من المشرق إلى المغرب ، وفى كل صحراء ثمانون ألفا من الملائكة يقرءون قل هو الله أحد ، فإذا فرغوا من القراءة يقولون يا ربنا وياسيدنا قد وهبنا ثواب هذه القراءة لمن قرأ سورة الإخلاص من الرجال والنساء ، فتعجبوا من ذلك ، فقال عليه الصلاة والسلام : أتعجبون يا أصحابى ؟ قالوا نعم يارسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : والذى نفسى بيده إن (قل هو الله أحد) مكتوب على جناح جبرائيل عليه السلام (الله الصمد) مكتوب على جناح ميكائيل عليه السلام (لم يلد ولم يولد) مكتوب على جناح عزرائيل عليه السلام (ولم يكن له كفوا أحد) مكتوب على جناح إسرافيل عليه السلام ، فمن قرأ من أمتى

سورة الإخلاص أعطاه الله تعالى ثواب من قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : أتعجبون يا أصحابي ! قالوا نعم يارسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : والذى نفسى بيده إن (قل هو الله أحد) مكتوب على جبهة أبى بكر الصديق (الله الصمد) مكتوب على جبهة عمر الفاروق (لم يلد ولم يولد) مكتوب على جبهة عثمان ذى النورين (ولم يكن له كفوا أحد) مكتوب على جبهة على السخى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، فمن قرأ سورة الإخلاص أعطاه الله تعالى ثواب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين » (حياة القلوب) « روى أن رجلا شكا إلى النبى عليه الصلاة والسلام من الفقر ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام: إذا دخلت منزلك ، فاقرأ سورة الإخلاص ، ففعل ذلك فوسع الله عليه الرزق » وقال عليه الصلاة والسلام : « من قرأ سورة الإخلاص فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره ، وأمن من ضيق القبر ، وحملته الملائكة بأجنحتهم حتى يجوزوا به من الصراط إلى الجنة » . (كذا فى تذكرة القرطبى لكن شرطه مع البسملة) .

خاتمة

نسأل الله حسنها

قال المؤلف : الحمد لمن وفقنا بين الموفقين بإنجاز المعارف المطلوبة ، وأنعم علينا بإتمام الدرة الملتقطة من الكتب المرغوبة ، وصير حال الحرج فرجا بفطام الدموع من الأقلام المنصوبة ، والصلاة والسلام على من هو أفضل الرسل وأكمل البرية ، وعلى آله وأصحابه الذين نالوا ما نالوا باعتصام الشريعة النبوية ، يسر الله لنا شفاعتهم يوم القيامة والجمعية .

• • •

وقد تمت على يد الحقير الفقير العاصى ، الراجى رحمة ربه القدير ، يوم يؤخذ بالنواصى « عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخوبوى » أكرمه الله فى الدارين بلطفه وكرمه للولوى ، وغفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما ، بحرمة سيد الأنبياء والمرسلين .

وكان ذلك فى سنة أربع وعشرين ومائتين وألف هجرية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين .

فهرس

صفحة

صفحة